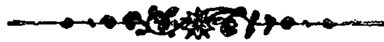
البداية والنهاية

في التاريخ

للامام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبى الفداء اسماعيل
ابن عمر بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الرابع عشر



مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمائة ﴾

استهلت والخليفة الحاكم العباسي وسلطان البلاد المنصور لاجين ونائبه بمصر مملوكه سيف الدين منكوتمر ، وقاضي الشافعية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، والحنفي حسام الدين الرازي ، والمالكي والحنبلي كما تقدم . ونائب الشام سيف الدين قبجق المنصوري ، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها ، والوزير تقي الدين توبة ، والخطيب بدر الدين بن جماعة .

ولما كان في أثناء المحرم رجعت طائفة من الجيش من بلاد سيس بسبب المرض الذي أصاب بعضهم ، فجاء كتاب السلطان بالعتب الأكيد والوعيد الشديد لهم ، وأن الجيش يخرج جميعه صحبة نائب السلطنة قبجق إلى هناك ونصب مشانق لمن تأخر بعذر أو غيره ، فخرج نائب السلطنة الامير سيف الدين قبجق وصحبته الجيوش وخرج أهل البلد للفرجة على الأطلاب على ماجرت به العادة ، فبرز نائب السلطنة في أبهة عظيمة فدعت له العامة وكانوا يحبونه ، واستمر الجيش سائرين قاصدين بلاد سيس ، فلما وصلوا إلى حمص بلغ الأمير سيف الدين قبجق وجماعة من الامراء أن السلطان قد تغلت خاطره بسبب سعي منكوتمر فيهم ، وعلموا أن السلطان لا يخالفه لمحبته له ، فاتفق جماعة منهم على الدخول إلى بلاد التتر والنجاة بأنفسهم ، فساقوا من حمص فيمن أطاعهم ، وهم قبجق وبزلي وبكتمر السلحدار والايلي ، واستمروا ذاهبين . فرجع كثير من الجيش إلى دمشق ، وتخبطت الامور وتأسفت العوام على قبجق لحسن سيرته ، وذلك في ربيع الآخر من هذه السنة فانا لله وإنا اليه راجعون .

﴿ ذكر مقتل المنصور لاجين وعود الملك إلى الناصر محمد بن قلاوون ﴾

لما كان يوم السبت التاسع عشر ربيع الآخر وصل جماعة من البريدية وأخبروا بقتل السلطان الملك المنصور لاجين ونائبه سيف الدين منكوتمر ، وأن ذلك كان ليلة الجمعة حادي عشره ، على يد الأمير سيف الدين كرجي الاشرفي ومن وافقه من الامراء ، وذلك بحضور القاضي حسام الدين الحنفي وهو جالس في خدمته يتحدثان ، وقيل كانا يلعبان بالشطرنج ، فلم يشعرا إلا وقد دخلوا عليهم فبادروا إلى السلطان بسرعة جهرة ليلة الجمعة فقتلوه وقتل نائبه صبراً صبيحة يوم الجمعة وألقي على مزبلة ، واتفق الامراء على إعادة ابن أستاذهم الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فأرسلوا وراءه ، وكان بالكرك ونادوا له بالقاهرة ، وخطب له على المنابر قبل قدومه ، وجاءت الكتب إلى نائب الشام قبجق فوجدوه قد فرّ خوفا من غائلة لاجين ، فسارت إليه البريدية فلم يدركوه إلا وقد لحق بالمغول عند رأس العين ، من أعمال ماردين ، وتفارط الحال ولا قوة إلا بالله .

وكان الذي شمر العزم وراءهم وساق ليردهم الأمير سيف الدين بلبان ، وقام بأعباء البلد نائب القلعة علم الدين أرجواش ، والأمير سيف الدين جاغان ، واحتاطوا على ما كان له اختصاص بتلك الدولة ، وكان منهم جمال الدين يوسف الرومي محتسب البلد ، وناظر المارستان ، ثم أطلق بعد مدة وأعيد إلى وظائفه ، واحتيط أيضا على سيف الدين جاغان وحسام الدين لاجين والي البر، وأدخلا القلعة ، وقتل بمصر الأمير سيف الدين طغجي ، وكان قد ناب عن الناصر أربعة أيام ، وكرجي الذي تولى قتل لاجين فقتلا وألقيا على المزابل ، وجعل الناس من العامة وغيرهم يتأملون صورة طغجي ، وكان جميل الصورة ، ثم بعد الدلال والمال والملك وارتهم هنالك قبور ، فدفن السلطان لاجين وعند رجليه نائبه منكوتمر ، ودفن الباقون في مضاجعهم هنالك .

وجاءت البشائر بدخول الملك الناصر إلى مصر يوم السبت رابع جمادى الاولى ، وكان يوما مشهوداً ، ودقت البشائر ودخل القضاة وأكابر الدولة إلى القلعة ، وبويع بحضرة علم الدين أرجواش ، وخطب له على المنابر بدمشق وغيرها بحضرة أكابر العلماء والقضاة والأمراء ، وجاء الخبر بأنه قد ركب وشق القاهرة وعليه خلعة الخليفة ، والجيش معه مشاة ، فضربت البشائر أيضاً . وجاءت مراسيمه فقرئت على السدة وفيها الرفق بالرعايا والأمر بالاحسان إليهم ، فدعوا له ، وقدم الأمير جمال الدين آقوش الافرم نائباً على دمشق ، فدخلها يوم الأربعاء قبل العصر ثاني عشرين جمادى الأولى ، فنزل بدار السعادة على العادة ، وفرح الناس بقدومه ، وأشعلوا له الشموع ، وكذلك يوم الجمعة أشعلوا له لما جاء إلى صلاة الجمعة بالمقصورة . وبعد أيام أفرج عن جاغان ولاجين والي البر ، وعادا إلى ما كانا عليه ، واستقر الأمير حسام الدين الاستادار أتابكا للعساكر المصرية ، والأمير

سيف الدين سلار نائباً بمصر، وأخرج الأعسر فى رمضان من الحبس وولى الوزارة بمصر، وأخرج قراسنقر المنصورى من الحبس وأعطى نيابة الصبيبة، ثم لما مات صاحب حماة الملك المظفر نقل قراسنقر إليها.

وكان قد وقع فى أواخر دولة لاجين بعد خروج قبجق من البلد محنة للشيخ تقى الدين بن تيمية قام عليه جماعة من الفقهاء وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضى جلال الدين الحنفى، فلم يحضر فنودى فى البلد فى العقيدة التى كان قد سأله عنها أهل حماة المسماة بالحموية، فانتصر له الأمير سيف الدين جاغان، وأرسل يطلب الذين قاموا عنده فاختفى كثير منهم، وضرب جماعة ممن نادى على العقيدة فسكت الباقون. فلما كان يوم الجمعة عمل الشيخ تقى الدين الميعاد بالجامع على عادته، وفسر فى قوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) ثم اجتمع بالقاضى إمام الدين يوم السبت واجتمع عنده جماعة من الفضلاء وبحثوا فى الحموية وناقشوه فى أماكن فيها، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير، ثم ذهب الشيخ تقى الدين وقد تمهدت الأمور، وسكنت الأحوال، وكان القاضى إمام الدين معتقده حسناً ومقصده صالحاً.

وفيها وقف علم الدين سنجر الدويدار رواقه داخل باب الفرج مدرسة ودار حديث، وولى مشيخته الشيخ علاء الدين بن العطار وحضر عنده القضاة والأعيان، وعمل لهم ضيافة، وأفرج عن قرا سنقر. وفى يوم السبت حادى عشر شوال فتح مشهد عثمان الذى جدده ناصر الدين بن عبد السلام ناظر الجامع، وأضاف إليه مقصورة الخدم من شماليه، وجعل له إماما راتباً، وحاكى به مشهد على بن الحسين زين العابدين. وفى العشر الأولى من ذى الحجة عاد القاضى حسام الدين الرازى إلى قضاء الشام، وعزل عن قضاء مصر، وعزل ولده عن قضاء الشام. وفيها فى ذى القعدة كثرت الأراجيف بقصد التتر بلاد الشام وبالله المستعان.

ومن توفى فيها من الأعيان. ﴿ الشيخ نظام الدين ﴾

أحمد بن الشيخ جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السلام الحصرى [1] الحنفى، مدرس النورية ثامن المحرم، ودفن فى تاسعه يوم الجمعة فى مقابر الصوفية، كان فاضلا، ناب فى الحكم فى وقت ودرس بالنورية بعد أبيه، ثم درس بعده الشيخ شمس الدين بن الصدر سليمان بن النقيب.

﴿ المفسر الشيخ العالم الزاهد ﴾

جمال الدين عبد الله بن محمد بن سليمان بن حسن بن الحسين البلخى، ثم المقدسى الحنفى، ولد فى النصف من شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة بالقدس، واشتغل بالقاهرة وأقام مدة بالجامع الازهر ودرس فى بعض المدارس هناك، ثم انتقل إلى القدس فاستوطنه إلى أن مات فى المحرم منها، وكان

(١) فى الشذرات: ابن الحصير.

شيخا فاضلا فى التفسير ، وله فيه مصنف حافل كبير جمع فيه خمسين مصنفا من التفسير ، وكان الناس يقصدون زيارته بالقدس الشريف ويتبركون به .

﴿ الشيخ أبو يعقوب المغربى المقيم بالقدس ﴾

كان الناس يجتمعون به وهو منقطع بالمسجد الأقصى ، وكان الشيخ تقى الدين بن تيمية يقول فيه : هو على طريقة ابن عربى وابن سبعين ، توفى فى المحرم من هذه السنة .

﴿ التقى توبة الوزير ﴾

تقى الدين توبة بن على بن مهاجر بن شجاع بن توبة الربعى التكريتى ، ولد سنة عشرين وستمائة يوم عرفة بعرفة ، وتنقل بالخدم إلى أن صار وزيراً بدمشق مرات عديدة ، حتى توفى ليلة الخميس ثانى جمادى الآخرة ، وصلى عليه غدوة بالجامع وسوق الخيل ، ودفن بتربته تجاه دار الحديث الأشرفية بالسفح ، وحضر جنازته القضاة والأعيان ، وباشر بعده نظر الدواوين فخر الدين بن الشيرجى ، وأخذ أمين الدين بن الهلال نظر الخزانة .

﴿ الأمير الكبير ﴾

شمس الدين بيسرى ، كان من أكابر الامراء المتقدمين فى خدمة الملوك ، من زمن قلاوون وهلم جرا ، توفى فى السجن بقلعة مصر ، وعمل له عزاء بالجامع الأموى ، وحضره نائب السلطنة الافرم والقضاة والأعيان .

﴿ السلطان الملك المظفر ﴾

تقى الدين محمود بن ناصر الدين محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة ، وابن ملوكها كابرا عن كابر ، توفى يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى القعدة ، ودفن ليلة الجمعة .

﴿ الملك الأوحد ﴾

نجم الدين يوسف بن الملك داود بن المعظم ناظر القدس ، توفى به ليلة الثلاثاء رابع ذى القعدة ودفن برباطه عند باب حطة عن سبعين سنة ، وحضر جنازته خلق كثير ، وكان من خيار أبناء الملوك ديناً وفضيلة وإحسانا إلى الضعفاء .

﴿ القاضى شهاب الدين يوسف ﴾

ابن الصاحب محب الدين بن النحاس أحد رؤساء الحنفية ، ومدرس الزنجانية والظاهرية ، توفى ببستانه بالمزة ثالث عشر ذى الحجة ، ودرس بعده بالزنجانية القاضى جلال الدين بن حسام الدين .

﴿ الصاحب نصر الدين أبو الغنائم ﴾

سالم بن محمد بن سالم بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبى ، كان أحسن حالا من أخيه القاضى نجم الدين ، وقد سمع الحديث وأسمعه ، كان صدراً معظما ، ولى نظر الدواوين ونظر الخزانة ،

ثم ترك المناصب وحج وجاور بمكة ، ثم قدم دمشق فأقام بها دون السنة ومات ، توفى يوم الجمعة ثامن وعشرين ذى الحجة ، وصلى عليه بعد الجمعة بالجامع ، ودفن بتربتهم بسفح قاسيون ، وعمل عزاؤه بالصاحبية .

﴿ ياقوت بن عبد الله ﴾

أبو الدر المستعصمى الكاتب ، لقبه جمال الدين ، وأصله رومى ، كان فاضلا مليح الخط مشهورا بذلك ، كتب ختما حسانا ، وكتب الناس عليه ببغداد ، وتوفى بها فى هذه السنة ، وله شعر رائق ، فمنه ما أورده البرزالى فى تاريخه عنه :

تجدد الشمس شوقى كلما طلعت * إلى محياك ياسمعى ويابصرى
وأسهر الليل فى أنس بلاونس * إذ طيب ذكراك فى ظلماته يسرى
وكل يوم مضى لا أراك به * فلست محتسبا ماضيه من عمرى
ليلى نهار إذا مادرت فى خلدى * لأن ذكرك نور القلب والبصر

﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمائة ﴾

وفيها كانت وقعة قازان ، وذلك أن هذه السنة استهلت والخليفة والسلطان هما المذكوران فى التى قبلها ، ونائب مصر سلار ، ونائب الشام آقوش الأفرم ، وسائر الحكام هم المذكورون فى التى قبلها ، وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام ، وقد خاف الناس من ذلك خوفا شديداً ، وجفل الناس من بلاد حلب وحماة ، وبلغ كرى الخيل من حماة إلى دمشق نحو المائتى درهم ، فلما كان يوم الثلاثاء ثانى المحرم ضربت البشائر بسبب خروج السلطان من مصر قاصداً الشام ، فلما كان يوم الجمعة ثامن ربيع الأول دخل السلطان إلى دمشق فى مطر شديد ووحل كثير ، ومع هذا خرج الناس لتلقيه ، وكان قد أقام بغزة قريبا من شهرين ، وذلك لما بلغه قدوم التتار إلى الشام ، فتهيأ لذلك وجاء فدخل دمشق فنزل بالطارمة ، وزينت له البلد ، وكثرت له الأدعية وكان وقتا شديدا ، وحالا صعبا ، وامتلأ البلد من الجافلين النازحين عن بلادهم ، وجلس الأعسر وزير الدولة وطالب العمال واقترضوا أموال الأيتام وأموال الأسرى لأجل تقوية الجيش ، وخرج السلطان بالجيش من دمشق يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول ولم يتخلف أحد من الجيوش ، وخرج معهم خلق كثير من المتطوعة ، وأخذ الناس فى الدعاء والقنوت فى الصلوات بالجامع وغيره ، وتضرعوا واستغاثوا وابتهلوا إلى الله بالادعية .

﴿ وقعة قازان ﴾

لما وصل السلطان إلى وادى الخزندار عند وادى سلمية ، فالتقى التتر هناك يوم الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول فالتقوا معهم فكسروا المسلمين وولى السلطان هارباً فانا لله وإنا إليه راجعون ، وقتل جماعة من الأمراء وغيرهم ومن العوام خلق كثير ، وفقد فى المعركة قاضى قضاة

الحنفية ، وقد صبروا وأبلوا بلاء حسنا ، ولكن كان أمر الله قدرا مقدوراً ، فولى المسلمون لايلوى أحد على أحد ، ثم كانت العاقبة بعد ذلك للمتقين ، غير أنه رجعت العساكر على أعقابها للديار المصرية واجتاز كثير منهم على دمشق ، وأهل دمشق فى خوف شديد على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، ثم إنهم استكانوا واستسلموا للقضاء والقدر ، وماذا يجدى الحذر إذا نزل القدر ، ورجع السلطان فى طائفة من الجيش على ناحية بعلبك والبقاع ، وأبواب دمشق مغلقة ، والقلعة محصنة والغلاء شديد والحال ضيق وفرج الله قريب ، وقد هرب جماعة من أعيان البلد وغيرهم إلى مصر ، كالقاضى إمام الدين الشافعى ، وقاضى المالكية الزواوى ، وتاج الدين الشيرازى ، وعلم الدين الصوابى والى البر ، وجمال الدين بن النحاس والى المدينة ، والمحتسب وغيرهم من التجار والعوام ، و بقى البلد شاغراً ليس فيهم حاكم سوى نائب القلعة .

وفى ليلة الأحد ثانى ربيع الأول كسر المحبوسون بحبس باب الصغير الحبس وخرجوا منه على حمية ، وتفرقوا فى البلد ، وكانوا قريبا من مائتى رجل ، فنهبوا ما قدروا عليه ، وجاؤا إلى باب الجابية فكسروا أقفال الباب البرانى وخرجوا منه إلى بر البلد ، فتفرقوا حيث شاؤا لا يقدر أحد على ردهم ، وعاثت الحرافشة فى ظاهر البلد فكسروا أبواب البساتين وقلعوا من الأبواب والشبابيك شيئاً كثيراً ، وباعوا ذلك بأرخص الأثمان ، هذا وسلطان التتار قد قصد دمشق بعد الوقعة ، فاجتمع أعيان البلد والشيخ تقى الدين بن تيمية فى مشهد على واتفقوا على المسير إلى قازان لتلقيه ، وأخذ الأمان منه لاهل دمشق ، فتوجهوا يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر فاجتمعوا به عند النبك ، وكلمه الشيخ تقى الدين كلاما قوياً شديداً فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين ولله الحمد . ودخل المسلمون ليلتئذ من جهة قازان فنزلوا بالبدرانية وغلقت أبواب البلد سوى باب توما ، وخطب الخطيب بالجامع يوم الجمعة ، ولم يذكر سلطاناً فى خطبته ، وبعد الصلاة قدم الامير إسماعيل ومعه جماعة من الرسل فنزلوا ببستان الظاهر عند الطرن . وحضر الفرمان بالامان وطيف به فى البلد ، وقرئ يوم السبت ثامن الشهر بمقصورة الخطابة ، ونثر شىء من الذهب والفضة . وفى ثانى يوم من المناداة بالامان طلبت الخيول والسلاح والاموال المخبأة عند الناس من جهة الدولة ، وجلس ديوان الاستخلاص إذ ذاك بالمدرسة القيمرية ، وفى يوم الاثنين عاشر الشهر قدم سيف الدين قبجق المنصورى فنزل فى الميدان واقترب جيش التتر وكثر العيث فى ظاهر البلد ، وقتل جماعة وغلت الاسعار بالبلد جداً ، وأرسل قبجق إلى نائب القلعة ليسلمها إلى التتر فامتنع أرجواش من ذلك أشد الامتناع ، فجمع له قبجق أعيان البلد فكلموه أيضاً فلم يجبهم إلى ذلك ، وصمم على ترك تسليمها إليهم وبها عين تطرف ، فان الشيخ تقى الدين بن تيمية أرسل إلى نائب القلعة يقول له ذلك ، لو لم يبق فيها

إلاحجر واحـد فلا تسلمهم ذلك إن استطعت ، وكان فى ذلك مصلحة عظيمة لأهل الشام فان الله حفظ لهم هذا الحصن والمعقل الذى جعله الله حرزا لاهل الشام التى لاتزال دار إيمان وسـنة ، حتى ينزل بها عيسى ابن مريم . وفى يوم دخول قبجق إلى دمشق دخل السلطان ونائبه سلار إلى مصر كما جاءت البطاقة بذلك إلى القلعة ، ودقت البشائر بها فقوى جأش الناس بعض قوة ، ولكن الامر كما يقال : كيف السبيل إلى سعاد ودونها * قلل الجبال ودونهن حتوف

الرجل حافية ومالى مركب * والكف صفر والطريق مخوف

وفى يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر خطب لقازان على منبر دمشق بحضور المغول بالمقصورة ودعى له على السدة بعد الصلاة وقرئ عليها مرسوم بنيابة قبجق على الشام ، وذهب إليه الأعيان فهنؤه بذلك ، فأظهر الكرامة وأنه فى تعب عظيم مع التتر ، ونزل شيخ المشايخ محمود بن على الشيبانى بالمدرسة العادلية الكبيرة . وفى يوم السبت النصف من ربيع الآخر شرعت التتار وصاحب سيس فى نهب الصالحية ومسجد الاسدية ومسجد خاتون ودار الحديث الاشرفية بها واحترق جامع التوبة بالعقيبية ، وكان هـذا من جهة الكرج والارمن من النصارى الذين هم مع التتار قبحهم الله . وسبوا من أهلها خلقا كثيراً وجماً غفيراً ، وجاء أكثر الناس إلى رباط الحنابلة فاحتاطت به التتار فحماه منهم شيخ الشيوخ المذكور ، وأعطى فى الساكن مال له صورة ثم أقحموا عليه فسبوا منه خلقا كثيرا من بنات المشايخ وأولادهم فانا لله وإنا إليه راجعون .

ولما نكب دير الحنابلة فى ثانى جمادى الاولى قتلوا خلقا من الرجال وأسروا من النساء كثيراً ، ونال قاضى القضاة تقى الدين أذى كثير ، ويقال إنهـم قتلوا من أهل الصالحية قريباً من أربعمائة ، وأسروا نحوا من أربعة آلاف أسير ، ونهبت كتب كثيرة من الرباط الناصرى والضيائية ، وخزانة ابن البزورى ، وكانت تباع وهى مكتوب عليها الوقفية ، وفعلوا بالمزة مثل ما فعلوا بالصالحية ، وكذلك بداريا وبغيرها ، وتحصن الناس منهم فى الجامع بداريا ففتحوه قسراً وقتلوا منهم خلقا وسبوا نساءهم وأولادهم ، فانا لله وإنا اليه راجعون .

وخرج الشيخ ابن تيمية فى جماعة من أصحابه يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر إلى ملك التتر وعاد بعد يومين ولم يتفق اجتماعه به ، حجبه عنه الوزير سعد الدين والرشيد مشير الدولة المسلمانى ابن يهودى ، والتزما له بقضاء الشغل ، وذكرا له أن التتر لم يحصل لكثير منهم شىء إلى الآن ، ولابد لهم من شىء ، واشتهر بالبلد أن التتر يريدون دخول دمشق فانزعج الناس لذلك وخافوا خوفا شديداً ، وأرادوا الخروج منها والهرب على وجوههم ، وأين الفرار ولات حين مناص ، وقد أخذ من البلد فوق العشرة آلاف فرس ، ثم فرضت أموال كثيرة على البلد موزعة على أهل الاسواق

كل سوق بحسبه من المال ، فلا قوة إلا بالله . وشرع التتر فى عمل مجانيق بالجامع ليرموا بها القلعة من صحن الجامع ، وغلقت أبوابه ونزل التتار فى مشاهده يحرسون أخشاب المجانيق ، وينهبون ماحوله من الأسواق ، وأحرق أرجوان ماحول القلعة من الابنية ، كدار الحديث الأشرفية وغير ذلك ، إلى حد العادلية الكبيرة ، وأحرق دار السعادة لئلا يتمكنوا من محاصرة القلعة من أعاليها ، ولزم الناس منازلهم لئلا يسخروا فى طم الخندق ، وكانت الطرقات لا يرى بها أحد إلا القليل ، والجامع لا يصلى فيه أحد إلا اليسير ، ويوم الجمعة لا يتكامل فيه الصف الأول وما بعده إلا بجهد جهيد ، ومن خرج من منزله فى ضرورة يخرج بثياب زيهم ثم يعود سريعا ، ويظن أنه لا يعود إلى أهله ، وأهل البلد قد أذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

والمصادرات والتراسيم والعقوبات عمالة فى أكابر أهل البلد ليلا ونهاراً ، حتى أخذ منهم شيء كثير من الأموال والأوقاف ، كالجامع وغيره ، ثم جاء مرسوم بصيانة الجامع وتوفير أوقافه وصرف ما كان يؤخذ بخزائن السلاح وإلى الحجاز ، وقرىء ذلك المرسوم بعد صلاة الجمعة بالجامع فى تاسع عشر جمادى الأولى ، وفى ذلك اليوم توجه السلطان قازان وترك نوابه بالشام فى ستين ألف مقاتل نحو بلاد العراق ، وجاء كتابه إنا قد تركنا نوابنا بالشام فى ستين ألف مقاتل ، وفى عزمنا العود اليها فى زمن الخريف ، والدخول إلى الديار المصرية وفتحها ، وقد أعجزتهم القلعة أن يصلوا إلى حجر منها ، وخرج سيف الدين قبجق لتوديع قطلو شاه نائب قازان وسار وراءه وضربت البشائر بالقلعة فرحا لرحيلهم ، ولم تفتح القلعة ، وأرسل أرجواش ثانى يوم من خروج قبجق القلعية إلى الجامع فكسروا أخشاب المنجنيقات المنصوبة به ، وعادوا إلى القلعة سريعا سالمين ، واستصحبوا معهم جماعة ممن كانوا يلوذون بالتتر قهراً إلى القلعة ، منهم الشريف القمى ، وهو شمس الدين محمد ابن محمد بن أحمد بن أبى القاسم المرتضى العلوى ، وجاءت الرسل من قبجق إلى دمشق فنادوا بها طيبوا أنفوسكم وافتحوا دكاكينكم وتهيئوا غداً لتلقى سلطان الشام سيف الدين قبجق ، فخرج الناس إلى أماكنهم فأشرفوا عليها فرأوا ما بها من الفساد والدمار ، وانفك رؤساء البلد من التراسيم بعد ما ذاقوا شيئا كثيراً .

قال الشيخ علم الدين البرزالى : ذكر لى الشيخ وجيه الدين بن المنجا أنه حمل إلى خزانة قازان ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم ، سوى ما تمحق من التراسيم والبراطيل وما أخذ غيره من الأمراء والوزراء ، وأن شيخ المشايخ حصل له نحو من ستمائة ألف درهم ، والاصيل بن النصير الطوسى مائة ألف ، والصفى السخاوى ثمانون ألفا ، وعاد سيف الدين قبجق إلى دمشق يوم الخميس بعد الظهر خامس عشرين جمادى الاولى ومعه الاليكى وجماعة ، وبين يديه السيوف مسللة وعلى

رأسه عصابة فنزل بالقصر ونودى بالبلد نائبكم قبجق قد جاء فافتحوا دكاكينكم واعملوا معاشكم ولا يغرر أحد بنفسه هذا الزمان والاسعار فى غاية الغلاء والقلة ، قد بلغت الغرارة إلى أربعمائة ، واللحم الرطل بنحو العشرة ، والخبز كل رطل بدرهمين ونصف ، والعشرة الدقيق بنحو الأربعين ، والجبن الأوقية بدرهم ، والبيض كل خمسة بدرهم ، ثم فرج عنهم فى أواخر الشهر ، ولما كان فى أواخر الشهر نادى قبجق بالبلد أن يخرج الناس إلى قراهم وأمر جماعة وانضاف إليه خلق من الأجناد ، وكثرت الأراجيف على بابه ، وعظم شأنه ودقت البشائر بالقلعة وعلى باب قبجق يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة ، وركب قبجق بالعصائب فى البلد والشاويشية بين يديه ، وجهز نحواً من ألف فارس نحو خربة اللصوص ، ومشى مشى الملوك فى الولايات وتأمير الأمراء والمراسيم العالية النافذة ، وصار كما قال الشاعر :

يالك من قنبرة بمعمرى * خلالك الجو فبيضى واصفرى * ونقرى ما شئت أن تنقرى

ثم إنه ضمن الخمارات ومواضع الزنا من الحانات وغيرها ، وجعلت دار ابن جرادة خارج من باب توما خمارة وحانة أيضاً ، وصار له على ذلك فى كل يوم ألف درهم ، وهى التى دمرته ومحقت آثاره وأخذ أموالا أخر من أوقاف المدارس وغيرها ، ورجع بولاى من جهة الأغوار وقد عاث فى الارض فسادا ، ونهب البلاد وخرب ومعه طائفة من التتر كثيرة ، وقد خربوا قرى كثيرة ، وقتلوا من أهلها وسبوا خلقا من أطفالها ، وجبى لبولاى من دمشق أيضا جباية أخرى ، وخرج طائفة من القلعة فقتلوا طائفة من التتر ونهبوهم ، وقتل جماعة من المسلمين فى غبون ذلك ، وأخذوا طائفة ممن كان يلوذ بالتتر ورسم قبجق لخطيب البلد وجماعة من الأعيان أن يدخلوا القلعة فيتكلموا مع نائبها فى المصالحة فدخلوا عليه يوم الاثنين ثانى عشر جمادى الآخرة ، فكلموه وبالغوا معه فلم يجب إلى ذلك وقد أجاد وأحسن وأرجل فى ذلك بيض الله وجهه .

وفى ثامن رجب طلب قبجق القضاة والأعيان لحلفهم على المناصحة للدولة المحمودية - يعنى قازان - فحلفوا له ، وفى هذا اليوم خرج الشيخ تقى الدين بن تيمية إلى مخيم بولاى فاجتمع به فى فكاك من كان معه من أسارى المسلمين ، فاستنقذ كثيراً منهم من أيديهم ، وأقام عنده ثلاثة أيام ثم عاد ، ثم راح إليه جماعة من أعيان دمشق ثم عادوا من عنده فشلحوا عند باب شرقى وأخذ ثيابهم وعمائمهم ورجعوا فى شرحالة ، ثم بعث فى طلبهم فاختفى أكثرهم وتغيبوا عنه ، ونودى بالجامع بعد الصلاة ثالث رجب من جهة نائب القلعة بأن العساكر المصرية قادمة إلى الشام ، وفى عشية يوم السبت رحل بولاى وأصحابه من التتر وانشمروا عن دمشق وقد أراح الله منهم وساروا من على عقبة دمر فعاثوا فى تلك النواحى فساداً ، ولم يأت سابع الشهر وفى حواشى البلد منهم أحد ، وقد أزاح الله عز وجل

شرهم عن العباد والبلاد ، ونادى قبجق فى الناس قد أمنت الطرقات ولم يبق بالشام من التتر أحد ، وصلى قبجق يوم الجمعة عاشر رجب بالمقصورة ، ومعه جماعة عليهم لأمة الحرب من السيوف والقسى والترا كيش فيها النشاب ، وأمنت البلاد ، وخرج الناس للفرجة فى غيض السفرجل على عادتهم فعاثت عليهم طائفة من التتر ، فلما رأوهم رجعوا إلى البلد هار بين مسرعين ، ونهب بعض الناس بعضاً ومنهم من ألقى نفسه فى النهر ، و إنما كانت هذه الطائفة مجتازين ليس لهم قرار ، وتقلق قبجق من البلد ثم إنه خرج منها فى جماعة من رؤسائها وأعيانها منهم عز الدين ابن القلانسى ليتلقوا الجيش المصرى وذلك أن جيش مصر خرج إلى الشام فى تاسع رجب وجاءت البريدية بذلك ، و بقى البلد ليس به أحد ، ونادى أرجواش فى البلد احفظوا الاسوار وأخرجوا ما كان عندكم من الاسلحة ولا تهملوا الاسوار والابواب ، ولا يبيتن أحد إلا على السور ، ومن بات فى داره شنق ، فاجتمع الناس على الاسوار لحفظ البلاد ، وكان الشيخ تقى الدين بن تيمية يدور كل ليلة على الاسوار يحرض الناس على الصبر والقتال و يتلو عليهم آيات الجهاد والرباط .

وفى يوم الجمعة سابع عشر رجب أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر ففرح الناس بذلك ، وكان يخطب لقازان بدمشق وغيرها من بلاد الشام مائة يوم سواء . وفى بكرة يوم الجمعة المذكور دار الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله وأصحابه على الخمارات والحانات فكسروا آنية الخمور وشققوا الظروف وأراقوا الخمور ، وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش ، ففرح الناس بذلك ، ونودى يوم السبت ثامن عشر رجب بأن تزين البلد لقدوم العساكر المصرية ، وفتح باب الفرج مضافا إلى باب النصر يوم الأحد تاسع عشر رجب ، ففرح الناس بذلك وانفرجوا لأنهم لم يكونوا يدخلون إلا من باب النصر ، وقدم الجيش الشامى صحبة نائب دمشق جمال الدين آقوش الأفرم يوم السبت عاشر شعبان ، وثانى يوم دخل بقية العساكر وفيهم الأميران شمس الدين قراسنقر المنصورى وسيف الدين قطلبك فى تجمل . وفى هذا اليوم فتح باب العريش ، وفيه درس القاضى جلال الدين القزوينى بالأمينية عوضاً عن أخيه قاضى القضاة إمام الدين توفى بمصر ، وفى يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء تكامل دخول العساكر صحبة نائب مصر سيف الدين سلار ، وفى خدمته الملك العادل كتبغا ، وسيف الدين الطراخى فى تجمل باهر ، ونزلوا فى المرج ، وكان السلطان قد خرج عازما على المجىء فوصل إلى الصالحية ثم عاد إلى مصر .

وفى يوم الخميس النصف من شعبان أعيد القاضى بدر الدين بن جماعة إلى قضاء القضاة بدمشق مع الخطابة بعد إمام الدين ، ولبس معه فى هذا اليوم أمين الدين العجمى خلعة الحسبة ، وفى يوم سابع عشره لبس خلعة نظر الدواوين تاج الدين الشيرازى عوضاً عن فخر الدين بن الشيرجى ،

ولبس أقبجاشد الدواوين فى باب الوزير شمس الدين سنقر الأعسر ، وباشر الأمير عز الدين أيبك الدويدار النجيبي ولاية البر ، بعدما جعل من أمراء الطبلخانة ، ودرس الشيخ كمال الدين بن الزملكانى بأم الصالح عوضاً عن جلال الدين القزوينى يوم الأحد الحادى والعشرين من شعبان ، وفى هذا اليوم ولى قضاء الحنفية شمس الدين بن الصفى الحريرى عوضاً عن حسام الدين الرومى ، فقد يوم المعركة فى ثانى رمضان ، ورفعت الستائر عن القلعة فى ثالث رمضان . وفى مستهل رمضان جلس الأمير سيف الدين سلار بدار العدل فى الميدان الأخضر وعنده القضاة والأمراء يوم السبت ، وفى السبت الآخر خلع على عز الدين القلانسى خلعة سنية وجعل ولده عماد الدين شاهداً فى الخزانة . وفى هذا اليوم رجع سلار بالعساكر إلى مصر وانصرفت العساكر الشامية إلى مواضعها وبلدانها . وفى يوم الاثنين عاشر رمضان درس على بن الصفى بن أبى القاسم البصراوى الحنفى بالمدينة المقدمية .

وفى شوال فيها عرفت جماعة ممن كان يلوذ بالتتر ويؤذى المسلمين ، وشنق منهم طائفة وسمر آخرون وكحل بعضهم وقطعت ألسن وجرت أمور كثيرة . وفى منتصف شوال درس بالدولعية قاضى القضاة جمال الدين الزرعى نائب الحكم عوضاً عن جمال الدين بن الباجريقى ، وفى يوم الجمعة العشرين منه ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم فى جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان ، وخرج الشيخ تقى الدين بن تيمية ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية ، بسبب فساد نيتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم ، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر وهربوا حين اجتازوا ببلادهم ، وثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم ، وقتلوا كثيرا منهم ، فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ تقى الدين بن تيمية فاستتابهم وبين للكثير منهم الصواب وحصل بذلك خير كثير ، وانتصار كبير على أولئك المفسدين ، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش ، وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها إلى بيت المال ، وأقطعت أراضيهم وضياعهم ، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون فى طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة ، ولا يدينون دين الحق ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله . وعاد نائب السلطنة يوم الأحد ثالث عشر ذى القعدة وتلقاه الناس بالشموع إلى طريق بعلبك وسط النهار . وفى يوم الأربعاء سادس عشره نودى فى البلد أن يعلق الناس الأسلحة بالدكاكين ، وأن يتعلم الناس الرمى فعملت الاماجات فى أماكن كثيرة من البلد ، وعلقت الأسلحة بالأسواق ، ورسم قاضى القضاة بعمل الاماجات فى المدارس ، وأن يتعلم الفقهاء الرمى ويستعدوا لقتال العدو إن حضر ، وبالله المستعان .

وفى الحادى والعشرين من ذى القعدة استعرض نائب السلطنة أهل الأسواق بين يديه وجعل على كل سوق مقدماً وحوله أهل سوقه ، وفى الخميس رابع عشرينه عرضت الأشراف مع نقيبهم نظام

الملك الحسيني بالمدد والتجمل الحسن، وكان يوماً مشهوداً. ومما كان من الحوادث فى هذه السنة أن جدد إمام راتب عند رأس قبر زكريا ، وهو الفقيه شرف الدين أبو بكر الحموى ، وحضر عنده يوم عاشوراء القاضى إمام الدين الشافعى ، وحسام الدين الحنفى وجماعة، ولم تطل مدته إلا شهوراً ثم عاد الحموى إلى بلده وبطلت هذه الوظيفة إلى الآن ولله الحمد .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ القاضى حسام الدين أبو الفضائل ﴾

الحسن بن القاضى تاج الدين أبى المفاخر أحمد بن الحسن أنو شروان الرازى الحنفى ، ولى قضاء ملطية مدة عشرين سنة ، ثم قدم دمشق فوليها مدة ، ثم انتقل إلى مصر فوليها مدة ، وولده جلال الدين بالشام ثم صار إلى الشام فعاد إلى الحكم بها ، ثم لما خرج الجيش إلى لقاء قازان بوادى الخزندار عند وادى سلمية خرج معهم ففقد من الصف ولم يدر ما خبره ، وقد قارب السبعين ، وكان فاضلا بارعاً رئيسا ، له نظم حسن ، ومولده باقسيس من بلاد الروم فى المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة فقد يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ربيع الأول منها ، وقد قتل يومئذ عدة من مشاهير الأمراء ثم ولى بعده القضاء شمس الدين الحريرى .

﴿ القاضى الامام العالى ﴾

إمام الدين أبو المعالى عمر بن القاضى سعد الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن الشيخ إمام الدين أبى حفص عمر بن أحمد بن محمد القزوينى الشافعى ، قدم دمشق هو وأخوه جلال الدين فقررا فى مدارس ، ثم انتزع إمام الدين قضاء القضاة بدمشق من بدر الدين بن جماعة كما تقدم فى سنة سبع وسبعين ، وناب عنه أخوه ، وكان جميل الأخلاق كثير الاحسان رئيسا ، قليل الأذى ، ولما أزف قدوم التتار سافر إلى مصر ، فلما وصل إليها لم يقم بها سوى أسبوع وتوفى ودفن بالقرب من قبة الشافعى عن ست وأربعين سنة ، وصار المنصب إلى بدر الدين بن جماعة ، مضافا إلى ما بيده من الخطابة وغيرها ، ودرس أخوه بعده بالأمينية .

﴿ المسند المعمر الرحلة ﴾

شرف الدين أحمد بن هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن عساكر الدمشقى ، ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، وسمع الحديث و روى ، توفى خامس عشر جمادى الأولى عن خمس وثمانين سنة .

﴿ الخطيب الامام العالم ﴾

موفق الدين أبو المعالى محمد بن محمد بن الفضل النهروانى القضاعى الحموى ، خطيب حماة ، ثم خطب بدمشق عوضا عن الفاروثى ، ودرس بالغزالية ثم عزل بابن جماعة ، وعاد إلى بلده ، ثم قدم دمشق عام قازان فمات بها .

﴿ الصدر شمس الدين ﴾

محمد بن سليمان بن حمايل بن على المقدسى المعروف بابن غانم ، وكان من أعيان الناس وأكثرهم مروءة ، ودرس بالعصرونية ، توفى وقد جاوز الثمانين ، كان من الكتاب المشهورين المشكورين ، وهو والد الصدر علاء الدين بن غانم .

﴿ الشيخ جمال الدين أبو محمد ﴾

عبد الرحيم بن عمر بن عثمان البـاجريقى الشافعى ، أقام مدة بالموصل يشتغل ويفتى ، ثم قـدم دمشق عام قازان فمات بها ، وكان قد أقام بها مدة كذلك ، ودرس بالقليجية والدولعية ، وناب فى الخطابة ودرس بالغزالية نيابة عن الشمس الأيكى ، وكان قليل الكلام مجموعا عن الناس ، وهو والد الشمس محمد المنسوب إلى الزندقة والانحلال ، وله أتباع ينسبون إلى ما ينسب إليه ، ويعكفون على ما كان يعكف عليـه ، وقـد حدث جمال الدين المذكور بجامع الأصول عن بعض أصحاب مصنفات ابن الأثير ، وله نظم ونثر حسن ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبعمائة من الهجرة النبوية ﴾

استهلت والخليفة والسلطان ونواب البلاد والحكام بها هم المذكورون فى التى قبلها ، غير الشافعى والحنفى ، ولمـا كان ثالث المحرم جلس المستخرج لاستخلاص أجرة أربعـة أشهر عن جميع أملاك الناس وأوقافهم بدمشق ، فهرب أكثر الناس من البلد ، وجرت خبطة قوية وشق ذلك على الناس جداً .

وفى مستهل صفر وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام ، وأنهم عازمون عـلى دخول مصر ، فانزعج الناس لذلك وازداد واضعفا على ضعفهم ، وطاشت عقولهم وألبابهم ، وشرع الناس فى الهرب إلى بلاد مصر والكرك والشوبك والحصون المنيعة ، فبلغت الحمارة إلى مصر خمسمائة وبيع الجمـل بألف والحمار بخمسمائة ، وبيعت الأمتعة والثياب والمغلات بأرخص الأثمان ، وجلس الشيخ تقى الدين ابن تيمية فى ثانى صفر بمجلسه فى الجامع وحرض الناس على القتال ، وساق لهم الآيات والاحاديث الواردة فى ذلك ، ونهى عن الاسراع فى الفرار ، ورغب فى إنفاق الاموال فى الذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم ، وأن ما ينفق فى أجرة الهرب إذا أنفق فى سبيل الله كان خـيراً ، وأوجب جهاد التتر حتما فى هذه الكرة ، وتابع المجالس فى ذلك ، ونودى فى البلاد لا يسافر أحد إلا بمرسوم وورقة فتوقف الناس عن السير وسكن جأشهم ، وتحدث الناس بخروج السلطان من القاهرة بالعساكر ودقت البشائر لخروجه ، لكن كان قد خرج جماعة من بيوتات دمشق كبيت ابن صصرى وبيت ابن فضل الله وابن منجا وابن سويد وابن الزملكانى وابن جماعة .

وفى أول ربيع الآخر قوى الارجاف بأمر التتر ، وجاء الخبر بأنهم قد وصلوا إلى البيرة ونودى

فى البلد أن تخرج العامة مع العسكر ، وجاء مرسوم النائب من المرج بذلك ، فاستعرضوا فى أثناء الشهر فعرض نحو خمسة آلاف من العامة بالعـدة والاسلحة على قدر طاقتهم ، وقنت الخطيب ابن جماعة فى الصلوات كلها ، واتبعه أئمة المساجد ، وأشاع المرجفون بأن التتر قد وصـلوا إلى حلب وأن نائب حلب تقهقر إلى حماة ، ونودى فى البلد بتطييب قلوب الناس و إقبالهم على معايشهم ، وأن السلطان والعساكر واصلة ، وأبطل ديوان المستخرج وأقيموا ، ولكن كانوا قد استخرجوا أكثر مما أمروا به و بقيت بواقى على الناس الذين قد اختفوا فعفى عما بقى ، ولم يرد ما سلف ، لاجرم أن عواقب هذه الافعال خسر ونكر ، وأن أصحابها لا يفلحون ، ثم جاءت الاخبار بأن سلطان مصر رجع عائدا إلى مصر بعد أن خرج منها قاصداً الشام ، فكثر الخوف واشتد الحال ، وكثرت الامطار جـداً ، وصار بالطرقات من الاوحال والسيول ما يحول بين المرء و بين ما يريده من الانتشار فى الأرض والذهاب فيها ، فانا لله و إنا إليه راجعون.

وخرج كثير من الناس خفافاً وثقالا يتحملون بأهليهـم وأولادهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وجعلوا يحملون الصغار فى الوحل الشديد والمشقة على الدواب والرقاب ، وقد ضعفت الدواب من قلة العلف مع كثرة الأمطار والزلق والبرد الشديد والجوع وقلة الشيء فلا حول ولا قوة إلا بالله.

واستهل جمادى الاولى والناس على خطة صعبة من الخوف ، وتأخر السلطان واقترب العدو ، وخرج الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله تعالى فى مستهل هذا الشهر وكان يوم السبت إلى نائب الشام فى المرج فثبتهم وقوى جأشهم وطيب قلوبهم ووعدهم النصر والظفر على الأعداء ، وتلا قوله تعالى (ومن عاقب بمثـل ما عوقب به ثم بغى عليـه لينصر نه الله إن الله لعفو غفور) وبات عند العسكر ليلة الاحـد ثم عاد إلى دمشق وقد سأله النائب والامراء أن يركب عـلى البريد إلى مصر يستحث السلطان على المجيء فساق وراء السلطان ، وكان السلطان قد وصل إلى الساحل فلم يدركه إلا وقـد دخل القاهرة وتفارط الحال ، ولكنه اسـتحثهم على تجهـيز العساكر إلى الشام إن كان لهم به حاجـة ، وقال لهم فيما قال : إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا له سلطاناً يحوطه و يحميه و يسـتغله فى زمن الأمن ، ولم يزل بهم حتى جردت العساكر إلى الشام ، ثم قال لهم : لو قدر أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم النصر ، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه وهم رعايكم وأنتم مسؤلون عنهم ، وقوى جأشهم وضمن لهم النصرهذه الكرة ، فخرجوا إلى الشام، فلما تواصلت العساكر إلى الشام فرح الناس فرحا شديداً بعـد أن كانوا قد يئسوا من أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، ثم قويت الأراجيف بوصول التتر ، وتحقق عود السلطان إلى مصر ، ونادى ابن النحاس متولى البلد فى الناس من قدر على السفر فلا يقعد بدمشق ، فتصايح النساء والولدان ، ورهق الناس

ذلة عظيمة وخمدة ، وزلزلوا زلزالا شديدا ، وغلقت الاسواق وتيقنوا أن لا ناصر لهم إلا الله عز وجل ، وأن نائب الشام لما كان فيه قوة مع السلطان عام أول لم يقو على التقاء جيش التتر فكيف به الآن وقد عزم على الهرب ؟ ويقولون : ما بقى أهل دمشق إلا طعمة العدو ، ودخل كثير من الناس إلى البرارى والقفار والمغر بأهاليهم من الكبار والصغار ، ونودى فى الناس من كانت نيته الجهاد فليلحق بالجيش فقد اقترب وصول التتر ،ولم يبق بدمشق من أكابرها إلا القليل ، وسافر ابن جماعة والحريرى وابن صصرى وابن منجا ، وقد سبقهم بيوتهم إلى مصر ، وجاءت الاخبار بوصول التتر إلى سرقين وخرج الشيخ زين الدين الفارقى والشيخ إبراهيم الرقى وابن قوام وشرف الدين بن تيمية وابن خبارة إلى نائب السلطنة الافرم فقووا عزمه على ملاقاة العدو ، واجتمعوا بمهنا أمير العرب فحرضوه على قتال العدو فأجابهم بالسمع والطاعة ، وقويت نياتهم على ذلك ، وخرج طلب سلار من دمشق إلى ناحية المرج ، واستعدوا للحرب والقتال بنيات صادقة .

ورجع الشيخ تقى الدين بن تيمية من الديار المصرية فى السابع والعشرين من جمادى الأولى على البريد ، وأقام بقلعة مصر ثمانية أيام يحثهم على الجهاد والخروج إلى العدو ، وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة فأجابوه إلى الخروج ، وقد غلت الاسعار بدمشق جداً ، حتى بيع خاروفان بخمسمائة درهم ، واشتد الحال ، ثم جاءت الاخبار بأن ملك التتار قد خاض الفرات راجعا عامه ذلك لضعف جيشه وقلة عددهم ، فطابت النفوس لذلك وسكن الناس ، وعادوا إلى منازلهم منشرحين آمنين مستبشرين . ولما جاءت الأخبار بعدم وصول التتار إلى الشام فى جمادى الآخرة تراجعت أنفس الناس إليهم وعاد نائب السلطنة إلى دمشق ، وكان مخيما فى المرج من مدة أربعة أشهر متتابعة ، وهو من أعظم الرباط ، وتراجع الناس إلى أوطانهم : وكان الشيخ زين الدين الفارقى قد درس بالناصرية لغيبة مدرسها كمال الدين بن الشريشى بالكرك هاربا ، ثم عاد إليها فى رمضان ، وفى أواخر الشهر درس ابن الزكى بالدولعية عوضا عن جمال الدين الزرعى لغيبته . وفى يوم الاثنين قرئت شروط الذمة على أهل الذمة وألزموا بها واتفقت الكلمة على عزلهم عن الجهات ، وأخذوا بالصغار ، ونودى بذلك فى البلد وألزم النصارى بالعمائم الزرق ، واليهود بالصفر ، والسامرة بالحمر ، فحصل بذلك خير كثير وتميزوا عن المسلمين ، وفى عاشر رمضان جاء المرسوم بالمشاركة بين أرجواش والأمير سيف الدين أقبجا فى نيابة القلعة ، وأن يركب كل واحد منهما يوما ، ويكون الآخر بالقلعة يوما ، فامتنع أرجواش من ذلك .

وفى شوال درس بالاقبالية الشيخ شهاب الدين بن المجد عوضا عن علاء الدين القونوى بحكم إقامته بالقاهرة ، وفى يوم الجمعة الثالث عشر من ذى القعدة عزل شمس الدين بن الحريرى عن قضاء الحنفية بالقاضى جلال الدين بن حسام الدين على قاعدته وقاعدة أبيه ، وذلك باتفاق من

الوزير شمس الدين سنقر الأعسر ونائب السلطان الأفرم . وفيها وصلت رسل ملك التتار إلى دمشق ، فأنزلوا بالقلعة ثم ساروا إلى مصر .

وممن توفي فيها من الأعيان : ﴿ الشيخ حسن الكردى ﴾

المقيم بالشاغور فى بستان له يأكل من غلته و يطعم من ورد عليه ، وكان يزار ، فلما احتضر اغتسل وأخذ من شعره واستقبل القبلة و ركع ركعات ، ثم توفى رحمه الله يوم الاثنين الرابع من جمادى الاولى ، وقد جاوز المائة سنة .

﴿ الطواشي صفى الدين جوهر التفليسى ﴾

المحدث ، اعتنى بسماع الحديث وتحصيل الأجزاء. وكان حسن الخلق صالحا لين الجانب رجلا حاميا زكيا ، و وقف أجزاءه التى ملكها على المحدثين

﴿ الأمير عز الدين ﴾

محمد بن أبى الهيجاء بن محمد الهيدبانى الأربلى متولى دمشق ، كان لديه فضائل كثيرة فى التواريخ والشعر و ربما جمع شيئا فى ذلك ، وكان يسكن بدرب سعور فعرف به ، فيقال درب ابن أبى الهيجاء ، وهو أول منزل نزلناه حين قدمنا دمشق فى سنة ست وسبعمائة ، ختم الله لى بخير فى عافية آمين ، توفى ابن أبى الهيجاء فى طريق مصر وله ثمانون سنة ، وكان مشكور السيرة حسن المحاضرة.

﴿ الأمير جمال الدين آقوش الشريفى ﴾

والى الولاة بالبلاد القبلية ، توفى فى شوال وكانت له هيبة وسطوة وحرمة .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها ، والأمير سيف الدين سلار بالشام ، ونائب دمشق الأفرم ، وفى أولها عزل الامير قطلبك عن نيابة البلاد الساحلية وتولاها الأمير سيف الدين استدمر ، وعزل عن وزارة مصر شمس الدين الأعسر ، وتولى سيف الدين أقجبا المنصورى نيابة غزة ، وجعل عوضه بالقلعة الامير سيف الدين بهادر السيجرى ، وهو من الرحبة . وفى صفر رجعت رسل ملك التتر من مصر إلى دمشق فتلقاهم نائب السلطنة والجيش والعامة ، وفى نصف صفر ولى تدريس النورية الشيخ صدر الدين على البصراوى الحنفى عوضاً عن الشيخ ولى الدين السمرقندى وإنما كان وليها ستة أيام ودرس بها أربعة دروس بعد بنى الصدر سليمان ، توفى وكان من كبار الصالحين ، يصلى كل يوم مائة ركعة ، وفى يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول جلس قاضى القضاة وخطيب الخطباء بدر الدين بن جماعة بالخانقاه الشمساطية شيخ الشيوخ بها عن طلب الصوفية له بذلك ، ورغبتهم فيه ، وذلك بعد وفاة الشيخ يوسف بن حمويه الحموى ، وفرحت الصوفية به

وجلسوا حوله ، ولم تجتمع هذه المناصب لغيره قبله ، ولا بلغنا أنها اجتمعت إلى أحد بعده إلى زماننا هذا : القضاء والخطابة ومشيخة الشيوخ . وفى يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول قتل الفتح أحمد بن الثقفى بالديار المصرية ، حكم فيه القاضى زين الدين بن مخلوف المالكى بما ثبت عنده من تنقيصه للشريعة واستهزائه بالآيات المحكمات ، ومعارضة المشتبهات بعضها ببعض ، يذكر عنه أنه كان يحل المحرمات من اللواط والخمر وغير ذلك ، لمن كان يجتمع فيه من الفسقة من الترك وغيرهم من الجهلة ، هذا وقد كان له فضيلة وله اشتغال وهيئة جميلة فى الظاهر ، وبزته ولبسته جيدة ، ولما أوقف عند شباك دار الحديث الكاملية بين القصرين استغاث بالقاضى تقى الدين بن دقيق العيد فقال : ما تعرف منى ؟ فقال: أعرف منك الفضيلة، ولكن حكمك إلى القاضى زين الدين ، فأمر القاضى للوالى أن يضرب عنقه، فضرب عنقه وطيف برأسه فى البلد، ونودى عليه هذا جزاء من طعن فى الله ورسوله.

قال البرزالى فى تاريخه : وفى وسط شهر ربيع الأول ورد كتاب من بلاد حماة من جهة قاضيها يخبر فيه أنه وقع فى هذه الأيام ببارين من عمل حماة برد كبار على صور حيوانات مختلفة شتى ، سباع وحيات وعقارب وطيور ومعز ونساء ، ورجال فى أوساطهم حوائص ، وأن ذلك ثبت بمحضر عند قاضى الناحية ، ثم نقل ثبوته إلى قاضى حماة . وفى يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر شنق الشيخ على الحوبرالى بواب الظاهرية على بابها ، وذلك أنه اعترف بقتل الشيخ زين الدين السمرقندى . وفى النصف منه حضر القاضى بدر الدين بن جماعة تدريس الناصرية الجوانية عوضاً عن كمال الدين ابن الشريشى ، وذلك أنه ثبت محضر أنها لقاضى الشافعية بدمشق، فانتزعها من يد ابن الشريشى. وفى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الاولى قدم الصدر علاء الدين بن شرف الدين بن القلانسى على أهله من التتر بعد أسر سنتين وأياماً وقد حبس مدة ثم لطف الله به وتلطف حتى تخلص منهم ورجع إلى أهله ، ففرحوا به .

وفى سادس جمادى الآخرة قدم البريد من القاهرة وأخبر بوفاة أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله العباسى ، وأن ولده ولى الخلافة من بعده ، وهو أبو الربيع سليمان ، ولقب بالمستكفى بالله ، وأنه حضر جنازته الناس كلهم مشاة ، ودفن بالقرب من الست نفيسة ، وله أربعون سنة فى الخلافة ، وقدم مع البريد تقليد بالقضاء لشمس الدين الحريرى الحنفى ، ونظر الدواوين لشرف الدين بن مزهر ، واستمرت الخاتونية الجوانية بيد القاضى جلال الدين بن حسام الدين باذن نائب السلطنة . وفى يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة خطب للخليفة المستكفى بالله وترحم على والده بجامع دمشق ، وأعيدت الناصرية إلى ابن الشريشى وعزل عنها ابن جماعة ودرس بها يوم الاربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة . وفى شوال قدم إلى الشام جراد عظيم أكل الزرع والثمار وجرد الاشجار حتى

صارت مثل العصى ، ولم يعهد مثل هـذا ، وفى هذا الشهر عقد مجلس لليهود الخيـابرة وألزموا بأداء الجـزية أسوة أمثالهم من اليهود ، فأحضروا كتـاباً معهم يزعمون أنه من رسـول الله ﷺ بوضع الجزية عنهم ، فلما وقف عليـه الفقهاء تبينوا أنه مكذوب مفتعل لمـا فيه من الألفـاظ الركيكة ، والتواريخ المخبطة ، واللحن الفاحش ، وحاققهم عليه شيخ الاسـلام ابن تيمية ، و بين لهم خطأهم وكذبهم ، وأنه مزور مكذوب ، فأنابوا إلى أداء الجزية ، وخافوا من أن تستعاد منهم الشئون الماضية.

قلت :وقد وقفت أنا على هذا الـكتاب فرأيت فيه شهادة سعد بن معاذ عام خيبر ، وقد توفى سعد قبل ذلك بنحو من سنتين ، وفيه :وكتب على بن طالب .وهذا لحن لا يصدر عن أمير المؤمنين على ، لأن علم النحو إنما أسند إليه من طريق أبى الاسود الدؤلى عنه ، وقد جمعت فيه جزءا مفرداً ، وذكرت ما جرى فيه أيام القاضى الماوردى ، وكتاب أصحابنا فى ذلك العصر ، وقد ذكره فى الحاوى وصاحب الشامل فى كتابه وغير واحد ، و بينوا خطأه ولله الحمد والمنة .

و فى هذا الشهر ثار جماعة من الحسدة عـلى الشيـخ تقى الدين بن تيمية وشكوا منـه أنه يقيم الحدود ويعزر ويحلق رؤس الصبيان ، وتـكلم هو أيضا فيمن يشكو منـه ذلك ، و بين خطأهم ، ثم سكنت الأمور . وفى ذى القعدة ضربت البشائر بقلعة دمشق أياماً بسبب فتح أماكن من بـلاد سيس عنوة ، ففتحها المسلمون ولله الحمد. وفيه قـدم عز الدين بن ميسر على نظر الدواوين عوضا عن ابن مزهر . وفى يوم الثلاثاء رابع ذى الحجة حضر عبـد السيد بن المهذب ديان اليهود إلى دار العدل ومعه أولاده فأسلموا كلهم ، فأكرمهم نائب السلطنة وأمر أن يركب بخلعة وخلفه الدبادب تضرب والبوقات إلى داره ، وعمـل ليلتئذ ختمة عظيمة حضرها القضاة والعلماء ، وأسلم عـلى يديه جماعة كبيرة من اليهود ، وخرجوا يوم العيد كلهم يكبرون مع المسلمين ، وأكرمهم النـاس إكراما زائداً . وقدمت رسل ملك التتار فى سابع عشر ذى الحجة فنزلوا بالقلعة وسافروا إلى القاهرة بعد ثلاثة أيام و بعد مسيرهم بيومين مات أرجواس ، و بعـد موته بيومين قدم الجيش من بلاد سيس وقـد فتحوا جانبـا منها ، فخرج نائب السلطنة والجيش لتلقيهم ، وخرج الناس للفرجة عـلى العادة ، وفرحوا بقدومهم ونصرهم .

ومن توفى فيها من الاعيان ﴿ أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله ﴾

أبو العباس أحمد بن المسترشد بالله الهاشمى العباسى البغدادى المصرى ، بويع بالخلافة بالدولة الظاهرية فى أول سنة إحدى وستين وستمائة ، فاستـكمل أربعين سنة فى الخلافة ، وتوفى ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى ، وصلى عليه وقت صلاة العصر بسوق الخيل ، وحضر جنازته الأعيـان والدولة كلهم مشاة . وكان قد عهد بالخلافة إلى ولده المذكور أبى الربيع سليمان .

﴿ خلافة المستكفى بالله ﴾

«أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسى»

لما عهد إليه كتب تقليده بذلك وقرىء بحضرة السلطان والدولة يوم الأحد العشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وخطب له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية ، وسارت بذلك البريدية إلى جميع البلاد الاسلامية

وتوفى فيها . ﴿ الأمير عز الدين ﴾

أيبك بن عبد الله النجيبى الدويدار والى دمشق ، وأحد أمراء الطبلخانة بها ، وكان مشكور السيرة ، ولم تطل مدته ، ودفن بقاسيون ، توفى يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الأول .

﴿ الشيخ الامام العالم شرف الدين أبو الحسن ﴾

على بن الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ الفقيه تقى الدين أبى عبد الله محمد بن الشيخ أبى الحسن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد اليونينى البعلبكى وكان أكبر من أخيه الشيخ قطب الدين بن الشيخ الفقيه ، ولد شرف الدين سنة إحدى وعشرين وستمائة فأسمعه أبوه الكثير ، واشتغل وتفقه ، وكان عابداً عاملا كثير الخشوع ، دخل عليه إنسان وهو بخزانة الكتب فجعل يضرب به بعصا فى رأسه ثم بسكين فبقى متمرضا أياماً ، ثم توفى إلى رحمة الله يوم الخميس حادى عشر رمضان ببعلبك ، ودفن بباب بطحا ، وتأسف الناس عليه لعلمه وعمله وحفظه الأحاديث وتودده إلى الناس وتواضعه وحسن سمته ومروءته تغمده الله برحمته .

﴿ الصدر ضياء الدين ﴾

أحمد بن الحسين بن شيخ السلامية ، والد القاضى قطب الدين موسى الذى تولى فيما بعد نظر الجيش بالشام وبمصر أيضا ، توفى يوم الثلاثاء عشرين ذى القعدة ودفن بقاسيون ، وعمل عزاؤه بالرواحية

﴿ الامير الكبير المرابط المجاهد ﴾

علم الدين أرجواش بن عبد الله المنصورى ، نائب القلعة بالشام ، كان ذا هيبة وهمة وشهامة وقصد صالح ، قدر الله على يديه حفظ معقل المسلمين لما ملكت التتار الشام أيام قازان ، وعصت عليهم القلعة ومنعها الله منهم على يدى هذا الرجل ، فانه التزم أن لا يسلمها إليهم مادام بها عين تطرف واقتدت بها بقية القلاع الشامية ، وكانت وفاته بالقلعة ليلة السبت الثانى والعشرين من ذى الحجة وأخرج منها ضحوة يوم السبت فصلى عليه وحضر نائب السلطنة فمن دونه جنازته ، ثم حمل إلى سفح قاسيون ودفن بتربته رحمه الله .

﴿ الأبرقوهي المسند المعمر المصري ﴾

هو الشيخ الجليل المسند الرحلة ، بقية السلف شهاب الدين أبوالمعالي أحمد بن إسحاق بن محمد ابن المؤيد بن علي بن إسماعيل بن أبي طالب ، الأبرقوهي الهمداني ثم المصري ، ولد بأبرقوه من بلاد شيراز في رجب أو شعبان سنة خمس عشرة وستمائة ، وسمع الكثير من الحديث على المشايخ الكثيرين ، وخرجت له مشيخات ، وكان شيخاحسنا لطيفا مطيقا ، توفي بمكة بعد خروج الحجيج بأربعة أيام رحمه الله . وفيها توفي :

﴿ صاحب مكة ﴾

الشريف أبو نمي محمد بن الأمير أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني صاحب مكة منذ أربعين سنة ، وكان حليما وقورا ذا رأي وسياسة وعقل ومروءة. وفيها ولد كاتبه إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المصري الشافعي عفا الله عنه، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وسبعمائة من الهجرة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، وفي يوم الأربعاء ثاني صفر فتحت جزيرة أرواد بالقرب من أنطرسوس ، وكانت من أضر الأماكن على أهل السواحل ، فجاءتها المراكب من الديار المصرية في البحر وأردفها جيوش طرابلس ، ففتحت ولله الحمد نصف النهار ، وقتلوا من أهلها قريبا من ألفين ، وأسروا قريباً من خمسمائة ، وكان فتحها من تمام فتح السواحل ، وأراح الله المسلمين من شر أهلها . وفي يوم الخميس السابع عشر من شهر صفر وصل البريد إلى دمشق فأخبر بوفاة قاضي القضاة ابن دقيق العيد ، ومعه كتاب من السلطان إلى قاضي القضاة ابن جماعة ، فيه تعظيم له واحترام وإكرام يستدعيه إلى قربه ليباشر وظيفة القضاء بمصر على عادته فتهيأ لذلك ، ولما خرج خرج معه نائب السلطنة الأفرم وأهل الحل والعقد ،وأعيان الناس ليودعوه، وستأتي ترجمة ابن دقيق العيد في الوفيات ، ولما وصل ابن جماعة إلى مصر أكرمه السلطان إكراما زائدا ، وخلع عليه خلعة صوف وبغلة تساوي ثلاثة آلاف درهم ، وباشر الحكم بمصر يوم السبت رابع ربيع الأول ، ووصلت رسل التتار في أواخر ربيع الأول قاصدين بلاد مصر ، وباشر شرف الدين الفزاري مشيخة دار الحديث الظاهرية يوم الخميس ثامن ربيع الآخر عوضا عن شرف الدين الناسخ ، وهو أبو حفص عمر بن محمد بن عمر بن حسن بن خواجا إمام الفارسي، توفي بها عن سبعين سنة ، وكان فيه بر ومعروف وأخلاق حسنة ، رحمه الله .

وذكر الشيخ شرف الدين المذكور درسا مفيداً وحضر عنده جماعة من الأعيان ، وفي يوم الجمعة حادي عشر جمادى الأولى خلع على قاضي القضاة نجم الدين بن صصري بقضاء الشام عوضاً عن

ابن جماعة ، وعلى الفارقى بالخطابة ، وعلى الأمير ركن الدين بيبرس العلاوى بشد الدواوين وهنأهم الناس ، وحضر نائب السلطنة والأعيان المقصورة لسماع الخطبة ، وقرئ تقليد ابن صصرى بعد الصلاة ثم جلس فى الشباك الكمالى وقرئ تقليده مرة ثانية ، وفى جمادى الاولى وقع بيد نائب السلطنة كتاب مزور فيه أن الشيخ تقى الدين بن تيمية والقاضى شمس الدين بن الحريرى وجماعة من الأمراء والخواص الذين بباب السلطنة يناصحون التتر ويكاتبوهم ، ويريدون تولية قبجق على الشام وأن الشيخ كمال الدين بن الزملكانى يعلمهم بأحوال الأمير جمال الدين الأفرم ، وكذلك كمال الدين بن العطار ، فلما وقف عليه نائب السلطنة عرف أن هذا مفتعل ، ففحص عن واضعه فاذا هو فقير كان مجاوراً بالبيت الذى كان مجاور محراب الصحابة ، يقال له اليعفورى ، وآخر معه يقال له أحمد الغنارى ، وكانا معروفين بالشر والفضول ، ووجد معهما مسودة هذا الكتاب ، فتحقق نائب السلطنة ذلك فعزرا تعزيرا عنيفا ، ثم وسطا بعد ذلك وقطعت يد الكاتب الذى كتب لهما هذا الكتاب ، وهو التاج المناديلى . وفى أواخر جمادى الأولى انتقل الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصورى إلى نيابة القلعة عوضا عن أرجواش .

﴿ عجيبة من عجائب البحر ﴾

قال الشيخ علم الدين البرزالى فى تاريخه : قرأت فى بعض الكتب الواردة من القاهرة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة ظهرت دابة من البحر عجيبة الخلقة من بحر النيل إلى أرض المنوفية ، بين بلاد منية مسعود واصطبارى والراهب ، وهذه صفتها : لونها لون الجاموس بلا شعر ، وآذانها كآذان الجمل ، وعيناها وفرجها مثل الناقة ، يغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف كذنب السمكة ، ورقبتها مثل غلظ التنين المحشو تبناً ، وفمها وشفتاها مثل الكربال ، ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل ، طول كل واحد دون الشبر فى عرض أصبعين ، وفى فمها ثمان وأربعون ضرساً وسن مثل بيادق الشطرنج ، وطول يديها من باطنها إلى الأرض شبران ونصف ومن ركبتها إلى حافرها مثل بطن الثعبان ، أصفر مجعد ، ودور حافرها مثل السكرجة بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل ، وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف ، وطولها من فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدما وفى بطنها ثلاثة كروش ، ولحمها أحمر وزفر مثل السمك ، وطعمه كلحم الجمل ، وغلظه أربعة أصابع ما تعمل فيه السيوف ، وحمل جلدها على خمسة جمال فى مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضروه إلى بين يدى السلطان بالقلعة وحشوه تبناً وأقاموه بين يديه والله أعلم .

وفى شهر رجب قويت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام ، فانزعج الناس لذلك واشتد خوفهم جدا ، وقنت الخطيب فى الصلوات وقرىء البخارى ، وشرع الناس فى الجفل إلى الديار المصرية

والكرك والحصون المنيعة ، وتأخر مجيء العساكر المصرية عن إبانها فاشتد لذلك الخوف . وفى شهر رجب باشر نجم الدين بن أبى الطيب نظر الخزانة عوضاً عن أمين الدين سلمان ، وفى يوم السبت ثالث شعبان باشر مشيخة الشيوخ بعد ابن جماعة القاضى ناصر الدين عبد السلام ، وكان جمال الدين الزرعى يسد الوظيفة إلى هذا التاريخ . وفى يوم السبت عاشر شعبان ضربت البشائر بالقلعة وعلى أبواب الأمراء بخروج السلطان بالعساكر من مصر لمناجزة التتار المخذولين ، وفى هذا اليوم بعينه كانت وقعة غرض وذلك أنه التقى جماعة من أمراء الاسلام فيهم استدمر و بهادرأخى وكجكن وغرلو العادلى ، وكل منهم سيف من سيوف الدين فى ألف وخمسمائة فارس ، وكان التتار فى سبعة آلاف فاقتتلوا وصبر المسلمون صبرا جيداً ، فنصرهم الله وخذل التتر ، فقتلوا منهم خلقا وأسروا آخرين ، وولوا عند ذلك مدبرين ، وغنم المسلمون منهم غنائم ، وعادوا سالمين لم يفقد منهم إلا القليل ممن أكرمه الله بالشهادة ، ووقعت البطاقة بذلك ، ثم قدمت الأسارى يوم الخميس نصف شعبان ، وكان يوم خميس النصارى

﴿ أوائل وقعة شقحب ﴾

وفى ثامن عشر قدمت طائفة كبيرة من جيش المصريين فيهم الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، والامير حسام الدين لاجين المعروف بالاستادار المنصورى ، والامير سيف الدين كراى المنصورى ، ثم قدمت بعدهم طائفة أخرى فيهم بدر الدين أمير سلاح وأيبك الخزندار فقويت القلوب واطمأن كثير من الناس ، ولكن الناس فى جفل عظيم من بلاد حلب وحماة وحمص وتلك النواحى وتقهقر الجيش الحلبى والحموى إلى حمص ، ثم خافوا أن يدهمهم التتر فجاؤا فنزلوا المرج يوم الاحد خامس شعبان ، ووصل التتار إلى حمص وبعلبك وعاثوا فى تلك الاراضى فسادا ، وقلق الناس قلقا عظيما ، وخافوا خوفا شديداً ، واختبط البلد لتأخر قدوم السلطان ببقية الجيش ، وقال الناس لاطاقة لجيش الشام مع هؤلاء المصريين بلقاء التتار لكثرتهم ، وإنما سبيلهم أن يتأخروا عنهم مرحلة مرحلة . وتحدث الناس بالاراجيف فاجتمع الامراء يوم الاحد المذكور بالميدان وتحالفوا على لقاء العدو ، وشجعوا أنفسهم ، ونودى بالبلد أن لا يرحل أحد منه ، فسكن الناس وجلس القضاة بالجامع وحلفوا جماعة من الفقهاء والعامة على القتال ، وتوجه الشيخ تقى الدين بن تيمية إلى العسكر الواصل من حماة فاجتمع بهم فى القطيعة فأعلمهم بما تحالف عليه الامراء والناس من لقاء العدو ، فأجابوا إلى ذلك وحلفوا معهم ، وكان الشيخ تقى الدين بن تيمية يحلف للامراء والناس إنكم فى هذه الكرة منصورون ، فيقول له الامراء : قل إن شاء الله ، فيقول إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا . وكان يتأول فى ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى . (ومن بغى عليه لينصرنه الله)

وقد تكلم الناس فى كيفية قتال هؤلاء التتر من أى قبيل هو ، فانهم يظهرون الاسلام وليسوا

بغاة على الامام، فانهم لم يكونوا فى طاعته فى وقت ثم خالفوه . فقال الشيخ تقى الدين : هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على على ومعاوية ، ورأوا أنهم أحق بالامر منهما ، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق باقامة الحق من المسلمين ، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصى والظلم ، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة ، فتفطن العلماء والناس لذلك ، وكان يقول للناس : إذا رأيتمونى من ذلك الجانب وعلى رأسى مصحف فاقتلونى ، فتشجع الناس فى قتال التتار وقويت قلوبهم ونياتهم ولله الحمد .

ولما كان يوم الرابع والعشرين من شعبان خرجت العساكر الشامية فخيمت على الجسورة من ناحية الكسوة ، ومعهم القضاة ، فصار الناس فيهم فريقين فريق يقولون إنما ساروا ليختاروا موضعاً للقتال فان المرج فيه مياه كثيرة فلا يستطيعون معها القتال ، وقال فريق : إنما ساروا لتلك الجهة ليهربوا وليلحقوا بالسلطان . فلما كانت ليلة الخميس ساروا إلى ناحية الكسوة فقويت ظنون الناس فى هربهم ، وقد وصلت التتار إلى قارة ، وقيل إنهم وصلوا إلى القطيعة ، فانزعج الناس لذلك شديداً ولم يبق حول القرى والحواضر أحد ، وامتلأت القلعة والبلد وازدحمت المنازل والطرقات ، واضطرب الناس وخرج الشيخ تقى الدين بن تيمية صبيحة يوم الخميس من الشهر المذكور من باب النصر بمشقة كبيرة ، وصحبته جماعة ليشهد القتال بنفسه ومن معه ، فظنوا أنه إنما خرج هاربا فحصل اللوم من بعض الناس وقالوا أنت منعتنا من الجفل وها أنت هارب من البلد ؟ فلم يرد عليهم وبقى البلد ليس فيه حاكم ، وجاس اللصوص والحرافيش فيه وفى بساتين الناس يخربون وينتهبون ما قدروا عليه ، ويقطعون المشمش قبل أوانه والباقلاء والقمح وسائر الخضراوات ، وحيل بين الناس وبين خبر الجيش ، وانقطعت الطرق إلى الكسوة وظهرت الوحشة على البلد والحواضر ، وليس للناس شغل غير الصعود إلى المآذن ينظرون يمينا وشمالا ، وإلى ناحية الكسوة فتارة يقولون : رأينا غبرة فيخافون أن تكون من التتر ، ويتعجبون من الجيش مع كثرتهم وجودة عدتهم وعددهم ، أين ذهبوا ؟ فلا يدرون ما فعل الله بهم ، فانقطعت الآمال وألح الناس فى الدعاء والابتهال وفى الصلوات وفى كل حال ، وذلك يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان ، وكان الناس فى خوف ورعب لا يعبر عنه ، لكن كان الفرج من ذلك قريبا ، ولكن أكثرهم لا يفلحون ، كما جاء فى حديث أبى رزين « عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيره ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب [1] » .

فلما كان آخر هذا اليوم وصل الأمير فخر الدين إياس المرقبى أحد أمراء دمشق ، فبشر الناس بخير ، هو أن السلطان قد وصل وقت اجتمعت العساكر المصرية والشامية ، وقد أرسلنى أكشف هل طرق

---

(١) فى سنن ابن ماجه فى كتاب السنة « ضحك ربنا الخ » والأزل : شدة القنوط .

البلد أحد من التتر ، فوجد الأمر كما يحب لم يطرقها أحد منهم ، وذلك أن التتار عرجوا من دمشق إلى ناحية العساكر المصرية ، ولم يشتغلوا بالبلد ، وقد قالوا إن غلبنا فان البلد لنا ، وإن غلبنا فلا حاجة لنا به ، ونودى بالبلد فى تطييب الخواطر ، وأن السلطان قد وصل ، فاطمأن الناس وسكنت قلوبهم، وأثبت الشهر ليلة الجمعة القاضى تقى الدين الحنبلى ، فان السماء كانت مغيمة فعلقت القناديل وصليت التراويح واستبشر الناس بشهر رمضان وبركته ، وأصبح الناس يوم الجمعة فى هم شديد وخوف أكيد ، لأنهم لا يعلمون ما خبر الناس. فبينما هم كذلك إذ جاء الأمير سيف الدين غرلو العادلى فاجتمع بنائب القلعة ثم عاد سريعا إلى العسكر ، ولم يدر أحد ما أخبر به ، ووقع الناس فى الاراجيف والخوض

﴿ صفة وقعة شقحب ﴾

أصبح الناس يوم السبت على ما كانوا عليه من الخوف وضيق الأمر ، فرأوا من المآذن سواداً وغبرة من ناحية العسكر والعدو ، فغلب على الظنون أن الوقعة فى هذا اليوم ، فابتهلوا إلى الله عز وجل بالدعاء فى المساجد والبلد ، وطلع النساء والصغار على الأسطحة وكشفوا رءوسهم وضج البلد ضجة عظيمة ، ووقع فى ذلك الوقت مطر عظيم غزير ، ثم سكن الناس ، فلما كان بعد الظهر قرئت بطاقة بالجامع تتضمن أن فى الساعة الثانية من نهار السبت هذا اجتمعت الجيوش الشامية والمصرية مع السلطان فى مرج الصفر ، وفيها طلب الدعاء من الناس والأمر بحفظ القلعة . والتحرز على الأسوار فدعا الناس فى المآذن والبلد ، وانقضى النهار وكان يوما مزعجا هائلا ، وأصبح الناس يوم الأحد يتحدثون بكسر التتر ، وخرج الناس إلى ناحية الكسوة فرجعوا ومعهم شئ من المكاسب ، ومعهم رؤس من رؤس التتر ، وصارت كسرة التتار تقوى وتتزايد قليلا قليلا حتى اتضحت جملة ، ولكن الناس لما عندهم من شدة الخوف وكثرة التتر لا يصدقون ، فلما كان بعد الظهر قرئ كتاب السلطان إلى متولى القلعة يخبر فيه باجتماع الجيش ظهر يوم السبت بشقحب وبالكسوة ، ثم جاءت بطاقة بعد العصر من نائب السلطان جمال الدين آقوش الأفرم إلى نائب القلعة مضمونها أن الوقعة كانت من العصر يوم السبت إلى الساعة الثانية من يوم الأحد ، وأن السيف كان يعمل فى رقاب التتر ليلا ونهاراً وأنهم هربوا وفروا واعتصموا بالجبال والتلال ، وأنه لم يسلم منهم إلا القليل ، فأمسى الناس وقد استقرت خواطرهم وتباشروا لهذا الفتح العظيم والنصر المبارك ، ودقت البشائر بالقلعة من أول النهار المذكور ، ونودى بعد الظهر باخراج الجفال من القلعة لأجل نزول السلطان بها ، وشرعوا فى الخروج.

وفى يوم الاثنين رابع الشهر رجع الناس من الكسوة إلى دمشق فبشروا الناس بالنصر . وفيه دخل الشيخ تقى الدين بن تيمية البلد ومعه أصحابه من الجهاد ، ففرح الناس به ودعوا له وهنؤه بما يسر الله على يديه من الخير ، وذلك أنه ندبه العسكر الشامى أن يسير إلى السلطان يستحثه على

السير إلى دمشق فسار إليه فحثه على المجئ إلى دمشق بعد أن كاد يرجع إلى مصر ، فجاء هو وإياه جميعا فسأله السلطان أن يقف معه فى معركة القتال ، فقال له الشيخ : السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه ، ونحن من جيش الشام لا نقف إلا معهم ، وحرض السلطان على القتال و بشره بالنصر وجعل يحلف بالله الذى لا إله إلا هو إنكم منصورون عليهم فى هذه المرة ، فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله ، فيقول إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا . وأفتى الناس بالفطر مدة قتالهم وأفطر هو أيضاً ، وكان يدور على الأجناد والأمراء فيأكل من شيء معه فى يده ليعلمهم أن إفطارهم ليتقووا على القتال أفضل فيأكل الناس ، وكان يتأول فى الشاميين قوله ﷺ « إنكم ملاقوا العدو غدا ، والفطر أقوى لكم » فعزم عليهم فى الفطر عام الفتح كما فى حديث أبى سعيد الخدرى . وكان الخليفة أبو الربيع سليمان فى صحبة السلطان ، ولما اصطفت العساكر والتحم القتال ثبت السلطان ثباتاً عظيما ، وأمر بجواده فقيد حتى لا يهرب ، وبايع الله تعالى فى ذلك الموقف ، وجرت خطوب عظيمة ، وقتل جماعة من سادات الأمراء يومئذ ، منهم الأمير حسام الدين لاجين الرومى أستاذ دار السلطان ، وثمانية من الأمراء المقدمين معه ، وصلاح الدين بن الملك السعيد الكامل بن السعيد بن الصالح إسماعيل ، وخلق من كبار الأمراء ، ثم نزل النصر على المسلمين قريب العصر يومئذ ، واستظهر المسلمون عليهم ولله الحمد والمنة.

فلما جاء الليل لجأ التتر إلى اقتحام التلول والجبال والآكام ، فأحاط بهم المسلمون يحرسونهم من الهرب ، ويرمونهم عن قوس واحدة إلى وقت الفجر ، فقتلوا منهم مالا يعلم عدده إلا الله عز وجل ، وجعلوا يجيئون بهم فى الحبال فتضرب أعناقهم ، ثم اقتحم منهم جماعة الهزيمة فنجا منهم قليل ، ثم كانوا يتساقطون فى الأودية والمهالك ، ثم بعد ذلك غرق منهم جماعة فى الفرات بسبب الظلام ، وكشف الله بذلك عن المسلمين غمة عظيمة شديدة ، ولله الحمد والمنة .

ودخل السلطان إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رمضان و بين يديه الخليفة ، وزينت البلد ، وفرح كل واحد من أهل الجمعة والسبت والأحد(١) ، فنزل السلطان فى القصر الأبلق والميدان ، ثم تحول إلى القلعة يوم الخميس وصلى بها الجمعة وخلع على نواب البلاد وأمرهم بالرجوع إلى بلادهم ، واستقرت الخواطر ، وذهب اليأس وطابت قلوب الناس ، وعزل السلطان ابن النحاس عن ولاية المدينة وجعل مكانه الامير علاء الدين أيدغدى أمير علم ، وعزل صارم الدين إبراهيم والى الخاص عن ولاية البر وجعل مكانه الامير حسام الدين لاجين الصغير ، ثم عاد السلطان إلى الديار المصرية يوم الثلاثاء ثالث شوال بعد أن صام رمضان وعيد بدمشق .

وطلب الصوفية من نائب دمشق الأفرم أن يولى عليهم مشيخة الشيوخ للشيخ صفى الدين

(١) يعنى من المسلمين واليهود والنصارى .

الهندى ، فأذن له فى المباشرة يوم الجمعة سادس شوال عوضاً عن ناصر الدين بن عبد السلام ، ودخل السلطان القاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوال ، وكان يوماً مشهوداً ، وزينت القاهرة .

وفيها جاءت زلزلة عظيمة يوم الخميس بكرة الثالث والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وكان جمهورها بالديار المصرية ، تلاطمت بسببها البحار فكسرت المراكب وتهدمت الدور ومات خلق كثير لا يعلمهم إلا الله ، وشققت الحيطان ولم ير مثلها فى هذه الأعصار ، وكان منها بالشام طائفة لكن كان ذلك أخف من سائر البلاد غيرها .

وفى ذى الحجة باشر الشيخ أبو الوليد بن الحاج الأشبيلى المالكى إمام محراب المالكية بجامع دمشق بعد وفاة الشيخ شمس الدين محمد الصنهاجى .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ ابن دقيق العيد ﴾

الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ قاضى القضاة تقى الدين ابن دقيق العيد القشيرى المصرى ، ولد يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة بساحل مدينة ينبع من أرض الحجاز ، سمع الكثير ورحل فى طلب الحديث وخرج وصنف فيه إسناداً ومتنا مصنفات عديدة ، فريدة مفيدة ، وانتهت إليه رياسة العلم فى زمانه ، وفاق أقرانه ورحل إليه الطلبة ودرس فى أماكن كثيرة ، ثم ولى قضاء الديار المصرية فى سنة خمس وتسعين وستمائة ، ومشيخة دار الحديث الكاملية ، وقد اجتمع به الشيخ تقى الدين بن تيمية ، فقال له تقى الدين بن دقيق العيد لما رأى تلك العلوم منه : ما أظن بقى يخلق مثلك ، وكان وقوراً قليل الكلام غزير الفوائد كثير العلوم فى ديانة ونزاهة ، وله شعر رائق ، توفى يوم الجمعة حادى عشر شهر صفر ، وصلى عليه يوم الجمعة المذكور بسوق الخيل وحضر جنازته نائب السلطنة والأمراء ، ودفن بالقرافة الصغرى رحمه الله .

﴿ الشيخ برهان الدين الاسكندرى ﴾

إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم ، سمع الحديث وكان دينا فاضلا ، ولد سنة ست وثلاثين وستمائة ، وتوفى يوم الثلاثاء رابع وعشرين شوال عن خمس وستين سنة . وبعد شهور بسواء كانت وفاة

﴿ الصدر جمال الدين بن العطار ﴾

كاتب الدرج منذ أربعين سنة . أبو العباس أحمد بن أبى الفتح .

محمود بن أبى الوحش أسد بن سلامة بن فتيان الشيبانى ، كان من خيار الناس وأحسنهم تقية ، ودفن بتربة لهم تحت الكهف بسفح قاسيون ، وتأسف الناس عليه لاحسانه إليهم رحمه الله .

﴿ الملك العادل زين الدين كتبغا ﴾

توفى بحماة نائبا عليها بعد صرخد يوم الجمعة يوم عيد الاضحى ونقل إلى تربته بسفح قاسيون

غربى الرباط الناصرى ، يقال لها العادلية ، وهى تربة مليحة ذات شبابيك وبوابة ومأذنة ، وله عليها أوقاف دارة على وظائف من قراءة وأذان وإمامة وغير ذلك ، وكان من كبار الامراء المنصورية ، وقد ملك البلاد بعد مقتل الاشرف خليل بن المنصور ، ثم انتزع الملك منه لاجين وجلس فى قلعة دمشق ، ثم تحول إلى صرخد وكان بها إلى أن قتل لاجين وأخذ الملك الناصر بن قلاوون ، فاستنابه بحماة حتى كانت وفاته كما ذكرنا ، وكان من خيار الملوك وأعدلهم وأكثرهم براً ، وكان من خيار الامراء والنواب رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها . وفى صفر تولى الشيخ كمال الدين بن الشريشى نظارة الجامع الأموى وخلع عليه وباشره مباشرة مشكورة ، وساوى بين الناس وعزل نفسه فى رجب منها . وفى شهر صفر تولى الشيخ شمس الدين الذهبى خطابة كفر بطنا وأقام بها . ولما توفى الشيخ زين الدين الفارقى فى هذه السنة كان نائب السلطنة فى نواحى البلقاء يكشف بعض الامور ، فلما قدم تكلموا معه فى وظائف الفارقى فعين الخطابة لشرف الدين الفزارى ، وعين الشامية البرانية ودار الحديث للشيخ كمال الدين بن الشريشى ، وذلك باشارة الشيخ تقى الدين بن تيمية ، وأخذ منه الناصرية للشيخ كمال الدين بن الزملكانى ورسم بكتابة التواقيع بذلك ، وباشر الشيخ شرف الدين الامامة والخطابة ، وفرح الناس به لحسن قراءته وطيب صوته وجودة سيرته ، فلما كان بكرة يوم الاثنين ثانى عشرين ربيع الأول وصل البريد من مصر صحبة الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وقد سبقه مرسوم السلطان له بجميع جهات الفارقى مضافا إلى مابيده من التدريس ، فاجتمع بنائب السلطنة بالقصر ، وخرج من عنده إلى الجامع ففتح له باب دار الخطابة فنزلها وجاءه الناس يهنؤنه ، وحضر عنده القراء والمؤذنون ، وصلى بالناس العصر وباشر الامامة يومين فأظهر الناس التألم من صلاته وخطابته ، وسعوا فيه إلى نائب السلطنة فمنعه من الخطابة وأقره على التداريس ودار الحديث ، وجاء توقيع سلطانى للشيخ شرف الدين الفزارى بالخطابة ، فخطب يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ، وخلع عليه بطرحة ، وفرح الناس به ، وأخذ الشيخ كمال الدين بن الزملكانى تدريس الشامية البرانية من يد ابن الوكيل ، وباشرها فى مستهل جمادى الأولى واستقرت دار الحديث بيد ابن الوكيل مع مدرستيه الأوليين ، وأظنهما العذراوية والشامية الجوانية .

ووصل البريد فى ثانى عشر جمادى الأولى باعادة السنجرى إلى نيابة القلعة وتولية نائبها الأمير سيف الدين الجوكندرانى نيابة حمص عوضاً عن عز الدين الحموى ، توفى . وفى يوم السبت ثانى عشر رمضان قدمت ثلاثة آلاف فارس من مصر وأضيف إليها ألفان من دمشق وساروا وأخذوا

معهم نائب حمص الجوكندرانى ووصلوا إلى حماة فصحبهم نائبها الأمير سيف الدين قبجق ، وجاء إليهم استدمر نائب طرابلس ، وانضاف إليهم قراسنقر نائب حلب وانفصلوا كلهم عنها وافترقوا فرقتين فرقة سارت صحبة قبجق إلى ناحية ملطية ، وقلعة الروم ، والفرقة الأخرى صحبة قراسنقر حتى دخلوا الدربندات وحاصروا تل حمدون فتسلموه عنوة فى ثالث ذى القعدة بعد حصار طويل ، فدقت البشائر بدمشق لذلك ، ووقع مع صاحب سيس على أن يكون للمسلمين من نهر جيهان إلى حلب وبلاد ماوراء النهر إلى ناحيتهم لهم ، وأن يعجلوا حمل سنتين ، ووقعت الهدنة على ذلك ، وذلك بعد أن قتل خلق من أمراء الارمن ورؤسائهم ، وعادت العساكر إلى دمشق مؤيدين منصورين ، ثم توجهت العساكر المصرية صحبة مقدمهم أمير سلاح إلى مصر.

وفى أواخر السنة كان موت قازان وتولية أخيه خربندا . وهوملك التتار قازان واسمه محمود بن أرغون بن أبغا، وذلك فى رابع عشر شوال أو حادى عشره أو ثالث عشره ، بالقرب من همدان ونقل إلى تربته بيبرين بمكان يسمى الشام ، ويقال إنه مات مسموماً ، وقام فى الملك بعده أخوه خربندا محمد بن أرغون ، ولقبوه الملك غياث الدين ، وخطب له على منابر العراق وخراسان وتلك البلاد .

وحج فى هذه السنة الأمير سيف الدين سلار نائب مصر وفى صحبته أربعون أميراً ، وجميع أولاد الأمراء ،وحج معهم وزير مصر الأمير عز الدين البغدادى ، وتولى مكانه بالبركة ناصر الدين محمد الشيخى ، وخرج سلار فى أبهة عظيمة جداً ، وأمير ركب المصريين الحاج إباق الحسامى ، وترك الشيخ صفى الدين مشيخة الشيوخ فوليها القاضى عبد الكريم بن قاضى القضاة محيى الدين ابن الزكى، وحضر الخانقاه يوم الجمعة الحادى عشر من ذى القعدة وحضر عنده ابن صصرى وعز الدين القلانسى ، والصاحب ابن ميسر ، والمحتسب وجماعة .

وفى ذى القعدة وصل من التتر مقدم كبير قد هرب منهم إلى بلاد الاسلام وهو الأمير بدرالدين جنكى بن البابا ، وفى صحبته نحو من عشرة ، فحضروا الجمعة فى الجامع ، وتوجهوا إلى مصر ، فأكرم وأعطى إمرة ألف ، وكان مقامه ببلاد آمد ، وكان يناصح السلطان ويكاتبه ويطلعه على عورات التتر ، فلهذا عظم شأنه فى الدولة الناصرية .

وممن توفى فيها من الأعيان ملك التتر قازان .

﴿ والشيخ القدوة العابد الزاهد الورع ﴾

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معالى بن محمد بن عبد الكريم الرقى الحنبلى ، كان أصله من بلاد الشرق ، ومولده بالرقة فى سنة سبع وأربعين وستمائة ، واشتغل وحصل وسمع شيئامن

الحديث ، وقدم دمشق فسكن بالمأذنة الشرقية فى أسفلها بأهله إلى جانب الطهارة بالجامع ، وكان معظماً عند الخاص والعام، فصيح العبارة كثير العبادة ، خشن العيش حسن المجالسة لطيف الكلام كثير التلاوة ، قوى التوجه من أفراد العالم، عارفا بالتفسير والحديث والفقه والأصلين ، وله مصنفات وخطب، وله شعر حسن ، توفى بمنزله ليلة الجمعة خامس عشر المحرم وصلى عليه عقيب الجمعة ونقل إلى تربة الشيخ أبى عمر بالسفح ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله وأكرم مثواه .

وفى هذا الشهر توفى الأمير زين الدين قراجا أستاذ دار الأفرم ودفن بتربته بميدان الحصا عند النهر . ﴿ والشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام ﴾

عرف بابن الحبلى ، كان من خيار الناس يتردد إلى عكا أياما حين ما كانت فى أيدى الفرنج ، فى فكاك أسارى المسلمين ، جزاه الله خيراً وعتقه من النار وأدخله الجنة برحمته .

﴿ الخطيب ضياء الدين ﴾

أبو محمد عبد الرحمن بن الخطيب جمال الدين أبى الفرج عبد الوهاب بن علي بن أحمد بن عقيل السلمى خطيب بعلبك نحواً من ستين سنة ، هو ووالده ، ولد سنة أربع عشرة وستمائة وسمع الكثير وتفرد عن القزوينى ، وكان رجلا جيداً حسن القراءة من كبار العدول ، توفى ليلة الاثنين ثالث صفر ، ودفن بباب سطحا ﴿ الشيخ زين الدين الفارقى ﴾

عبد الله بن مروان بن عبدالله بن فهر[1] بن الحسن ، أبو محمد الفارقى شيخ الشافعية ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وسمع الحديث الكثير ، واشتغل ودرس بعدة مدارس ، وأفتى مدة طويلة ، وكانت له همة وشهامة وصرامة ، وكان يباشر الأوقاف جيداً ، وهو الذى عمر دار الحديث بعد خرابها بيد قازان ، وقد باشرها سبعا وعشرين سنة من بعد النواوى إلى حين وفاته ، وكانت معه الشامية البرانية وخطابة الجامع الأموى تسعة أشهر ، باشر به الخطابة قبل وفاته، وقد انتقل إلى دار الخطابة وتوفى بها يوم الجمعة بعد العصر ، وصلى عليه ضحوة السبت ، صلى عليه ابن صصرى عند باب الخطابة وبسوق الخيل قاضى الحنفية شمس الدين بن الحريرى ، وعند جامع الصالحية قاضى الحنابلة تقى الدين سليمان ، ودفن بتربة أهله شمالى تربة الشيخ أبى عمر رحمه الله ، وباشر بعده الخطابة شرف الدين الفزارى ومشيخة دار الحديث ابن الوكيل ، والشامية البرانية ابن الزملكانى وقد تقدم ذلك .

﴿ الأمير الكبير عز الدين أيبك الحموى ﴾

ناب بدمشق مدة ثم عزل عنها إلى صرخد ، ثم نقل قبل موته بشهر إلى نيابة حمص ، وتوفى بها يوم العشرين من ربيع الآخر ، ونقل إلى تربته بالسفح غربى زاوية ابن قوام ، وإليه ينسب الحمام بمسجد القصب الذى يقال له حمام الحموى ، عمره فى أيام نيابته .

(١) فى الشذرات فيروز . وذكر أنها عند الدرر الكامنة .

﴿ الوزير فتح الدين ﴾

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن محمد بن نصر بن صقر القرشي المخزومي ابن القيسراني ، كان شيخا جليلا أديبا شاعراً مجوداً من بيت رياسة ووزارة ، ولي وزارة دمشق مدة ثم أقام بمصر موقرا مدة ، وكان له اعتناء بعلوم الحديث وسماعه ، وله مصنف في أسماء الصحابة الذين خرج لهم في الصحيحين ، وأورد شيئاً من أحاديثهم في مجلدين كبيرين موقوفين بالمدرسة الناصرية بدمشق ، وكان له مذاكرة جيدة محررة باللفظ والمعنى ، وقد خرج عنه الحافظ الدمياطي ، وهو آخر من توفي من شيوخه ، توفي بالقاهرة في يوم الجمعة الحادي والعشرين من ربيع الآخر ، وأصلهم من قيسارية الشام . وكان جده موفق الدين أبو البقاء خالد وزيراً لنور الدين الشهيد ، وكان من الكتاب المجيدين المتقنين ، له كتابة جيدة محررة جداً ، توفي في أيام صلاح الدين سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وأبوه محمد بن نصر بن صقر ولد بعكة قبل أخذ الفرنج لها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، فلما أخذت بعد السبعين وأربعمائة انتقل أهلهم إلى حلب وكانوا بها ، وكان شاعراً مطبقاً له ديوان مشهور ، وكان له معرفة جيدة بالنجوم وعلم الهيئة وغير ذلك .

﴿ ترجمة والد ابن كثير مؤلف هذا التاريخ ﴾

وفيها توفي الوالد وهو الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير بن ضو بن كثير بن ضو بن درع القرشي من بني حصلة ، وهم ينتسبون إلى الشرف وبأيديهم نسب ، وقف على بعضها شيخنا المزي فأعجبه ذلك وابتهج به ، فصار يكتب في نسبي بسبب ذلك : القرشي ، من قرية يقال لها الشركوين غربي بصرى ، بينها وبين أذرعات ، ولد بها في حدود سنة أربعين وستمائة ، واشتغل بالعلم عند أخواله بني عقبة ببصرى ، فقرأ البداية في مذهب أبي حنيفة ، وحفظ جمل الزجاجي ، وعني بالنحو والعربية واللغة ، وحفظ أشعار العرب حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق في المدح والمراثي وقليل من الهجاء ، وقرر بمدارس بصرى بمبرك الناقة شمالي البلد حيث يزار ، وهو المبرك المشهور عند الناس والله أعلم بصحة ذلك : ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقي بصرى وتمذهب للشافعي ، وأخذ عن النواوي والشيخ تقي الدين الفزاري ، وكان يكرمه ويحترمه فيما أخبرني شيخنا العلامة ابن الزملكاني ، فأقام بها نحواً من ثنتي عشرة سنة ، ثم تحول إلى خطابة مجيدل القرية التي منها الوالدة ، فأقاما بها مدة طويلة في خير وكفاية وتلاوة كثيرة ، وكان يخطب جيداً ، وله مقول عند الناس ، ولكلامه وقع لديانته وفصاحته وحلاوته ، وكان يؤثر الاقامة في البلاد لما يرى فيها من الرفق ووجود الحلال له ولعياله ، وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة ومن أخرى قبلها ، أكبرهم إسماعيل ثم يونس وإدريس ، ثم من الوالدة عبد الوهاب وعبد العزيز ومحمد وأخوات عدة ، ثم أنا أصغرهم ، وسميت

باسم الأخ إسماعيل لأنه كان قد قدم دمشق فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده وقرأ مقدمة في النحو ، وحفظ التنبيه وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري وحصل المنتخب في أصول الفقه ، قاله لي شيخنا ابن الزملكاني ، ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية فمكث أياما ومات ، فوجد الوالد عليه وجداً كثيراً ورثاه بأبيات كثيرة ، فلما ولدت له أنا بعد ذلك سماني باسمه، فأكبر أولاده إسماعيل وآخرهم وأصغرهم إسماعيل ، فرحم الله من سلف وختم بخير لمن بقي، توفي والدي في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة ، في قرية مجيدل القرية ، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون وكنت إذ ذاك صغيراً ابن ثلاث سنين أو نحوها لأدركه إلا كالحلم ، ثم تحولنا من بعده في سنة سبع وسبعمائة إلى دمشق صحبة كمال الدين عبد الوهاب ، وقد كان لنا شقيقاً ، وبنا رفيقاً شفوقاً، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين ، فاشتغلت على يديه في العلم فيسر الله تعالى منه مايسر ، وسهل منه ماتعسر والله أعلم.

وقد قال شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في معجمه فيما أخبرني عنه شمس الدين محمد بن سعد المقدسي مخرجه له ، ومن خط المحدث شمس الدين بن سعد هذا نقلت ، وكذلك وقفت على خط الحافظ البرزالي مثله في السفينة الثانية من السفن الكبار : قال عمر بن كثير القرشي خطيب القرية وهي قرية من أعمال بصرى رجل فاضل له نظم جيد ويحفظ كثيراً من اللغز وله همة وقوة . كتبت عنه من شعره بحضور شيخنا تاج الدين الفزاري . وتوفي في جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعمائة بمجيدل القرية من عمل بصرى ، أنشدنا الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير القرشي خطيب القرية بها لنفسه في منتصف شعبان من سنة سبع وثمانين وستمائة :

نأى النوم عن جفني فبت مسهدا * أخا كلف حلف الصبابة موجدا
سمير الثريا والنجوم مدلها * فمن ولهي خلت الكواكب ركدا
طريحا على فرش الصبابة والاسى * فما ضركم لو كنتم لي عودا
تقلبني أيدي الغرام بلوعة * أرى النار من تلقائها لي أبردا
ومزق صبري بعد جيران حاجز * سعير غرام بات في القلب موقدا
فأمطرته دمعي لعل زفيره * يقل فزادته الدموع توقدا
فبت بليل نابغي ولا أرى * على النأي من بعد الاحبة مسعداً
فيالك من ليل تباعد فجره * على إلى أن خلته قد تخلدا
غراما ووجدا لايحد أقله * بأهيف معسول المراشف أغيدا
له طلعة كالبدر زان جمالها * بطرة شعر حالك اللون أسودا

يهز من القد الرشيق مثقفا * ويشهر من جفنيه سيفا مهندا
وفى ورد خديه وآس عذاره * وضوء ثناياه فنيت تجلدا
غدا كل حسن دونه متقاصرا * وأضحى له رب الجمال موحدا
اذا مارنا واهتز عند لقائه * سباك ، فلم تملك لسانا ولا يدا
وتسجد إجلالا له وكرامة * وتقسم قدأمسيت فى الحسن أوحدا
ورب أخى كفر تأمل حسنه * فأسلم من إجلاله وتشهدا
وأنكر عيسى والصليب ومريما * وأصبح يهوى بعد بغض محمدا
أيا كعبة الحسن التى طاف حولها * فؤادى، أما للصدعندك من فدا؟
قنعت بطيف من خيالك طارق * وقد كنت لاأرضى بوصلك سرمدا
فقد شفنى شوق تجاوز حده * وحسبك من شوق تجاوز واعتدا
سألتك إلا مامررت بجفنها * بفضلك يارب الملاحة والندا
لعل جفونى أن تغيض دموعها * ويسكن قلب مذ هجرت فما هدا
غلطت بهجرانى ولو كنت صابياً * لما صدك الواشون عنى ولا العدا

وعدتها ثلاثة وعشرون بيتا والله يغفر له ما صنع من الشعر][1]

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعمائة ﴾

استهلت والخليفة والسلطان والحكام والمباشرون هم المذكورن فى التى قبلها ، وفى يوم الأحد ثالث ربيع الأول حضرت الدروس والوظائف التى أنشأها الأمير بيبرس الجاشنكير المنصورى بجامع الحاكم بعد أن جدده من خرابه بالزلزلة التى طرأت على ديار مصر فى آخر سنة ثنتين وسبعمائة ، وجعل القضاة الاربعة هم المدرسين للمذاهب ، وشيخ الحديث سعدالدين الحارثى ، وشيخ النحو أثيرالدين أبوحيان ، وشيخ القراءات السبع الشيخ نورالدين الشطنوفى ، وشيخ إفادة العلوم الشيخ علاء الدين القونوى. وفى جمادى الآخرة باشر الامير ركن الدين بيبرس الحجوبية مع الامير سيف الدين بكتمر ، وصارا حاجبين كبيرين فى دمشق . وفى رجب أحضر إلى الشيخ تقى الدين بن تيمية شيخ كان يلبس دلقاً كبيراً متسعا جداً يسمى المجاهد إبراهيم القطان ، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق فتناهبه الناس من كل جانب وقطعوه حتى لم يدعوا فيه شيئاً وأمر بحلق رأسه ، وكان ذا شعر ،وقلم أظفاره وكانوا طوالاجداً ، وحف شاربه المسبل على فمه المخالف للسنة ،واستتابه من كلام الفحش وأكل مايغير العقل من الحشيشة ومالايجوز من المحرمات وغيرها . وبعده استحضر الشيخ محمد الخباز البلاسى فاستتابه أيضاً عن أكل

(١) زيادة من نسخة أخرى بالاستانة

المحرمات ومخالطة أهل الذمة ، وكتب عليه مكتوبا أن لايتكلم فى تعبير المنامات ولا فى غيرها بما لا علم له به . وفى هذا الشهر بعينه راح الشيخ تقى الدين بن تيمية إلى مسجد التاريخ وأمر أصحابه ومعهم حجارون بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلوط تزار وينذر لها ، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها ، فازاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيما ، [و بهذا وأمثاله حسدوه وأبرزوا له العداوة ، وكذلك بكلامه بابن عربى وأتباعه ، فحسد على ذلك وعودى ، ومع هذا لم تأخذه فى الله لومة لائم ، ولا بالى ، ولم يصلوا إليه بمكروه ، وأكثر ما نالوا منه الحبس مع أنه لم ينقطع فى بحث لا بمصر ولا بالشام ، ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما أخذوه وحبسوه بالجاه كما سيأتى ، وإلى الله إياب الخلق وعليه حسابهم][(1)] . وفى رجب جلس قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى بالمدرسة العادلية الكبيرة وعملت التخوت بعد ما جددت عمارة المدرسة ، ولم يكن أحد يحكم بها بعد وقعة قازان بسبب خرابها ، وجاء المرسوم للشيخ برهان الدين الفزارى بوكالة بيت المال فلم يقبل ، وللشيخ كمال الدين بن الزملكانى بنظر الخزانة فقبل وخلع عليه بطرحة ، وحضر بها يوم الجمعة ، وهاتان الوظيفتان كانتا مع نجم الدين بن أبى الطيب توفى إلى رحمة الله . وفى شعبان سعى جماعة فى تبطيل الوقيد ليلة النصف وأخذوا خطوط العلماء فى ذلك ، وتكلموا مع نائب السلطنة فلم يتفق ذلك ، بل أشعلوا وصليت صلاة ليلة النصف أيضا . وفى خامس رمضان وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشى من مصر بوكالة بيت المال ، ولبس الخلعة سابع رمضان ، وحضر عند ابن صصرى بالشباك الكمالى . وفى سابع شوال عزل وزير مصر ناصر الدين بن الشيخى وقطع إقطاعه ورسم عليه وعوقب إلى أن مات فى ذى القعدة ، وتولى الوزارة سعد الدين محمد بن محمد بن عطاء وخلع عليه . وفى يوم الخميس الثانى والعشرين من ذى القعدة حكم قاضى القضاة جمال الدين الزواوى بقتل الشمس محمد بن جمال الدين بن عبد الرحمن الباجريقى ، وإراقة دمه وإن تاب وإن أسلم ، بعد إثبات محضر عليه يتضمن كفر الباجريقى المذكور ، وكان ممن شهد فيه عليه الشيخ مجد الدين التونسى النحوى الشافعى ، فهرب الباجريقى إلى بلاد الشرق فمكث بها مدة سنين ثم جاء بعد موت الحاكم المذكور كما سيأتى .

وفى ذى القعدة كان نائب السلطنة فى الصيد فقصدهم فى الليل طائفة من الأعراب فقاتلهم الأمراء فقتلوا من العرب نحو النصف ، وتوغل فى العرب أمير يقال له سيف الدين بهادر تمر احتقارا بالعرب ، فضربه واحد منهم برمح فقتله ، فكرت الأمراء عليهم فقتلوا منهم خلقا أيضا ، وأخذوا واحداً منهم زعموا أنه هو الذى قتله فصلب تحت القلعة ، ودفن الأمير المذكور بقبر الست . وفى ذى القعدة تكلم الشيخ شمس الدين بن النقيب وجماعة من العلماء فى الفتاوى الصادرة من الشيخ

(١) سقط من المصرية

علاء الدين بن العطار شيخ دار الحديث النورية والقوصية ، وأنها مخالفة لمذهب الشافعى ، وفيها تخبيط كثير ، فتوهم من ذلك وراح إلى الحنفى فحقن دمه وأبقاه على وظائفه ، ثم بلغ ذلك نائب السلطنة فأنكر على المنكرين عليه ، ورسم عليهم ثم اصطلحوا ، ورسم نائب السلطنة أن لا تثار الفتن بين الفقهاء . وفى مستهل ذى الحجة ركب الشيخ تقى الدين بن تيمية ومعه جماعة من أصحابه إلى جبل الجرد والكسروانيين ومعه نقيب الأشراف زين الدين بن عدنان فاستتابوا خلقا منهم وألزموهم بشرائع الاسلام ورجع مؤيدا منصوراً .

وممن توفى فيها من الاعيان .

﴿ الشيخ تاج الدين بن شمس الدين بن الرفاعى ﴾

شيخ الأحمدية بأم عبيدة من مدة مديدة ، وعنه تكتب إجازات الفقراء ، ودفن هناك عند سلفه بالبطائح

﴿ الصدر نجم الدين بن عمر ﴾

ابن أبى القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن أبى الكتائب بن محمد بن أبى الطيب ، وكيل بيت المال وناظر الخزانة ، وقد ولى فى وقت نظر المارستان النورى وغير ذلك ، وكان مشكور السيرة رجلا جيدا ، وقد سمع الحديث وروى أيضا ، توفى ليلة الثلاثاء الخامس عشر من جمادى الآخرة ، ودفن بتربتهم بباب الصغير .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعمائة ﴾

استهلت والخليفة المستكفى والسلطان الملك الناصر ، والمباشرون هم المذكورن فيما مضى ، وجاء الخبر أن جماعة من التتر كمنوا لجيش حلب وقتلوا منهم خلقا من الأعيان وغيرهم ، وكثر النوح ببلاد حلب بسبب ذلك . وفى مستهل المحرم حكم جلال الدين القزوينى أخو قاضى القضاة إمام الدين نيابة عن ابن صصرى ، وفى ثانيه خرج نائب السلطنة بمن بقى من الجيوش الشامية ، وقد كان تقدم بين يديه طائفة من الجيش مع ابن تيمية فى ثانى المحرم ، فساروا إلى بلاد الجرد والرفض والتيامنة فخرج نائب السلطنة الأفرم بنفسه بعد خروج الشيخ لغزوهم ، فنصرهم الله عليهم وأبادوا خلقاً كثيراً منهم ومن فرقتهم الضالة ، ووطئوا أراضى كثيرة من صنع بلادهم ، وعاد نائب السلطنة إلى دمشق فى صحبته الشيخ ابن تيمية والجيش ، وقد حصل بسبب شهود الشيخ هذه الغزوة خير كثير ، وأبان الشيخ علماً وشجاعة فى هذه الغزوة ، وقد امتلأت قلوب أعدائه حسداً له وغماً . وفى مستهل جمادى الأولى قدم القاضى أمين الدين أبو بكر ابن القاضى وجيه الدين عبد العظيم بن الرفاقى المصرى من القاهرة على نظر الدواوين بدمشق ، عوضاً عن عز الدين بن مبشر .

﴿ ذكر ما جرى للشيخ تقي الدين بن تيمية ﴾
« مع الأحمدية وكيف عقدت له المجالس الثلاثة »

وفى يوم السبت تاسع جمادى الأولى حضر جماعة كثيرة من الفقراء الأحمدية إلى نائب السلطنة بالقصر الأبلق وحضر الشيخ تقي الدين بن تيمية فسألوا من نائب السلطنة بحضرة الأمراء أن يكف الشيخ تقي الدين إمارته عنهم ، وأن يسلم لهم حالهم ، فقال لهم الشيخ : هذا ما يمكن . ولا بد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة ، قولا وفعلا ، ومن خرج عنهما وجب الانكار عليه . فأرادوا أن يفعلوا شيئاً من أحوالهم الشيطانية التى يتعاطونها فى سماعاتهم ، فقال الشيخ تلك أحوال شيطانية باطلة ، وأكثر أحوالهم من باب الحيل والبهتان ، ومن أراد منهم أن يدخل النار فليدخل أولا إلى الحمام وليغسل جسده غسلا جيداً ويدلكه بالخل والأشنان ثم يدخل بعد ذلك إلى النار إن كان صادقا ، ولو فرض أن أحداً من أهل البدع دخل النار بعد أن يغتسل فان ذلك لا يدل على صلاحه ولا على كرامته ، بل حاله من أحوال الدجاجلة المخالفة للشريعة إذا كان صاحبها على السنة ، فما الظن بخلاف ذلك ، فابتدر شيخ المنيبع الشيخ صالح وقال : نحن أحوالنا إنما تنفق عند التتر ليست تنفق عند الشرع ، فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة ، وكثر الانكار عليهم من كل أحد ، ثم اتفق الحال على أنهم يخلعون الأطواق الحديد من رقابهم ، وأن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه . وصنف الشيخ جزءاً فى طريقة الأحمدية ، وبين فيه أحوالهم ومسالكهم وتخيلاتهم ، ومافى طريقتهم من مقبول ومردود بالكتاب ، وأظهر الله السنة على يديه وأخمد بدعتهم ولله الحمد والمنة .

وفى العشر الأوسط من هذا الشهر خلع على جلال الدين بن معبد وعز الدين خطاب ، وسيف الدين بكتمر مملوك بكتاش الحسامى بالامرة ولبس التشاريف ، وركبوا بها وسلموا لهم جبل الجرد والكسروان والبقاع . وفى يوم الخميس ثالث رجب خرج الناس للاستسقاء إلى سطح المزة ونصبوا هناك منبراً وخرج نائب السلطنة وجميع الناس من القضاة والعلماء والفقراء ، وكان مشهداً هائلا وخطبة عظيمة بليغة ، فاستسقوا فلم يسقوا يومهم ذلك .

﴿ أول المجالس الثلاثة لشيخ الاسلام ابن تيمية ﴾

وفى يوم الأثنين ثامن رجب حضر القضاة والعلماء وفيهم الشيخ تقي الدين بن تيمية عند نائب السلطنة بالقصر وقرئت عقيدة الشيخ تقي الدين الواسطية ، وحصل بحث فى أماكن منها ، وأخرت مواضع إلى المجلس الثانى ، فاجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثانى عشر الشهر المذكور وحضر الشيخ صفى الدين الهندى ، وتكلم مع الشيخ تقي الدين كلاماً كثيراً ، ولكن ساقيته لاطمت بحراً ، ثم اصطلحوا على أن يكون الشيخ كمال الدين بن الزملكانى هو الذى يحاققه من غير مسامحة ، فتناظرا فى

ذلك ، وشكر الناس من فضائل الشيخ كمال الدين بن الزملكانى وجودة ذهنه وحسن بحثه حيث قاوم ابن تيمية فى البحث ، وتكلم معه ، ثم انفصل الحال على قبول العقيدة ، وعاد الشيخ إلى منزله معظما مكرما ، و بلغنى أن العامة حملوا له الشمع من باب النصر إلى القصاعين على جارى عادتهم فى أمثال هذه الأشياء ، وكان الحامل على هذه الاجتماعات كتاب ورد من السلطان فى ذلك ، كان الباعث على إرساله قاضى المالكية ابن مخلوف ، والشيخ نصر المنبجى شيخ الجاشنكير وغيرهما من أعدائه ، وذلك أن الشيخ تقى الدين بن تيمية كان يتكلم فى المنبجى و ينسبه إلى اعتقاد ابن عربى وكان للشيخ تقى الدين من الفقهاء جماعة يحسدونه لتقدمه عند الدولة ، وانفراده بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وطاعة الناس له ومحبتهم له وكثرة أتباعه وقيامه فى الحق ، وعلمه وعمله ، ثم وقع بدمشق خبط كثير وتشويش بسبب غيبة نائب السلطنة ، وطلب القاضى جماعة من أصحاب الشيخ وعزر بعضهم ثم اتفق أن الشيخ جمال الدين المزى الحافظ قرأ فصلا بالرد على الجهمية من كتاب أفعال العباد للبخارى تحت قبة النسر بعد قراءة ميعاد البخارى بسبب الاستسقاء، فغضب بعض الفقهاء الحاضرين وشكاه إلى القاضى الشافعى ابن صصرى ، وكان عدو الشيخ فسجن المزى ، فبلغ الشيخ تقى الدين فتألم لذلك وذهب إلى السجن فأخرجه منه بنفسه ، وراح إلى القصر فوجد القاضى هنالك ، فتقاولا بسبب الشيخ جمال الدين المزى ، فحلف ابن صصرى لابد أن يعيده إلى السجن وإلا عزل نفسه فأمر النائب بإعادته تطييبا لقلب القاضى فحبسه عنده فى القوصية أياما ثم أطلقه . ولما قدم نائب السلطنة ذكر له الشيخ تقى الدين ماجرى فى حقه وحق أصحابه فى غيبته ، فتألم النائب لذلك ونادى فى البلد أن لايتكلم أحد فى العقائد ، ومن عاد إلى تلك حل ماله ودمه ورتبت داره وحانوته ، فسكنت الامور . وقد رأيت فصلا من كلام الشيخ تقى الدين فى كيفية ما وقع فى هذه المجالس الثلاثة من المناظرات .

ثم عقد المجلس الثالث فى يوم سابع شعبان بالقصر واجتمع الجماعة على الرضى بالعقيدة المذكورة وفى هذا اليوم عزل ابن صصرى نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من بعض الحاضرين فى المجلس المذكور ، وهو من الشيخ كمال الدين بن الزملكانى ، ثم جاء كتاب السلطان فى السادس والعشرين من شعبان فيه إعادة ابن صصرى إلى القضاء ، وذلك باشارة المنبجى ، وفى الكتاب إنا كنا سمعنا بعقد مجلس للشيخ تقى الدين بن تيمية ، وقد بلغنا ما عقد له من المجالس ، وأنه على مذهب السلف و إنما أردنا بذلك براءة ساحته مما نسب إليه ، ثم جاء كتاب آخر فى خامس رمضان يوم الاثنين وفيه الكشف عن ما كان وقع للشيخ تقى الدين بن تيمية فى أيام جاغان ، والقاضى إمام الدين القزوينى وأن يحمل هو والقاضى ابن صصرى إلى مصر ، فتوجها على البريد نحو مصر ، وخرج مع الشيخ خلق من أصحابه و بكوا وخافوا عليه من أعدائه ، وأشار عليه نائب السلطنة ابن الأفرم بترك الذهاب

إلى مصر، وقال له أنا أكاتب السلطان فى ذلك وأصلح القضايا، فامتنع الشيخ من ذلك، وذكر له أن فى توجهه لمصر مصلحة كبيرة، ومصالح كثيرة، فلما توجه لمصر ازدحم الناس لوداعه ورؤيته حتى انتشروا من باب داره إلى قرب الجسورة، فيما بين دمشق والكسوة، وهم فيما بين باك وحزين ومتفرج ومتنزه ومزاحم متغال فيه. فلما كان يوم السبت دخل الشيخ تقى الدين غزة فعمل فى جامعها مجلسا عظيما، ثم دخلا معاً إلى القاهرة والقلوب معه وبه متعلقة، فدخلا مصر يوم الاثنين الثانى والعشرين من رمضان، وقيل إنهما دخلاها يوم الخميس، فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة عقد للشيخ مجلس بالقلعة اجتمع فيه القضاة وأكابر الدولة وأراد أن يتكلم على عادته فلم يتمكن من البحث والكلام، وانتدب له الشمس ابن عدنان خصما احتساباً، وادعى عليه عند ابن مخلوف المالكى أنه يقول إن الله فوق العرش حقيقة، وأن الله يتكلم بحرف وصوت، فسأله القاضى جوابه فأخذ الشيخ فى حمد الله والثناء عليه، فقيل له أجب ما جئنا بك لتخطب، فقال: ومن الحاكم فى؟ فقيل له القاضى المالكى. فقال له الشيخ كيف تحكم فى وأنت خصمى، فغضب غضباً شديداً وانزعج وأقيم مرسما عليه وحبس فى برج أياما ثم نقل منه ليلة العيد إلى الحبس المعروف بالجب، هو وأخوه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحمن.

وأما ابن صصرى فانه جدد له توقيع بالقضاء باشارة المنبجى شيخ الجاشنكير حاكم مصر، وعاد إلى دمشق يوم الجمعة سادس ذى القعدة والقلوب له ماقتة، والنفوس منه نافرة، وقرىء تقليده بالجامع وبعده قرىء كتاب فيه الحط على الشيخ تقى الدين ومخالفته فى العقيدة، وأن ينادى بذلك فى البلاد الشامية، وألزم أهل مذهبه بمخالفته، وكذلك وقع بمصر، قام عليه جاشنكير وشيخه نصر المنبجى، وساعدهم جماعة كثيرة من الفقهاء والفقراء، وجرت فتن كثيرة منتشرة، نعوذ بالله من الفتن، وحصل للحنابلة بالديار المصرية إهانة عظيمة كثيرة، وذلك أن قاضيهم كان قليل العلم مزجى البضاعة، وهو شرف الدين الحرانى، فلذلك نال أصحابهم ما نالهم، وصارت حالهم حالهم، وفى شهر رمضان جاء كتاب من مقدم الخدام بالحرم النبوى يستأذن السلطان فى بيع طائفة من قناديل الحرم النبوى لينفق ذلك ببناء مأذنة عند باب السلام الذى عند المطهرة، فرسم له بذلك، وكان فى جملة القناديل قنديلان من ذهب زنتهما ألف دينار، فباع ذلك وشرع فى بنائها وولى سراج الدين عمر قضاءها مع الخطابة فشق ذلك على الروافض.

وفى يوم الخميس ثانى عشر ذى القعدة وصل البريد من مصر بتولية القضاء لشمس الدين محمد بن إبراهيم بن داود الأذرعى الحنفى قضاء الحنفية عوضا [عن شمس الدين ابن الحسينى معزولا وبتولية الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين الفزارى خطابة دمشق عوضا] [1] عن عمه

(١) سقط من المصرية.

الشيخ شرف الدين توفى إلى رحمة الله ، وخلع عليهما بذلك وباشرا فى يوم الجمعة ثالث عشر الشهر وخطب الشيخ برهان الدين خطبة حسنة حضرها الناس والأعيان ، ثم بعد خمسة أيام عزل نفسه عن الخطابة وآثر بقاءه على تدريس البادرائية حين بلغه أنها طلبت لتؤخذ منه ، فبقى منصب الخطابة شاغراً ونائب الخطيب يصلى بالناس ويخطب ، ودخل عيد الاضحى وليس للناس خطيب ، وقد كاتب نائب السلطنة فى ذلك فجاء المرسوم بالزامه بذلك ، وفيه : لعلمنا بأهليته وكفايته واستمراره على مابيده من تدريس البادرائية ، فباشرها القيسى جمال الدين ابن الرحبى ، سعى فى البادرائية فأخذها وباشرها فى صفر من السنة الآتية بتوقيع سلطانى ، فعزل الفزارى نفسه عن الخطابة ولزم بيته ، فراسله نائب السلطنة بذلك ، فصمم على العزل وأنه لايعود إليها أبدا ، وذكر أنه عجز عنها ، فلما تحقق نائب السلطنة ذلك أعاد إليه مدرسته وكتب له بها توقيعا بالعشر الأول من ذى الحجة وخلع على شمس الدين بن الخطيرى بنظر الخزانة عوضا عن ابن الزملكانى . وحج بالناس الأمير شرف الدين حسن بن حيدر .

وممن توفى فيها من الأعيان .

﴿ الشيخ عيسى بن الشيخ سيف الدين الرحبى ﴾

ابن سابق بن الشيخ يونس القيسى ودفن بزاويتهم التى بالشرق الشمالى بدمشق غربى الوراقة والعزية يوم الثلاثاء سابع المحرم .

﴿ الملك الاوحد ﴾

ابن الملك تقى الدين شادى بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادى ، توفى بجبل الجرد فى آخر نهار الأربعاء ثانى صفر ، وله من العمر سبع وخمسون سنة فنقل إلى تربتهم بالسفح ، وكان من خيار الملوك والدولة ، معظما عند الملوك والأمراء ، وكان يحفظ القرآن وله معرفة بعلوم ، ولديه فضائل .

﴿ الصدر علاء الدين ﴾

على بن معالى الانصارى الحرانى الحاسب ، يعرف بابن الزريز ، وكان فاضلا بارعا فى صناعة الحساب انتفع به جماعة ، توفى فى آخر هذه السنة فجأة ودفن بقاسيون ، وقد أخذت الحساب عن الحاضرى عن علاء الدين الطيورى عنه .

﴿ الخطيب شرف الدين أبو العباس ﴾

أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزارى ، الشيخ الامام العلامة أخو العلامة شيخ الشافعية تاج الدين عبد الرحمن ، ولد سنة ثلاثين وسمع الحديث الكثير ، وانتفع على المشايخ فى ذلك العصر كابن الصلاح وابن السخاوى وغيرهما ، وتفقه وأفتى وناظر وبرع وساد أقرانه ، وكان أستاذا فى

العربية واللغة والقراءات و إيراد الأحاديث النبوية ، والتردد إلى المشايخ للقراءة عليهم، وكان فصيح العبارة حلو المحاضرة ، لا تمل مجالسته ، وقد درس بالطيبة، وبالرباط الناصري مدة ، ثم تحول عنه إلى خطابة جامع جراح ، ثم انتقل إلى خطابة جامع دمشق بعد الفارقي في سنة ثلاث ولم يزل به حتى توفي يوم الأربعاء عشية التاسع من شوال ،عن خمس وسبعين سنة، وصلى عليه صبيحة يوم الخميس على باب الخطابة ، ودفن عند أبيه وأخيه بباب الصغير رحمهم الله ، و ولي الخطابة ابن أخيه

﴿ شيخنا العلامة برهان الدين الحافظ الكبير الدمياطي ﴾

وهو الشيخ الامام العالم الحافظ شيخ المحدثين شرف الدين أبو محمد عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطي ، حامل لواء هذا الفن ـ أعني صناعة الحديث وعلم اللغة ـ في زمانه مع كبر السن والقدر ، وعلو الاسناد و كثرة الرواية ، وجودة الدراية ، وحسن التآليف و انتشار التصانيف ، و تردد الطلبة إليه من سائر الآفاق ، ومولده في آخر سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وقد كان أول سماعه في سنة ثنتين وثلاثين بالاسكندرية ، سمع الكثير على المشايخ و رحل وطاف وحصل وجمع فأوعى ،ولكن ما منع ولا بخل ،بل بذل وصنف ونشر العلم، وولي المناصب بالديار المصرية ، وانتفع الناس به كثيراً ، وجمع معجماً لمشايخه الذين لقيهم بالشام والحجاز والجزيرة والعراق وديار مصر يزيدون على ألف وثلثمائة شيخ ، وهو مجلدان ، وله الأربعون المتباينة الاسناد وغيرها وله كتاب في الصلاة الوسطى مفيد جداً ، ومصنف في صيام ستة أيام من شوال أفاد فيه وأجاد ، وجمع مالم يسبق إليه ، وله كتاب الذكر والتسبيح عقيب الصلوات ، وكتاب التسلي في الاغتباط بثواب من يقدم من الافراط، وغير ذلك من الفوائد الحسان ، ولم يزل في إسماع الحديث إلى أن أدركته وفاته وهو صائم في مجلس الاملاء غشي عليه فحمل إلى منزله فمات من ساعته يوم الاحد عاشر ذي القعدة بالقاهرة ، ودفن من الغد بمقابر باب النصر وكانت جنازته حافلة جداً رحمه الله تعالى

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها والشيخ تقي الدين بن تيمية مسجون بالجب من قلعة الجبل ، وفي يوم الأربعاء جاء البريد بتولية الخطابة للشيخ شمس الدين إمام الكلاسة وذلك في ربيع الأول ، وهنئ بذلك فأظهر التكره لذلك والضعف عنه ، ولم يحصل له مباشرة لغيبة نائب السلطنة في الصيد ، فلما حضر أذن له فباشر يوم الجمعة العشرين من الشهر ، فأول صلاة صلاها الصبح يوم الجمعة، ثم خلع عليه وخطب بها يومئذ ،وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الأول باشر نيابة الحكم عن القاضي نجم الدين أحمد بن عبد المحسن بن حسن المعروف بالدمشقي عوضا عن تاج الدين بن صالح بن تامر بن خان الجعبري ، وكان معمرا قديم الهجرة كثير الفضائل ، دينا

ورعاً، جيد المباشرة ،وكان قد ولى الحكم فى سنة سبع وخمسين وستمائة ، فلما ولى ابن صصرى كره نيابته . وفى يوم الأحد العشرين من ربيع الآخر قدم البريد من القاهرة ومعه تجديد توقيع للقاضى شمس الدين الأزرعى الحنفى ،فظن الناس أنه بولاية القضاء لابن الحريرى فذهبوا ليهنئوه مع البريد إلى الظاهرية ، واجتمع الناس لقراءة التقليد على العادة فشرع الشيخ علم الدين البرزالى فى قراءته فلما وصل إلى الاسم تبين له أنه ليس له وأنه للأزرعى ،فبطل القارئ وقام الناس مع البريدى إلى الأزرعى ، وحصلت كسرة وخمدة على الحريرى والحاضرين . ووصل مع البريدى أيضاً كتاب فيه طلب الشيخ كمال الدين بن الزملكانى إلى القاهرة ، فتوهم من ذلك وخاف أصحابه عليه بسبب انتسابه إلى الشيخ تقى الدين بن تيمية ، فتلطف به نائب السلطنة ، ودارى عنه حتى أعفى من الحضور إلى مصر ، ولله الحمد .

وفى يوم الخميس تاسع جمادى الأولى دخل الشيخ ابن براق إلى دمشق وبصحبته مائة فقير كلهم محلقى ذقونهم موفرى شواربهم عكس ما وردت به السنة، وعلى رؤسهم قرون لبابيد . ومعهم أجراس وكعاب وجواكين خشب ، فنزلوا بالمنيبع وحضروا الجمعة برواق الحنابلة ، ثم توجهوا نحو القدس فزاروا ،ثم استأذنوا فى الدخول إلى الديار المصرية فلم يؤذن لهم ، فعادوا إلى دمشق فصاموا بها رمضان ثم انشمروا راجعين إلى بلاد الشرق ، إذ لم يجدوا بدمشق قبولا ، وقد كان شيخهم براق روميا من بعض قرى دوقات من أبناء الأربعين ، وقد كانت له منزلة عند قازان ومكانة ، وذلك أنه سلط عليه نمرا فزجره فهرب منه وتركه ، فحظى عنده وأعطاه فى يوم واحد ثلاثين ألفا ففرقها كلها فأحبه ، ومن طريقة أصحابه أنهم لا يقطعون لهم صلاة ، ومن ترك صلاة ضربوه أربعين جلدة ، وكان يزعم أن طريقه الذى سلكه إنما سلكه ليخرب على نفسه ، ويرى أنه زى المسخرة ، وأن هذا هو الذى يليق بالدنيا ، والمقصود إنما هو الباطن والقلب وعمارة ذلك ، ونحن إنما نحكم بالظاهر ، والله أعلم بالسرائر .

وفى يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة حضر مدرس النجيبية بهاء الدين يوسف بن كمال الدين أحمد بن عبد العزيز العجمى الحلبى ، عوضا عن الشيخ ضياء الدين الطوسى توفى ، وحضر عنده ابن صصرى وجماعة من الفضلاء ، وفى هذه السنة صليت صلاة الرغائب فى النصف بجامع دمشق بعد أن كانت قد أبطلها ابن تيمية منذ أربع سنين ، ولما كانت ليلة النصف حضر الحاجب ركن الدين بيبرس العلائى ومنع الناس من الوصول إلى الجامع ليلتئذ ، وغلقت أبوابه فبات كثير من الناس فى الطرقات وحصل للناس أذى كثير ، وإنما أراد صيانة الجامع من اللغو والرفث والتخليط . وفى سابع عشر رمضان حكم القاضى تقى الدين الحنبلى بحقن دم محمد الباجريقى ، وأثبت عنده محضرا

بعداوة ما بينه و بين الشهود الستة الذين شهدوا عليه عند المالكى ، حين حكم باراقة دمه ، وممن شهد بهذه العداوة ناصر الدين بن عبد السلام و زين الدين بن الشريف عدنان ، وقطب الدين بن شيخ السلامية وغيرهم . وفيها باشر كمال الدين بن الزملكانى نظر ديوان ملك الأمراء عوضا عن شهاب الدين الحنفى ، وذلك فى آخر رمضان ، وخلع عليه بطيلسان وخلعة ، وحضر بها دار العدل . و فى ليلة عيد الفطر أحضر الأمير سيف الدين سلار نائب مصر القضاة الثلاثة وجماعة من الفقهاء فالقضاة الشافعى والمالكى والحنفى ، والفقهاء الباجى والجزرى والنمراوى ، وتكلموا فى إخراج الشيخ تقى الدين بن تيمية من الحبس ، فاشترط بعض الحاضرين عليه شروطا بذلك ، منها أنه يلتزم بالرجوع عن بعض العقيدة وأرسلوا إليه ليحضر ليتكلموا معه فى ذلك ، فامتنع من الحضور وصمم ، وتكررت الرسل إليه ست مرات ، فصمم على عدم الحضور ، ولم يلتفت إليهم ولم يعدهم شيئا ، فطال عليهم المجلس فتفرقوا وانصرفوا غير مأجورين .

و فى يوم الأربعاء ثانى شوال أذن نائب السلطنة الأفرم للقاضى جلال الدين القزوينى أن يصلى بالناس و يخطب بجامع دمشق عوضا عن الشيخ شمس الدين إمام الكلاسة توفى ، فصلى الظهر يومئذ وخطب الجمعة واستمر بالامامة والخطابة حتى وصل توقيعه بذلك من القاهرة ، و فى مستهل ذى القعدة حضر نائب السلطنة والقضاة والأمراء والأعيان وشكرت خطبته . وفى مستهل ذى القعدة كمل بناء الجامع الذى ابتناه وعمره الأمير جمال الدين نائب السلطنة الأفرم عند الرباط الناصرى بالصالحية ، ورتب فيه خطيبا يخطب يوم الجمعة وهو القاضى شمس الدين محمد بن العز الحنفى ، وحضر نائب السلطنة والقضاة وشكرت خطبة الخطيب به ، ومد الصاحب شهاب الدين الحنفى سماطا بعد الصلاة بالجامع المذكور وهو الذى كان الساعى فى عمارته ، والمستحث عليها ، فجاء فى غاية الاتقان والحسن ، تقبل الله منهم .

وفى ثالث ذى القعدة استناب ابن صصرى القاضى صدر الدين سليمان بن هلال بن شبل الجعبرى خطيب داريا فى الحكم عوضا عن جلال الدين القزوينى ، بسبب اشتغاله بالخطابة عن الحكم ، وفى يوم الجمعة التاسع والعشرين من ذى القعدة قدم قاضى القضاة صدر الدين أبو الحسن على بن الشيخ صفى الدين الحنفى البصراوى إلى دمشق من القاهرة متوليا قضاء الحنفية عوضا عن الأزرعى ، مع مابيده من تدريس النورية والمقدمية وخرج الناس لتلقيه وهنؤه ، وحكم بالنورية وقرىء تقليده بالمقصورة الكندية فى الزاوية الشرقية ، من جامع بنى أمية . وفى ذى الحجة ولى الأمير عز الدين بن صبرة على البلاد القبلية والى الولاة ، عوضا عن الأمير جمال الدين آقوش الرستمى ، بحكم ولايته شد الدواوين بدمشق ، وجاء كتاب من السلطان بولاية وكالته للرئيس

عز الدين بن حمزة القلانسى عوضا عن ابن عمه شرف الدين ، فكره ذلك.

وفى اليوم الثامن والعشرين من ذى الحجة أخبر نائب السلطنة بوصول كتاب من الشيخ تقى الدين من الحبس الذى يقال له الجب فأرسل فى طلبه فجيء به فقرىء على الناس فجمل يشكر الشيخ ويثنى عليه وعلى علمه وديانته وشجاعته وزهده ، وقال ما رأيت مثله ، وإذا هو كتاب مشتمل على ما هو عليه فى السجن من التوجه إلى الله ، وأنه لم يقبل من أحد شيئا لا من النفقات السلطانية ولا من الكسوة ولا من الادرارات ولا غيرها ، ولا تدنس بشئ من ذلك .

وفى هذا الشهر يوم الخميس السابع والعشرين منه طلب أخوا الشيخ تقى الدين شرف الدين وزين الدين من الحبس إلى مجلس نائب السلطان سلار ، وحضر ابن مخلوف المالكى وطال بينهم كلام كثير فظهر شرف الدين بالحجة على القاضى المالكى بالنقل والدليل والمعرفة ، وخطأه فى مواضع ادعى فيها دعاوى باطلة ، وكان الكلام فى مسألة العرش ومسألة الكلام ، وفى مسألة النزول .

وفى يوم الجمعة ثانى عشرين ذى الحجة وصل على البريد من مصر نصر الدين محمد بن الشيخ فخر الدين بن أخى قاضى القضاة البصراوى ، وزوج ابنته على الحسبة بدمشق عوضا عن جمال الدين يوسف العجمى وخلع عليه بطيلسان ولبس الخلعة ودار بها فى البلد فى مستهل سنة سبع وسبعمائة ، وفى هذه السنة عمر فى حرم مكة بنحو مائة ألف. وحج بالناس من الشام الأمير ركن الدين بيبرس المجنون .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ القاضى تاج الدين ﴾

صالح بن أحمد بن حامد بن على الجعدى الشافعى نائب الحكم بدمشق ومفيد الناصرية ، كان ثقة دينا عدلا مرضيا زاهدا ، حكم من سنة سبع وخمسين وستمائة ، له فضائل وعلوم ، وكان حسن الشكل والهيئة ، توفى فى ربيع الاول عن ست وسبعين سنة ، ودفن بالسفح وناب فى الحكم بعده نجم الدين الدمشقى .

﴿ الشيخ ضياء الدين الطوسى ﴾

أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن على الشافعى مدرس النجيبية شارح الحاوى ، ومختصر ابن الحاجب كان شيخا فاضلا بارعا ، وأعاد فى الناصرية أيضا ، توفى يوم الأربعاء بعد مرجعه من الحمام تاسع عشر من جمادى الاولى ، وصلى عليه يوم الخميس ظاهر باب النصر ، وحضر نائب السلطنة وجماعة من الأمراء والأعيان ، ودفن بالصوفية ، ودرس بعده بالمدرسة بهاء الدين بن العجمى .

﴿ الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن سعد الطيبى ﴾

المعروف بابن السوابلى ، والسوابل الطاسات . كان معظما ببلاد الشرق جدا ، كان تاجراً كبيراً توفى فى هذا الشهر المذكور .

﴿ الشيخ الجليل سيف الدين الرجيحي ﴾

ابن سابق بن هلال بن يونس شيخ اليونسية بمقامهم ، صلى عليه سادس رجب بالجامع ثم أعيد إلى داره التي سكنها داخل باب توما ، وتعرف بدار أمين الدولة فدفن بها ، وحضر جنازته خلق كثير من الأعيان والقضاة والأمراء ، وكانت له حرمة كبيرة عند الدولة وعند طائفته ، وكان ضخم الهامة جداً محلوق الشعر ، وخلف أموالا وأولاداً .

﴿ الامير فارس الدين الروادى ﴾

توفى فى العشر الأخير من رمضان ، وكان قد رأى النبي ﷺ قبل وفاته بأيام وهو يقول له : أنت مغفور لك ، أو نحو هذا ، وهو من أمراء حسام الدين لاجين .

﴿ الشيخ القدوة العابد خطيب دمشق ﴾

شمس الدين محمد بن الشيخ أحمد بن عثمان الخلاطي إمام الكلاسة ، كان شيخا حسنا بهى المنظر كثير العبادة ، عليه سكون ووقار ، باشر إمامة الكلاسة قريبا من أربعين سنة ثم طلب إلى أن يكون خطيبا بدمشق بالجامع من غير سؤال منه ولا طلب ، فباشرها ستة أشهر ونصف أحسن مباشرة ، وكان حسن الصوت طيب النغمة عارفا بصناعة الموسيقا ، مع ديانة وعبادة ، وقد سمع الحديث توفى فجأة بدار الخطابة يوم الأربعاء ثامن شوال عن ثنتين وستين سنة ، وصلى عليه بالجامع وقد امتلأ بالناس ، ثم صلى عليه بسوق الخيل وحضر نائب السلطنة والامراء والعامة ، وقد غلقت الأسواق ثم حمل إلى سفح قاسيون رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها ، والشيخ تقى الدين بن تيمية معتقل فى قلعة الجبل بمصر ، وفى أوائل المحرم أظهر السلطان الملك الناصر الغضب على الامير ابن سلار والجاشنكير وامتنع من العلامة وأغلق القلعة وتحصن فيها ، ولزم الأميران بيوتهما ، واجتمع عليهما جماعة من الأمراء وحوصرت القلعة وجرت خبطة عظيمة ، وغلقت الأسواق ، ثم راسلوا السلطان فتأطدت الأمور وسكنت الشرور على دخن ، وتنافر قلوب . وقوى الأميران أكثر مما كانا قبل ذلك وركب السلطان ووقع الصلح على دخن . وفى المحرم وقعت الحرب بين التتر وبين أهل كيلان ، وذلك أن ملك التتر طلب منهم أن يجعلوا فى بلادهم طريقاً إلى عسكره فامتنعوا من ذلك ، فأرسل ملك التتر خر بندا جيشاً كثيفا ستين ألفا من المقاتلة ، أربعين ألفا مع قطلوشاه وعشرين ألفاً مع جوبان ، فأمهلهم أهل كيلان حتى توسطوا بلادهم ، ثم أرسلوا عليهم خليجا من البحر ورموهم بالنفط فغرق كثير منهم واحترق آخرون ، وقتلوا بأيديهم طائفة كثيرة ، فلم يفلت منهم إلا القليل ، وكان فيمن

قتل أمير التتر الكبير قطلوشاه ، فاشتد غضب خر بندا على أهل كيلان ، ولكنه فرح بقتل قطلوشاه فانه كان يريد قتل خر بندا فكفى أمره عنهم ، ثم قتل بعده بولاى . ثم إن ملك التتر أرسل الشيخ براق الذى قدم الشام فيما تقدم إلى أهل كيلان يبلغهم عنه رسالة فقتلوه وأراحوا الناس منه ، و بلادهم من أحصن البلاد وأطيبها لا تستطاع ، وهم أهل سنة وأكثرهم حنابلة لا يستطيع مبتدع أن يسكن بين أظهرهم .

وفى يوم الجمعة رابع عشر صفر اجتمع قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقى الدين ابن تيمية فى دار الأوحدى من قلعة الجبل ، وطال بينهما الكلام ثم تفرقا قبل الصلاة ، والشيخ تقى الدين مصمم على عدم الخروج من السجن ، فلما كان يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول جاء الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى ملك العرب إلى السجن بنفسه وأقسم على الشيخ تقى الدين ليخرجن إليه ، فلما خرج أقسم عليه ليأتين معه إلى دار سلار ، فاجتمع به بعض الفقهاء بدار سلار وجرت بينهم بحوث كثيرة ، ثم فرقت بينهم الصلاة ، ثم اجتمعوا إلى المغرب وبات الشيخ تقى الدين عند سلار ، ثم اجتمعوا يوم الأحد بمرسوم السلطان جميع النهار ، ولم يحضر أحد من القضاة بل اجتمع من الفقهاء خلق كثير ، أكثر من كل يوم ، منهم الفقيه نجم الدين بن رفع وعلاء الدين التاجى ، وفخر الدين بن بنت أبى سعد ، وعز الدين النمراوى ، وشمس الدين بن عدنان وجماعة من الفقهاء وطلبوا القضاة فاعتذروا بأعذار ، بعضهم بالمرض ، و بعضهم بغيره ، لمعرفتهم بما ابن تيمية منطوى عليه من العلوم والادلة ، وأن أحداً من الحاضرين لا يطيقه ، فقبل عذرهم نائب السلطنة ولم يكلفهم الحضور بعد أن رسم السلطان بحضورهم أو بفصل المجلس على خير ، وبات الشيخ عند نائب السلطنة وجاء الأمير حسام الدين مهنا يريد أن يستصحب الشيخ تقى الدين معه إلى دمشق ، فأشار سلار باقامة الشيخ بمصر عنده ليرى الناس فضله وعلمه ، و ينتفع الناس به و يشتغلوا عليه . وكتب الشيخ كتابا إلى الشام يتضمن ماوقع له من الأمور . قال البرزالى : وفى شوال منها شكى الصوفية بالقاهرة على الشيخ تقى الدين وكلموه فى ابن عربى وغيره إلى الدولة ، فردوا الأمر فى ذلك إلى القاضى الشافعى ، فعقد له مجلس وادعى عليه ابن عطاء بأشياء فلم يثبت عليه منها شئ ، لكنه قال لا يستغاث إلا بالله ، لا يستغاث بالنبى استغاثة بمعنى العبارة ، ولكن يتوسل به و يتشفع به إلى الله [1] فبعض الحاضرين قال ليس عليه فى هذا شئ ، و رأى القاضى بدر الدين بن جماعة أن هذا فيه قلة أدب ، فحضرت رسالة إلى القاضى أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة ، فقال القاضى قد قلت له ما يقال لمثله ، ثم إن الدولة خيروه بين أشياء إما أن يسير إلى دمشق أو الاسكندرية بشروط أو الحبس ، فاختار الحبس فدخل عليه جماعة فى السفر إلى دمشق ملتزما ما شرط ، فأجاب أصحابه إلى ما اختاروا جبرا لخواطرهم ، فركب خيل

(١) المعروف فى كتب ابن تيمية و ترجمته لابن عبد الهادى : أنه لا يجيز هذا . فليحرر .

البريد ليلة الثامن عشر من شوال ثم أرسلوا خلفه من الغد بريداً آخر ، فردوه وحضر عند قاضى القضاة ابن جماعة وعنده جماعة من الفقهاء ، فقال له بعضهم : إن الدولة ماترضى إلا بالحبس ، فقال القاضى وفيه مصلحة له ، واستناب شمس الدين التونسى المالكى وأذن له أن يحكم عليه بالحبس فامتنع وقال : ماثبت عليه شئ ، فأذن لنور الدين الزواوى المالكى فتحير ، فلما رأى الشيخ توقفهم فى حبسه قال أنا أمضى إلى الحبس وأتبع ماتقتضيه المصلحة ، فقال نور الدين الزواوى : يكون فى موضع يصلح لمثله فقيل له الدولة ماترضى إلا بمسمى الحبس ، فأرسل إلى حبس القضاة فى المكان الذى كان فيه تقى الدين ابن بنت الأعز حين سجن ، وأذن له أن يكون عنده من يخدمه ، وكان ذلك كله باشارة نصر المنبجى لوجاهته فى الدولة ، فانه كان قد استحوذ على عقل الجاشنكير الذى تسلطن فيما بعد ، وغيره من الدولة ، والسلطان مقهور معه ، واستمر الشيخ فى الحبس يستفتى ويقصده الناس ويزورونه ، وتأتيه الفتاوى المشكلة التى لا يستطيعها الفقهاء من الأمراء وأعيان الناس ، فيكتب عليها بما يحير العقول من الكتاب والسنة . ثم عقد للشيخ مجلس بالصالحية بعد ذلك كله ، ونزل الشيخ بالقاهرة بدار ابن شقير ، وأكب الناس على الاجتماع به ليلا ونهاراً . وفى سادس رجب باشر الشيخ كمال الدين بن الزملكانى نظر ديوان المارستان عوضاً عن يوسف العجمى توفى ، وكان محتسباً بدمشق مدة فأخذها منه نجم الدين بن البصراوى قبل هذا بستة أشهر ، وكان العجمى موصوفاً بالامانة . وفى ليلة النصف من شعبان أبطلت صلاة ليلة النصف لكونها بدعة وصين الجامع من الغوغاء والرعاع ، وحصل بذلك خير كثير ولله الحمد والمنة .

وفى رمضان قدم الصدر نجم الدين البصراوى ومعه توقيع بنظر الخزانة عوضا عن شمس الدين الخطيرى مضافا إلى ما بيده من الحسبة ، ووقع فى أواخر رمضان مطر قوى شديد ، وكان الناس لهم مدة لم يمطروا ، فاستبشروا بذلك ، ورخصت الأسعار ، ولم يمكن الناس الخروج إلى المصلى من كثرة المطر ، فصلوا بالجامع ، وحضر نائب السلطنة فصلى بالمقصورة ، وخرج المحمل ، وأمير الحج عامئذ سيف الدين بلبان البدرى التترى . وفيها حج القاضى شرف الدين البارزى من حماة . وفى ذى الحجة وقع حريق عظيم بالقرب من الظاهرية مبدؤه من الفرن تجاهها الذى يقال له فرن العوتية ، ثم لطف الله وكف شرها وشررها .

قلت : وفى هذه السنة كان قدومنا من بصرى إلى دمشق بعد وفاة الوالد ، وكان أول ما سكنا بدرب سعور الذى يقال له درب ابن أبى الهيجاء بالصاغة العتيقة عند الطوريين ، ونسأل الله حسن العاقبة والخاتمة آمين .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الأمير ركن الدين بيبرس ﴾

العجمى الصالحى ، المعروف بالجالق ، كان رأس الجمدارية فى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأمره الملك الظاهر . كان من أكابر الدولة كثير الاموال ، توفى بالرملة لأنه كان فى قسم إقطاعه فى نصف جمادي الأولى ، ونقل إلى القدس فدفن به .

﴿ الشيخ صالح الأحمدى الرفاعى ﴾

شيخ الميذبع ، كان التتر يكرمونه لما قدموا دمشق ، ولما جاء قطلو شاه نائب التتر نزل عنده ، وهو الذى قال للشيخ تقى الدين بن تيمية بالقصر: نحن ماينفق حالنا إلا عند التتر، وأما عند الشرع فلا .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورن فى التى قبلها ، والشيخ تقى الدين قد أخرج من الحبس ، والناس قد عكفوا عليه زيارة وتعلما و إستفتاء وغير ذلك. وفى مستهل ربيع الأول أفرج عن الأمير نجم الدين خضر بن الملك الظاهر ، فأخرج من البرج وسكن دار الأفرم بالقاهرة ، ثم كانت وفاته فى خامس رجب من هذه السنة. وفى أواخر جمادى الأولى تولى نظر ديوان ملك الأمراء زين الدين الشريف ابن عدنان عوضا عن ابن الزملكانى ، ثم أضيف إليه نظر الجامع أيضا عوضا عن ابن الخطيرى ، وتولى نجم الدين بن الدمشقى نظر الأيتام عوضا عن نجم الدين بن هلال . وفى رمضان عزل الصاحب أمين الدين الرفاقى عن نظر الدواوين بدمشق وسافر إلى مصر . وفيها عزل كمال الدين ابن الشريشى نفسه عن وكالة بيت المال وصمم على الاستمرار على العزل وعرض عليه العود فلم يقبل ، وحملت إليه الخلعة لما خلع على المباشرين فلم يلبسها ، واستمر معزولا إلى يوم عاشوراء من السنة الآتية ، فجدد تقليده وخلع عليه فى الدولة الجديدة .

وفيها خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية قاصداً الحج ، وذلك فى السادس والعشرين من رمضان ، وخرج معه جماعة من الامراء لتوديعه فردهم ، ولما اجتاز بالكرك عدل إليها فنصب له الجسر ، فلما توسطه كسر به فسلم من كان أمامه وقفز به الفرس فسلم ، وسقط من كان وراءه وكانوا خمسين فمات منهم أربعة وتهشم أكثرهم فى الوادى الذى تحت الجسر ، وبقى نائب الكرك الأمير جمال الدين آقوش خجلا يتوهم أن يكون هذا يظنه السلطان عن قصد ، وكان قد عمل للسلطان ضيافة غرم عليها أربعة عشر ألفا فلم يقع الموقع لاشتغال السلطان بهم وماجرى له ولأصحابه ثم خلع على النائب وأذن له فى الانصراف إلى مصر فسافر ، واشتغل السلطان بتدبير المملكة فى الكرك وحدها ، وكان يحضر دار العدل ويباشر الأمور بنفسه ، وقدمت عليه زوجته من مصر ، فذكرت له ما كانوا فيه من ضيق الحال وقلة النفقات .

﴿ ذكر سلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير بشيخ[1] المنبجى عدو ابن تيمية ﴾

لما استقر الملك الناصر بالكرك وعزم على الاقامة بها كتب كتابا إلى الديار المصرية يتضمن عزل نفسه عن المملكة ، فأثبت ذلك على القضاة بمصر ، ثم نفذ على قضاة الشام وبويع الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فى السلطنة فى الثالث والعشرين من شوال يوم السبت بعد العصر ، بدار الأمير سيف الدين سلار ، اجتمع بها أعيان الدولة من الأمراء وغيرهم وبايعوه وخاطبوه بالملك المظفر ، وركب إلى القلعة ومشوا بين يديه ، وجلس على سرير المملكة بالقلعة ، ودقت البشائر وسارت البريدية بذلك إلى سائر البلدان . وفى مستهل ذى القعدة وصل الامير عز الدين البغدادى إلى دمشق فاجتمع بنائب السلطنة والقضاة والأمراء والأعيان بالقصر الابلق فقرأ عليهم كتاب الناصر إلى أهل مصر ، وأنه قد نزل عن الملك وأعرض عنه ، فأثبته القضاة وامتنع الحنبلى من إثباته وقال : ليس أحد يترك الملك مختاراً ، ولولا أنه مضطهد ما تركه ، فعزل وأقيم غيره ، واستحلفهم للسلطان الملك المظفر ، وكتبت العلامة على القلعة ، وألقابه على محال المملكة ، ودقت البشائر وزينت البلد ، ولما قرئ كتاب الملك الناصر على الامراء بالقصر ، وفيه : إنى قد صحبت الناس عشر سنين ثم اخترت المقام بالكرك ، تباكى جماعة من الامراء وبايعوا كالمكرهين ، وتولى مكان الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الاميرسيف الدين بن على ، ومكان ترعكى سيف الدين بنخاص ، ومكان بنخاص الامير جمال الدين آقوش الذى كان نائب الكرك ، وخطب للمظفر يوم الجمعة على المنابر بدمشق وغيرها ، وحضر نائب السلطنة الافرم والقضاة ، وجاءت الخلع وتقليد نائب السلطنة فى تاسع عشر ذى القعدة ، وقرأ تقليد النائب كاتب السر القاضى محيى الدين بن فضل الله بالقصر بحضرة الأمراء ، وعليهم الخلع كلهم . وركب المظفر بالخلعة السوداء الخليفية ، والعمامة المدورة والدولة بين يديه عليهم الخلع يوم السبت سابع ذى القعدة ، والصاحب ضياء الدين النساى حامل تقليد السلطان من جهة الخليفة فى كيس أطلس أسود ، وأوله : إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ويقال إنه خلع فى القاهرة قريب ألف خلعة ومائتى خلعة ، وكان يوما مشهوداً ، وفرح بنفسه أياما يسيرة ، وكذا شيخه المنبجى ، ثم أزال الله عنهما نعمته سريعا .

وفيها خطب ابن جماعة بالقلعة وباشر الشيخ علاء الدين القونوى تدريس الشريفية .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الصالح عثمان الحلبونى ﴾

أصله من صعيد مصر ، فأقام مدة بقرية حلبون وغيرها من تلك الناحية ، ومكث مدة لا يأكل الخبز ، واجتمع عليه جماعة من المريدين وتوفى بقرية برارة فى أواخر المحرم ، ودفن بها وحضر جنازته نائب الشام والقضاة وجماعة من الأعيان .

---

(١) كذا فى الاصل . ولعلها « بسعى » أو نحوها .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

أبو الحسن على بن محمد بن كثير الحرانى الحنبلى إمام مسجد عطية ، ويعرف بابن المقرى روى الحديث وكان فقيها بمدارس الحنابلة. ولد بحران سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وتوفى بدمشق فى العشر الأخير من رمضان ، ودفن بسفح قاسيون ، وتوفى قبله الشيخ زين الدين الحرانى بغزة ، وعمل عزاؤه بدمشق رحمهما الله .

﴿ السيد الشريف زين الدين ﴾

أبو على الحسن بن محمد بن عدنان الحسينى نقيب الاشراف ، كان فاضلا بارعا فصيحاً متكلماً ، يعرف طريقة الاعتزال و يباحث الامامية ، و يناظر على ذلك بحضرة القضاة وغيرهم ، وقد باشر قبل وفاته بقليل نظار الجامع ونظر ديوان الأفرم ، توفى يوم الخامس من ذى القعدة عن خمس وخمسين سنة ، ودفن بتربتهم بباب الصغير .

﴿ الشيخ الجليل ظهير الدين ﴾

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى الفضل بن منعة البغدادى ، شيخ الحرم الشريف بمكة بعد عمه عفيف الدين منصور بن منعة ، وقد سمع الحديث وأقام ببغداد مدة طويلة ، ثم سار إلى مكة ، بعد وفاة عمه ، فتولى مشيخة الحرم إلى أن توفى .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعمائة ﴾

استهلت وخليفة الوقت المستكفى أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسى ، وسلطان البلاد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، ونائبه بمصر الأمير سيف الدين سلار ، و بالشام آقوش الأفرم ، وقضاة مصر والشام هم المذكورون فى التى قبلها . وفى ليلة سلخ صفر توجه الشيخ تقى الدين ابن تيمية من القاهرة إلى الاسكندرية صحبة أمير مقدم ، فأدخله دار السلطان وأنزله فى برج منها فسيح متسع الأكناف ، فكان الناس يدخلون عليه و يشتغلون فى سائر العلوم ، ثم كان بعد ذلك يحضر الجمعات و يعمل المواعيد على عادته فى الجامع ، وكان دخوله إلى الاسكندرية يوم الأحد ، و بعد عشرة أيام وصل خبره إلى دمشق فحصل عليه تألم وخافوا عليه غائلة الجاشنكير وشيخه المنبجى ، فتضاعف له الدعاء ، وذلك أنهم لم يمكنوا أحداً من أصحابه أن يخرج معه إلى الاسكندرية ، فضاقت له الصدور ، وذلك أنه تمكن منه عدوه نصر المنبجى . وكان سبب عداوته له أن الشيخ تقى الدين كان ينال من الجاشنكير ومن شيخه نصر المنبجى ، و يقول : زالت أيامه وانتهت رياسته ، وقرب انقضاء أجله ، و يتكلم فيهما وفى ابن عربى وأتباعه ، فأرادوا أن يسيروه إلى الاسكندرية كهيئة المنفى لعل أحداً من أهلها يتجاسر عليه فيقتله غيلة ، فما زاد ذلك الناس إلا محبة فيه وقربا منه وانتفاعا به واشتغالا عليه ، وحنوا وكرامة له . وجاء كتاب من أخيه يقول فيه : إن الأخ الكريم قد نزل بالثغر المحروس على نية الرباط ، فان أعداء الله قصدوا بذلك أمورا يكيدونه بها و يكيدون الاسلام وأهله ،

وكانت تلك كرامة فى حقنا ، وظنوا أن ذلك يؤدى إلى هلاك الشيخ فانقلبت عليهم مقاصدهم الخبيثة وانعكست من كل الوجوه ، وأصبحوا وأمسوا ومازالوا عند الله وعند الناس العارفين سود الوجوه يتقطعون حسرات وندما على مافعلوا ، وانقلب أهل الثغر أجمعين إلى الأخ مقبلين عليه مكرمين له وفى كل وقت ينشر من كتاب الله وسنة رسوله ماتقر به أعين المؤمنين ، وذلك شجى فى حلوق الأعداء واتفق أنه وجد بالاسكندرية إبليس قد باض فيها وفرخ وأضل بها فرق السبعينية والعربية فمزق الله بقدومه عليهم شملهم ، وشتت جموعهم شذر مذر ، وهتك أستارهم وفضحهم ، واستتاب جماعة كثيرة منهم ، وتوب رئيسا من رؤسائهم واستقر عند عامة المؤمنين وخواصهم من أمير وقاض وفقيه ، ومفتى وشيخ وجماعة المجتهدين ، إلا من شذ من الأغمار الجهال ، مع الذلة والصغار - محبة الشيخ وتعظيمه وقبول كلامه والرجوع إلى أمره ونهيه ، فعلت كلمة الله بها على أعداء الله ورسوله ، ولعنوا سراً وجهراً وباطناً وظاهراً ، فى مجامع الناس بأسمائهم الخاصة بهم ، وصار ذلك عند نصر المنبجى المقيم المقعد ، ونزل به من الخوف والذل مالا يعبر عنه ، وذكر كلاماً كثيراً .

والمقصود أن الشيخ تقى الدين أقام بثغر الاسكندرية ثمانية أشهر مقيما ببرج متسع مليح نظيف له شباكان أحدهما إلى جهة البحر والآخر إلى جهة المدينة ، وكان يدخل عليه من شاء ، ويتردد إليه الأكابر والأعيان والفقهاء ، يقرؤن عليه ويستفيدون منه ، وهو فى أطيب عيش وأشرح صدر .

وفى آخر ربيع الأول عزل الشيخ كمال الدين بن الزملكانى عن نظر المارستان بسبب انتمائه إلى ابن تيمية باشارة المنبجى ، وباشره شمس الدين عبد القادر بن الخطيرى . وفى يوم الثلاثاء ثالث ربيع الآخر ولى قضاء الحنابلة بمصر الشيخ الامام الحافظ سعد الدين أبو محمود مسعود بن أحمد ابن مسعود بن زين الدين الحارثى ، شيخ الحديث بمصر ، بعد وفاة القاضى شرف الدين أبى محمد عبدالغنى بن يحى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبى بكر الحرانى . وفى جمادى الأولى برزت المراسيم السلطانية المظفرية إلى البلاد السواحلية بابطال الخمور وتخريب الحانات ونفى أهلها ، ففعل ذلك وفرح المسلمون بذلك فرحاشديداً . وفى مستهل جمادى الآخرة وصل بريد بتولية قضاء الحنابلة بدمشق للشيخ شهاب الدين أحمد بن شريف الدين حسن بن الحافظ جمال الدين أبى موسى عبد الله بن الحافظ عبد الغنى المقدسى ، عوضا عن التقى سليمان بن حمزة بسبب تكلمه فى نزول الملك الناصر عن الملك ، وأنه إنما نزل عنه مضطهدا بذلك ، ليس بمختار ، وقد صدق فيما قال . وفى عشرين جمادى الآخرة وصل البريد بولاية شد الدواوين للأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، عوضا عن الرستمى فلم يقبل ، وبنظر الخزانة للأمير عز الدين أحمد بن زين الدين محمد بن أحمد بن محمود المعروف بابن القلانسى ، فباشرها وعزل عنها البصراوى محتسب البلد . وفى هذا الشهر باشر قاضى القضاة ابن جماعة مشيخة سعيد السعداء

بالقاهرة بطلب الصوفية له ، و رضوا منه بالحضور عندهم فى الجمعة مرة واحدة ، وعزل عنها الشيخ كريم الدين الايكى ،لأنه عزل منها الشهود ،فثاروا عليه وكتبوا فى حقه محاضر بأشياء قادحة فى الدين ، فرسم بصرفه عنهم ، وعومل بنظير ما كان يعامل به الناس ، ومن جملة ذلك قيامه على شيخ الاسلام ابن تيمية وافتراؤه عليه الكذب ، مع جهله وقلة و رعه ، فعجل الله له هذا الخزى على يدى أصحابه وأصدقائه جزاء وفاقا .

وفى شهر رجب كثر الخوف بدمشق وانتقل الناس من ظاهرها إلى داخلها ، وسبب ذلك أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ركب من الكرك قاصداً دمشق يطلب عوده إلى الملك ، وقد مالأه جماعة من الأمراء وكاتبوه فى الباطن وناصحوه ،وقفز إليه جماعة من أمراء المصريين ، وتحدث الناس بسفر نائب دمشق الأفرم إلى القاهرة ، وأن يكون مع الجم الغفير ، فاضطرب الناس ولم تفتح أبواب البلد إلى ارتفاع النهار ، وتخبطت الأمور ، فاجتمع القضاة وكثير من الأمراء بالقصر وجددوا البيعة للملك المظفر ، وفى آخر نهار السبت غلقت أبواب البلد بعد العصر وازدحم الناس بباب النصر وحصل لهم تعب عظيم ، وازدحم البلد بأهل القرى وكثر الناس بالبلد ، وجاء البريد بوصول الملك الناصر إلى الخمان ، فانزعج نائب الشام لذلك وأظهر أنه يريد قتاله ومنعه من دخول البلد ، وقفز إليه الاميران ركن الدين بيبرس المجنون ،و بيبرس العلمى ، و ركب إليه الاميرسيف الدين بكتمر حاجب الحجاب يشير عليه بالرجوع ، و يخبره بأنه لاطاقة له بقتال المصريين ، ولحقه الأمير سيف الدين بهادرا يشير عليه بمثل ذلك ، ثم عاد إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رجب وأخبر أن السلطان الملك الناصر قد عاد إلى الكرك ، فسكن الناس و رجع نائب السلطنة إلى القصر ، وتراجع بعض الناس إلى مساكنهم ، واستقروا بها .

﴿ صفة عود الملك الناصر ﴾

« محمد بن الملك المنصور قلاوون إلى الملك و زوال دولة المظفر الجاشنكير بيبرس وخذلانه وخذلان شيخه نصر المنبجى الاتحادى الحلولى »

لما كان ثالث عشر شعبان جاء الخبر بقدوم الملك الناصر إلى دمشق، فساق إليه الأميران سيف الدين قطلو بك والحاج بهادر إلى الكرك ، وحضاه على المجىء إليها ،واضطرب نائب دمشق و ركب فى جماعة من أتباعه على الهجن فى سادس عشر شعبان ومعه ابن صبيح صاحب شقيف أربون ، وهيئت بدمشق أبهة السلطنة والاقامات اللائقة به ، والعصائب والكوسات ، و ركب من الكرك فى أبهة عظيمة ، وأرسل الأمان إلى الأفرم ، ودعا له المؤذنون فى المأذنة ليلة الاثنين سابع عشر شعبان ، وصبح بالدعاء له والسرور بذكره ، ونودى فى الناس بالأمان ، وأن يفتحوا دكاكينهم

ويأمنوا فى أوطانهم ، وشرع الناس فى الزينة ودقت البشائر ونام الناس فى الاسطحة ليلة الثلاثاء ليتفرجوا على السلطان حين يدخل البلد ، وخرج القضاة ، والامراء والأعيان لتلقيه .

قال كاتبه ابن كثير : وكنت فيمن شاهد دخوله يوم الثلاثاء وسط النهار فى أبهة عظيمة و بسط له من عند المصلى وعليه أبهة الملك وبسطت الشقاق الحرير تحت أقدام فرسه ، كلما جاوز شقة طويت من ورائه ، والجد على رأسه والأمراء السلحدارية عن يمينه وشماله ، و بين يديه ، والناس يدعون له ويضجون بذلك ضجيجا عاليا ، وكان يوماً مشهوداً . قال الشيخ علم الدين البرزالى : وكان على السلطان يومئذ عمامة بيضاء ، وكلوتة حمراء ، وكان الذى حمل الغاشية على رأس السلطان الحاج بهادر وعليه خلعة معظمة مذهبة بفرو فاخر . ولما وصل إلى القلعة نصب له الجسر ونزل إليه نائبها الأمير سيف الدين السنجرى ، فقبل الأرض بين يديه ، فأشار إليه إنى الآن لا أنزل ههنا ، وسار بفرسه إلى جهة القصر الأبلق والامراء بين يديه ، فخطب له يوم الجمعة .

وفى بكرة يوم السبت الثانى والعشرين من الشهر وصل الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب دمشق مطيعاً للسلطان ، فقبل الأرض بين يديه ، فترجل له السلطان وأكرمه وأذن له فى مباشرة النيابة على عادته ، وفرح الناس بطاعة الأفرم له ، و وصل إليه أيضا الامير سيف الدين قبجق نائب حماة ، والامير سيف الدين استدمر نائب طرابلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من شعبان ، وخرج الناس لتلقيهما ، وتلقاهما السلطان كما تلقى الأفرم . وفى هذا اليوم رسم السلطان بتقليد قضاء الحنابلة وعوده إلى تقى الدين سليمان ، وهنأه الناس وجاء إلى السلطان إلى القصر فسلم عليه ومضى إلى الجوزية فحكم بها ثلاثة أشهر ، وأقيمت الجمعة الثانية بالميدان وحضر السلطان والقضاة إلى جانبه ، وأكابر الامراء والدولة ، وكثير من العامة . وفى هذا اليوم وصل إلى السلطان الامير قراسنقر المنصورى نائب حلب وخرج دهليز السلطان يوم الخميس رابع رمضان ومعه القضاة والقراء وقت العصر ، وأقيمت الجمعة خامس رمضان بالميدان أيضاً ، ثم خرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء تاسع رمضان ، وفى صحبته ابن صصرى وصدر الدين الحنفى قاضى العساكر ، والخطيب جلال الدين ، والشيخ كمال الدين بن الزملكانى ، والموقعون وديوان الجيش وجيش الشام بكماله قد اجتمعوا عليه من سائر مدنه وأقاليمه بنوا به وأمرائه ، فلما انتهى السلطان إلى غزة دخلها فى أبهة عظيمة ، وتلقاه الأمير سيف الدين بهادر هو وجماعة من أمراء المصريين ، فأخبروه أن الملك المظفر قد خلع نفسه من المملكة ، ثم تواتر قدوم الامراء من مصر إلى السلطان وأخبروه بذلك ، فطابت قلوب الشاميين واستبشروا بذلك ودقت البشائر وتأخر مجيء البريد بصورة الناصرى .

واتفق فى يوم هذا العيد أنه خرج نائب الخطيب الشيخ تقى الدين الجزرى المعروف بالمقضاى فى السناجق إلى المصلى على العادة ، واستناب فى البلد الشيخ مجد الدين التونسى ، فلما وصلوا إلى المصلى وجدوا خطيب المصلى قد شرع فى الصلاة فنصبت السناجق فى صحن المصلى وصلى بينهما تقى الدين المقضاى ثم خطب ، وكذلك فعل ابن حسان داخل المصلى ، فعقد فيه صلاتان وخطبتان يومئذ ، ولم يتفق مثل هذا فيما نعلم .

وكان دخول السلطان الملك الناصر إلى قلعة الجبل آخر يوم عيد الفطر من هذه السنة ، ورسم لسلار أن يسافر إلى الشوبك ، واستناب بمصر الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار الذى كان نائب صفد ، وبالشام الأمير قراسنقر المنصورى ، وذلك فى العشرين من شوال ، واستوزر الصاحب فخر الدين الخليلى بعدها بيومين ، وباشر القاضى فخر الدين كاتب المماليك نظر الجيوش بمصر بعد بهاء الدين عبد الله بن أحمد بن على بن المظفر الحلى ، توفى ليلة الجمعة عاشر شوال ، وكان من صدور المصريين وأعيان الكبار ، وقد روى شيئا من الحديث ، وصرف الأمير جمال الدين آقوش الأفرم إلى نيابة صرخد وقدم إلى دمشق الأمير زين الدين كتبغا رأس نوبة الجمدارية شد الدواوين ، وأستاذ دار الاستادارية عوضا عن سيف الدين أقجبا ، وتغيرت الدولة وانقلبت قلبة عظيمة .

قال الشيخ علم الدين البرزالى : ولما دخل السلطان إلى مصر يوم عيد الفطر لم يكن له دأب إلا طلب الشيخ تقى الدين بن تيمية من الاسكندرية معززا مكرما مبجلا ، فوجه إليه فى ثانى يوم من شوال بعد وصوله بيوم أو يومين ، فقدم الشيخ تقى الدين على السلطان فى يوم ثامن الشهر وخرج مع الشيخ خلق من الاسكندرية يودعونه ، واجتمع بالسلطان يوم الجمعة فأكرمه وتلقاه ومشى إليه فى مجلس حفل ، فيه قضاة المصريين والشاميين ، وأصلح بينه وبينهم ، ونزل الشيخ إلى القاهرة وسكن بالقرب من مشهد الحسين ، والناس يترددون إليه ، والامراء والجند وكثير من الفقهاء والقضاة منهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع منه ، فقال أنا حاللت كل من أذانى .

قلت : وقد أخبرنى القاضى جمال الدين بن القلانسى بتفاصيل هذا المجلس وما وقع فيه من تعظيمه وإكرامه مما حصل له من الشكر والمدح من السلطان والحاضرين من الأمراء ، وكذلك أخبرنى بذلك قاضى القضاة منصور الدين الحنفى ، ولكن أخبار ابن القلانسى أكثر تفصيلا ، وذلك أنه كان إذ ذاك قاضى العساكر ، وكلاهما كان حاضرا هذا المجلس ، ذكر لى أن السلطان لما قدم عليه الشيخ تقى الدين بن تيمية نهض قائما للشيخ أول ماراه ، ومشى له إلى طرف الايوان واعتنقا هنالك هنيهة ، ثم أخذ معه ساعة إلى طبقة فيها شباك إلى بستان فجلسا ساعة يتحدثان ، ثم جاء ويد الشيخ فى يد السلطان ، فجلس السلطان وعن يمينه ابن جماعة قاضى مصر ، وعن يساره ابن

الخليلى الوزير ، وتحته ابن صصرى ، ثم صدر الدين على الحنفى ، وجلس الشيخ تقى الدين بين يدى السلطان على طرف طراحته ، وتكلم الوزير فى إعادة أهل الذمة إلى لبس العمائم البيض بالعلائم ، وأنهم قد التزموا للديوان بسبع مائة ألف فى كل سنة ، زيادة على الحالية ، فسكت الناس وكان فيهم قضاة مصر والشام وكبار العلماء من أهل مصر والشام من جملتهم ابن الزملكانى . قال ابن القلانسى : وأنا فى مجلس السلطان إلى جنب ابن الزملكانى ، فلم يتكلم أحد من العلماء ولا من القضاة ، فقال لهم السلطان : ما تقولون ؟ يستفتيهم فى ذلك ، فلم يتكلم أحد ، فجثى الشيخ تقى الدين على ركبتيه وتكلم مع السلطان فى ذلك بكلام غليظ ورد على الوزير ما قاله ردا عنيفا ، وجعل يرفع صوته والسلطان يتلافاه ويسكته بترفق وتؤدة وتوقير . وبالغ الشيخ فى الكلام وقال مالا يستطيع أحد أن يقوم بمثله ، ولا بقريب منه ، وبالغ فى التشنيع على من يوافق فى ذلك . وقال للسلطان : حاشاك أن يكون أول مجلس جلسته فى أبهة الملك تنصر فيه أهل الذمة لأجل حطام الدنيا الفانية ، فاذكر نعمة الله عليك إذ رد ملكك إليك ، وكبت عدوك ونصرك على أعدائك فذكر أن الجاشنكير هو الذى جدد عليهم ذلك ، فقال : والذى فعله الجاشنكير كان من مراسيمك لأنه إنما كان نائبا لك ، فأعجب السلطان ذلك واستمر بهم على ذلك ، وجرت فصول يطول ذكرها . وقد كان السلطان أعلم بالشيخ من جميع الحاضرين ، ودينه وزينته وقيامه بالحق وشجاعته ، وسمعت الشيخ تقى الدين يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لما انفردا فى ذلك الشباك الذى جلسا فيه ، وأن السلطان استفتى الشيخ فى قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه ، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشنكير ، وأنهم قاموا عليك وآذوك أنت أيضا ، وأخذ يحثه بذلك على أن يفتيه فى قتل بعضهم ، وإنما كان حنقه عليهم بسبب ما كانوا سعوا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير ، ففهم الشيخ مراد السلطان فأخذ فى تعظيم القضاة والعلماء ، وينكر أن ينال أحدا منهم بسوء ، وقال له : إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم ، فقال له إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مرارا ، فقال الشيخ من آذانى فهو فى حل ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه ، وأنا لا أنتصر لنفسى ، ومازال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح .

قال وكان قاضى المالكية ابن مخلوف يقول : ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا ، ثم إن الشيخ بعد اجتماعه بالسلطان نزل إلى القاهرة وعاد إلى بث العلم ونشره ، وأقبلت الخلق عليه ورحلوا إليه يشتغلون عليه ويستفتونه ويجيبهم بالكتابة والقول ، وجاء الفقهاء يعتذرون مما وقع منهم فى حقه فقال : قد جعلت الكل فى حل ، وبعث الشيخ كتابا إلى أهله يذكر ماهو فيه من نعم الله وخيره الكثير ، ويطلب منهم جملة من كتب

العلم التى له و يستعينوا عـلى ذلك بجمال الدين المزى ، فانه يدرى كيف يستخرج له ما يريده من الكتب التى أشار إليها ، وقال فى هذا الكتاب : والحق كل ماله فى علو وازدياد وانتصار ، والباطل فى انخفاض وسـفول واضحلال ، وقـد أذل الله رقاب الخصوم ، وطلب أكابرهم من السلم ما يطول وصفه ، وقد اشترطنا عليهم من الشروط ما فيه عز الاسلام والسنة ، وما فيه قمع الباطل والبدعة ، وقد دخلوا تحت ذلك كله وامتنعنا من قبول ذلك منهـم ، حتى يظهر إلى الفعل ، فلم نثق لهم بقول ولا عهد ، ولم نجبهم إلى مطلوبهم حتى يصير المشروط معمولا ، والمـذكور مفعولا ، و يظهر من عز الاسـلام والسنة للخاصة والعامـة ما يكون من الحسنات التى تمحو سيئاتهـم ، وذكر كلاما طويلا يتضمن ماجرى له مع السلطان فى قمع اليهود والنصارى وذلهم ، وتركهم على ماهم عليـه من الذلة والصغار والله سبحانه أعلم .

وفى شوال أمسك السلطان جماعة من الأمراء قريبا من عشرين أميرا ، وفى سادس عشر شوال وقع بين أهل حوران من قيس و يمن فقتل منهم مقتلة عظيمة جدا ، قتل من الفريقين نحو من ألف نفس بالقرب من السوداء ، وهم يسمونها السويداء ، ووقعة السويداء ، وكانت الكسرة على يمن فهربوا من قيس حتى دخل كثير منهم إلى دمشق فى أسوأ حال وأضعفه ، وهربت قيس خوفا من الدولة ، وبقيت القرى خالية والزروع سائبة . فانا لله وإنا اليه راجعون .

وفى يوم الأربعاء سادس القعدة قدم الأمير سيف الدين قبجق المنصورى نائبا عـلى حلب فنزل القصر ومعـه جماعة من أمراء المصريين ، ثم سافر إلى حلب بمن معه من الأمراء والأجناد واجتاز الأمير سـيف الدين بهادر بدمشق ذاهبا إلى طرابلس نائبـا والفتوحات السواحلية عوضا عن الامير سيف الدين استدمر، ووصل جماعة ممن كان قدسافر مع السلطان إلى مصر فى ذى القعدة منهم قاضى قضاة الحنفية صدر الدين ، ومحيي الدين بن فضل الله وغـيرهما ، فقمت وجلست يوماً إلى القاضى صدر الدين الحنفى بعـد مجيئه من مصر فقـال لى أتحب ابن تيمية ؟ قلت : نعم ، فقال لى وهو يضحك : والله لقد أحببت شيئا مليحا، وذكر لى قريبا مما ذكر ابن القلانسى، لكن سياق ابن القلانسى أتم .

﴿ ذكر مقتل الجاشنكيرى ﴾

كان قد فر الخبيث فى جماعة من أصحابه ، فلما خرج الأمير سيف الدين قراسنقر المنصورى من مصر متوجها إلى نيابة الشام عوضا عن الافرم ، فلما كان بغزة فى سابع ذى القعدة ضرب حلقة لأجل الصيد ، فوقع فى وسطها الجاشنكير فى ثلاثمائة من أصحابه فأحيط بهم وتفرق عنـه أصحابه فأمسكوه ورجع معه قراسنقر وسيف الدين بهادر على الهجن، فلما كان بالخطارة تلقاهم استدمر فتسلمه منهم

و رجعا إلى عسكرهم ، و دخل به استدمر على السلطان فعاتبه ولامه ، وكان آخر العهد به،فقتل ودفن بالقرافة ولم ينفعه شيخه المنبجى ولا أمواله ، بل قتل شر قتلة ودخـل قراسنقر دمشق يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذى القعدة فنزل بالقصر ، وكان فى صحبته ابن صصرى وابن الزملكانى وابن القلانسى وعلاء الدين بن غانم وخلق من الامراء المصريين والشاميين، وكان الخطيب جلال الدين القزوينى قد وصل قبلهم يوم الخميس الثانى والعشرين من الشهر ، وخطب يوم الجمعة عـلى عادته ، فلما كان يوم الجمعة الأخرى وهو التاسع والعشرون من الشهر خطب بجامع دمشق القاضى بدر الدين محمد بن عثمان بن يوسف بن حداد الحنبلى عن إذن نائب السلطنة ، وقرئ تقليده على المنبر بعد الصلاة بحضرة القضاة و الاكابر والأعيان،وخلع عليه عقيب ذلك خلعة سنية،واستمر يباشر الامامة والخطابة اثنين وأربعين يوما ،ثم أعيد الخطيب جلال الدين بمرسوم سلطانى وباشر يوم الخميس ثانى عشر المحرم من السنة الآتية .

وفى ذى الحجة درس كمال الدين بن الشيرازى بالمدرسة الشامية البرانية ، انتزعها من يد الشيخ كمال الدين بن الزملكانى ، وذلك أن استدمر ساعـده على ذلك . وفيها أظهر ملك التتر خربندا الرفض فى بلاده ، وأمر الخطباء أولا أن لا يذكروا فى خطبتهم إلا على بن أبى طالب رضى الله عنه وأهل بيته ، ولما وصل خطيب بلاد الازج إلى هذا الموضع من خطبته بكى بكاءاً شديداً و بكى الناس معه ونزل ولم يتمـكن من إتمام الخطبـة ، فأقيم من أتمها عنه وصلى بالناس وظهر على الناس بتلك البلاد من أهل السنة أهل البدعة فانا لله و إنا إليه راجعون. ولم يحج فيها أحد من أهل الشام بسبب تخبيط الدولة وكثرة الاختلاف «وممن توفى فيها من الاعيان»

﴿ الخطيب ناصر الدين أبو الهدى ﴾

أحمد بن الخطيب بدر الدين يحيى بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام خطيب العقيبة بداره بها وقد باشر نظر الجامع الاموى وغير ذلك ، توفى يوم الاربعاء النصف من المحرم ، وصلى عليه بجامع العقيبة ، ودفن عند والده بباب الصغير ، وقد روى الحديث و باشر الخطابة بعد والده بدر الدين وحضر عنده نائب السلطنة والقضاة والأعيان .

﴿ قاضى الحنابلة بمصر ﴾

شرف الدين أبو محمد عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبى بكر الحرانى ولد بحران سنة خمس وأربعين وستمائة ، وسمع الحديث وقدم مصر فباشر نظر الخزانة وتدريس الصالحية ثم أضيف إليه القضاء ، وكان مشكور السيرة كثير المـكارم توفى ليلة الجمعة رابع عشر ربيع الاول ودفن بالقرافة ، وولى بعده سعد الدين الحارثى كما تقدم .

﴿ الشيخ نجم الدين ﴾

أيوب بن سليمان بن مظفر المصرى المعروف بمؤذن النجيبى ، كان رئيس المؤذنين بجامع دمشق ونقيب الخطباء ، وكان حسن الشكل رفيع الصوت ، واستمر بذلك نحوا من خمسين سنة إلى أن توفى فى مستهل جمادى الأولى . وفى هذا الشهر توفى .

﴿ الأمير شمس الدين سنقر الأعسر المنصورى ﴾

تولى الوزارة بمصر مع شد الدواوين معاً ، وباشر شد الدواوين بالشام مرات ، وله دار و بستان بدمشق مشهوران به ، وكان فيه نهضة وله همة عالية وأموال كثيرة ، توفى بمصر .

﴿ الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الرسيمى ﴾

شاد الدواوين بدمشق ، وكان قبل ذلك والى الولاة بالجهة القبلية بعد الشريفى ، وكانت له سطوة توفى يوم الأحد تاسع عشر جمادى الأولى ودفن ضحوة بالقبة التى بناها تجاه قبة الشيخ رسلان ، وكان فيه كفاية وخبرة . وباشر بعده شد الدواوين أقبجا . وفى شعبان أو فى رجب توفى .

﴿ التاج ابن سعيد الدولة ﴾

وكان مسلمانيا وكان سفير الدولة ، وكانت له مكانة عند الجاشنكير بسبب صحبته لنصر المنبجى شيخ الجاشنكير ، وقد عرضت عليه الوزارة فلم يقبل ، ولما توفى تولى وظيفته ابن أخته كريم الدين الكبير .

﴿ الشيخ شهاب الدين ﴾

أحمد بن محمد بن أبى المكارم بن نصر الاصبهانى رئيس المؤذنين بالجامع الأموى ، ولد سنة اثنتين وستمائة ، وسمع الحديث و باشر وظيفة الأذان من سنة خمس وأربعين إلى أن توفى ليلة الثلاثاء خامس ذى القعدة ، وكان رجلا جيداً والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة عشر وسبعمائة ﴾

استهلت وخليفة الوقت المستكفى بالله أبو الربيع سليمان العباسى ، وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، والشيخ تقى الدين بن تيمية مقيم بمصر معظما مكرما ، ونائب مصر الأمير سيف الدين بكتمر أمير خزندار ، وقضاته هم المذكورون فى التى قبلها ، سوى الحنبلى فانه سعد الدين الحارثى ، والوزير بمصر فخر الدين الخليلى ، وناظر الجيوش فخر الدين كاتب المماليك ، ونائب الشام قرا سنقر المنصورى ، وقضاة دمشق هم هم ، ونائب حلب قبجق ، ونائب طرابلس الحاج بهادر والأفرم بصرخد .

وفى محرم منها باشر الشيخ أمين الدين سالم بن أبى الدرين وكيل بيت المال إمام مسجد هشام تدريس الشامية الجوانية ، والشيخ صدر الدين سليمان بن موسى الكردى تدريس العذراوية ، كلاهما

انتزعها من ابن الوكيل بسبب إقامته بمصر ، وكان قد وفد إلى المظفر فألزمه رواتب لانتمائه إلى المنبجى ، ثم عاد بتوقيع سلطانى إلى مدرستيه، فأقام بهما شهراً أو سبعة وعشرين يوما ، ثم استعادهما منه ورجعتا إلى المدرسين الأولين : الأمين سالم ، والصدر الكردى ، ورجع الخطيب جلال الدين إلى الخطابة فى سابع عشر المحرم ، وعزل عنها البدر بن الحداد ، وباشر الصاحب شمس الدين نظر الجامع والأسرى والأوقاف قاطبة يوم الاثنين ، ثم خلع عليه وأضيف إليه شرف الدين بن صصرى فى نظر الجامع ، وكان ناظره مستقلا به قبلهما . وفى يوم عاشوراء قدم استدمر إلى دمشق متولياً نيابة حماة ، وسافر إليها بعد سبعة أيام .

وفى المحرم باشر بدر الدين بن الحداد نظر المارستان عوضاً عن شمس الدين بن الخطيرى و وقعت منازعة بين صدر الدين بن المرحل و بين الصدر سليمان الكردى بسبب العذراوية ، وكتبوا إلى الوكيل محضراً يتضمن من القبائح والفضائح والكفريات على ابن الوكيل ، فبادر ابن الوكيل إلى القاضى تقى الدين سليمان الحنبلى ، فحكم باسلامه وحقن دمه ، وحكم باسقاط التعزير عنه والحكم بعدالته واستحقاقه إلى المناصب . وكانت هذه هفوة من الحنبلى ، ولكن خرجت عنه المدرستان العذراوية لسليمان الكردى ، والشامية الجوانية للأمين سالم ، ولم يبق معه سوى دار الحديث الاشرفية . وفى ليلة الاثنين السابع من صفر وصل النجم محمد بن عثمان البصراوى من مصر متوليا الوزارة بالشام ، ومعه توقيع بالحسبة لاخيه فخر الدين سليمان ، فباشرا المنصبين بالجامع ، ونزلا بدرب سفون الذى يقال له درب ابن أبى الهيجاء ، ثم انتقل الوزير إلى دار الاعسر عند باب البريد ، واستمر نظر الخزانة لعز الدين أحمد بن القلانسى أخى الشيخ جلال الدين .

وفى مستهل ربيع الأول باشر القاضى جمال الدين الزرعى قضاء القضاة بمصر عوضا عن ابن جماعة ، وكان قد أخذ منه قبل ذلك فى ذى الحجة مشيخة الشيوخ ، وأعيدت إلى الكريم الايكى ، وأخذت منه الخطابة أيضا . وجاء البريد إلى الشام بطلب القاضى شمس الدين بن الحريرى لقضاء الديار المصرية ، فسار فى العشرين من ربيع الأول وخرج معه جماعة لتوديعه ، فلما قدم على السلطان أكرمه وعظمه وولاه قضاء الحنفية وتدريس الناصرية والصالحية ، وجامع الحاكم ، وعزل عن ذلك القاضى شمس الدين السروجى فمكث أياما ثم مات .

وفى نصف هذا الشهر مسك من دمشق سبعة أمراء ومن القاهرة أربعة عشر أميراً . وفى ربيع الآخر اهتم السلطان بطلب الامير سيف الدين سلار فحضر هو بنفسه إليه فعاتبه ثم استخلص منه أمواله وحواصله فى مدة شهر ، ثم قتل بعد ذلك فوجد معه من الاموال والحيوان والاملاك والاسلحة والمماليك والبغال والحمير أيضا والرباع شيئا كثيرا ، وأما الجواهر والذهب والفضة فشئ لا يحد

ولا يوصف فى كثرته ، وحاصل الأمر أنه قد استأثر لنفسه طائفة كبيرة من بيت المال وأموال المسلمين تجرى إليه ، ويقال إنه كان مع ذلك كثير العطاء كريما محببا إلى الدولة والرعية والله أعلم .

وقد باشر نيابة السلطنة بمصر من سنة ثمان وتسعين إلى أن قتل يوم الأربعاء رابع عشرين هذا الشهر ، ودفن بتربته ليلة الخميس بالقرافة ، سامحه الله . وفى ربيع الآخر درس القاضى شمس الدين بن المعز الحنفى بالظاهرية عوضاً عن شمس الدين الحريرى ، وحضر عنده خاله الصدر على قاضى قضاة الحنفية و بقية القضاة والأعيان . وفى هذا الشهر كان الأمير سيف الدين استدمر قد قدم دمشق لبعض أشغاله ، وكان له حنو على الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، فاستنجز له مرسوماً بنظر دار الحديث وتدريس العذراوية ، فلم يباشر ذلك حتى سافر استدمر ، فاتفق أنه وقعت له بعد يومين كائنة بدار ابن درباس بالصالحية ، وذكر أنه وجد عنده شئ من المنكرات، واجتمع عليه جماعة من أهل الصالحية مع الحنابلة وغيرهم ، و بلغ ذلك نائب السلطنة فكاتب فيه، فورد الجواب بعزله عن المناصب الدينية، فخرجت عنه دار الحديث الاشرفية و بقى بدمشق وليس بيده وظيفة لذلك ، فلما كان فى آخر رمضان سافر إلى حلب فقرر له نائبها استدمر شيئاً على الجامع ، ثم ولاه تدريساً هناك وأحسن إليه ، وكان الأمير استدمر قد انتقل إلى نيابة حلب فى جمادى الآخرة عوضاً عن سيف الدين قبجق توفى ، وباشر مملكة حماة بعده الأمير عماد الدين إسماعيل بن الأفضل على بن محمود بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وانتقل جمال الدين آقوش الأفرم من صرخد إلى نيابة طرابلس عوضا عن الحاج بهادر . وفى يوم الخميس سادس عشر شعبان باشر الشيخ كمال الدين ابن الزملكانى مشيخة دار الحديث الأشرفية عوضا عن ابن الوكيل ، وأخذ فى التفسير والحديث والفقه ، فذكر من ذلك دروسا حسنة، ثم لم يستمر بها سوى خمسة عشر يوما حتى انتزعها منه كمال الدين ابن الشريشى فباشرها يوم الاحد ثالث شهر رمضان . وفى شعبان رسم قراسنقر نائب الشام بتوسعة المقصورة ، فأخرت سدة المؤذنين إلى الركنين المؤخرين تحت قبة النسر ، ومنعت الجنائز من دخول الجامع أياماً ثم أذن فى دخولهم .

وفى خامس رمضان قدم فخر الدين إياس الذى كان نائبا فى قلعة الروم إلى دمشق شاد الدواوين عوضا عن زين الدين كتبغا المنصورى . وفى شوال باشر الشيخ علاء الدين على بن إسماعيل القونوى مشيخة الشيوخ بالديار المصرية عوضا عن الشيخ كريم الدين عبد الكريم بن الحسين الايكى توفى ، وكان له تحرير وهمة ، وخلع على القونوى خلعة سنية ، وحضر سعيد السعداء بها . وفى يوم الخميس ثالث ذى القعدة خلع على الصاحب عز الدين القلانسى خلعة الوزراء بالشام عوضا عن النجم البصراوى بحكم إقطاعه إمرة عشرة و إعراضه عن الوزارة . وفى يوم الاربعاء سادس عشر ذى القعدة

عاد الشيخ كمال الدين بن الزملكانى إلى تدريس الشامية البرانية . وفى هذا اليوم لبس تقى الدين ابن الصاحب شمس الدين بن السلعوس خلعة النظر على الجامع الأموى ، ومسك الأمير سيف الدين استدمر نائب حلب فى ثانى ذى الحجة ودخل إلى مصر ، وكذلك مسك نائب البيرة سيف الدين ضرغام بعده بليال .

وممن توفى فيها من الأعيان .

﴿ قاضى القضاة شمس الدين أبو العباس ﴾

أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى الحنفى ، شارح الهداية ، كان بارعا فى علوم شتى ، وولى الحكم بمصر مدة وعزل قبل موته بأيام ، توفى يوم الخميس ثانى عشر ربيع الآخر ودفن بقرب الشافعى وله اعتراضات على الشيخ تقى الدين بن تيمية فى علم الكلام ، أضحك فيها على نفسه ، وقد رد عليه الشيخ تقى الدين فى مجلدات ، وأبطل حجته * وفيها توفى سلار مقتولا كما تقدم .

﴿ الصاحب أمين الدين ﴾

أبو بكر بن الوجيه عبد العظيم بن يوسف المعروف بابن الرقاقى * والحاج بهادر نائب طرابلس مات بها ﴿ والأمير سيف الدين قبجق ﴾ نائب حلب مات بها ودفن بتربته بحماه ، ثانى جمادى الآخرة وكان شهما شجاعا ، وقد ولى نيابة دمشق فى أيام لاجين ، ثم قفز إلى التتر خوفا من لاجين ، ثم جاء مع التتر . وكان على يديه فرج المسلمين كما ذكرنا عام قازان ، ثم تنقلت به الأحوال إلى أن مات بحلب ، ثم وليها بعده استدمر ومات أيضا فى آخر السنة .

وفيها توفى . ﴿ الشيخ كريم الدين بن الحسين الأيكى ﴾

شيخ الشيوخ بمصر ، كان له صلة بالأمراء ، وقد عزل مرة عن المشيخة بابن جماعة ، توفى ليلة السبت سابع شوال بخانقاه سعيد السعداء ، وتولاها بعده الشيخ علاء الدين القونوى كما تقدم .

﴿ الفقيه عز الدين عبد الجليل ﴾

النمراوى الشافعى ، كان فاضلا بارعا ، وقد صحب سلار نائب مصر وارتفع فى الدنيا بسببه .

﴿ ابن الرفعة ﴾

هو الامام العلامة نجم الدين أحمد بن محمد شارح التنبيه ، وله غير ذلك ، وكان فقيها فاضلا وإماما فى علوم كثيرة رحمهم الله .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى عشرة وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها غير الوزير بمصر فانه عزل وتولى سيف الدين بكتمر وزيرا ، والنجم البصراوى عزل أيضا بعز الدين القلانسى ، وقد انتقل الأفرم إلى نيابة

طرابلس باشارة ابن تيمية على السلطان بذلك ، ونائب حماة الملك المؤيد عماد الدين على قاعدة أسلافه ، وقد مات نائب حلب استدمر وهى شاغرة عن نائب فيها ، وأرغون الدوادار الناصرى قد وصل إلى دمشق لتسفير قراسنقر منها إلى حلب وإحضار سيف الدين كراى إلى نيابة دمشق ، وغالب العساكر بحلب والأعراب محدقة بأطراف البلاد ، فخرج قراسنقر المنصورى من دمشق فى ثالث المحرم فى جميع حواصله وحاشيته وأتباعه ، وخرج الجيش لتوديعه ، وسار معه أرغون لتقريره بحلب وجاء المرسوم إلى نائب القلعة الأمير سيف الدين بهادر السنجرى أن يتكلم فى أمور دمشق إلى أن يأتيه نائب ، فحضر عنده الوزير والموقعون وباشر النيابة ، وقويت شوكته وقويت شوكة الوزير إلى أن ولى ولايات عديدة منها لابن أخيه عماد الدين نظر الأسرار ، واستمر فى يده ، وقدم نائب السلطنة سيف الدين كراى المنصورى إلى دمشق نائبا عليها . وفى يوم الخميس الحادى عشرين من المحرم خرج الناس لتلقيه وأوقدوا الشموع ، وأعيدت مقصورة الخطابة إلى مكانها رابع عشرين المحرم ، وانفرج الناس ولبس النجم البصراوى خلعة الامرة يوم الخميس ثالث عشر صفر على قاعدة الوزراء بالطرحة ، وركب مع المقدمين الكبار وهو أمير عشرة باقطاع يضاهى إقطاع كبار الطبلخانات .

وفى يوم الاربعاء سابع عشر ربيع الأول جلس القضاة الاربعة بالجامع لانفاذ أمر الشهود بسبب تزوير وقع من بعضهم ، فاطلع عليه نائب السلطنة فغضب وأمر بذلك ، فلم يكن منه كبير شئ ، ولم يتغير حال . وفى هذا اليوم ولى الشريف نقيب الأشراف أمين الدين جعفر بن محمد بن محيى الدين عدنان نظر الدواوين عوضا عن شهاب الدين الواسطى ، وأعيد تقى الدين بن الزكى إلى مشيخة الشيوخ . وفيه ولى ابن جماعة تدريس الناصرية بالقاهرة ، وضياء الدين النسائى تدريس الشافعى ، والميعاد العام بجامع طولون ، ونظر الاحباس أيضا . وولى الوزارة بمصر أمين الملك أبو سعيد عوضا عن سيف الدين بكتمر الحاجب فى ربيع الآخر . وفى هذا الشهر احتيط على الوزير عز الدين ابن القلانسى بدمشق ، ورسم عليه مدة شهرين ، وكان نائب السلطنة كثير الحنق عليه ، ثم أفرج عنه وأعيد بدر الدين بن جماعة إلى الحكم بديار مصر فى حادى عشر ربيع الآخر ، مع تدريس دار الحديث الكاملية ، وجامع طولون والصالحية والناصرية ، وجعل له إقبال كثير من السلطان ، واستقر جمال الدين الزرعى على قضاء العسكر وتدريس جامع الحاكم ، ورسم له أن يجلس مع القضاة بين الحنفى والحنبلى بدار العدل عند السلطان .

وفى مستهل جمادى الأولى أشهد القاضى نجم الدين الدمشقى نائب ابن صصرى على نفسه بالحكم ببطلان البيع فى الملك الذى اشتراه ابن القلانسى من تركة المنصورى فى الرمثا والثوجة والفصالية لكونه بدون ثمن المثل ، ونفذه بقية الحكام ، وأحضر ابن القلانسى إلى دار السعادة وادعى عليه بريع

ذلك ، ورسم عليه بها ، ثم حكم قاضي القضاة تقي الدين الحنبلي بصحة هذا البيع و بنقض ما حكم به الدمشقي ، ثم نفذ بقية الحكام ما حكم به الحنبلي. و في هذا الشهر قرر على أهل دمشق ألف وخمسمائة فارس لكل فارس خمسمائة درهم ، وضربت على الاملاك والأوقاف ، فتألم الناس من ذلك تألماً عظيما وسعى إلى الخطيب جلال الدين فسعى إلى القضاة واجتمع الناس بكرة يوم الاثنين ثالث عشر الشهر واحتفلوا بالاجتماع وأخرجوا معهم المصحف العثماني والأثر النبوي والسناجق الخليفية ، ووقفوا في الموكب فلما رآهم كراي تغيظ عليهم وشتم القاضي والخطيب، وضرب مجد الدين التونسي ورسم عليهم ثم أطلقهم بضمان وكفالة ، فتألم الناس من ذلك كثيرا ، فلم يمهله الله إلا عشرة أيام فجاءه الأمر فجأة فعزل وحبس ،ففرح الناس بذلك فرحا شديدا ، و يقال إن الشيخ تقي الدين بلغه ذلك الخبر عن أهل الشام فأخبر السلطان بذلك فبعث من فوره فمسكه شر مسكة ، وصفة مسكه أن تقدم الامير سيف الدين أرغون الدوادار فنزل في القصر ، فلما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الاولى خلع على الامير سيف الدين كراي خلعة سنية، فلبسها وقبل العتبة ، وحضر الموكب ومد السماط ، فقيد بحضرة الامراء وحمل على البريد إلى الكرك صحبة غرلو العادلي ، و بيبرس المجنون . وخرج عز الدين القلانسي من الترسيم من دار السعادة ، فصلى في الجامع الظهر ثم عاد إلى داره وقد أوقدت له الشموع ودعا له الناس ، ثم رجع إلى دار الحديث الأشرفية فجلس فيها نحوا من عشرين يوما ، حتى قدم الأمير جمال الدين نائب الكرك .

و في هذا الشهر مسك نائب صفت الأمير سيف الدين بكتمر أمير خزندار ، وعوض عنه بالكرك بيبرس الدوادار المنصوري ، ومسك نائب غزة ، وعوض عنه بالجاولي ، فاجتمع في حبس الكرك استدمر نائب حلب ، و بكتمر نائب مصر، وكراي نائب دمشق ، وقطلوبك نائب صفت ، وقلطتمز نائب غزة و بنحاص . وقدم جمال الدين آقوش المنصوري الذي كان نائب الكرك على نيابة دمشق إليها في يوم الاربعاء رابع عشر ربيع الآخر ، وتلقاه الناس وأشعلت له الشموع ، وفي صحبته الخطيري لتقريره في النيابة ، وقد باشر نيابة الكرك من سنة تسعين وستمائة إلى سنة تسع وسبعمائة وله بها آثار حسنة ، وخرج عز الدين بن القلانسي لتلقي النائب . وقرئ يوم الجمعة كتاب السلطان على السدة بحضرة النائب والقضاة والاعيان ، وفيه الامر بالاحسان إلى الرعية و إطلاق البواقي التي كانت قد فرضت عليهم أيام كراي ، فكثرت الأدعية للسلطان وفرح الناس. وفي يوم الاثنين التاسع عشر خلع على الأمير سيف الدين بهادراص بنيابة صفت فقبل العتبة وسار إليها يوم الثلاثاء ، وفيه لبس الصدر بدر الدين بن أبي الفوارس خلعة نظر الدواوين بدمشق ، مشاركا للشريف ابن عدنان و بعد ذلك بيومين قدم تقليد عز الدين بن القلانسي وكالة السلطان على ما كان عليه ، وأنه أعفي

عن الوزارة لكراهته لذلك .

وفى رجب باشر ابن السلعوس نظر الأوقاف عوضا عن شمس الدين عدنان . وفى شعبان ركب نائب السلطنة بنفسه إلى أبواب السجون فأطاق المحبوسين بنفسه، فتضاعفت له الأدعية فى الاسواق وغيرها . وفى هذا اليوم قدم الصاحب عز الدين بن القلانسى من مصر فاجتمع بالنائب وخلع عليه ومعه كتاب يتضمن احترامه وإكرامه واستمراره على وكالة السلطان ، ونظر الخاص والانكار لما ثبت عليه بدمشق ، وأن السلطان لم يعلم بذلك ولا وكل فيه ، وكان المساعد له على ذلك كريم الدين ناظر الخاص السلطانى ، والامير سيف الدين أرغون الدوادار . وفى شعبان منع ابن صصرى الشهود والعقاد من جهته ، وامتنع غيرهم أيضاً وردهم المالكى . وفى رمضان جاء البريد بتولية زين الدين كتبغا المنصورى حجوبية الحجاب ، والأمير بدر الدين ملتوبات القرمانى شد الدواوين عوضا عن طوغان ، وخلع عليهما معا ، وفيها ركب بهادر السنجرى نائب قلعة دمشق على البريد إلى مصر وتولاها سيف الدين بلبان البدرى ، ثم عاد السنجرى فى آخر النهار على نيابة البيرة ، فسار إليها وجاء الخبر بأنه قد احتيط على جماعة من قصاد المسلمين ببغداد، فقتل منهم ابن العقاب وابن البدر، وخلص عبيدة وجاء سالما . وخرج المحمل فى شوال وأمير الحاج الامير علاء الدين طيبغا أخوبها دراص .

وفى آخر ذى القعدة جاء الخبر بأن الأمير قرا سنقر رجع من طريق الحجاز بعد أن وصل إلى بركة زيزاء وأنه لحق بمهنا بن عيسى فاستجار به خائفا على نفسه ومعه جماعة من خواصه، ثم سار من هناك إلى التتر بعد ذلك كله ، وصحبه الأفرم والزردكاش . وفى العشرين من ذى القعدة وصل الأمير سيف الدين أرغون فى خمسة آلاف إلى دمشق وتوجهوا إلى ناحية حمص ، وتلك النواحى . وفى سابع ذى الحجة وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشى من مصر مستمرا على وكالته ومعه توقيع بقضاء العسكر الشامى، وخلع عليه فى يوم عرفة . وفى هذا اليوم وصلت ثلاثة آلاف عليهم سيف الدين ملى من الديار المصرية فتوجهوا وراء أصحابهم إلى البلاد الشمالية . وفى آخر الشهر وصل شهاب الدين الكاشنغرى من القاهرة ومعه توقيع بمشيخة الشيوخ ، فنزل فى الخانقاه وباشرها بحضرة القضاة والأعيان ، وانفصل ابن الزكى عنها . وفيه باشر الصدر علاء الدين بن تاج الدين بن الأثير كتابة السر بمصر ، وعزل عنها شرف الدين بن فضل الله ، إلى كتابة السر بدمشق عوضا عن أخيه محيى الدين ، واستمر محيى الدين على كتابة الدست بمعلوم أيضا والله أعلم .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الرئيس بدر الدين ﴾

محمد بن رئيس الأطباء أبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصارى ، من سلالة سعد ابن معاذ السويدى ، من سويداء حوران ، سمع الحديث وبرع فى الطب ، توفى فى ربيع الأول

ببستانه بقرب الشبلية ، ودفن فى تربة له فى قبة فيها عن ستين سنة .

﴿ الشيخ شعبان بن أبى بكر بن عمر الاربلى ﴾

شيخ الحلبية بجامع بنى أمية ، كان صالحا مباركا فيه خير كثير ، كان كثير العبادة و إيجاد الراحة للفقراء ،وكانت جنازته حافلة جداً ، صلى عليه بالجامع بعد ظهر يوم السبت تاسع عشرين رجب ودفن بالصوفية وله سبع وثمانون سنة ، وروى شيئا من الحديث وخرجت له مشيخة حضرها الأكابر رحمه الله .

﴿ الشيخ ناصر الدين يحيى بن إبراهيم ﴾

ابن محمد بن عبد العزيز العثمانى ، خادم المصحف العثمانى نحواً من ثلاثين سنة ، وصلى عليه بعد الجمعة سابع رمضان ودفن بالصوفية ، وكان لنائب السلطنة الأفرم فيه اعتقاد و وصله منه افتقاد ، و بلغ خمسا وستين سنة .

﴿ الشيخ الصالح الجليل القدوة ﴾

أبو عبد الله محمد بن الشيخ القدوة إبراهيم بن الشيخ عبد الله الأموى ، توفى فى العشرين من رمضان بسفح قاسيون ،وحضر الأمراء والقضاة والصدور جنازته وصلى عليه بالجامع المظفرى ، ثم دفن عند والده وغلق يومئذ سوق الصالحية له ،وكانت له وجاهة عند الناس وشفاعة مقبولة ، وكان عنده فضيلة وفيه تودد ، وجمع أجزاء فى أخبار جيدة ، وسمع الحديث وقارب السبعين رحمه الله .

﴿ ابن الوحيد الكاتب ﴾

هو الصدر شرف الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف الزرعى المعروف بابن الوحيد ، كان موقعا بالقاهرة وله معرفة بالانشاء و بلغ الغاية فى الكتابة فى زمانه ، وانتفع الناس به،وكان فاضلا مقداما شجاعا ، توفى بالمارستان المنصورى بمصر سادس عشر شوال .

﴿ الأمير ناصر الدين ﴾

محمد بن عماد الدين حسن بن النسائى أحد أمراء الطبلخانات ، وهو حاكم البندق ، ولى ذلك بعد سيف الدين بلبان ، توفى فى العشرين الأخر من رمضان .

﴿ التميمى الدارى ﴾

توفى يوم عيد الفطر ودفن بالقرافة الصغرى ، وقد ولى الوزارة بمصر ، وكان خبيرا كافيا ، مات معزولا ، وقد سمع الحديث وسمع عليه بعض الطلبة .

و فى ذى القعدة جاء الخبر إلى دمشق بوفاة الأمير الكبير استدمر وبنخاص فى السجن بقلعة الكرك .

﴿ القاضى الامام العلامة الحافظ ﴾

سعد الدين مسعود الحارثى الحنبلى الحاكم بمصر ، سمع الحديث ، وجمع وخرج وصنف ، وكانت

له يد طولى فى هذه الصناعة والأسانيد والمتون ، وشرح قطعة من سنن أبى داود فأجاد وأفاد ، وحسن الاسناد ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها ، وفى خامس المحرم توجه الأمير عز الدين ازدمر الزردكاش وأميران معه إلى الأفرم ، وساروا بأجمعهم حتى لحقوا بقراسنقر وهو عند مهنا ، وكاتبوا السلطان وكانوا كالمستجيرين من الرمضاء بالنار ، وجاء البريد فى صفر بالاحتياط على حواصل الافرم وقراسنقر والزردكاش وجميع ما يتعلق بهم ، وقطع خبز مهنا وجعل مكانه فى الامرة أخاه محمداً ، وعادت العساكر صحبة أرغون من البلاد الشمالية ، وقد حصل عند الناس من قراسنقر وأصحابه هم وغم وحزن ، وقدم سودى من مصر على نيابة حلب فاجتاز بدمشق فخرج الناس والجيش لتلقيه ، وحضر السماط وقرئ المنشور بطلب جمال الدين نائب دمشق إلى مصر ، فركب من ساعته على البريد إلى مصر وتكلم فى نيابته لغيبة لاجين . وطلب فى هذا اليوم قطب الدين موسى شيخ السلامية ناظر الجيش إلى مصر ، فركب فى آخر النهار إليها فتولى بها نظر الجيش عوضا عن فخر الدين الكاتب كاتب المماليك بحكم عزله ومصادرته وأخذ أمواله الكثيرة منه ، فى عاشر ربيع الأول . وفى الحادى عشر منه باشر الحكم للحنابلة بمصر القاضى تقى الدين أحمد بن المعز عمر بن عبدالله بن عمر بن عوض المقدسى ، وهو ابن بنت الشيخ شمس الدين بن العماد أول قضاة الحنابلة ، وقدم الأمير سيف الدين تمر على نيابة طرابلس عوضا عن الأفرم بحكم هربه إلى التتر . وفى ربيع الآخر مسك بيبرس العلائى نائب حمص و بيبرس المجنون وطوغان وجماعة آخرون من الأمراء ستة فى نهار واحد وسيروا إلى الكرك معتقلين بها . وفيه مسك نائب مصر الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى ، وولى بعده أرغون الدوادار ، ومسك نائب الشام جمال الدين نائب الكرك وشمس الدين سنقر الكمالى حاجب الحجاب بمصر ، وخمسة أمراء آخرون وحبسوا كلهم بقلعة الكرك ، فى برج هناك . وفيه وقع حريق داخل باب السلامية احترق فيه دور كثيرة منها دار ابن أبى الفوارس ، ودار الشريف القبانى .

﴿ نيابة تنكز على الشام ﴾

فى يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر دخل الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله المالكى الناصرى نائبا على دمشق بعد مسك نائب الكرك ومعه جماعة من مماليك السلطان منهم الحاج ارقطاى على حيز بيبرس العلائى ، وخرج الناس لتلقيه وفرحوا به كثيراً ، ونزل بدار السعادة ووقع عند قدومه مصر فرح عظيم ، وكان ذلك اليوم يوم الرابع والعشرين من آب ، وحضر يوم الجمعة الخطبة بالمقصورة وأشعلت له الشموع فى طريقه ، وجاء توقيع لابن صصرى باعادة

قضاء العسكر إليه ، وأن ينظر الأوقاف فلا يشاركه أحد فى الاستنابة فى البلاد الشامية على عادة من تقدمه من قضاة الشافعية ، وجاء مرسوم لشمس الدين أبى طالب بن حميد بنظر الجيش عوضاً عن ابن شيخ السلامية بحكم إقامته بمصر ، ثم بعد أيام وصل الصدر معين الدين هبة الله بن خشيش ناظر الجيش وجعل ابن حميد بوظيفة ابن البدر ، وسافر ابن البدر على نظر جيش طرابلس ، وتولى أرغون نيابة مصر وعاد فخر الدين كاتب المماليك إلى وظيفته مع استمرار قطب الدين بن شيخ السلامية مباشراً معه .

وفى هذا الشهر قام الشيخ محمد بن قوام ومعه جماعة من الصالحين على ابن زهرة المغربى الذى كان يتكلم بالكلاسة وكتبوا عليه محضراً يتضمن استهانته بالمصحف ، وأنه يتكلم فى أهل العلم ، فأحضر إلى دار العدل فاستسلم وحقن دمه وعزر تعزيراً بليغاً عنيفاً وطيف به فى البلد باطنه وظاهره ، وهو مكشوف الرأس و وجهه مقلوب وظهره مضروب ، ينادى عليه هذا جزاء من يتكلم فى العلم بغير معرفة ، ثم حبس وأطلق فهرب إلى القاهرة ، ثم عاد على البريد فى شعبان و رجع إلى ما كان عليه . وفيها قدم بهادراص من نيابة صفد إلى دمشق وهنأه الناس ، وفيها قدم كتاب من السلطان إلى دمشق أن لا يولى أحد بمال ولا برشوة فان ذلك يفضى إلى ولاية من لا يستحق الولاية ، و إلى ولاية غير الأهل ، فقرأه ابن الزملكانى على السدة و بلغه عنه ابن حبيب المؤذن ، وكان سبب ذلك الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله .

وفى رجب وشعبان حصل للناس خوف بدمشق بسبب أن التتر قد تحركوا للمجئ إلى الشام ، فانزعج الناس من ذلك وخافوا ، وتحول كثير منهم إلى البلد ، وازدحموا فى الأبواب ، وذلك فى شهر رمضان وكثرت الأراجيف بأنهم قد وصلوا إلى الرحبة ، وكذلك جرى واشتهر بأن ذلك باشارة قراسنقر وذويه فالله أعلم . وفى رمضان جاء كتاب السلطان أن من قتل لا يجنى أحد عليه ، بل يتبع القاتل حتى يقتص منه بحكم الشرع الشريف ، فقرأه ابن الزملكانى على السدة بحضرة نائب السلطنة ابن تنكز وسببه ابن تيمية ، هو أمر بذلك و بالكتاب الأول قبله . وفى أول رمضان وصل التتر إلى الرحبة فحاصروها عشرين يوماً وقاتلهم نائبها الأمير بدر الدين موسى الأزدكشى خمسة أيام قتالا عظيما ، ومنعهم منها فأشار رشيد الدولة بأن ينزلوا إلى خدمة السلطان خربندا و يهدوا له هدية و يطلبون منه العفو ، فنزل القاضى نجم الدين إسحاق وأهدوا له خمسة رؤس خيل ، وعشرة أباليج سكر ، فقبل ذلك و رجع إلى بلاده ، وكانت بلاد حلب وحماة وحمص قد أجلوا منها وخرب أكثرها ثم رجعوا إليها لما تحققوا رجوع التتر عن الرحبة ، وطابت الاخبار وسكنت النفوس ودقت البشائر وتركت الأئمة القنوت ، وخطب الخطيب يوم العيد وذكر الناس بهذه النعمة . وكان سبب رجوع التتر قلة العلف

وغلاء الأسعار وموت كثير منهم ، وأشار على سلطانهم بالرجوع الرشيد وجوبان .

وفى ثامن شوال دقت البشائر بدمشق بسبب خروج السلطان من مصر لأجل ملاقاة التتر ، وخرج الركب فى نصف شوال وأميرهم حسام الدين لاجين الصغير ، الذى كان والى البر . وقدمت العساكر المصرية أرسالا ، وكان قدوم السلطان ودخوله دمشق ثالث عشرين شوال ، واحتفل الناس لدخوله ونزل القلعة و زينت البلد وضربت البشائر ، ثم انتقل بعد ليلتئذ إلى القصر وصلى الجمعة بالجامع بالمقصورة وخلع على الخطيب ، وجلس فى دار العدل يوم الاثنين ، وقدم وزيره أمين الملك يوم الثلاثاء عشرين الشهر ، وقدم صحبة السلطان الشيخ الامام العالم العلامة تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية إلى دمشق يوم الأربعاء مستهل ذى القعدة وكانت غيبته عنها سبع سنين ، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه ، وخرج خلق كثير لتلقيه وسروا بقدومه وعافيته ورؤيته ، واستبشروا به حتى خرج خلق من النساء أيضاً لرؤيته ، وقد كان السلطان صحبه معه من مصر فخرج معه بنية الغزاة ، فلما تحقق عدم الغزاة وأن التتر رجعوا إلى بلادهم فارق الجيش من غزة و زار القدس وأقام به أياما ، ثم سافر على عجلون و بلاد السواد و زرع ، و وصل دمشق فى أول يوم من ذى القعدة ، فدخلها فوجد السلطان قد توجه إلى الحجاز الشريف فى أربعين أميراً من خواصه يوم الخميس ثانى ذى القعدة ، ثم إن الشيخ بعد وصوله إلى دمشق واستقراره بها لم يزل ملازماً لاشتغال الناس فى سائر العلوم ونشر العلم وتصنيف الكتب و إفتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة والاجتهاد فى الاحكام الشرعية ففى بعض الأحكام يفتى بما أدى إليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الاربعة ، وفى بعضها يفتى بخلافهم وبخلاف المشهور فى مذاهبهم ، وله اختيارات كثيرة مجلدات عديدة أفتى فيها بما أدى إليه اجتهاده ، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف .

فلما سار السلطان إلى الحج فرق العساكر والجيوش بالشام وترك أرغون بدمشق . وفى يوم الجمعة لبس الشيخ كمال الدين الزملكانى خلعة وكالة بيت المال عوضاً عن ابن الشريشى ، وحضر بها الشباك وتكلم وزير السلطان فى البلد ، وطلب أموالا كثيرة وصادر وضرب بالمقارع وأهان جماعة من الرؤساء منهم ابن فضل الله محيى الدين . وفيه عين شهاب الدين بن جهبل لتدريس الصلاحية بالمقدس عوضا عن نجم الدين داود الكردى توفى ، وقد كان مدرسا بها من نحو ثلاثين سنة ، فسافر ابن جهبل إلى القدس بعد عيد الأضحى .

وفيها مات ملك القفجاق المسمى طقطاى خان ، وكان له فى الملك ثلاث وعشرون سنة ، وكان عمره ثمانا وثلاثين سنة ، وكان شهما شجاعا على دين التتر فى عبادة الاصنام والكواكب ، يعظم المجسمة والحكماء والاطباء ويكرم المسلمين أكثر من جميع الطوائف ، كان جيشه هائلا لايجسر

أحد على قتاله لكثرة جيشه وقوتهم وعددهم وعـددهم ، و يقال إنه جرد مرة تجريدة من كل عشرة من جيشه واحداً فبلغت التجريدة مائتى ألف وخمسين ألفاً ، توفى فى رمضان منهـا وقام فى الملك من بعده ابن أخيه أزبك خان ، وكان مسلما فأظهر دين الاسلام ببلاده ، وقتل خلقاًمن أمراء الكفرة وعلت الشرائع المحمدية على سائر الشرائع هناك ولله الحمد والمنة على الاسلام والسنة .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ الملك المنصور صاحب ماردين ﴾

وهو نجم الدين أبو الفتح غازى بن الملك المظفر قرارسلان بن الملك السعيد نجم الدين غازى بن الملك المنصور ناصر الدين ارتق بن غازى بن المنى بن تمرتاش بن غازى بن أرتق الأرتقى أصحـاب ماردين من عدة سنين ، كان شيخا حسنا مهيبا كامل الخلقة بدينا سمينا إذا ركب يكون خلفـه محفة خوفا من أن يمسه لغوب فيركب فيها ، توفى فى تاسع ربيع الآخر ودفن بمدرسته تحت القلعة ، وقد بلغ من العمر فوق السبعين ، ومكث فى الملك قريبا من عشرين سنة ، وقام من بعـده فى الملك ولده العادل فمكث سبعة عشر يوما ، ثم ملك أخوه المنصور . وفيها مات

﴿ الامير سيف الدين قطلوبك الشيخى ﴾

كان من أمراء دمشق الكبار . ﴿ الشيخ الصالح ﴾

نور الدين أبو الحسن على بن محمد بن هارون بن محمد بن هارون بن عـلى بن حميـد الثعلبى الدمشقى ، قارئ الحديث بالقاهرة ومسندها، روى عن ابن الزبيدى وابن الليثى وجعفر الهمدانى وابن الشيرازى وخلق ، وقدخرج له الامام العلامة تقى الدين السبكى مشيخة ، وكان رجلا صالحا توفى بكرة الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر ، وكانت جنازته حافلة .

﴿ الامير الكبير الملك المظفر ﴾

شهاب الدين غازى بن الملك الناصر داود بن المعظم ، سمع الحـديث وكان رجلا متواضعا توفى بمصر ثانى عشر رجب ، ودفن بالقاهرة . ﴿ قاضى القضاة ﴾

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن خازم الازرعى الحنفى ، كان فاضلا درس وأفتى و ولى قضاء الحنفية بدمشق سنة ثم عزل واستمر على تدريس الشبلية مدة ثم سـافر إلى مصر فأقام بسعيد السعداء خمسة أيام وتوفى يوم الاربعاء ثانى عشرين رجب فالله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ﴾

استهلت والحـكام هم هم ، والسلطان فى الحجاز لم يقدم بعد ، وقد قدم الأمير سـيف الدين بجليس يوم السبت مستهل المحرم من الحجاز وأخبر بسلامة السلطان وأنه فارقه من المدينة النبوية ، وأنه قد قارب البلاد ، فدقت البشائر فرحا بسلامته ، ثم جاء البريد فأخبر بدخوله إلى الـكرك ثانى

المحرم يوم الأحد ، فلما كان يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم دخل دمشق وقد خرج الناس لتلقيه على العادة ، وقد رأيته مرجعه من هذه الحجة على شفته و رقة قد ألصقها عليها ، فنزل بالقصر وصلى الجمعة رابع عشر المحرم بمقصورة الخطابة ، وكذلك الجمعة التى تليها ، ولعب فى الميدان بالكرة يوم السبت النصف من المحرم ، وولى نظر الدواوين للصاحب شمس الدين غبريال يوم الاحد حادى عشر المحرم وشد الدواوين لفخر الدين إياس الاعسرى عوضا عن القرمانى ، وسافر القرمانى إلى نيابة الرحبة وخلع عليهما وعلى وزيره ، وخلع على ابن صصرى وعلى الفخر كاتب المماليك ، وكان مع السلطان فى الحج ، وولى شرف الدين بن صصرى حجابة الديوان وباشر فخر الدين ابن شيخ السلامية نظر الجامع ، وباشر بهاء الدين بن عليم نظر الاوقاف ، والمنكورسى شد الاوقاف . وتوجه السلطان راجعا إلى الديار المصرية بكرة الخميس السابع والعشرين من المحرم ، وتقدمت الجيوش بين يديه ومعه . وفى أواخر صفر اجتاز على البريد فى الرسلية إلى مهنا الشيخ صدر الدين الوكيل وموسى بن مهنا والامير علاء الدين الطنبغا فاجتمعوا به فى تدمر ثم عاد الطنبغا وابن الوكيل إلى القاهرة .

وفى جمادى الآخرة مسك أمين الملك وجماعة من الكبار معه وصودروا بأموال كثيرة ، وأقيم عوضه بدر الدين بن التركمانى الذى كان والى الخزانة . وفى رجب كملت أربعة مناجيق واحد لقلعة دمشق وثلاثة تحمل إلى الكرك ، ورمى باثنين على باب الميدان وحضر نائب السلطنة تنكز والعامة وفى شعبان تكامل حفر النهر الذى عمله سودى نائب حلب بها ، وكان طوله من نهر الساجور إلى نهر قويق أربعين ألف ذراع فى عرض ذراعين وعمق ذراعين ، وغرم عليه ثلثمائة ألف درهم ، وعمل بالعدل ولم يظلم فيه أحداً . وفى يوم السبت ثامن شوال خرج الركب من دمشق وأميره سيف الدين بلبان التترى ، وحج صاحب حماة فى هذه السنة وخلق من الروم والغرباء . وفى يوم السبت السادس والعشرين من ذى الحجة وصل القاضى قطب الدين موسى ابن شيخ السلامية من مصر على نظر الجيوش الشامية كما كان قبل ذلك ، وراح معين الدين بن الخشيش إلى مصر فى رمضان صحبة الصاحب شمس الدين بن غبريال وبعد وصول ناظر الجيوش بيومين وصلت البشائر بمقتضى إزالة الاقطاعات لما رآه السلطان بعد نظره فى ذلك أربعة أشهر .

وممن توفى فيها من الاعيان .

﴿ الشيخ الامام المحدث ﴾

فخر الدين أبو عمرو عفان بن محمد بن عثمان بن أبى بكر بن محمد بن داود التوزى بمكة يوم الاحد حادى ربيع الآخر ، وقد سمع الكثير ، وأجازه خلق يزيدون على ألف شيخ ، وقرأ الكتب الكبار وغيرها ، وقرأ صحيح البخارى أكثر من ثلاثين مرة رحمه الله :

﴿ عز الدين محمد بن العدل ﴾

شهاب الدين أحمد بن عمر بن إلياس الرهاوى ، كان يباشر استيفاء الأوقاف وغير ذلك ، وكان من أخصاء أمين الملك ، فلما مسك بمصر أرسل إلى هذا وهو معتقل بالعذراوية ليحضر على البريد فرض فمات بالمدرسة العذراوية ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الآخرة ، وله من العمر خمس وثلاثون سنة ، وكان قد سمع من ابن طبرزد الكندى ، ودفن من الغد بباب الصغير ، وترك من بعده ولدين ذكرين جمال الدين محمد ، وعز الدين .

﴿ الشيخ الكبير المقرى ﴾

شمس الدين المقصاى ، هو أبو بكر بن عمر بن السبع الجزرى المعروف بالمقصاى نائب الخطيب وكان يقرئ الناس بالقراءات السبع وغيرها من الشواذ ، وله إلمام بالنحو ، وفيه ورع واجتهاد ، توفى ليلة السبت حادى عشرين جمادى الآخرة ودفن من الغد بسفح قاسيون تجاه الرباط الناصرى ، وقد جاوز الثمانين رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم هم فى التى قبلها إلا الوزير أمين الملك فمكانه بدر الدين التركمانى . وفى رابع المحرم عاد الصاحب شمس الدين غبريال من مصر على نظر الدواوين وتلقاه أصحابه . وفى عاشر المحرم يوم الجمعة قرىء كتاب السلطان على السدة بحضرة نائب السلطنة والقضاة والأمراء يتضمن باطلاق البواقى من سنة ثمان وتسعين وستمائة إلى آخر سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، فتضاعفت الادعية للسلطان وكان القارىء جمال الدين بن القلانسى ومبلغه صدر الدين بن صبح المؤذن ، ثم قرىء فى الجمعة الاخرى مرسوم آخر فيه الافراج عن المسجونين وأن لا يؤخذ من كل واحد إلا نصف درهم ، ومرسوم آخر فيه إطلاق السخر فى القصب وغيره عن الفلاحين ، قرأه ابن الزملكانى وبلغه عنه أمين الدين محمد بن مؤذن النجيبى . وفى المحرم استحضر السلطان إلى بين يديه الفقيه نور الدين على البكرى وهم بقتله شفع فيه الأمراء فنفاه ومنعه من الكلام فى الفتوى والعلم ، وكان قد هرب لما طلب من جهة الشيخ تقى الدين بن تيمية فهرب واختفى ، وشفع فيه أيضا ، ثم لما ظفر به السلطان الآن وأراد قتله شفع فيه الأمراء فنفاه ومنعه من الكلام والفتوى ، وذلك لاجترائه وتسرعه على التكفير والقتل والجهل الحامل له على هذا وغيره . وفى يوم الجمعة مستهل صفر قرأ ابن الزملكانى كتابا سلطانيا على السدة بحضرة نائب السلطان القاضى وفيه الأمر بابطال ضمان القواسير وضمان النبيذ وغير ذلك ، فدعا الناس للسلطان . وفى أواخر ربيع الأول اجتمع القضاة بالجامع للنظر فى أمر الشهود ونهوهم عن الجلوس فى المساجد ، وأن لا يكون أحد منهم فى مركزين ، وأن لا يتولوا

ثبات الكتب ولا يأخذوا أجرا على أداء الشهادة وأن لا يغتابوا أحدا وأن يتناصفوا فى المعيشة ثم جلسوا مرة ثانية لذلك وتواعدوا ثالثة فلم يتفق اجتماعهم ، ولم يقطع أحد من مركزه .

وفى يوم الاربعاء الخامس والعشرين منه عقد مجلس فى دار ابن صصرى لبدر الدين بن بضيان وأنكر عليه شئ من القراءات فالتزم بترك الاقراء بالكلية ثم استأذن بعد أيام فى الاقراء فأذن له فجلس بين الظهر والعصر بالجامع وصارت له حلقة على العادة . وفى منتصف رجب توفى نائب حلب الامير سيف الدين سودى ودفن بتربته وولى مكانه علاء الدين الطنبغا الصالحى الحاجب بمصر ، قبل هذه النيابة . وفى تاسع شعبان خلع على الشريف شرف الدين عدنان بنقابة الاشراف بعد والده أمين الدين جعفر توفى فى الشهر الماضى .

وفى خامس شوال دفن الملك شمس الدين دوباج بن ملكشاه بن رستم صاحب كيلان بتربته المشهورة بسفح قاسيون ، وكان قد قصد الحج فى هذا العام ، فلما كان بغباغب أدركته منيته يوم السبت سادس عشرين رمضان فحمل إلى دمشق وصلى عليه ودفن فى هذه التربة ، اشتريت له وتممت وجاءت حسنة وهى مشهورة عند المكارية شرقى الجامع المظفرى ، وكان له فى مملكة كيلان خمسة وعشرون سنة ، وعمر أربعا وخمسين سنة ، وأوصى أن يحج عنه جماعة ففعل ذلك وخرج الركب فى ثالث شوال وأميره سيف الدين سنقر الابراهيمى وقاضيه محيى الدين قاضى الزبدانى . وفى يوم الخميس سابع ذى القعدة قدم القاضى بدر الدين بن الحداد من القاهرة متوليا حسبة دمشق فخلع عليه عوضا عن فخر الدين سليمان البصراوى ، عزل فسافر سريعا إلى البرية ليشترى خيلا للسلطان يقدمها رشوة على المنصب المذكور ، فاتفق موته فى البرية فى سابع عشر الشهر المذكور ، وحمل إلى بصرى فدفن بها عند أجداده فى ثامن ذى القعدة ، وكان شابا حسنا كريم الاخلاق حسن الشكل . وفى أواخره مسك نائب صفد بلبان طوباى المنصورى وسجن وتولى مكانه سيف الدين بلباى البدرى . وفى سادس ذى الحجة تولى ولاية البر الامير علاء الدين على بن محمود بن معبد البعلبكى عوضا عن شرف الدين عيسى بن البركامى ، وفى يوم عيد الاضحى وصل الامير علاء الدين بن صبيح من مصر وقد أفرج عنه فسلم عليه الامراء . وفى هذا الشهر أعيد أمين الملك إلى نظر النظار بمصر وخلع على الصاحب بهاء الدين النسائى بنظر الخزانة عوضا عن سعد الدين حسن بن الاقفاصى . وفيه وردت البريدية بأمر السلطان للجيوش الشامية بالمسير إلى حلب وأن يكون مقدم العساكر كلها تنكز نائب الشام ، وقدم من مصر ستة آلاف مقاتل عليهم الامير سيف الدين بكتمر الابوبكرى ، وفيهم تجليس و بدر الدين الوزيرى ، وكتشلى وابن طيبرس وشاطى وابن سلار وغيرهم ، فتقدموا إلى البلاد الحلبية بين يدى نائب الشام تنكز

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ سودى نائب حلب فى رجب ﴾

ودفن بتربته ، وهو الذى كان السبب فى إجراء نهر إليها ، غرم عليه ثلثمائة ألف درهم ، وكان مشكور السيرة حميد الطريقة رحمه الله . وفى شعبان توفى

﴿ الصاحب شرف الدين ﴾

يعقوب بن مزهر وكان باراً بأهله وقرابته رحمه الله .

﴿ والشيخ رشيد أبو الفدا إسماعيل ﴾

أبو محمد القرشى الحنفى المعروف بابن المعلم ، كان من أعلام الفقهاء والمفتيين ، ولديه علوم شتى وفوائد وفرائد ، وعنده زهد وانقطاع عن الناس ، وقد درس بالبلخية مدة ثم تركها لولده وسار إلى مصر فأقام بها ، وعرض عليه قضاء دمشق فلم يقبل ، وقدجاوز السبعين من العمر ، توفى سحر يوم الأربعاء خامس رجب ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى . وفى شوال توفى . .

﴿ الشيخ سليمان التركمانى ﴾

المولہ الذى كان يجلس على مصطبته بالعلبيين ، وكان قبل ذلك مقيما بطهارة باب البريد ، وكان لا يتحاشى من النجاسات ولا يتقيها ، ولا يصلى الصلوات ولا يأتيها ، وكان بعض الناس من الهمج له فيه عقيدة قاعدة الهمج الرعاع الذين هم أتباع كل ناعق من المولهين والمجانين ، ويزعمون أنه يكاشف وأنه رجل صالح ، ودفن بباب الصغير فى يوم كثير الثلج .

وفى يوم عرفة توفيت .

﴿ الشيخة الصالحة العابدة الناسكة ﴾

أم زينب فاطمة بنت عباس بن أبى الفتح بن محمد البغدادية بظاهر القاهرة ، وشهدها خلق كثير ، وكانت من العالمات الفاضلات ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقوم على الأحمدية فى مواخاتهم النساء والمردان ، وتنكر أحوالهم وأصول أهل البدع وغيرهم ، وتفعل من ذلك مالا تقدر عليه الرجال ، وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقى الدين بن تيمية فاستفادت منه ذلك وغيره ، وقد سمعت الشيخ تقى الدين يثنى عليها ويصفها بالفضيلة والعلم ، ويذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيراً من المغنى أو أكثره ، وأنه كان يستعد لها من كثرة مسائلها وحسن سؤالاتها وسرعة فهمها ، وهى التى ختّمت نساء كثيرا القرآن ، منهن أم زوجتى عائشة بنت صديق ، زوجة الشيخ جمال الدين المزى ، وهى التى أقرأت ابنتها زوجتى أمة الرحيم زينب رحمهن الله وأكرمهن برحمته وجنته آمين.

﴿ ثم دخلت سنة خمس عشرة وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام فى البلاد هم المذكورون فى التى قبلها .

﴿ فتح ملطية ﴾

فى يوم الاثنين مستهل المحرم خرج سيف الدين تنكز فى الجيوش قاصداً ملطية وخرجت الاطلاب على راياتها وأبرزوا ما عندهم من العدد وآلات الحرب ، وكان يوما مشهوداً ، وخرج مع الجيش ابن صصرى لأنه قاضى العساكر وقاضى قضاة الشامية ، فساروا حتى دخلوا حلب فى الحادى عشر من الشهر ، ومنها وصلوا فى السادس عشر إلى بلاد الروم إلى ملطية، فشرعوا فى محاصرتها فى الحادى والعشرين من المحرم ، وقد حصنت ومنعت وغلقت أبوابها ، فلما رأوا كثرة الجيش نزل متوليها وقاضيها وطلبوا الأمان فأمنوا المسلمين ودخلوها ، فقتلوا من الارمن خلقا ومن النصارى وأسروا ذرية كثيرة ، وتعدى ذلك إلى بعض المسلمين وغنموا شيئا كثيراً ، وأخذت أموال كثير من المسلمين ورجعوا عنها بعد ثلاثة أيام يوم الأربعاء رابع عشرين المحرم إلى عين تاب إلى مرج دابق ، وزينت دمشق ودقت البشائر . وفى أول صفر رحل نائب ملطية متوجهاً إلى السلطان. وفى نصف الشهر وصل قاضيها الشريف شمس الدين ومعه خلق من المسلمين من أهلها ، وفى بكرة نهار الجمعة سادس عشر ربيع الأول دخل تنكز دمشق وفى خدمته الجيوش الشامية والمصرية ، وخرج الناس للفرجة عليهم على العادة ، وأقام المصريون قليلا ثم ترحلوا إلى القاهرة . وقد كانت ملطية إقطاعاً للجوبان أطلقها له ملك التتر فاستناب بها رجلا كرديا فتعدى وأساء وظلم ، وكاتب أهلها السلطان الناصر وأحبوا أن يكونوا من رعيته ، فلما ساروا إليها وأخذوها وفعلوا مافعلوا فيها جاءها بعد ذلك الجوبان فعمرها ورد إليها خلقاً من الأرمن وغيرهم.

وفى التاسع عشر من هذا الشهر وصل إلينا الخبر بمسك بكتمر الحاجب وأيدغدى شقير وغيرهما وكان ذلك يوم الخميس مستهل هذا الشهر ، وذلك أنهم اتفقوا على السلطان فبلغه الخبر فمسكهم واحتيط على أموالهم وحواصلهم ، وظهر لبكتمر أموال كثيرة وأمتعة وأخشاب وحواصل كثيرة وقدم مجليس من القاهرة فاجتاز بدمشق إلى ناحية طرابلس ثم قدم سريعاً ومعه الامير سيف الدين تمير نائب طرابلس تحت الحوطة ، ومسك بدمشق الأمير سيف الدين بهادر آص المنصورى فحمل الاول إلى القاهرة ، وجعل مكانه فى نيابة طرابلس كستاى ، وحمل الثانى وحزن الناس عليه ودعوا له . وفى يوم الخميس الحادى والعشرين من ربيع الآخر قدم عز الدين بن مبشر دمشق محتسبا وناظر الأوقاف وانصرف ابن الحداد عن الحسبة، وبهاء الدين عن نظر الأوقاف . وفى ليلة الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى وقع حريق قبالة مسجد الشنباشى داخل باب الصغير ، احترق فيه دكاكين ودور وأموال وأمتعة . وفى يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة درس قاضى ملطية الشريف شمس الدين بالمدرسة الخاتونية البرانية عوضاً عن قاضى القضاة الحنفى البصروى ، وحضر عنده الأعيان، وهو

رجل له فضيلة وخلق حسن ، كان قاضياً بملطية وخطيبا بها نحواً من عشرين سنة .

وفى يوم الخميس رابع جمادى الآخرة أعيد ابن الحداد إلى الحسبة واستمر ابن مبشر ناظر الأوقاف . وفى يوم الأربعاء تاسع جمادى الآخرة درس ابن صصرى بالاتابكية عوضا عن الشيخ صفى الدين الهندى . وفى يوم الاربعاء الآخر حضر ابن الزملكانى درس الظاهرية الجوانية عوضا عن الهندى أيضا بحكم وفاته كما ستأتى ترجمته . وفى أواخر رجب أخرج الأمير آقوش نائب الكرك من سجن القاهرة وأعيد إلى الامرة . وفى شعبان توجه خمسة آلاف من بلاد حلب فأغاروا على بلاد آمد ، وفتحوا بلدانا كثيرة ، وقتلوا وسبوا وعادوا سالمين ، وخمسوا ماسبوا فبلغ سهم الخمس أربعة آلاف رأس وكسور . وفى أواخر رمضان وصل قرا سنقر المنصورى إلى بغداد ومعه زوجته الخاتون بنت أبغا ملك التتر ، وجاء فى خدمته خربندا واستأذنه فى الغارة على أطراف بلاد المسلمين فلم يأذن له ، ووثب عليه رجل فداوى من جهة صاحب مصر فلم يقدر عليه وقتل الفداوى . وفى يوم الأربعاء سادس عشر رمضان درس بالعادلية الصغيرة الفقيه الامام فخر الدين محمد بن على المصرى المعروف بابن كاتب قطلو بك ، بمقتضى نزول مدرسها كمال الدين بن الزملكانى له عنها ، وحضر عنده القضاة والأعيان والخطيب وابن الزملكانى أيضا . وفى هذا الشهر كملت عمارة القيسارية المعروفة بالدهشة عند الوراقين واللبادين وسكنها التجار ، فتميزت بذلك أوقاف الجامع ، وذلك بمباشرة الصاحب شمس الدين . وفى ثامن شوال قتل أحمد الروسى شهد عليه بالعظائم من ترك الواجبات واستحلال المحرمات واستهانته وتنقيصه بالكتاب والسنة ، فحكم المالكى باراقة دمه وإن أسلم ، فاعتقل ثم قتل . وفى هذا اليوم كان خروج الركب الشامى وأميره سيف الدين طقتمر وقاضيه قاضى ملطية . وحج فيه قاضى حماة وحلب وماردين ومحيى الدين كاتب ملك الامراء تنكز وصهره فخر الدين المصرى .

وممن توفى فيها من الأعيان :

﴿ شرف الدين أبو عبد الله ﴾

محمد بن العدل عماد الدين محمد بن أبى الفضل محمد بن أبى الفتح نصر الله بن المظفر بن أسعد ابن حمزة بن أسد بن على بن محمد التميمى الدمشقى ابن القلانسى ، ولد سنة ست وأربعين وستمائة وباشر نظر الخاص . وقد شهد قبل ذلك فى القيمة ثم تركها ، وقد ترك أولاداً وأموالا جمة ، توفى ليلة السبت ثانى عشر صفر ودفن بقاسيون .

﴿ الشيخ صفى الدين الهندى ﴾

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الارموى الشافعى المتكلم ، ولد بالهند سنة أربع وأربعين وستمائة ، واشتغل على جده لامه ، وكان فاضلا ، وخرج من دهلى فى رجب سنة سبع وستين فحج

وجاور بمكة أشهراً ثم دخل اليمن فأعطاه ملكها المظفر أربعمائة دينار ، ثم دخل مصر فأقام بها أربع سنين ، ثم سافر إلى الروم على طريق إنطاكية فأقام إحدى عشرة سنة بقونية و بسيواس خمسا و بقيسارية سنة ، واجتمع بالقاضى سراج الدين فأكرمه ، ثم قدم إلى دمشق فى سنة خمس وثمانين فأقام بها واستوطنها ودرس بالرواحية والدولعية والظاهرية والاتابكية وصنف فى الاصول والكلام ، وتصدى للاشتغال والافتاء ، ووقف كتبه بدار الحديث الأشرفية ، وكان فيه بر وصلة ، توفى ليلة الثلاثاء تاسع عشر بن صفر ودفن بمقابر الصوفية ، ولم يكن معه وقت موته سوى الظاهرية وبها مات ، فدرس بعده فيها ابن الزملكانى ، وأخذ ابن صصرى الاتابكية.

﴿ القاضى المسند المعمر الرحلة ﴾

تقى الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبى عمر المقدسى الحنبلى الحاكم بدمشق ولد فى نصف رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وسمع الحديث الكثير وقرأ بنفسه وتفقه وبرع ، وولى الحكم وحدث ، وكان من خيار الناس وأحسنهم خلقا وأكثرهم مروءة ، توفى فجأة بعد مرجعه من البلد وحكمه بالجوزية ، فلما صار إلى منزله بالدير تغيرت حاله ومات عقيب صلاة المغرب ليلة الاثنين حادى عشرين ذى القعدة ، ودفن من الغد بتربة جده ، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير رحمه الله .

﴿ الشيخ على بن الشيخ على الحريرى ﴾

كان مقدما فى طائفته ، مات أبوه وعمره سنتان ، توفى فى قرية نسر فى جمادى الأولى .

﴿ الحكيم الفاضل البارع ﴾

بهاء الدين عبد السيد بن المهذب إسحاق بن يحيى الطبيب الكحال المتشرف بالاسلام ، ثم قرأ القرآن جميعه لأنه أسلم على بصيرة ، وأسلم على يديه خلق كثير من قومه وغيرهم ، وكان مباركا على نفسه وعليهم ، وكان قبل ذلك ديان اليهود ، فهداه الله تعالى ، وتوفى يوم الاحد سادس جمادى الآخرة ودفن من يومه بسفح قاسيون ، أسلم على يدى شيخ الاسلام ابن تيمية لما بين له بطلان دينهم وماهم عليه وما بدلوه من كتابهم وحرفوه من الكلم عن مواضعه رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ست عشرة وسبعمائة ﴾

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون فى التى قبلها غير الحنبلى بدمشق فانه توفى فى السنة الماضية . وفى المحرم تكملت تفرقة المثالات السلطانية بمصر بمقتضى إزالة الاجناد ، وعرض الجيش على السلطان ، وأبطل السلطان المكس بسائر البلاد القبلية والشامية . وفيه وقعت فتنة بين الحنابلة والشافعية بسبب العقائد ، وترافعوا إلى دمشق فحضروا بدار السعادة عند نائب السلطنة تنكز

فأصلح بينهم ، وانفصل الحال على خير من غير محاققة ولا تشويش على أحد من الفريقين ، وذلك يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم . وفي يوم الأحد سادس عشر صفر قرئ تقليد قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع الحنبلي ، بقضاء الحنابلة والنظر بأوقافهم عوضا عن تقي الدين سليمان بحكم وفاته رحمه الله ، وتاريخ التقليد من سادس ذي الحجة ، وقرئ بالجامع الأموي بحضور القضاة والصاحب والاعيان ، ثم مشوا معه وعليه الخلعة إلى دار السعادة فسلم على النائب وراح إلى الصالحية ، ثم نزل من الغد إلى الجوزية فحكم بها على عادة من تقدمه ، واستناب بعد أيام الشيخ شرف الدين بن الحافظ . وفي يوم الاثنين سابع صفر وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشي من مصر على البريد ومعه توقيع بعود الوكالة إليه ، فخلع عليه وسلم على النائب والخلعة عليه . وفي هذا الشهر مسك الوزير عز الدين بن القلانسي واعتقل بالمدراوية وصودر بخمسين ألفا ثم أطلق له ما كان أخذ منه وانفصل من ديوان نظر الخاص . وفي ربيع الآخر وصل من مصر فضل ابن عيسى وأجرى له ولابن أخيه موسى بن مهنا إقطاعات صيدا ، وذلك بسبب دخول مهنا إلى بلاد التتر واجتماعهم بملكهم خربندا .

وفي يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى باشر ابن صصرى مشيخة الشيوخ بالسميساطية بسؤال الصوفية وطلبهم له من نائب السلطنة ، فحضرها وحضر عنده الأعيان في هذا اليوم عوضا عن الشريف شهاب الدين أبي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحيم بن عبد الكريم ابن محمد بن علي بن الحسن بن الحسين بن يحيى بن موسى بن جعفر الصادق ، وهو الكاشنغر ، توفي عن ثلاث وستين سنة ودفن بالصوفية . وفي جمادى الآخرة باشر بهاء الدين إبراهيم بن جمال الدين يحيى الحنفي المعروف بابن علية وهو ناظر ديوان النائب بالشام نظر الدواوين عوضا عن شمس الدين محمد ابن عبد القادر الخطيري الحاسب الكاتب توفي ، وقد كان مباشراً عدة من الجهات الكبار ، مثل نظر الخزانة ونظر الجامع ونظر المارستان وغير ذلك ، واستمر نظر المارستان من يومئذ بأيدي ديوان نائب السلطنة من كان ، وصارت عادة مستمرة . وفي رجب نقل صاحب حمص الأمير شهاب الدين قرطاي إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير سيف الدين التركستاني بحكم وفاته ، وولي الأمير سيف الدين إرقطاي نيابة حمص ، وتولى نيابة الكرك سيف الدين طقطاي الناصري عوضا عن سيف الدين تيبغا .

وفي يوم الاربعاء عاشر رجب درس بالنجيبية القاضي شمس الدين الدمشقي عوضا عن بهاء الدين يوسف بن جمال الدين أحمد بن الظاهري العجمي الحلبي ، سبط الصاحب كمال الدين بن العديم ، توفي ودفن عند خاله ووالده بتربة العديم . وفي آواخر شعبان وصل القاضي شمس الدين

ابن عز الدين يحيى الحرانى أخو قاضى قضاة الحنابلة بمصر شرف الدين عبد الغنى ، إلى دمشق متوليا نظر الأوقاف بها عوضا عن الصاحب عز الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن مبشر ، توفى فى مستهل رجب بدمشق ، وقد باشر نظر الدواوين بها و بمصر ،والحسبةو بالاسكندرية وغير ذلك ،ولم يكن بقى معه فى آخر وقت سوى نظر الأوقاف بدمشق ، وقد قارب الثمانين ودفن بقاسيون .

وفى آخر شوال خرج الركب الشامى وأميرهم سيف الدين أرغون السلحدار الناصرى الساكن عند دار الطراز بدمشق ، وحج من مصر سيف الدين الدوادار وقاضى القضاة ابن جماعة ، وقد زار القدس الشريف فى هذه السنة بعد وفاة ولده الخطيب جمال الدين عبد الله ، وكان قد رأس وعظم شأنه . وفى ذى القعدة سار الأمير سيف الدين تنكز إلى زيارة القدس فغاب عشرين يوما ، وفيه وصل الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب إلى دمشق من مصر وقد كان معتقلا فى السجن فأطلق وأكرم وولى نيابة صفد فسار إليها بعد ماقضى أشغاله بدمشق ، ونقل القاضى حسام الدين القزوينى من قضاء صفد إلى قضاء طرابلس ، وأعيدت ولاية قضاء صفد إلى قاضى دمشق فولى فيها ابن صصرى شرف الدين الهاوندى ، وكان متوليا طرابلس قبل ذلك ، ووصل مع بكتمر الحاجب الطواشى ظهير الدين مختار المعروف بالزرعى ، متوليا الخزانة بالقلعة عوضا عن الطواشى ظهير الدين مختار البلستين توفى .

وفى هذا الشهر أعنى ذا القعدة وصلت الأخبار بموت ملك التتر خر بندا محمد بن أرغون بن أبغا ابن هولا كوقان ملك العراق وخراسان وعراق العجم والروم وأذربيجان والبلاد الأرمينية وديار بكر . توفى فى السابع والعشرين من رمضان ودفن بتربته بالمدينة التى أنشأها ، التى يقال لها السلطانية وقد جاوز الثلاثين من العمر ، وكان موصوفا بالكرم ومحبا للهو واللعب والعمائر ،وأظهر الرفض ، أقام سنة على السنة ثم تحول إلى الرفض أقام شعائره فى بلاده وحظى عنده الشيخ جمال الدين بن مطهر الحلى ، تلميذ نصير الدين الطوسى ، وأقطعه عدة بلاد، ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أن مات فى هذه السنة ، وقد جرت فى أيامه فتن كبار ومصائب عظام ، فأراح الله منه العباد والبلاد ، وقام فى الملك بعده ولده أبو سعيد وله إحدى عشرة سنة ، ومدبر الجيوش والممالك له الأمير جوبان ، واستمر فى الوزارة على شاه التبريزى ، وأخذ أهل دولته بالمصادرة وقتل الأعيان ممن اتهمهم بقتل أبيه مسموما ، ولعب كثير من الناس به فى أول دولته ثم عدل إلى العدل و إقامة السنة ، فأمر باقامة الخطبة بالترضى عن الشيخين أولا ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم ، ففرح الناس بذلك وسكنت بذلك الفتن والشرور والقتال الذى كان بين أهل تلك البلاد و بهراة وأصبهان و بغداد و إربل وساوه وغير ذلك ، وكان صاحب مكة الأمير خميصة بن أبى نمى الحسنى ، قد قصد ملك التتر خر بندا

لينصره عـلى أهل مكة فساعده الروافض هناك وجهزوا معه جيشا كثيفا من خراسان ، فلما مات خربندا بطل ذلك بالكلية ، وعاد حميصة خائبا خاسئا . وفى صحبته أمير من كبار الروافض من التتر يقـال له الدلقندى ، وقـد جمع لحميصة أموالا كثيرة ليقيم بها الرفض فى بـلاد الحجاز ، فوقع بهما الأمير محمد بن عيسى أخو مهنا ، وقد كان فى بلاد التتر أيضا ومعه جماعة من العرب ، فقهرهما ومن كان معهما ، ونهب ما كان معهما من الأموال وحضرت الرجال ، وبلغت أخبـار ذلك إلى الدولة الاسلامية فرضى عنه الملك الناصر وأهل دولته ، وغسل ذلك ذنبه عنده ، فاستدعى به السلطان إلى حضرته فحضر سامعا مطيعا ، فأكرمه نائب الشام ، فلما وصل إلى السلطان أكرمه أيضا ، ثم إنه استفتى الشيخ تقى الدين بن تيمية ، وكذلك أرسـل إليه السلطان يسأله عن الأموال التى أخـذت من الدلقندى ، فأفتاهم أنها تصرف فى المصالح التى يعود نفعها على المسلمين ، لأنها كانت معدة لعناد الحق ونصرة أهل البدعة على السنة . وممن توفى فيها من الأعيان :

عز الدين المبشر . والشهاب الكاشغرى شيخ الشيوخ ، والبهاء العجمى مدرس النجيبية . وفيها قتـل خطيب المزة قتله رجل جبلى ضربه بفأس اللحام فى رأسه فى السوق فبقى أياما ومات ، وأخذ القاتل فشنق فى السوق الذى قتل فيـه ، وذلك يوم الأحد ثالث عشر ربيع الآخر ، ودفن هناك وقد جاوز الستين .

﴿ الشرف صالح بن محمد بن عربشاه ﴾

ابن أبى بكر الهمدانى ، مات فى جمادى الآخرة ودفن بمقابر النيرب ، وكان مشهوراً بطيب القراءة وحسن السيرة ، وقد سمع الحديث وروى جزءاً .

﴿ ابن عرفة صاحب التذكرة الكندية ﴾

الشيخ الامام المقرئ المحدث النحوى الأديب علاء الدين على بن المظفر بن إبراهيم بن عمر ابن زيد بن هبة الله الكندى الاسكندرانى ، ثم الدمشقى ، سمع الحديث على أزيد من مائتى شيخ وقـرأ القراءات السبع ، وحصل علوماً جيدة ، ونظم الشعر الحسن الرائق الفائق ، وجمع كتـابا فى نحو من خمسين مجلدا ، فيه علوم جمة أكثرها أدبيات سماها التذكرة الكندية ، وقفها بالسميساطية وكتب حسنا وحسب جيدا ، وخدم فى عدة خدم ، وولى مشيخة دار الحديث النفيسية فى مدة عشر سنين وقرأ صحيح البخارى مرات عديدة ، وأسمع الحديث ، وكان يلوذ بشيخ الاسلام ابن تيمية ، وتوفى ببستان عند قبة المسجد ليلة الاربعاء سابع عشر رجب ، ودفن بالمزة عن ست وسبعين سنة .

﴿ الطواشى ظهير الدين مختار ﴾

البكلمشى الخزندار بالقلعة وأحد أمراء الطبلخانات بدمشق، كان زكيا خبيرا فاضـلا ، يحفظ القرآن ويؤديه بصوت طيب ، ووقف مكتبا للايتام على باب قلعة دمشق ، ورتب لهم الكسوة

والجامكية ، وكان يمتحنهم بنفسه و يفرح بهم ، وعمل تربة خارج باب الجابية و وقف عليها القريتين و بنى عندها مسجداً حسنا و وقفه بإمام وهى من أوائل ما عمل من الترب بذلك الخط ، ودفن بها فى يوم الخميس عاشر شعبان رحمه الله ، وكان حسن الشكل والاخلاق ، عليه سكينة ووقار وهيبة وله وجاهة فى الدولة سامحه الله . وولى بعده الخزانة سميه ظهير الدين مختار الزرعى .

﴿ الأمير بدر الدين ﴾

محمد بن الوزيرى ، كان من الأمراء المقدمين ، ولديه فضيلة ومعرفة وخبرة، وقد ناب عن السلطان بدار العدل مرة بمصر ، وكان حاجب الميسرة ، وتكلم فى الأوقاف وفيما يتعلق بالقضاة والمدرسين ، ثم نقل إلى دمشق فمات بها فى سادس عشر شعبان، ودفن بميدان الحصى فوق خان النجيبى، وخلف تركة عظيمة .

﴿ الشيخة الصالحة ﴾

ست الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المنجا ، راوية صحيح البخارى وغيره، جاوزت التسعين سنة ، وكانت من الصالحات ، توفيت ليلة الخميس ثامن عشر شعبان ودفنت بتربتهم فوق جامع المظفرى بقاسيون

﴿ القاضى محب الدين ﴾

أبو الحسن ابن قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد، استنابه أبوه فى أيامه و زوجه بابنة الحاكم بأمر الله ، ودرس بالطاهرية و رأس بعد أبيه ، و كانت وفاته يوم الاثنين تاسع عشر رمضان، وقد قارب الستين ، ودفن عند أبيه بالقرافة .

﴿ الشيخة الصالحة ﴾

ست المنعم بنت عبد الرحمن بن على بن عبدوس الحرانية، والدة الشيخ تقى الدين بن تيمية عمرت فوق السبعين سنة ،ولم ترزق بنتا قط، توفيت يوم الأربعاء العشرين من شوال ودفنت بالصوفية وحضر جنازتها خلق كثير وجم غفير رحمها الله .

﴿ الشيخ نجم الدين موسى بن على بن محمد ﴾

الجيلى ثم الدمشقى ، الكاتب الفاضل المعروف بابن البصيص ، شيخ صناعة الكتابة فى زمانه لاسيما فى المزوج والمثلث ، وقد أقام يكتب الناس خمسين سنة ، وأنا ممن كتب عليه أثابه الله . وكان شيخا حسنا بهى المنظر يشعر جيداً ، توفى يوم الثلاثاء عاشر ذى القعدة ودفن بمقابر الباب الصغير وله خمس وستون سنة .

﴿ الشيخ تقى الدين الموصلى ﴾

أبو بكر بن أبى الكرم شيخ القراءة عند محراب الصحابة ، وشيخ ميعاد ابن عامر مدة طويلة وقد انتفع الناس به نحوا من خمسين سنة فى التلقين والقراءآت ، وختم خلقا كثيراً ، وكان يقصد لذلك ويجمع تصديقات يقولها الصبيان ليالى ختمهم ، وقد سمع الحديث وكان خيراً دينا ، توفى

ليلة الثلاثاء سابع عشر ذى القعدة ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح الزاهد المقرى ﴾

أبو عبد الله محمد بن الخطيب سلامة بن سالم بن الحسن بن ينبوب المالينى ، أحد الصلحاء المشهورين بجامع دمشق ، سمع الحديث وأقرأ الناس نحواً من خمسين سنة ، وكان يفصح الأولاد فى الحروف الصعبة ، وكان مبتلى فى فمه يحمل طاسة تحت فمه من كثرة ما يسيل منه من الريال وغيره وقد جاوز الثمانين بأربع سنين ، توفى بالمدرسة الصارمية يوم الأحد ثانى عشر ذى القعدة ، ودفن بباب الصغير بالقرب من القندلاوى ، وحضرجنازته خلق كثير جدا نحواً من عشرة آلاف رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ الصدر بن الوكيل ﴾

هو العلامة أبو عبد الله محمد بن الشيخ الامام مفتى المسلمين زين الدين عمر بن مكى بن عبدالصمد المعروف بابن المرحل وبابن الوكيل شيخ الشافعية فى زمانه ، وأشهرهم فى وقته بالفضيلة وكثرة الاشتغال والمطالعة والتحصيل والافتنان بالعلوم العديدة ، وقد أجاد معرفة المذهب والأصلين ، ولم يكن بالنحو بذاك القوى ، وكان يقع منه اللحن الكثير ، مع أنه قرأ منه المفصل للزمخشرى ، وكانت له محفوظات كثيرة ، ولد فى شوال سنة خمس وستين وستمائة ، وسمع الحديث على المشايخ، من ذلك مسند أحمد على ابن علان ، والكتب الستة ، وقرئ عليه قطعة كبيرة من صحيح مسلم بدار الحديث عن الأمير الأربلى والعامرى والمزى ، وكان يتكلم على الحديث بكلام مجموع من علوم كثيرة ، من الطب والفلسفة وعلم الكلام ، وليس ذلك بعلم ، وعلوم الأوائل ، وكان يكثر من ذلك ، وكان يقول الشعر جيداً ، وله ديوان مجموع مشتمل على أشياء لطيفة ، وكان له أصحاب يحسدونه ويحبونه ، وآخرون يحسدونه ويبغضونه ، وكانوا يتكلمون فيه بأشياء ويرمونه بالعظائم ، وقد كان مسرفا على نفسه قد ألقى جلباب الحياء فيما يتعاطاه من القاذورات والفواحش ، وكان ينصب العداوة للشيخ ابن تيمية ويناظره فى كثير من المحافل والمجالس ، وكان يعترف للشيخ تقى الدين بالعلوم الباهرة ويثنى عليه ، ولكنه كان يجاحف عن مذهبه وناحيته وهواه ، وينافح عن طائفته . وقد كان شيخ الاسلام ابن تيمية يثنى عليه وعلى علومه وفضائله ويشهد له بالاسلام إذا قيل له عن أفعاله وأعماله القبيحة ، وكان يقول : كان مخلطا على نفسه متبعا مراد الشيطان منه ، يميل إلى الشهوة والمحاضرة ، ولم يكن كما يقول فيه بعض أصحابه ممن يحسده ويتكلم فيه هذا أو ماهو فى معناه . وقد درس بعدة مدارس بمصر والشام ، ودرس بدمشق بالشاميتين والعذراوية ودار الحديث الأشرفية وولى فى وقت الخطابة أياماً يسيرة كما تقدم ، ثم قام الخلق عليه وأخرجوها من يده ، ولم يرق منبرها ، ثم خالط نائب السلطنة الأفرم فجرت له أمور لا يمكن ذكرها ولا يحسن من القبائح

ثم آل به الحال على أن عزم على الانتقال من دمشق إلى حلب لاستحوازه على قلب نائبها ، فأقام بها ودرس ، ثم تردد فى الرسلية بين السلطان ومهنا صحبة أرغون والطنبغا ، ثم استقر به المنزل بمصر ودرس فيها بمشهد الحسين إلى أن توفى بها بكرة نهار الأربعاء رابع عشر بن ذى الحجة بداره قريباً من جامع الحاكم ، ودفن من يومه قريباً من الشيخ محمد بن أبى جمرة بتربة القاضى ناظر الجيش بالقرافة ، ولما بلغت وفاته دمشق صلى عليه بجامعها صلاة الغائب بعد الجمعة ثالث المحرم من السنة الآتية ، ورثاه جماعة منهم ابن غانم علاء الدين ، والقجقازى والصفدى ، لانهم كانوا من عشرائه .

وفى يوم عرفة توفى ﴿ الشيخ عماد الدين إسماعيل الفوعى ﴾

وكيل قجليس ، وهو الذى بنى له الباشورة على باب الصغير بالبرانية الغربية ، وكانت فيه نهضة وكفاية ، وكان من بيت الرفض ، اتفق أنه استحضره نائب السلطنة فضربه بين يديه ، وقام النائب إليه بنفسه فجعل يضربه بالمهاميز فى وجهه فرفع من بين يديه وهو تالف فمات فى يوم عرفة ، ودفن من يومه بسفح قاسيون وله دار ظاهر باب الفراديس .

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها . وفى صفر شرع فى عمارة الجامع الذى أنشأه ملك الامراء تنكز نائب الشام ظاهر باب النصر تجاه حكر السماق، على نهر بانياس بدمشق ، وتردد القضاة والعلماء فى تحرير قبلته ، فاستقر الحال فى أمرها على ما قاله الشيخ تقى الدين بن تيمية فى يوم الأحد الخامس والعشرين منه ، وشرعوا فى بنائه بأمر السلطان ، ومساعدته لنائبه فى ذلك . وفى صفر هذا جاء سيل عظيم بمدينة بعلبك أهلك خلقاً كثيراً من الناس ، وخرب دوراً وعمائر كثيرة ، وذلك فى يوم الثلاثاء سابع وعشرين صفر .

وملخص ذلك أنه قبل ذلك جاءهم رعد وبرق عظيم معهما برد ومطر ، فسالت الأودية ، ثم جاءهم بعده سيل هائل خسف من سور البلد من جهة الشمال شرق مقدار أربعين ذراعاً ، مع أن سمك الحائط خمسة أذرع ، وحمل برجاً صحيحا ومعه من جانبيه مدينتين ، فحمله كما هو حتى مر فحفر فى الأرض نحو خمسمائة ذراع سعة ثلاثين ذراعا ، وحمل السيل ذلك إلى غربى البلد ، لايمر على شئ إلا أتلفه ، ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فأتلف مايزيد على ثلثها، ودخل الجامع فارتفع فيه على قامة ونصف ، ثم قوى على حائطه الغربى فأخربه وأتلف جميع مافيه الحواصل والكتب والمصاحف وأتلف شيئا كثيراً من رباغ الجامع ، وهلك تحت الهدم خلق كثير من الرجال والنساء والأطفال ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وغرق فى الجامع الشيخ على بن محمد بن الشيخ على الحريرى هو وجماعة معه من الفقراء ، ويقال كان من جملة من هلك فى هذه الكائنة من أهل بعلبك مائة وأربعة وأربعون

نفسا سوى الغرباء ، وجملة الدور التى خربها والحوانيت التى أتلفها نحو من ستمائة دار وحانوت ، وجملة البساتين التى جرف أشجارها عشرون بستانا ، ومن الطواحين ثمانية سوى الجامع والأمينية وأما الأماكن التى دخلها وأتلف مافيها ولم تخرب فكثير جداً .

وفى هذه السنة زاد النيل زيادة عظيمة لم يسمع بمثلها من مدد ، وغرق بلادا كثيرة ، وهلك فيها ناس كثير أيضاً ، وغرق منية السيرج فهلك للناس فيها شيء كثير ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

وفى مستهل ربيع الآخر منها أغار جيش حلب على مدينة آمد فنهبوا وسبوا وعادوا سالمين . وفى يوم السبت تاسع وعشرين منه قدم قاضى المالكية إلى الشام من مصر وهو الامام العلامة فخر الدين أبو العباس أحمد بن سلامة بن أحمد بن أحمد بن سلامة الاسكندرى المالكى ، على قضاء دمشق عوضا عن قاضى القضاة جمال الدين الزواوى لضعفه واشتداد مرضه ، فالتقاه القضاة والأعيان ، وقرىء تقليده بالجامع ثانى يوم وصوله ، وهو مؤرخ بثانى عشر الشهر ، وقدم نائبه الفقيه نور الدين السخاوى درس بالجامع فى جمادى الأولى ، وحضر عنده الاعيان ، وشكرت فضائله وعلومه ونزاهته وصرامته وديانته ، و بعد ذلك بتسعة أيام توفى الزواوى المعزول ، وقدباشر القضاء بدمشق ثلاثين سنة . وفيها أفرج عن الامير سيف الدين بهادرآص من سجن الكرك وحمل إلى القاهرة وأكرمه السلطان ، وكان سجنه بها مطاوعة لاشارة نائب الشام بسبب ما كان وقع بينهما بملطية . وخرج المحمل فى يوم الخميس تاسع شوال ، وأمير الحج سيف الدين كجكنى المنصورى . وممن حج قاضى القضاة نجم الدين ابن صصرى وابن أخيه شرف الدين وكمال الدين بن الشيرازى والقاضى جلال الدين الحنفى والشيخ شرف الدين بن تيمية وخلق . وفى سادس هذا الشهر درس بالجاروضية القاضى جلال الدين محمد بن الشيخ كمال الدين الشريشى بعد وفاة الشيخ شرف الدين بن أبى سلام ، وحضر عنده الاعيان . وفى التاسع عشر منه درس ابن الزملكانى بالعذراوية عوضا عن ابن سلام ، وفيه درس الشيخ شرف الدين بن تيمية بالحنبلية عن إذن أخيه له بذلك بعد وفاة أخيهما لأمهما بدر الدين قاسم بن محمد ابن خالد ، ثم سافر الشيخ شرف الدين إلى الحج ، وحضر الشيخ تقى الدين الدرس بنفسه ، وحضر عنده خلق كثير من الأعيان وغيرهم حتى عاد أخوه ، و بعد عوده أيضاً ، وجاءت الأخبار بأنه قدأبطلت الخمور والفواحش كلها من بلاد السواحل وطرابلس وغيرها ، ووضعت مكوس كثيرة عن الناس هنالك ، و بنيت بقرى النصيرية فى كل قرية مسجد ولله الحمد والمنة .

وفى بكرة نهار الثلاثاء الثامن والعشرين من شوال وصل الشيخ الامام العلامة شيخ الكتاب شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبى على البريد من مصر إلى دمشق متولياً كتابة السر بها ، عوضا عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله توفى إلى رحمة الله . وفى ذى القعدة يوم الأحد درس

بالصمصامية التى جددت للمالـكية وقد وقف عليها الصاحب شمس الدين غـبريال درسا ، ودرس بها فقهاء ، وعين تدريسها لنائب الحكم الفقيه نور الدين على بن عبد البصير المالكى ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وممن حضر عنـده الشـيخ تقى الدين بن تيمية ، وكان يعرفه من اسكندرية ، وفيه درس بالدخوارية الشيخ جمال الدين محمـد بن الشيخ شهاب الدين أحمـد الكحال ، ورتب فى رياسة الطب عوضا عن أمين الدين سليمان الطبيب ، بمرسوم نائب السلطنة تنكز ، واختاره لذلك . واتفق أنه فى هذا الشهر تجمع جماعة من التجار عاردين وانضاف إليهم خلق من الجفال من الغـلا قاصدين بلاد الشـام ، حتى إذا كانوا بمرحلتين من رأس العين لحقهم سـتون فارسا من التتار فمالوا عليهم بالنشاب وقتلوهم عن آخرهم ، ولم يبق منهم سوى صبيانهم نحو سبعين صبيا ، فقالوا من يقتل هؤلاء ؟ فقال واحد منهم : أنا بشرط أن تنفلونى بمال من الغنيمة ، فقتلهم كلهم عن آخرهم ، وكان جملة من قتل من التجار ستمائة ، ومن الجفلان ثلثمائة من المسلمين ، فانا لله و إنا إليه راجعون . و ردموا بهم خمس صهاريج هناك حتى امتلأت بهم رحمهم الله ، ولم يسلم من الجميع سوى رجل واحد تركمانى ،هرب وجاء إلى رأس العين فأخبر الناس بما رأى وشاهد من هذا الأمر الفظيع المؤلم الوجيع ، فاجتهد متسلم ديار بكر سوياى فى طلب أولئك التتر حتى أهلـكهم عن آخرهم ، ولم يبق منهـم سوى رجلين ، لا جمع الله بهم شملا ولا بهم مرحبا ولا أهلا ، آمين يارب العالمين .

﴿ صفة خروج المهدى الضال بأرض جبلة ﴾

وفى هذه السنة خرجت النصيرية عن الطاعة وكان من بينهم رجل سموه محمد بن الحسن المهدى القائم بأمر الله ، وتارة يدعى على بن أبى طالب فاطر السموات والارض ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . وتارة يدعى أنه محمد بن عبد الله صاحب البلاد ، وخرج يكفر المسلمين ، وأن النصيرية على الحق ، واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصيرية الضلال ، وعين لـكل إنسان منهم تقدمة ألف ، و بلادا كثيرة ونيابات ، وحملوا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقا من أهلها، وخرجوا منها يقولون لا إله إلا على ، ولا حجاب إلا محمد ، ولا باب إلا سلمان . وسبوا الشيخين ، وصاح أهل البلد وا إسلاماه ، واسلطاناه ، وأميراه ، فلم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجد ، وجعلوا يبكون ويتضرعون إلى الله عز وجل ، فجمع هذا الضال تلك الأموال فقسمها على أصحابه وأتباعه قبحهم الله أجمعين . وقال لهم لم يبق للمسلمين ذكر ولا دولة ، ولو لم يبق معى سوى عشرة نفر لملـكنا البلاد كلها . ونادى فى تلك البلاد إن المقاسمة بالعشر لا غير ليرغب فيه ، وأمر أصحابه بخراب المساجد واتخاذها خمارات ، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين : قل لا إله إلا على ، واسجد لالهك المهدى ، الذى يحى و يميت حتى يحقن دمك ، ويكتب لك فرمان ، وتجهزوا وعملوا أمراً عظيما جداً ، فجردت إليهـم العساكر

فهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وجما غفيراً ، وقتل المهدى أضلهم وهو يكون يوم القيامة مقدمهم إلى عذاب السعير ، كما قال تعالى (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم و يتبع كل شيطان مريد، كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله و يهديه إلى عذاب السعير . ذلك بما قدمت يداك) الآية

وفيها حج الأمير حسام الدين مهنا و ولده سليمان فى ستة آلاف ، وأخوه محمد بن عيسى فى أربعة آلاف ، ولم يجتمع مهنا بأحد من المصريين ولا الشاميين ، وقد كان فى المصريين قجليس وغيره والله أعلم . ومن توفى فيها من الاعيان .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله المنتزه ، كان فاضلا ، وكتب حسنا ، نسخ التنبيه والعمدة وغير ذلك ، وكان الناس ينتفعون به و يقابلون عليه ذلك و يصححون عليه ، و يجلسون إليه عند صندوق كان له فى الجامع ، توفى ليلة الاثنين سادس محرم ودفن بالصوفية ، وقد صححت عليه فى العمدة وغيره .

﴿ الشيخ شهاب الدين الرومى ﴾

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن المراغى ، درس بالمعينية ، وأم بمحراب الحنفية بمقصورتهم الغربية إذ كان محرابهم هناك ، وتولى مشيخة الخاتونية ، وكان يؤم بنائب السلطان الأفرم ، وكان يقرأ حسنا بصوت مليح ، وكانت له مكانة عنده ، ور بما راح إليه الافرم ماشيا حتى يدخل عليه زاويته التى أنشأها بالشرق الشمالى على الميدان الكبير ، ولما توفى بالمحرم ودفن بالصوفية قام ولداه عماد الدين وشرف الدين بوظائفه .

﴿ الشيخ الصالح العدل ﴾

فخر الدين عثمان بن أبى الوفا بن نعمة الله الأعزازى ، كان ذا ثروة من المال كثير المروءة والتلاوة أدى الامانة فى ستين ألف دينار وجواهر لا يعلم بها إلا الله عز وجل ، بعد ما مات صاحبها مجردا فى الغزاة وهو عزالدين الجراحى نائب غزة ، أودعه إياها فأداها إلى أهلها أثابه الله ، ولهذا لما مات يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الآخر حضر جنازته خلق لا يعلمهم إلا الله تعالى ، حتى قيل إنهم لم يجتمعوا فى مثلها قبل ذلك ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

﴿ قاضى القضاة ﴾

جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن يوسف الزواوى قاضى المالكية بدمشق ، من سنة سبع وثمانين وستمائة ، قدم مصر من المغرب واشتغل بها وأخذ عن مشايخها منهم الشيخ عزالدين بن عبد السلام ، ثم قدم دمشق قاضياً فى سنة سبع وثمانين وستمائة، وكان مولده تقريبا فى سنة تسع وعشرين وستمائة . وأقام شعار مذهب مالك وعمر الصمصامية فى أيامه وجدد عمارة النورية ، وحدث

بصحيح مسلم وموطأ مالك عن يحيى بن يحيى عن مالك ، وكتاب الشفا للقاضي عياض ، وعزل قبل وفاته بعشرين يوما عن القضاء ، وهـذا من خيره حيث لم يمت قاضيا ، توفى بالمدرسة الصمصامية يوم الخميس التاسع من جمادى الآخرة ، وصلى عليه بعد الجمعة ودفن بمقابر باب الصغير تجاه مسجد التاريخ ، وحضر الناس جنازته وأثنوا عليه خيرا ، وقدجاوز الثمانين كمالك رحمه الله . ولم يبلغ إلى سبعة عشر من عمره على مقتضى مذهبه أيضا .

﴿ القاضي الصدر الرئيس ﴾

رئيس الكتاب شرف الدين أبومحمد عبد الوهاب بن جمال الدين فضل الله بن الحلي القرشي العدوي العمري، ولد سنة تسع وعشرين وستمائة وسمع الحديث وخدم وارتفعت منزلته حتى كتب الانشاء بمصر ، ثم نقل إلى كتابة السر بدمشق إلى أن توفى فى ثامن رمضان ، ودفن بقاسيون ،وقد قارب التسعين ، وهو ممتع بحواسه وقواه ،وكانت له عقيدة حسنة فى العلماء، ولا سيما فى ابن تيمية وفى الصلحاء رحمه الله . وقد رثاه الشهاب محمود كاتب السر بعده بدمشق ، وعـلاء الدين بن غانم وجمال الدين بن نباتة .

﴿ الفقيه الامام العالم المناظر ﴾

شرف الدين أبو عبدالله الحسين بن الامام كمال الدين على بن إسحاق بن سلام الدمشقي الشافعي ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة، واشتغل وبرع وحصل ودرس بالجاروضية والعذراوية،وأعادبالظاهرية وأفتى بدار العـدل ، وكان واسع الصدر كثير الهمـة كريم النفس مشكوراً فى فهمه وخطه وحفظه وفصاحته ومناظرته ، توفى فى رابع عشرين رمضان وترك أولاداً وديونا كثيراً ، فوفته عنه زوجته بنت زويزان تقبل الله منها وأحسن إليها .

﴿ الصاحب أنيس الملوك ﴾

بدر الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الأربلي ، ولد سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، واشتغل بالأدب فحصل على جانب جيد منه وارتزق عنـد الملوك به . فمن رقيق شعره ما أورده الشيخ علم الدين فى ترجمته قوله :

ومدامة خمر تشبه خد من * أهوى ودمعى يسقى بهاقرا

أعز على من سمعى ومن بصرى (١)

وقوله فى مغنية

وعزيزة هيفـاء ناعمة الصبـا * طوع العناق مريضة الأجفان

غنت وماس قوامها فكأنها الـ * ورقاء تسجع فوق غصن البان

(١) بياض بالنسخ التركية والمصرية .

﴿ الصدر الرئيس شرف الدين محمد بن جمال الدين إبراهيم ﴾

ابن شرف الدين عبد الرحمن بن أمين الدين سالم بن الحافظ بهاء الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى ، ذهب إلى الحجاز الشريف ، فلما كانوا ببردى اعتراه مرض ولم يزل به حتى مات ، توفى بمكة وهو محرم ملب ، فشهد الناس جنازته وغبطوه بهذه الموتة ، وكانت وفاته يوم الجمعة آخر النهار سابع ذى الحجة ودفن ضحى يوم السبت بمقبرة بباب الحجون رحمه الله تعالى وأكرم مثواه.

﴿ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وسبعمائة ﴾

الخليفة والسلطان هماهما ، وكذلك النواب والقضاة سوى المالكى بدمشق فانه العلامة فخر الدين ابن سلامة بعد القاضى جمال الدين الزواوى رحمه الله . ووصلت الأخبار فى المحرم من بلاد الجزيرة وبلاد الشرق سنجار والموصل وماردين وتلك النواحى بغلاء عظيم وفناء شديد ، وقلة الأمطار ، وخوف التتار ، وعدم الأقوات وغلاء الأسعار ، وقلة النفقات ، وزوال النعم ، وحلول النقم ، بحيث إنهم أكلوا ماوجدوه من الجمادات والحيوانات والميتات ، وباعوا حتى أولادهم وأهاليهم ، فبيع الولد بخمسين درهما وأقل من ذلك ،حتى إن كثيرا كانوا لا يشترون من أولاد المسلمين ، وكانت المرأة تصرح بأنها نصرانية ليشترى منها ولدها لتنتفع بثمنه ويحصل له من يطعمه فيعيش ، وتأمن عليه من الهلاك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ووقعت أحوال صعبة يطول ذكرها ، وتنبو الأسماع عن وصفها ، وقد ترحلت منهم فرقة قريب الأربعمائة إلى ناحية مراغة فسقط عليهم ثلج أهلكهم عن آخرهم ، وصحبت طائفة منهم فرقة من التتار ، فلما انتهوا إلى عقبة صعدها التتار ثم منعوهم أن يصعدوها لئلا يتكلفوا بهم فماتوا عن آخرهم ، فلاحول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وفى بكرة الاثنين السابع من صفر قدم القاضى كريم الدين عبد الكريم بن العلم هبة الله وكيل الخاص السلطانى بالبلاد جميعها ، قدم إلى دمشق فنزل بدار السعادة وأقام بها أربعة أيام وأمر ببناء جامع القبيبات ، الذى يقال له جامع كريم الدين ، وراح لزيارة بيت المقدس ، وتصدق بصدقات كثيرة وافرة ، وشرع ببناء جامع بعد سفره . وفى ثانى صفر جاءت ريح شديدة ببلاد طرابلس على ذوق تركمان فأهلكت لهم كثيراً من الأمتعة ، وقتلت أميراً منهم يقال له طرالى وزوجته وابنتيه وابنى ابنيه وجاريته وأحد عشر نفساً ، وقتلت جمالا كثيرة وغيرها ، وكسرت الأمتعة والأثاث وكانت ترفع البعير فى الهواء مقدار عشرة أرماح ثم تلقيه مقطعاً ، ثم سقط بعد ذلك مطر شديد وبرد عظيم بحيث أتلف زروعاً كثيرة فى قرى عديدة نحو من أربعة وعشرين قرية ، حتى انها لا ترد بدارها . وفى صفر أخرج الأمير سيف الدين طغاى الحاصلى إلى نيابة صفت فأقيم بها شهرين ثم مسك ، والصاحب أمين الدين إلى نظر الأوقاف بطرابلس على معلوم وافر . قال الشيخ علم الدين

وفى يوم الخميس منتصف ربيع الأول اجتمع قاضى القضاة شمس الدين بن مسلم بالشيخ الامام العلامة تقى الدين بن تيمية وأشار عليه فى ترك الافتاء فى مسألة الحلف بالطلاق ، فقبل الشيخ نصيحته وأجاب إلى ما أشار به ، رعاية لخاطره وخواطر الجماعة المفتيين ، ثم ورد البريد فى مستهل جمادى الأولى بكتاب من السلطان فيه منع الشيخ تقى الدين من الافتاء فى مسألة الحلف بالطلاق وانعقد بذلك مجلس ، وانفصل الحال على ما رسم به السلطان ، ونودى به فى البلد ، وكان قبل قدوم المرسوم قد اجتمع بالقاضى ابن مسلم الحنبلى جماعة من المفتيين الكبار ، وقالوا له أن ينصح الشيخ فى ترك الافتاء فى مسألة الطلاق ، فعلم الشيخ نصيحته ، وأنه إنما قصد بذلك ترك ثوران فتنة وشر . وفى عاشره جاء البريد إلى صفت بمسك سيف الدين طغاى ، وتولية بدر الدين القرمانى نيابة حمص .

وفى هذا الشهر كان مقتل رشيد الدولة فضل الله بن أبى الخير بن عالى الهمدانى ، كان أصله يهوديا عطاراً ، فتقدم بالطب وشملته السعادة حتى كان عند خر بندا الجزء الذى لا يتجزأ ، وعلت رتبته وكلمته ، وتولى مناصب الوزراء ،وحصل له من الأموال والأملاك والسعادة مالا يحد ولا يوصف وكان قد أظهر الاسلام ، وكانت لديه فضائل جمة ، وقد فسر القرآن وصنف كتبا كثيرة ، وكان له أولاد وثروة عظيمة، وبلغ الثمانين من العمر ، وكانت له يد جيدة يوم الرحبة ، فانه صانع عن المسلمين وأتقن القضية فى رجوع ملك التتار عن البلاد الشامية ، سنة ثنتى عشرة كما تقدم ، وكان يناصح الاسلام ، ولكن قد نال منه خلق كثير من الناس واتهموه على الدين وتكلموا فى تفسيره هذا ، ولا شك أنه كان مخبطا مخاطا ، وليس لديه علم نافع ، ولا عمل صالح . ولما تولى أبو سعيد المملكة عزله وبقى مدة خاملا ثم استدعاه جوبان وقال له أنت سقيت السلطان خر بندا سما ؟ فقال له : أنا كنت فى غاية الحقارة والذلة،فصرت فى أيامه وأيام أبيه فى غاية العظمة والعزة،فكيف أعمد إلى سقيه والحالة هذه ؟ فأحضرت الأطباء فذكروا صورة مرض خر بندا وصفته ، وأن الرشيد أشار باسهاله لما عنده فى باطنه من الحواصل ، فانطلق باطنه نحواً من سبعين مجلسا ، فمات بذلك على وجه أنه أخطأ فى الطب . فقال : فأنت إذاً قتلته ، فقتله وولده إبراهيم واحتيط على حواصله وأمواله ، فبلغت شيئا كثيراً ، وقطعت أعضاؤه وحمل كل جزء منها إلى بلدة ، ونودى على رأسه بتبريز هذا رأس اليهودى الذى بدل كلام الله لعنه الله ، ثم أحرقت جثته ، وكان القائم عليه على شاه .

وفى هذا الشهر ـ أعنى جمادى الأولى ـ تولى قضاء المالكية بمصر تقى الدين الاخنائى عوضاً عن زين الدين بن مخلوف توفى عن أربع وثمانين سنة ، وله فى الحكم ثلاث وثلاثون سنة . وفى يوم الخميس عاشر رجب لبس صلاح الدين يوسف بن الملك الأوحد خلعة الامرة بمرسوم السلطان ،

وفى آخر رجب جاء سيل عظيم بظاهر حمص خرب شيئا كثيراً ، وجاء إلى البلد ليدخلها فمنعه الخندق . وفى شعبان تكامل بناء الجامع الذى عمره تنكز ظاهر باب النصر ، وأقيمت الجمعة فيه عاشر شعبان ، وخطب فيه الشيخ نجم الدين على بن داود بن يحيى الحنفى المعروف بالقفجازى ، من مشاهير الفضلاء ذوى الفنون المتعددة ، وحضر نائب السلطنة والقضاة والأعيان والقراء والمنشدون وكان يوماً مشهودا . وفى يوم الجمعة التى يليها خطب بجامع القبيبات الذى أنشأه كريم الدين وكيل السلطان ، وحضر فيه القضاة والأعيان ، وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الواحد بن يوسف بن الرزين الحرانى الأسدى الحنبلى ، وهو من الصالحين الكبار ، ذوى الزهادة والعبادة والنسك والتوجه وطيب الصوت وحسن السمت . وفى حادى عشر رمضان خرج الشيخ شمس الدين ابن النقيب إلى حمص حاكما بها مطلوبا مولى مرغوبا فيه ، وخرج الناس لتوديعه .

وفى هذا الشهر حصل سيل عظيم بسلمية ومثله بالشوبك ، وخرج المحمل فى شوال وأمير الركب الأمير علاء الدين بن معبد والى البر ، وقاضيه زين الدين ابن قاضى الخليل الحاكم بحلب . وممن حج فى هذه السنة من الأعيان : الشيخ برهان الدين الفزارى وكمال الدين ابن الشريشى وولده وبدر الدين ابن العطار . وفى الحادى والعشرين من ذى الحجة انتقل الأمير فخر الدين إياس الأعسرى من شد الدواوين بدمشق إلى طرابلس أميراً . وفى يوم الجمعة السابع عشر ذى الحجة أقيمت الجمعة فى الجامع الذى أنشأه الصاحب شمس الدين غبريال ناظر الدواوين بدمشق خارج باب شرقى ، إلى جانب ضرار بن الأزور بالقرب من محلة القماطلة ، وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن التدمرى المعروف بالنيربانى ، وهو من كبار الصالحين ذوى العبادة والزهادة ، وهو من أصحاب شيخ الاسلام ابن تيمية ، وحضره الصاحب المذكور وجماعة من القضاة والأعيان .

وفى يوم الاثنين والعشرين من ذى الحجة باشر الشيخ شمس الدين محمد بن عثمان الذهبى المحدث الحافظ بتربة أم الصالح عوضا عن كمال الدين بن الشريشى توفى بطريق الحجاز فى شوال ، وقد كان له فى مشيختها ثلاث وثلاثون سنة ، وحضر عند الذهبى جماعة من القضاة . وفى يوم الثلاثاء صبيحة هذا الدرس أحضر الفقيه زين الدين بن عبيدان الحنبلى من بعلبك ووقف على منام رآه زعم أنه رآه بين النائم واليقظان ، وفيه تخليط وتخبيط وكلام كثير لا يصدر عن مستقيم المزاج ، كان كتبه بخطه وبعثه إلى بعض أصحابه ، فاستتابه القاضى الشافعى وحقن دمه وعزره ، ونودى عليه فى البلد ومنع من الفتوى وعقود الأنكحة ، ثم أطلق . وفى يوم الاربعاء بكرة باشر بدر الدين محمد بن بضحان مشيخة الاقراء بتربة أم الصالح عوضا عن الشيخ مجد الدين التونسى توفى ، وحضر عنده الأعيان والفضلاء ، وقد حضرته يومئذ ، وقبل ذلك باشر مشيخة الاقراء بالأشرفية عوضا عنه أيضا الشيخ

محمد بن خروف الموصلي . وفي يوم الخميس ثالث عشرين ذي الحجة باشر الشيخ الامام العلامة الحافظ الحجة شيخنا ومفيدنا أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي مشيخة دار الحديث الأشرفية عوضا عن كمال الدين بن الشريشي ، ولم يحضر عنده كبير أحد ، لما في نفوس بعض الناس من ولايته لذلك ، مع أنه لم يتولها أحد قبله أحق بها منه ، ولا أحفظ منه ، وما عليه منهم ؟ إذ لم يحضروا عنده فانه لا يوحشه إلا حضورهم عنده ، و بعدهم عنه أنس والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الصالح العابد الناسك ﴾

الورع الزاهد القدوة بقية السلف وقدوة الخلف أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح عمر بن السيد القدوة الناسك الكبير العارف أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي ، ولد سنة خمسين وستمائة ببالس ، وسمع من أصحاب ابن طبرزد ، وكان شيخا جليلا بشوش الوجه حسن السمت ، مقصدا لكل أحد كثير ، الوقار عليه سيما العبادة والخير ، وكان يوم قازان في جملة من كان مع الشيخ تقي الدين ابن تيمية لما تكلم مع قازان ، فحكى عن كلام شيخ الاسلام تقي الدين لقازان وشجاعته وجرأته عليه ، وأنه قال لترجمانه قل للقان : أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذنون وقاضي و إمام وشيخ على ما بلغنا فغزوتنا و بلغت بلادنا على ماذا ؟ وأبوك وجدك هلاكو كانا كافرين وما غزوا بلاد الاسلام ، بل عاهدوا قومنا ، وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت . قال وجرت له مع قازان وقطلوشاه و بولاي أمور ونوب ، قام ابن تيمية فيها كلها لله ، وقال الحق ولم يخش إلا الله عز وجل . قال وقرب إلى الجماعة طعاما فأكلوا منه إلا ابن تيمية فقيل له ألا تأكل؟ فقال : كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس ، قال ثم إن قازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه « اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد ، و إن كان إنما قام رياء وسمعة وطلبا للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الاسلام وأهله فاخذله و زلزله ودمره واقطع دابره » قال وقازان يؤمن على دعائه ، و يرفع يديه . قال فجعلنا نجمع ثيابنا خوفا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله ، قال فلما خرجنا من عنده قال له قاضي القضاة نجم الدين ابن صصري وغيره : كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك ، والله لا نصحبك من هنا ، فقال : وأنا والله لا أصحبكم . قال فانطلقنا عصبة وتأخر هو في خاصة نفسه ومعه جماعة من أصحابه ، فتسامعت به الخواقين والأمراء من أصحاب قازان فأتوه يتبركون بدعائه ، وهو سائر إلى دمشق ، و ينظرون إليه ، قال والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه ، وكنت أنا من جملة من كان معه ، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتر فشلحوهم عن آخرهم ، هذا الكلام أو نحوه ، وقد سمعت هذه الحكاية من جماعة غيره ، وقد تقدم ذلك . توفي الشيخ محمد بن قوام ليلة الاثنين

الثانى والعشرين من صفر بالزاوية المعروفة بهم غربى الصالحية والناصرية والعادلية ، وصلى عليه بها ودفن بها وحضر جنازته ودفنه خلق كثير وجم غفير ، وكان فى جملة الجمع الشيخ تقى الدين بن تيمية ، لأنه كان يحبه كثيرا ، ولم يكن للشيخ محمد مرتب على الدولة ولا غيرهم ، ولا لزاويته مرتب ولا وقف ، وقد عرض عليه ذلك غير مرة فلم يقبل ، وكان يزار ، وكان لديه علم وفضائل جمة ، وكان فهمه صحيحا ، وكانت له معرفة تامة ، وكان حسن العقيدة وطويته صحيحة محبا للحديث وآثار السلف ، كثير التلاوة والجمعية على الله عز وجل ، وقد صنف جزءا فيه أخبار جيدة ، رحمه الله وبل ثراه بوابل الرحمة آمين .

﴿ الشيخ الصالح الأديب البارع الشاعر المجيد ﴾

تقى الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ أحمد بن تمام بن حسان البلى ثم الصالحى الحنبلى ، أخو الشيخ محمد بن تمام ، ولد سنة خمس وثلاثين وستمائة وسمع الحديث ، وصحب الفضلاء ، وكان حسن الشكل والخلق ، طيب النفس مليح المجاورة والمجالسة ، كثير المفاكهة ، أقام مدة بالحجاز واجتمع بابن سبعين وبالتقى الحورانى ، وأخذ النحو عن ابن مالك وابنه بدر الدين وصحبه مدة ، وقد صحبه الشهاب محمود مدة خمسين سنة ، وكان يثنى عليه بالزهد والفراغ من الدنيا ، توفى ليلة السبت الثالث من ربيع الآخر ودفن بالسفح ، وقد أورد الشيخ علم الدين البرزالى فى ترجمته قطعة من شعره : فمن ذلك قوله :

أسكان المعاهد من فؤادى * لكم فى خافق منه سكون
أكرر فيكم أبداً حديثى * فيحلو والحديث له شجون
وأنظمه عقيقا من دموعى * فتنثره المحاجر والجفون
وأبتكر المعانى فى هواكم * وفيكم كل قافية تهون
واسئل عنكم البكاء سراً * وسر هواكم سر مصون
وأغتبق النسيم لان فيه * شمائل من معاطفكم تبين
فكم لى فى محبتكم غرام * وكم لى فى الغرام بكم فنون ؟

﴿ قاضى القضاة زين الدين ﴾

على بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف النويرى المالكى الحاكم بالديار المصرية ، سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل وحصل ، وولى الحكم بعد ابن شاش سنة خمس وثمانين ، وطالت أيامه إلى هذا العام ، وكان غزير المروءة والاحتمال والاحسان إلى الفقهاء والشهود ، ومن يقصده ، توفى ليلة الأربعاء حادى عشر جمادى الآخرة ودفن بسفح المقطم بمصر ، وتولى الحكم بعده بمصر تقى الدين الاخنائى المالكى .

﴿ الشيخ إبراهيم بن أبي العلاء ﴾

المقرى الصيت المشهور المعروف بابن شعلان ، وكان رجلا جيدا فى شهود المسمارية ، و يقصد للختمات لصيت صوته ، توفى يوم الجمعة وهو كهل ثالث عشر جمادى الآخرة ، ودفن بسفح قاسيون

﴿ الشيخ الامام العالم الزاهد ﴾

أبو الوليد محمد بن أبى القاسم أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى جعفر أحمد بن خلف بن إبراهيم ابن أبى عيسى بن الحاج النجيبى القرطبى ثم الاشبيلى ، ولد باشبيلية سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وقد كان أهله بيت العلم والخطابة والقضاء بمدينة قرطبة ، فلما أخذها الفرنج انتقلوا إلى إشبيلية وتمحقت أموالهم وكتبهم ، وصادر ابن الأحمر جده القاضى بعشرين ألف دينار ، ومات أبوه وجده فى سنة إحدى وأربعين وستمائة ، ونشأ يتيما ثم حج وأقبل إلى الشام فاستقام بدمشق من سنة أربع وثمانين ، وسمع من ابن البخارى وغيره ، وكتب بيده نحوا من مائة مجلد ، إعانة لولديه أبى عمرو وأبى عبد الله على الاشتغال ، ثم كانت وفاته بالمدرسة الصلاحية يوم الجمعة وقت الأذان ثامن عشر رجب ، وصلى عليه بعد العصر ودفن عند القندلاوى ، بباب الصغير بدمشق ، وحضر جنازته خلق كثير .

﴿ الشيخ كمال الدين ابن الشريشى ﴾

أحمد ابن الامام العلامة جمال الدين بن أبى بكر بن محمد بن أحمد بن محمد بن سحمان البكرى الوايلى الشريشى ، كان أبوه مالكيا كما تقدم ، واشتغل هو فى مذهب الشافعى فبرع وحصل علوماً كثيرة ، وكان خبيراً بالكتابة مع ذلك ، وسمع الحديث وكتب الطباق بنفسه ، وأفتى ودرس وناظر و باشر بعدة مدارس ومناصب كبار ، أول ما باشر مشيخة دار الحديث بتربة أم الصالح بعد والده من سنة خمس وثمانين وستمائة إلى أن توفى ، وناب فى الحكم عن ابن جماعة . ثم ترك ذلك و ولى وكالة بيت المال وقضاء العسكر و نظر الجامع مرات ، ودرس بالشامية البرانية ودرس بالناصرية عشرين سنة ، ثم انتزعها من يده ابن جماعة و زين الدين الفارقى ، فاستعادها منهما و باشر مشيخة الرباط الناصرى بقاسيون مدة ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية ثمان سنين ، وكان مشكور السيرة فيما يولى من الجهات كلها ، وقد عزم فى هذه السنة على الحج فخرج بأهله فأدركته منيته بالحسا فى سلخ شوال من هذه السنة ، ودفن هناك رحمه الله ، وتولى بعده الوكالة جمال الدين بن القلانسى ، ودرس بالناصرية كمال الدين بن الشيرازى ، و بدار الحديث الأشرفية الحافظ جمال الدين المزى ، و بأم الصالح الشيخ شمس الدين الذهبى ، وبالرباط الناصرى ولده جمال الدين .

﴿ الشهاب المقرى ﴾

أحمد بن أبى بكر بن أحمد البغدادى نقيب الأشراف المتعممين ، كان عنده فضائل جمة نثراً

ونظماً مما يناسب الوقائع وما يحضر فيه من التهانى والتعازى ، و يعرف الموسيقى والشعبذة ، وضرب الرمل ، ويحضر المجالس المشتملة على اللهو والمسكر واللعب والبسط ، ثم انقطع عن ذلك كله لكبر سنه وهو مما يقال فيه وفى أمثاله :

ذهبت عن توبته سائلا * وجدتها توبة إفلاس

وكان مولده بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وتوفى ليلة السبت خامس ذى القعدة ودفن بمقابر باب الصغير فى قبر أعده لنفسه عن خمس وثمانين سنة ، سامحه الله .

﴿ قاضى القضاة فخر الدين ﴾

أبو العباس أحمد بن تاج الدين أبى الخير سلامة بن زين الدين أبى العباس أحمد بن سلام الاسكندرى المالكى ، ولد سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وبرع فى علوم كثيرة ، وولى نيابة الحكم فى الاسكندرية فحمدت سيرته وديانته وصرامته ، ثم قدم على قضاء الشام للمالكية فى السنة الماضية فباشرها أحسن مباشرة سنة ونصفا، إلى أن توفى بالصمصامية بكرة الأربعاء مستهل ذى الحجة ، ودفن إلى جانب القندلاوى بباب الصغير ، وحضر جنازته خلق كثير ، وشكره الناس وأثنوا عليه ، رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها ، وفى ليلة مستهل محرم هبت ريح شديدة بدمشق سقط بسببها شئ من الجدران ، واقتلعت أشجاراً كثيرة . وفى يوم الثلاثاء سادس عشرين المحرم خلع على جمال الدين بن القلانسى بوكالة بيت المال عوضا عن ابن الشريشى ، وفى يوم الأربعاء الخامس من صفر درس بالناصرية الجوانية ابن صصرى عوضاً عن ابن الشريشى أيضا ، وحضر عنده الناس على العادة . وفى عاشره باشر شد الدواوين جمال الدين أقوش الرحبى عوضا عن فخر الدين إياس ، وكان أقوش متولى دمشق من سنة سبع وسبعمائة ، وولى مكانه الأمير علم الدين طرقش الساكن بالعقيبة ، وفى هذا اليوم نودى بالبلد بصوم الناس لأجل الخروج إلى الاستسقاء ، وشرع فى قراءة البخارى وتهيأ الناس ودعوا عقيب الصلوات و بعد الخطب ، وابتهلوا إلى الله فى الاستسقاء ، فلما كان يوم السبت منتصف صفر ، وكان سابع نيسان ، خرج أهل البلد برمتهم إلى عند مسجد القدم ، وخرج نائب السلطنة والامراء مشاة يبكون و يتضرعون ، واجتمع الناس هنالك وكان مشهدا عظيما ، وخطب بالناس القاضى صدر الدين سليمان الجعفرى وأمن الناس على دعائه ، فلما أصبح الناس من اليوم الثانى جاءهم الغيث بإذن الله و رحمته و رأفته لا بحولهم ولا بقوتهم ، ففرح الناس فرحاً شديدا وعم البلاد كلها ولله الحمد والمنة ، وحده لا شريك له . وفى أواخر الشهر شرعوا بإصلاح رخام الجامع وترميمه وحلى أبوابه وتحسين مافيه . وفى رابع عشر ربيع الآخر درس بالناصرية

الجوانية ابن الشيرازى بتوقيع سلطانى ، وأخذها من ابن صصرى و باشرها إلى أن مات . وفى يوم الخميس سادس عشر جمادى الأولى باشر ابن شيخ السلامية فخر الدين أخو ناظر الجيش الحسبة بدمشق عوضا عن ابن الحداد ، و باشر ابن الحداد نظر الجامع بدلا عن ابن شيخ السلامية ، وخلع على كل منهما .

وفى بكرة الثلاثاء خامس جمادى الآخرة قدم من مصر إلى دمشق قاضى القضاة شرف الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضى القضاة معين الدين أبى بكر بن الشيخ زكى الدين ظافر الهمدانى المالكى ، على قضاء المالكية بالشام ، عوضا عن ابن سلامة توفى ، وكان بينهما ستة أشهر ، ولكن تقليد هذا مؤرخ بآخر ربيع الأول ، ولبس الخلعة وقرئ تقليده بالجامع . وفى هذا الشهر درس بالخاتونية البرانية القاضى بدر الدين بن نويرة الحنفى ، وعمره خمس وعشرون سنة ، عوضا عن القاضى شمس الدين محمد قاضى ملطية توفى . وفى يوم السبت خامس رمضان وصل إلى دمشق سيل عظيم أتلف شيئا كثيراً ، وارتفع حتى دخل من باب الفرج ، ووصل إلى العقيبية ، وانزعج الناس له ، وانتقلوا من أماكنهم ، ولم تطل مدته لأن أصله كان مطراً وقع بأرض وابل السوق والحسينية . وفى هذا اليوم باشر طرقشى شد الدواوين بعد موت جمال الدين الرحبى ، و باشر ولاية المدينة صارم الدين الجوكندار ، وخلع عليهما .

ولما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من رمضان اجتمع القضاة وأعيان الفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة وقرىء عليهم كتاب من السلطان يتضمن منع الشيخ تقى الدين بن تيمية من الفتيا بمسألة الطلاق ، وانفصل المجلس على تأكيد المنع من ذلك . وفى يوم الجمعة تاسع شوال خطب القاضى صدر الدين الدارانى عوضا عن بدر الدين ابن ناصر الدين بن عبد السلام ، بجامع جراح ، وكان فيه خطيبا قبله فتولاه بدر الدين حسن العقربانى واستمر والده فى خطابة داريا التى كانت بيد أبيه من بعده. وفى يوم السبت عاشره خرج الركب وأميرهم عز الدين أيبك المنصورى أمير علم ، وحج فيها صدر الدين قاضى القضاة الحنفى ، و برهان الدين بن عبد الحق ، وشرف الدين بن تيمية ، ونجم الدين الدمشقى وهو قاضى الركب ، ورضى الدين المنطيقى ، وشمس الدين بن الزريز خطيب جامع القبيبات ، وعبد الله بن رشيق المالكى وغيرهم . وفيها حج سلطان الاسلام الملك الناصر محمد بن قلاوون ومعه جمع كثير من الامراء ، ووكيله كريم الدين وفخر الدين كاتب المماليك ، وكاتب السر ابن الأثير ، وقاضى القضاة ابن جماعة ، وصاحب حماة الملك عماد الدين ، والصاحب شمس الدين غبريال ، فى خدمة السلطان وكان فى خدمته خلق كثير من الأعيان .

وفيها كانت وقعة عظيمة بين التتار بسبب أن ملكهم أبا سعيد كان قد ضاق ذرعا بجوبان وعجز عن مسكه ، فانتدب له جماعة من الأمراء عن أمره ، منهم أبو يحيى خال أبيه ، ودقماق وقرشى وغيرهم

من أكابر الدولة ، وأرادوا كبس جوبان فهرب وجاء إلى السلطان فأنهى إليه ما كان منهـم ، وفى صحبته الوزير على شاه ، ولم يزل بالسلطان حتى رضى عن جوبان وأمده بجيش كثيف، وركب السلطان معه أيضا والتقوا مع أولئك فكسروهم وأسروهم ، وتحكم فيهم جوبان فقتل منهم إلى آخر هذه السنة نحواً من أربعين أميراً .

وممن توفى فيها من الأعيان : ﴿ الشيخ المقرى شهاب الدين ﴾

أبو عبد الله الحسن بن سليمان بن خزارة بن بدر الكفرى الحنفى ، ولد تقريبا فى سـنة سبع وثلاثين وستمائة ، وسمع الحديث وقرأ بنفسه كتاب الترمذى ، وقرأ القراءات وتفرد بها مدة يشـتغل الناس عليه ، وجمع عليه السبع أكثر من عشرين طالبا ، وكان يعرف النحو والأدب وفنونا كثيرة وكانت مجالسته حسنة ، وله فوائد كثيرة ، درس بالطرخانية أكثر من أربعين سنة ، وناب فى الحـكم عن الأذرعى مدة ولايته ، وكان خيرا مباركا أضر فى آخر عمره ، وانقطع فى بيته مواظبا على التلاوة والذكر وإقراء القرآن إلى أن توفى ثالث عشر جمادى الأولى ، وصلى عليه بعـد الظهر يومئذ بجامع دمشق ، ودفن بقاسيون رحمه الله .

وفى هذا الشهر جاء الخبر بموت :

﴿ الشيخ الامام تاج الدين ﴾

عبد الرحمن بن محمد بن أبى حامد التبريزى الشافعى المعروف بالأفضلى ، بعد رجوعه من الحج ببغداد فى العشر الأول من صفر ، وكان صالحا فقيها مباركا ، وكان ينكر على رشيد الدولة و يحط عليه ، ولما قتل قال كان قتله أنفع من قتل مائة ألف نصرانى ، وكان رشيد الدولة يريد أن يترضاه فلم يقبل ، وكان لايقبل من أحد شيئا ، ولما توفى دفن بتربة الشونيزى ، وكان قد قارب الستين رحمه الله .

﴿ محيي الدين محمد بن مفضل بن فضل الله المصرى ﴾

كاتب ملك الأمراء ، ومستوفى الأوقاف ، كان مشكور السيرة محببا للعلماء والصلحاء ، فيه كرم وخدمة كثيرة للناس ، توفى فى رابع عشرين من جمادى الأولى ودفن بتربة ابن هلال بسفح قاسيون وله ست وأربعون سنة ، وباشر بعده فى وظيفته أمين الدين بن النحاس .

﴿ الامير الـكبير غرلو بن عبد الله العادلى ﴾

كان من أكابر الدولة ومن الامراء المقدمين الألوف ، وقد ناب بدمشق عن أستاذه الملك العادل كتبغا نحواً من ثلاثة أشهر فى سنة خمس وسبعين وستمائة ، وأول سنة ست وتسعين ، واستمر أمـيراً كبيرا إلى أن توفى فى سابع جمادى الأولى يوم الخميس ودفن بتربته بشمالى جامع المظفرى بقاسيون ، وكان شهما شجاعا ناصحاً للاسلام وأهله ، مات فى عشر الستين .

﴿ الامير جمال الدين أقوش ﴾

الرحبي المنصورى ، والى دمشق مدة طويلة ، كان أصله من قرى إربل ، وكان نصرانيا فسبى وبيع من نائب الرحبة ، ثم انتقل إلى الملك المنصور فأعتقه وأمره ، وتولى الولاية بدمشق نحواً من إحدى عشرة سنة ثم انتقل إلى شد الدواوين مدة أربعة أشهر ، وكان محبوبا إلى العامة مدة ولايته .

﴿ الخطيب صلاح الدين ﴾

يوسف بن محمد بن عبد اللطيف بن المعتزل الحموى ، له تصانيف وفوائد ، وكان خطيب جامع السوق الأسفل بحماة ، وسمع من ابن طبرزد ، توفى فى جمادى الآخرة .

﴿ العلامة فخر الدين أبو عمرو ﴾

عثمان بن على بن يحى بن هبة الله بن إبراهيم بن المسلم بن على الأنصارى الشافعى المعروف بابن بنت أبى سعد المصرى ، سمع الحديث وكان من بقايا العلماء ، وناب فى الحكم بالقاهرة ، وولى مكانه فى ميعاد جامع طولون الشيخ علاء الدين القونوى شيخ الشيوخ ، وفى ميعاد الجامع الأزهر شمس الدين بن علان ، كانت وفاته ليلة الأحد الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ، ودفن بمصر وله من العمر سبعون سنة .

﴿ الشيخ الصالح العابد ﴾

أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر الكبجى ، له زاوية بالحسينية يزار فيها ولا يخرج منها إلا إلى الجمعة ، سمع الحديث ، توفى يوم الثلاثاء بعد العصر السادس والعشرين من جمادى الآخرة ودفن من الغد بزاويته المذكورة رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح المعمر الرحلة ﴾

عيسى بن عبد الرحمن بن معالى بن أحمد بن إسماعيل بن عطاف بن مبارك بن على بن أبى الجيش المقدسى الصالح المطعم ، راوى صحيح البخارى وغيره ، وقد سمع الكثير من مشايخ عدة وترجمه الشيخ علم الدين البرزالى فى تاريخه توفى ليلة السبت رابع عشر ذى الحجة ، وصلى عليه بعد الظهر فى اليوم المذكور بالجامع المظفرى ، ودفن بالساحة بالقرب من تربة الموفقين ، وله أربع وسبعون سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة عشرين وسبعمائة ﴾

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون فى التى قبلها ، وكان السلطان فى هذه السنة فى الحج ، وعاد إلى القاهرة يوم السبت ثانى عشر المحرم ، ودقت البشائر ، ورجع الصاحب شمس الدين على طريق الشام وصحبته الأمير ناصر الدين الخازندار ، وعاد صاحب حماة مع السلطان إلى القاهرة ، وأنعم عليه السلطان ولقب بالملك المؤيد ، ورسم أن يخطب له على منابرها وأعمالها ، وأن يخطب بالمقام العالى

المولوى السلطانى الملكى المؤيدى ، على ما كان عليه عمه المنصور .

وفيها عمر ابن المرجانى شهاب الدين مسجد الخيف وأنفق عليه نحواً من عشرين ألفاً . وفى المحرم استقال أمين الدين من نظر طرابلس وأقام بالقدس . وفى آخر صفر باشر نيابة الحكم المالكى القاضى شمس الدين محمد بن أحمد القفصى ، وكان قد قدم مع قاضى القضاة شرف الدين من مصر . وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الأول ضربت عنق شخص يقال له عبد الله الرومى وكان غلامالبعض التجار ، وكان قدلزم الجامع ،ثم ادعى النبوة واستتيب فلم يرجع فضربت عنقه وكان أشقر أزرق العينين جاهلا ، وكان قد خالطه شيطان حسن له ذلك ، واضطرب عقله فى نفس الأمر وهو فى نفسه شيطان إنسى . وفى يوم الاثنين ثانى ربيع الآخر عقد عقد السلطان على المرأة التى قدمت من بلاد القبجاق ، وهى من بنات الملوك ، وخلع على القاضى بدر الدين ابن جماعة وكاتب السر وكريم الدين وجماعة الأمراء ، ووصلت العساكر فى هذا الشهر إلى بلاد سيس وغرق فى بحر جاهان من عساكر طراباس نحو من ألف فارس ، وجاءت مراسيم السلطان فى هذا اليوم إلى الشام فى الاحتياط على أخبار آل مهنا وإخراجهم من بلاد الاسلام ، وذلك لغضب السلطان عليهم لعدم قدوم والدهم مهنا على السلطان . وفى يوم الأربعاء رابع عشرين جمادى الأولى درس بالركنية الشيخ محيى الدين الاسمر الحنفى وأخذت منه الجوهرية لشمس الدين البرقى الاعرج ، وتدريس جامع القلعة لعماد الدين بن محيى الدين الطرسوسى ، الذى ولى قضاء الحنفية بعد هذا ، وأخذ من البرقى إمامة مسجد نور الدين له بحارة اليهود ، ولعماد الدين بن الكيال ، وامامة الربوة الشيخ محمد الصبيبى . وفى جمادى الآخرة اجتمعت الجيوش الاسلامية بأرض حلب نحواً من عشرين ألفا ، عليهم كلهم نائب حلب الطنبغا وفيهم نائب طرابلس شهاب الدين قرطية ، فدخلوا بلاد الأرمن من اسكندرونة ففتحوا الثغرثم تل حمدان ثم خاضوا جاهان فغرق منهم جماعة ثم سلم الله من وصلوا إلى سيس فحاصروها وضيقوا على أهلها وأحرقوا دار الملك التى فى البلد ، وقطعوا أشجار البساتين وساقوا الابقار والجواميس والاغنام وكذلك فعلوا بطرسوس ، وخربوا الضياع والأماكن وأحرقوا الزروع ثم رجعوا فخاضوا النهر المذكور فلم يغرق منهم أحد ، وأخرجوا بعد رجوعهم مهنا وأولاده من بلادهم وساقوا خلفه إلى غانة وحديثة ثم بلغ الجيوش موت صاحب سيس وقيام ولده من بعده، فشنوا الغارات على بلاده وتابعوها وغنموا وأسروا إلا فى المرة الرابعة فانه قتل منهم جماعة .

وفى هذه السنة كانت وقعة عظيمة ببلاد المغرب بين المسلمين والفرنج فنصر الله المسلمين على أعدائهم فقتلوا منهم خمسين ألفا وأسروا خمسة آلاف ، وكان فى جملة القتلى خمسة وعشرين ملكا

من ملوك الافرنج ، وغنموا شيئا كثيراً من الأموال ، يقال كان من جملة ماغنموا سبعون قنطاراً من الذهب والفضة ، وإنما كان جيش الاسلام يومئذ ألفين وخمسمائة فارس غير الرماة ، ولم يقتل منهم سوى إحدى عشر قتيلا ، وهذا من غريب ما وقع وعجيب ما سمع . وفى يوم الخميس ثانى عشرين رجب عقد مجلس بدار السعادة للشيخ تقى الدين بن تيمية بحضرة نائب السلطنة ، وحضر فيه القضاة والمفتيون من المذاهب ، وحضر الشيخ وعاتبوه على العود إلى الافتاء بمسألة الطلاق ثم حبس فى القلعة فبقى فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ثم ورد مرسوم من السلطان باخراجه يوم الاثنين يوم عاشوراء من سنة إحدى وعشرين كما سيأتى إن شاء الله تعالى . وبعد ذلك بأربعة أيام أضيف شد الأوقاف إلى الأمير علاء الدين بن معبد إلى ما بيده من ولاية البر وعزل بدر الدين المنكورسى عن الشام .

وفى آخر شعبان مسك الأمير علاء الدين الجاولى نائب غزة وحمل إلى الاسكندرية لأنه اتهم أنه يريد الدخول إلى دار اليمن ، واحتيط على حواصله وأمواله ، وكان له بر وإحسان وأوقاف ، وقد بنى بغزة جامعا حسنا مليحا . وفى هذا الشهر أراق ملك التتر أبو سعيد الخمور وأبطل الحانات ، وأظهر العدل والاحسان إلى الرعايا ، وذلك أنه أصابهم برد عظيم وجاءهم سيل هائل فلجؤا إلى الله عز وجل ، وابتهلوا إليه فسلموا فتابوا وأنابوا وعملوا الخير عقيب ذلك . وفى العشر الأول من شوال جرى الماء بالنهر الكريمى الذى اشتراه كريم الدين بخمسة وأربعين ألفا وأجراه فى جدول إلى جامعه بالقبيبات فعاش به الناس ، وحصل به أنس إلى أهل تلك الناحية ، ونصبت عليه الأشجار والبساتين ، وعمل حوض كبير تجاه الجامع من الغرب يشرب منه الناس والدواب ، وهو حوض كبير وعمل مطهرة ، وحصل بذلك نفع كثير ، ورفق زائد أثابه الله . وخرج الركب فى حادى عشر شوال وأميره الملك صلاح الدين بن الأوحد ، وفيه زين الدين كتبغا الحاجب ، وكمال الدين الزملكانى والقاضى شمس الدين بن المعز ، وقاضى حماة شرف الدين البارزى ، وقطب الدين ابن شيخ السلامية وبدر الدين بن العطار ، وعلاء الدين بن غانم ، ونور الدين السخاوى ، وهو قاضى الركب . ومن المصريين قاضى الحنفية ابن الحريرى ، وقاضى الحنابلة ومجد الدين حرمى والشرف عيسى المالكى ، وهو قاضى الركب . وفيه كملت عمارة الحمام الذى عمره الجيبغا غربى دار الطعم ودخله الناس .

وفى أواخر ذى الحجة وصل إلى دمشق من عند ملك التتر الخواجه مجد الدين إسماعيل بن محمد ابن ياقوت السلامى ، وفى صحبته هدايا وتحف لصاحب مصر من ملك التتر ، وأشهر أنه إنما جاء ليصلح بين المسلمين والتتر ، فتلقاه الجند والدولة ، ونزل بدار السعادة يوما واحداً ، ثم سار إلى مصر . وفيها وقف الناس بعرفات موقفا عظيما لم يعهد مثله ، أتوه من جميع أقطار الأرض ، وكان مع

العراقيين محامل كثيرة منها محمل قوم ما عليه من الذهب واللآلئ بألف ألف دينار مصرية ، وهذا أمر عجيب .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ إبراهيم الدهستانى ﴾

وكان قد أسن وعمر ، وكان يذكر أن عمره حين أخذت التتر بغداد أربعين سنة ، وكان يحضر الجمعة هو وأصحابه تحت قبة النسر ، إلى أن توفى ليلة الجمعة السابع والعشرين من ربيع الآخر بزاويته التى عند سوق الخيل بدمشق ، ودفن بها وله من العمر مائة وأربع سنين ، كما قال ، فالله أعلم .

﴿ الشيخ محمد بن محمود بن على ﴾

الشحام المقرىء شيخ ميعاد ابن عامر ، كان شيخاً حسناً بهياً مواظباً على تلاوة القرآن إلى أن توفى فى ليلة توفى الدهستانى المذكور أو قبله بليلة رحمهما الله .

﴿ الشيخ شمس الدين ابن الصائغ اللغوى ﴾

هو أبو عبد الله محمد بن حسين بن سباع بن أبى بكر الجذامى المصرى الأصل ، ثم انتقل إلى دمشق ، ولد تقريباً سنة خمس وأربعين وستمائة بمصر ، وسمع الحديث وكان أديباً فاضلا بارعا بالنظم والنثر ، وعلم العروض والبديع والنحو واللغة ، وقد اختصر صحاح الجوهرى ، وشرح مقصورة ابن دريد ، وله قصيدة تائية تشتمل على ألفى بيت فأكثر ، ذكر فيها العلوم والصنائع ، وكان حسن الأخلاق لطيف المحاورة والمحاضرة ، وكان يسكن بين درب الحباليين والفراش عند بستان القط توفى بداره يوم الاثنين ثالث شعبان ودفن بباب الصغير .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ﴾

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون فى التى قبلها . وفى أول يوم منها فتح حمام الزيت الذى فى رأس درب الحجر ، جدد عمارته رجل ساوى بعد ما كان قد درس ودثر من زمان الخوارزمية من نحو ثمانين سنة ، وهو حمام جيد متسع . وفى سادس المحرم وصلت هدية من ملك التتار أبى سعيد إلى السلطان صناديق وتحف ودقيق . وفى يوم عاشوراء خرج الشيخ تقى الدين بن تيمية من القلعة بمرسوم السلطان وتوجه إلى داره ، وكانت مدة إقامته خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً رحمه الله . وفى رابع ربيع الآخر وصل إلى دمشق القاضى كريم الدين وكيل السلطان فنزل بدار السعادة وقدم قاضى القضاة تقى الدين بن عوض الحاكم الحنبلى بمصر وهو ناظر الخزانة أيضا ، فنزل بالعادلية الكبيرة التى للشافعية ، فأقام بها أياما ، ثم توجه إلى مصر : جاء فى بعض أشغال السلطان وزار القدس .

وفى هذا الشهر كان السلطان قد حفر بركة قريبا من الميدان وكان فى جوارها كنيسة فأمر الوالى بهدمها ، فلما هدمت تسلط الحرافيش وغيرهم على الكنائس بمصر يهدمون ما قدروا عليه ،

فانزعج السلطان لذلك وسأل القضاة ماذا يجب على من تعاطى ذلك منهـم ؟ فقالوا يعزر ، فأخرج جماعة من السجون ممن وجب عليه قتل فقطع وصلب وحرم وحزم وعاقب ، موهما أنه إنما عاقب من تعاطى تخريب ذلك ، فسكن الناس وأمنت النصارى وظهروا بعـد ما كانوا قد اختفوا أياما . وفيه ثارت الحرامية ببغداد ونهبوا سوق الثلاثاء وقت الظهر ، فثار الناس وراءهم وقتلوا منهـم قريبا من مائة وأسروا آخرين .

قال الشيخ علم الدين البرزالى ومن خطه نقلت : وفى يوم الأربعاء السادس من جمادى الأولى خرج القضاة والأعيان والمفتيون إلى القابون ووقفوا على قبلة الجامع الذى أمر ببنائه القاضى كريم الدين وكيل السلطان بالمكان المذكور ، وحرروا قبلته واتفقوا على أن تكون مثل قبلة جامع دمشق . وفيه وقعت مراجعة من الأمير جوبان أحد المقدمين الكبار بدمشق ، وبين نائب السلطنة تنكز ، فمسك جوبان ورفع إلى القلعة ليلتان ، ثم حول إلى القاهرة فعوتب فى ذلك ، ثم أعطى خبزاً يليق به . وذكر علم الدين أن فى هذا اليوم وقع حريق عظيم فى القاهرة فى الدور الحسنة والأماكن المليحة المرتفقة ، وبعض المساجد ، وحصـل للناس مشقة عظيمة من ذلك ، وقنتوا فى الصلوات ثم كشفوا عن القضية فاذا هو من قبـل النصارى بسبب ما كان أحرق من كنائسهم وهـدم ، فقتل السلطان بعضهم وألزم النصارى أن يلبسوا الزرقاء على رؤسهم وثيابهـم كلها ، وأن يحملوا الاجراس فى الحمامات ، وأن لا يستخدموا فى شىء من الجهات ، فسكن الأمر وبطل الحريق .

وفى جمادى الآخرة خرب ملك التتار أبو سعيد البازار وزوج الخواطىء وأراق الخمور وعاقب فى ذلك أشـد العقوبة ، وفرح المسلمون بذلك ودعوا له رحمـه الله وسامحه . وفى الثالث عشر من جمادى الآخرة أقيمت الجمعة بجامع القصب وخطب به الشيخ على المناخلى . وفى يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة فتح الحمام الذى أنشأه تنكز تجاه جامعه ، وأكرى فى كل يوم بأربعين درهما لحسنه وكثرة ضوئه ورخامه . وفى يوم السبت تاسع عشر رجب خربت كنيسة القرائيين التى تجاه حارة اليهود بعد إثبات كونها محدثة وجاءت المراسيم السلطانية بذلك . وفى أواخر رجب نفذت الهدايا من السلطان إلى أبى سـعيد ملك التتار ، صحبة الخواجا مجد الدين السلامى ، وفيها خمسون جمـلا وخيول وحمار عتابى . وفى منتصف رمضان أقيمت الجمعـة بالجامع الكريمى بالقابون وشهدها يومئذ القضاة والصاحب وجماعـة من الأعيان . قال الشيخ علم الدين : وقدم دمشق الشيخ قوام الدين أمير كاتب ابن الأمير العميد عمر الاكفانى القازانى ، مدرس مشهد الامام أبى حنيفة ببغداد ، فى أول رمضان ، وقد حج فى هذه السنة وتوجه إلى مصر وأقام بها أشهراً ثم مر بدمشق متوجها إلى بغداد فنزل بالخاتونية الحنفية ، وهو ذو فنون وبحث وأدب وفقه . وخرج الركب الشامى يوم الاثنين عاشر

شوال وأميره شمس الدين حمزة التركمانى ، وقاضيه نجم الدين الدمشقى . وفيها حج تنكز نائب الشام وفى صحبته جماعة من أهله ، وقدم من مصر الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب لينوب عنه إلى أن يرجع ، فنزل بالنجيبية البرانية .

وممن حج فيها الخطيب جلال الدين القزوينى وعز الدين حمزة بن القلانسى ، وابن العز شمس الدين الحنفى ، وجلال الدين بن حسام الدين الحنفى ، وبهاء الدين بن علية ، وعلم الدين البرزالى ودرس ابن جماعة بزاوية الشافعى يوم الأربعاء ثامن عشر شوال عوضا عن شهاب الدين أحمد بن محمد الأنصارى لسوء تصرفه ، وخلع على ابن جماعة ، وحضر عنده من الأعيان والعامة ما نشأ به جمعية الجمعة وأشعلت له شموع كثيرة وفرح الناس بزوال المعزول .

قال البرزالى ومن خطه نقلت : وفى يوم الأحد سادس عشر شوال ذكر الدرس الامام العلامة تقى الدين السبكى المحدث بالمدرسة الهكارية عوضا عن ابن الانصارى أيضا ، وحضر عنده جماعة منهم القونوى ، وروى فى الدرس حديث المتبايعين بالخيار ، عن قاضى القضاة ابن جماعة وفى شوال عزل علاء الدين بن معبد عن ولاية البر وشد الاوقاف ، وتولى ولاية الولاة بالبلاد القبلية بحوران عوضا عن بكتمر لسفره إلى الحجاز ، وباشر أخوه بدرالدين شد الاوقاف ، والامير علم الدين الطرقشى ولاية البر مع شد الدواوين ، وتوجه ابن الانصارى إلى حلب متوليا وكالة بيت المال عوضا عن ناصر الدين أخى شرف الدين يعقوب ناظر حلب ، بحكم ولاية التاج المذكور نظر الكرك .

وفى يوم عيد الفطر ركب الامير تمرتاش بن جوبان نائب أبى سعيد على بلاد الروم فى قيسارية فى جيش كثيف من التتار والتركمان والقرمان ، ودخل بلاد سيس فقتل وسبى وحرق وخرب ، وكان قد أرسل لنائب حلب الطنبغا ليجهز له جيوشا ليكونون عونا له على ذلك ، فلم يمكنه ذلك بغير مرسوم السلطان .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الصالح المقرى ﴾

بقية السلف عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الواحد بن على القرشى المخزومى الدلاصى شيخ الحرم بمكة ، أقام فيه أزيد من ستين سنة ، يقرئ الناس القرآن احتسابا ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الرابع عشر من محرم بمكة ، وله أزيد من تسعين سنة رحمه الله .

﴿ الشيخ الفاضل شمس الدين أبو عبد الله ﴾

محمد بن أبى بكر بن أبى القاسم الهمدانى ، أبوه الصالحى المعروف بالسكاكينى ، ولد سنة خمس وثلاثين وستمائة بالصالحية ، وقرأ بالروايات ، واشتغل فى مقدمة فى النحو ، ونظم قويا وسمع الحديث ، وخرج له الفخر ابن البعلبكى جزءا عن شيوخه ، ثم دخل فى التشيع فقرأ على أبى صالح الحلى شيخ

الشيعة ، وصحب عدنان وقرأ عليه أولاده ، وطلبه أمير المدينة النبوية الأمير منصور بن حماد فأقام عنده نحواً من سبع سنين ، ثم عاد إلى دمشق وقد ضعف وثقل سمعه ، وله سؤال فى الخبر أجابه به الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، وكل فيه عنه غيره ، وظهر له بعد موته كتاب فيه انتصار لليهود وأهل الأديان الفاسدة فغسله تقى الدين السبكى لما قدم دمشق قاضيا ، وكان بخطه ، ولماماتُ لم يشهد جنازته القاضى شمس الدين ابن مسلم . توفى يوم الجمعة سادس عشر صفر ، ودفن بسفح قاسيون ، وقتل ابنه قماز على قذفه أمهات المؤمنين عائشة وغيرها رضى الله عنهن وقبح قاذفهن .

وفى يوم الجمعة مستهل رمضان صلى بدمشق على غائبين وهم الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد الأصبهانى ، توفى بمكة ، وعلى جماعة توفوا بالمدينة النبوية منهم عبد الله بن أبى القاسم بن فرحون مدرس المالكية بها ، والشيخ يحيى الكردى ، والشيخ حسن المغربى السقا .

﴿ الشيخ الامام العالم علاء الدين ﴾

على بن سعيد بن سالم الأنصارى ، إمام مشهد على من جامع دمشق ، كان بشوش الوجه متواضعا حسن الصوت بالقراءة ملازماً لاقراء الكتاب العزيز بالجامع ، وكان يؤم نائب السلطنة ولده العلامة ، بهاء الدين محمد بن على مدرس الأمينية ، ومحتسب دمشق . توفى ليلة الاثنين رابع رمضان ودفن بسفح قاسيون .

﴿ الامير حاجب الحجاب ﴾

زين الدين كتبغا المنصورى ، حاجب دمشق ، كان من خيار الأمراء وأكثرهم براً للفقراء ، يحب الختم والمواعيد والمواليد ، وسماع الحديث ، ويلزم أهله ويحسن إليهم ، وكان ملازماً لشيخنا أبى العباس ابن تيمية كثيرا ، وكان يحج ويتصدق ، توفى يوم الجمعة آخر النهار ثامن عشر شوال ، ودفن من الغد بتربته قبلى القبيبات ، وشهده خلق كثير وأثنوا عليه رحمه الله .

والشيخ بهاء الدين ابن المقدسى والشيخ سعد الدين أبى زكريا يحيى المقدسى ، والد الشيخ شمس الدين محمد بن سعد المحدث المشهور . وسيف الدين الناسخ المنادى على الكتب . والشيخ أحمد الحرام المقرىء على الجنائز ، وكان يكرر على التنبيه ، ويسأل عن أشياء منها ما هو حسن ومنها ما ليس بحسن .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ﴾

استهلت وأرباب الولايات هم المذكورون فى التى قبلها ، سوى والى البر بدمشق فانه علم الدين طرقشى ، وقد صرف ابن معبد إلى ولاية حوران لشهامته وصرامته وديانته وأمانته . وفى المحرم حصلت زلزلة عظيمة بدمشق ، وقى الله شرها ، وقدم تنكز من الحجاز ليلة الثلاثاء حادى عشر المحرم ، وكانت مدة غيبته ثلاثة أشهر ، وقدم ليلا لئلا يتكلف أحد لقدومه ، وسافر نائب الغيبة عنه قبله بيومين

لئلا يكافه بهدية ولا غيرها ، وقدم مغلطاى عبد الواحد الجمدار أحد الأمراء بمصر بخلعة سنية من السلطان لتنكز فلبسها وقبـل العتبة عـلى العادة ، وفى يوم الأربعاء سادس صفر درس الشيخ نجم الدين القفجازى بالظاهرية للحنيفة ، وهو خطيب جامع تنكز ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، ودرس فى قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وذلك بعـد وفاة القاضى شمس الدين بن العز الحنفى ، توفى مرجعه من الحجاز ، وتولى بعـده نيابة القضاء عماد الدين الطرسوسى ، وهو زوج ابنته ، وكان ينوب عنـه فى حال غيبته ، فاستمر بعـده ، ثم ولى الحكم بعـده ، مستنيبه فيها . وفيه قدم الخوارزمى حاجبا عوضاً عن كتبغا ، وفى ربيع الأول قدم إلى دمشق الشيخ قوام الدين مسعود بن الشيخ برهان الدين محمـد بن الشيخ شرف الدين محمـد الـكرمانى الحنفى ، فنزل بالقصاعين وتردد إليـه الطلبة ودخل إلى نائب السلطنة واجتمع به وهو شاب مولده سـنة إحـدى وسبعين وقـد اجتمعت به ، وكان عنـده مشاركة فى الفروع والأصول ودعواه أوسع من محصوله ، وكانت لأبيه وجده مصنفات ، ثم صار بعد مدة إلى مصر ومات بها كما سيأتى .

وفى ربيع الأول تكامل فتح إياس ومعاملتها وانتزاعها من أيدى الأرمن ، وأخـذ البرج الأطلس وبينه وبينها فى البحر رميـة ونصف ، فأخـذه المسلمون باذن الله وخربوه ، وكانت أبوابه مطلية بالحـديد والرصاص ، وعرض سوره ثلاثة عشر ذراعا بالنجار ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة جداً ، وحاصروا كواره فقوى عليهم الحر والذباب ، فرسم السلطان بعودهم ، فحرقوا ما كان معهم من المجانيق وأخذوا حديدها وأقبلوا سالمين غانمين ، وكان معهـم خلق كثير من المتطوعين . وفى يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى كمـل بسط داخل الجامع فاتسع على الناس ، ولكن حصل حرج بحمل الأمتعة على خلاف العادة ، فان الناس كانوا يمرون وسط الرواق ويخرجون من باب البرادة ، ومن شاء استمر يمشى إلى الباب الآخر بنعليه ، ولم يكن ممنوعا سوى المقصورة لا يمكن أحد الدخول إليها بالمداسات ، بخلاف باقى الرواقات ، فأمر نائب السلطنة بتكميل بسطه باشارة ناظره ابن مراحـل . وفى جمادى الآخرة رجعت العساكر من بلاد سيس ومقـدمهم أقوش نائب الكرك . وفى آخر رجب باشر القاضى محى الدين بن إسماعيل بن جهبل نيابة الحكم عن ابن صصرى عوضا عن الدارانى الجعفرى ، واستغنى الدارانى بخطبة جامع العقيبة عنها . وفى ثالث رجب ركب نائب السلطنة إلى خدمة السلطان فأكرمه وخلع عليـه ، وعاد فى أول شعبان ففرح به الناس . وفى رجب كملت عمارة الحمام الذى بناه الأمير علاء الدين بن صبيح جوار داره شمالى الشامية البرانية . وفى يوم الاثنين تاسع شعبان عقد الأمير سيف الدين أبو بكر بن أرغون نائب السلطنة عقده على ابنـة الناصر ، وختن فى هـذا اليوم جماعة من أولاد الأمراء بين يديه ، ومد سماطا عظيما ، ونثرت

الفضة عـلى رؤس المطهرين ، وكان يوما مشهوداً ، ورسم السلطان فى هـذا اليوم وضع المكس عن المأكولات بمكة ، وعوض صاحبها عن ذلك باقطاع فى بلد الصعيد .

وفى أواخر رمضان كملت عمارة الحمام الذى بناه بهاء الدين بن عليم بزقاق الماجية من قاسيون بالقرب من سكنه ، وانتفع به أهـل تلك الناحيـة ومن جاورهم . وخرج الركب الشامى يوم الخميس ثامن شوال وأميره سيف الدين بلبطى نائب الرحبـة ، وكان سكنه داخل باب الجابية بدرب ابن صبرة ، وقاضيه شمس الدين بن النقيب قاضى حمص .

ومن توفى فيها من الاعيان ﴿ القاضى شمس الدين بن العز الحنفى ﴾

أبو عبـد الله محمـد بن الشيـخ شرف الدين أبى البركات محمـد بن الشيـخ عز الدين أبى العز صالح بن أبى العز بن وهيب بن عطاء بن جبـير بن كابن بن وهيب الأذرعى الحنفى ، أحد مشايخ الحنفية وأئمتهم وفضلائهم فى فنون من العلوم متعددة ، حكم نيابة نحواً من عشرين سنة ، وكان سديد الأحكام محمود السيرة جيـد الطريقة كريم الأخـلاق ، كثير البر والصـلة والاحسان إلى أصحابه وغـيرهم ، وخطب فى جامع الأفرم مـدة ، وهو أول من خطب به ، ودرس بالمعظميـة واليغمورية والقليجيـة والظاهرية ، وكان ناظر أوقافها ، وأذن للناس بالافتاء ، وكان كبيرا معظما مهيبا ، توفى بعد مرجعه من الحج بأيام قلائل ، يوم الخميس سلخ المحرم ، وصـلى عليه يومئذ بعد الظهر بجامع الأفرم ودفن عند المعظمية عند أقاربه ، وكانت جنازته حافلة ، وشهد له الناس بالخير وغبطوه لهذه الموتة رحمه الله . ودرس بعده فى الظاهرية نجم الدين الفقجازى ، وفى المعظمية والقليجية والخطابة بالأفرم ابنه علاء الدين ، وباشر بعده نيابة الحكم القاضى عماد الدين الطرسوسى ، مدرس القلمة .

﴿ الشيـخ الامام العالم ﴾

بقية السلف رضى الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم الطبرى المكى الشافعى ، إمام المقام أكثر من خمسين سنة ، سمع الحديث من شيوخ بلده والواردين إليها ولم يكن له رحلة ، وكان يفتى الناس من مـدة طويلة ، ويذكر أنه اختصر شرح السنة للبغوى ، توفى يوم السبت بعد الظهر ثامن ربيع الأول بمكة ، ودفن من الغد ، وكان من أئمة المشايخ .

﴿ شيخنا العلامة الزاهد الورع ﴾

بقية السلف ركن الدين أبو يحيى زكريا بن يوسف بن سليمان بن حماد البجلى الشافعى ، نائب الخطابة ، ومدرس الطيبية والأسدية ، وله حلقة للاشتغال بالجامع ، يحضرها عنده الطلبة ، كان يشتغل فى الفرائض وغيرها ، مواظبا على ذلك ، توفى يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى عن سبعين سنة ، ودفن قريبا من شيخه تاج الدين الفزارى رحمهما الله .

﴿ نصير الدين ﴾

أبو محمد عبد الله بن وجيه الدين أبي عبد الله على بن محمد بن على بن أبي طالب بن سويد بن معالى ابن محمد بن أبي بكر الربعي التغلبي التكريتي أحد صدور دمشق ، قدم أبوه قبله إليها وعظم فى أيام الظاهر وقبله ، وكان مولده فى حدود خمسين وستمائة ، ولهم الأموال الكثيرة والنعمة الباذخة ، توفى يوم الخميس عشرين رجب ، ودفن بتربتهم بسفح قاسيون رحمه الله . وفى يوم الأحد حادى عشر شوال توفى.

﴿ شمس الدين محمد بن المغربي ﴾

التاجر السفار ، بانى خان الصنمين الذى على جادة الطريق للسبيل رحمه الله وتقبل منه ، وهو فى أحسن الأماكن وأنفعها .

﴿ الشيخ الجليل الزاهد ﴾

نجم الدين أبو عبد الله الحسين بن محمد بن إسماعيل القرشى المعروف بابن عنقود المصرى ، كانت له وجاهة وإقدام على الدولة ، توفى بكرة الجمعة ثالث عشرين شوال ، ودفن بزاويته ، وقام بعده فيها ابن أخيه

﴿ شمس الدين محمد بن الحسن ﴾

ابن الشيخ الفقيه محيي الدين أبو الهدى أحمد بن الشيخ شهاب الدين أبي شامة ، ولد سنة ثلاث وخمسين وستمائة فأسمعه أبوه على المشايخ وقرأ القرآن واشتغل بالفقه وكان ينسخ ويكثر التلاوة ويحضر المدارس والسبع الكبير ، توفى فى سابع عشرين شوال ، ودفن عند والده بمقابر باب الفراديس

﴿ الشيخ الصالح العابد ﴾

جلال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن زين الدين محمد بن أحمد بن محمود بن محمد العقيلى المعروف بابن القلانسى ، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة ، وسمع على ابن عبد الدائم جزء ابن عرفة ، ورواه غير مرة ، وسمع على غيره أيضاً ، واشتغل بصناعة الكتابة والانشاء ثم انقطع وترك ذلك كله وأقبل على العبادة والزهادة ، وبنى له الأمراء بمصر زواية وترددوا إليه ، وكان فيه بشاشة وفصاحة ، وكان ثقيل السمع ، ثم انتقل إلى القدس وقدم دمشق مرة فاجتمع به الناس وأكرموه ، وحدث بها ثم عاد إلى القدس وتوفى بها ليلة الأحد ثالث ذى القعدة ، ودفن بمقابر ماملى رحمه الله ، وهو خال المحتسب عز الدين بن القلانسى ، وهذا خال الصاحب تقى الدين بن مراحل .

﴿ الشيخ الامام قطب الدين ﴾

محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطى المصرى ، اختصر الروضة وصنف كتاب التعجيز ودرس بالفاضلية وناب فى الحكم بمصر ، وكان من أعيان الفقهاء ، توفى يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة عن سبعين سنة ، وحضر بعده تدريس الفاضلية ضياء الدين المنادى ، نائب الحكم بالقاهرة

وحضر عنده ابن جماعة ، والاعيان والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ﴾

استهلت بيوم الأحد فى كانون الأصم، والحكام هم المذكورون فى التى قبلها، غير أن والى البر بدمشق هو الأمير علاء الدين على بن الحسن المروانى ، باشرها فى صفر من السنة الماضية . وفى صفر من هذه السنة باشر ولاية المدينة الأمير شهاب الدين بن برق عوضاً عن صارم الدين الجوكندارى وفى صفر عوفى القاضى كريم الدين وكيل السلطان من مرض كان قد أصابه ، فزينت القاهرة وأشعلت الشموع وجمع الفقراء بالمارستان المنصورى ليأخذوا من صدقته ، فمات بعضهم من الزحام فى سلخ ربيع الأول ، ودرس الامام العلامة المحدث تقى الدين السبكى الشافعى بالمنصورية بالقاهرة عوضا عن القاضى جمال الدين الزرعى ، بمقتضى انتقاله إلى دمشق ، وحضر عنده علاء الدين شيخ الشيوخ القونوى الشافعى عوضا عن النجم ابن صصرى ، فى يوم الجمعة رابع جمادى الأولى ، فنزل العادلية وقد قدم على القضاة ومشيخة الشيوخ وقضاء العساكر وتدريس العادلية والغزالية والاتابكية .

وفى يوم الأحد مسك القاضى كريم الدين بن عبد الكريم بن هبة الله بن الشديد وكيل السلطان وكان قد بلغ من المنزلة والمكانة عند السلطان مالم يصل إليه غيره من الوزراء الكبار ، واحتيط على أمواله وحواصله ، ورسم عليه عند نائب السلطنة ، ثم رسم له أن يكون بتربته التى بالقرافة ، ثم نفى إلى الشوبك وأنعم عليه بشىء من المال ، ثم أذن له بالاقامة بالقدس الشريف برباطه . ومسك ابن أخيه كريم الدين الصغير ناظر الدواوين ، وأخذت أمواله وحبس فى البرج ، وفرح العامة بذلك ودعوا للسلطان بسبب مسكهما ، ثم أخرج إلى صفت . وطلب من القدس أمين الملك عبد الله فولى الوزارة بمصر ، وخلع عليه عوداً على بدء ، وفرح العامة بذلك وأشعلوا له الشموع ، وطلب الصاحب بدر الدين غبريال من دمشق فركب ومعه أموال كثيرة ، ثم خول أموال كريم الدين الكبير ، وعاد إلى دمشق مكرما ، وقدم القاضى معين الدين بن الحشيشى على نظر الجيوش الشامية عوضا عن القطب بن شيخ السلامية عزل عنها ، ورسم عليه فى العذراوية نحواً من عشرين يوما ثم أذن له فى الانصراف إلى منزله مصروفا عنها .

وفى جمادى الأولى عزل طرقشى عن شد الدواوين وتولاها الأمير بكتمر . وفى ثانى جمادى الآخرة باشر ابن جهبل نيابة الحكم عن الزرعى ، وكان قد باشر قبلها بأيام نظر الايتام عوضا عن ابن هلال . وفى شعبان أعيد الطرقشى إلى الشد وسافر بكتمر إلى نيابة الاسكندرية ، وكان بها إلى أن توفى . وفى رمضان قدم جماعة من حجاج الشرق وفيهم بنت الملك أبغابن هولاكو ، وأخت أرغون وعمة قازان وخر بندا ، فأكرمت وأنزلت بالقصر الأبلق ، وأجريت عليها الاقامات والنفقات

إلى أوان الحج ، وخرج الركب يوم الاثنين ثامن شوال وأميره قطلجا الابو بكرى ، الذى بالقصاعين وقاضى الركب شمس الدين قاضى القضاة ابن مسلم الحنبلى ، وحج معهم جمال الدين المزى ، وعماد الدين ابن الشيرجى ، وأمين الدين الوافى ، وفخر الدين البعلبكى ، وجماعة ، وفوض الكلام فى ذلك إلى شرف الدين بن سعد الدين بن نجيح . كذا أخبرنى شهاب الدين الظاهرى . ومن المصريين قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة وولده عز الدين وفخر الدين كاتب المماليك ، وشمس الدين الحارثى ، وشهاب الدين الأذرعى ، وعلاء الدين الفارسى .

وفى شوال باشر تقى الدين السبكى مشيخة دار الحديث الظاهرية بالقاهرة بعد زكى الدين المنادى ويقال له عبد العظيم بن الحافظ شرف الدين الدمياطى ، ثم انتزعت من السبكى لفتح الدين بن سيد الناس اليعمرى ، باشرها فى ذى القعدة . وفى يوم الخميس مستهل ذى الحجة خلع على قطب الدين بن شيخ السلامية وأعيد إلى نظر الجيش مصاحبا لمعين الدين بن الحشيشى ، ثم بعد مدة مديدة استقل قطب الدين بالنظر وحده وعزل ابن حشيش .

وممن توفى فيها من الاعيان ﴿ الامام المؤرخ كمال الدين الفوطى ﴾

أبو الفضل عبد الرزاق أحمد بن محمد بن أحمد بن الفوطى عمر بن أبى المعالى الشيبانى البغدادى ، المعروف بابن الفوطى ، وهو جده لأمه ، ولد سنة اثنتين وأربعين وستمائة ببغداد ، وأسر فى واقعة التتار ثم تخلص من الأسر ، فكان مشارفا على الكتب بالمستنصرية ، وقد صنف تاريخا فى خمس وخمسين مجلداً ، وآخر فى نحو عشرين ، وله مصنفات كثيرة ، وشعر حسن ، وقد سمع الحسن من محيي الدين بن الجوزى ، توفى ثالث المحرم ودفن بالشونيزية .

﴿ قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى ﴾

أبو العباس أحمد بن العدل عماد الدين بن محمد بن العدل أمين الدين سالم بن الحافظ المحدث بهاء الدين أبى المواهب بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن صصرى التغلبى الربعى الشافعى قاضى القضاة بالشام ، ولد فى ذى القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل وحصل وكتب عن القاضى شمس الدين بن خلكان وفيات الأعيان ، وسمعها عليه ، وتفقه بالشيخ تاج الدين الفزارى ، وعلى أخيه شرف الدين فى النحو ، وكان له يد فى الانشاء وحسن العبارة ، ودرس بالعادلية الصغيرة سنة ثنتين وثمانين ، وبالأمينية سنة تسعين ، وبالغزالية سنة أربع وتسعين ، وتولى قضاء العساكر فى دولة العادل كتبغا ، ثم تولى قضاء الشام سنة ثنتين وسبعمائة ، بعد ابن جماعة حين طلب لقضاء مصر ، بعد ابن دقيق العيد . ثم أضيف إليه مشيخة الشيوخ مع تدريس العادلية والغزالية والاتابكية ، وكلها مناصب دنيوية

انسلخ منها وانسلخت منه ، ومضى عنها وتركها لغيره ، وأكبر أمنيته بعد وفاته أنه لم يكن تولاها وهى متاع قليل من حبيب مفارق ، وقد كان رئيسا محتشما وقوراً كريما جميل الاخلاق ، معظما عند السلطان والدولة ، توفى فجأة ببستانه بالسهم ليلة الخميس سادس عشر ربيع الأول وصلى عليه بالجامع المظفرى ، وحضر جنازته نائب السلطنة والقضاة والأمراء والاعيان ، وكانت جنازته حافلة ودفن بتربتهم عند الركنية . ﴿ علاء الدين على بن محمد ﴾

ابن عثمان بن أحمد بن أبى المنى بن محمد بن نحلة الدمشقى الشافعى ، ولد سنة ثمان وخمسين وستمائة وقرأ المحرر ، ولازم الشيخ زين الدين الفارقى ودرس بالدولعية والركنية ، وناظر بيت المال ، وابتنى داراً حسنة إلى جانب الركنية ، ومات وتركها فى ربيع الأول ، ودرس بعده بالدولعية القاضى جمال الدين ابن جملة ، وبالركنية القاضى ركن الدين الخراسانى .

وفى ربيع الاول قتل . ﴿ الشيخ ضياء الدين ﴾

عبد الله الزربندى النحوى ، كان قد اضطرب عقله فسافر من دمشق إلى القاهرة فأشار شيخ الشيوخ القونوى فأودع بالمارستان فلم يوافق ثم دخل إلى القلعة و بيده سيف مسلول فقتل نصرانيا ، فحمل إلى السلطان وظنوه جاسوسا فأمر بشنقه فشنق ، وكنت ممن اشتغل عليه فى النحو .

﴿ الشيخ الصالح المقرى الفاضل ﴾

شهاب الدين أحمد بن الطبيب ابن عبيد الله الحلى العزيزى الفوارسى المعروف بابن الحلبية ، سمع من خطيب مرداو ابن عبدالدائم ، واشتغل وحصل وأقرأ الناس ، وكانت وفاته فى ربيع الاول عن ثمان وسبعين سنة ، ودفن بالسفح .

﴿ شهاب الدين أحمد بن محمد ﴾

ابن قطنية الذرعى التاجر المشهور بكثرة الاموال والبضائع والمتاجر ، قيل بلغت زكاة ماله فى سنة قازان خمسة وعشرين ألف دينار ، وتوفى فى ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن بتربته التى بباب بستانه المسمى بالمرفع عند ثورا ، فى طريق القابون ، وهى تربة هائلة . وكانت له أملاك .

﴿ القاضى الامام جمال الدين ﴾

أبو بكر بن عباس بن عبد الله الخابورى ، قاضى بعلبك ، وأكبر أصحاب الشيخ تاج الدين الفزارى ، قدم من بعلبك ليلتقى بالقاضى الذرعى فمات بالمدرسة البادرانية ليلة السبت سابع جمادى الاولى ودفن بقاسيون ، وله من العمر سبعون سنة أضغاث حلم .

﴿ الشيخ المعمر المسن جمال الدين ﴾

عمر بن الياس بن الرشيد البعلبكى التاجر ، ولد سنة ثنتين وستمائة وتوفى فى ثانى عشر

جمادى الأولى عن مائة وعشرين سنة ، ودفن بمطحا رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام المحدث اللغوى المفيد ﴾

صفى الدين أبو الثناء محمود بن أبى بكر بن محمد الحسنى بن يحيى بن الحسين الارموى ، الصوفى ، ولد سنة ست وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير ورحل وطلب وكتب الكثير ، وذيل على النهاية لابن الأثير ، وكان قد قرأ التنبيه واشتغل فى اللغة فحصل منها طرفا جيداً ، ثم اضطرب عقله فى سنة سبع وسبعين وغلبت عليه السوداء ، وكان يفيق منها فى بعض الاحيان فيذا كرصحيحا ثم يعترضه المرض المذكور ، ولم يزل كذلك حتى توفى فى جمادى الآخرة من هذه السنة فى المارستان النورى ، ودفن بباب الصغير .

﴿ الخاتون المصونة ﴾

خاتون بنت الملك الصالح إسماعيل ابن العادل بن أبى بكر بن أيوب بن شادى بدارها . وتعرف بدار كافور ، كانت رئيسة محترمة ، ولم تتزوج قط ، وليس فى طبقتها من بنى أيوب غيرها فى هذا الحين ، توفيت يوم الخميس الحادى والعشرين من شعبان ، ودفنت بتربة أم الصالح رحمهما الله .

﴿ شيخنا الجليل المسند المعمر الرحلة ﴾

بهاء الدين أبو القاسم ابن الشيخ بدر الدين أبى غالب المظفر بن نجم الدين بن أبى الثناء محمود ابن الامام تاج الأمناء أبى الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الدمشقى الطبيب المعمر ، ولد سنة تسع وعشرين وستمائة ، سمع حضوراً وسماعا على الكثير من المشايخ ، وقد خرج له الحافظ علم الدين البرزالى مشيخة سمعناها عليه فى سنة وفاته ، وكذلك خرج له الحافظ صلاح الدين العلائى عوالى من حديثه ، وكتب له المحدث المفيد ناصر الدين بن طغربك مشيخة فى سبع مجلدات تشتمل على خمسمائة وسبعين شيخا ، سماعا وإجازة ، وقرئت عليه فسمعها الحفاظ وغيرهم . قال البرزالى : وقد قرأت عليه ثلاثا وعشرين مجلداً بحذف المكررات . ومن الأجزاء خمسمائة وخمسين جزءا بالمكررات . قال : وكان قد اشتغل بالطب ، وكان يعالج الناس بغير أجرة ، وكان يحفظ كثيراً من الأحاديث والحكايات والأشعار ، وله نظم ، وخدم من عدة جهات الكتابة ، ثم ترك ذلك ولزم بيته وإسماع الحديث ، وتفرد فى آخر عمره فى أشياء كثيرة ، وكان سهلا فى التسميع ، ووقف آخر عمره داره دار حديث ، وخص الحافظ البرزالى والمزى بشىء من بره ، وكانت وفاته يوم الاثنين وقت الظهر خامس وعشرين شعبان ، ودفن بقاسيون رحمه الله .

﴿ الوزير ثم الأمير نجم الدين ﴾

محمد بن الشيخ فخر الدين عثمان بن أبى القاسم البصراوى الحنفى ، درس ببصرى بعد عمه القاضى صدر الدين الحنفى ، ثم ولى الحسبة بدمشق ونظر الخزانة ، ثم ولى الوزارة ، ثم سأل الاقالة

منها فعوض بامرية عشرة عنها باقطاع هائل ، وعومل فى ذلك معاملة الوزراء فى حرمته ولبسته ، حتى كانت وفاته ببصرى يوم الخميس ثامن عشرين شعبان ، ودفن هناك ، وكان كريماً ممدحا وهابا نهابا كثير الصدقة والاحسان إلى الناس ، ترك أموالا وأولاداً ثم تفانوا كلهم بعده وتفرقت أمواله ، ونكحت نساؤه وسكنت منازله .

﴿ الأمير صارم الدين بن قراسنقر الجوكندار ﴾

مشد الخاص ، ثم ولى بدمشق ولاية ثم عزل عنها قبل موته بستة أشهر ، توفى تاسع رمضان ودفن بتربته المشرفة المبيضة شرقى مسجد التاريخ كان قد أعدها لنفسه .

﴿ الشيخ أحمد الأعقف الحريرى ﴾

شهاب الدين أحمد بن حامد بن سعيد التنوخى الحريرى ، ولد سنة أربع وأربعين وستمائة ، واشتغل فى صباه على الشيخ تاج الدين الفزارى فى التنبيه ، ثم صحب الحريرية وخدمهم ولزم مصاحبة الشيخ نجم الدين بن إسرائيل ، وسمع الحديث ، وحج غير مرة ، وكان مليح الشكل كثير التودد إلى الناس ، حسن الأخلاق ، توفى يوم الأحد ثالث عشرين رمضان بزاويته بالمزة ، ودفن بمقبرة المزة ، وكانت جنازته حافلة .

وفى يوم الجمعة ثامن عشرين رمضان صلى بدمشق على غائب وهو الشيخ هارون المقدسى توفى ببعلبك فى العشر الأخير من رمضان ، وكان صالحا مشهوراً عند الفقراء . وفى يوم الخميس ثالث ذى القعدة توفى .

﴿ الشيخ المقرى أبو عبد الله ﴾

محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عصر الأنصارى القصرى ثم السبتى بالقدس ، ودفن بما ملى ، وكانت له جنازة حافلة حضرها كريم الدين والناس مشاة ، ولد سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وكان شيخاً مهيباً أحمر اللحية من الحناء ، اجتمعت به وبحثت معه فى هذه السنة حين زرت القدس الشريف ، وهى أول زيارة زرته ، وكان مالكى المذهب ، قد قرأ الموطأ فى ثمانية أشهر ، وأخذ النحو عن أبى الربيع شارح الجمل للزجاجى من طريق شريح .

﴿ شيخنا الأصيل المعمر الرحلة ﴾

شمس الدين أبو نصر بن محمد بن عماد الدين أبى الفضل محمد بن شمس الدين أبى نصر محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن بندار بن مميل الشيرازى ، مولده فى شوال سنة تسع وعشرين وستمائة ، وسمع الكثير وأسمع وأفاد فى علية شيخنا المزى تغمده الله برحمته ، قرأ عليه عدة أجزاء بنفسه أثابه الله ، وكان شيخاً حسناً خيراً مباركا متواضعا ، يذهب الربعات والمصاحف ، له فى ذلك يد طولى ، ولم يتدنس بشىء من الولايات ، ولا تدنس بشىء من وظائف المدارس ولا الشهادات ، إلى أن توفى

فى يوم عرفة ببستانه من المزة ، وصلى عليه بجامعها ودفن بتربتها رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح العابد الناسك ﴾

أبو بكر بن أيوب بن سعد الذرعى الحنبلى ، قيم الجوزية ، كان رجلا صالحا متعبدا قليل التكلف ، وكان فاضلا ، وقد سمع شيئا من دلائل النبوة عن الرشيدى العامرى ، توفى فجأة ليلة الأحد تاسع عشر ذى الحجة بالمدرسة الجوزية ، وصلى عليه بعد الظهر بالجامع ، ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة ، وأثنى عليه الناس خيراً رحمه الله ، وهو والد العلامة شمس الدين محمد بن قيم الجوزية صاحب المصنفات الكثيرة النافعة الكافية .

﴿ الأمير علاء الدين بن شرف الدين ﴾

محمود بن إسماعيل بن معبد البعلبكى أحد أمراء الطبلخانات ، كان والده تاجرا ببعلبك فنشأ ولده هذا واتصل بالدولة ، وعلت منزلته ، حتى أعطى طبلخانة و باشر ولاية البريد بدمشق مع شد الأوقاف ثم صرف إلى ولاية الولاة بحوران ، فاعترضه مرض ، وكان سبط البدن عبله ، فسأل أن يقال فأجيب فأقام ببستانه بالمزة إلى أن توفى فى خامس عشرين ذى الحجة ، وصلى عليه هناك ، ودفن بمقبرة المزة ، وكان من خيار الأمراء وأحسنهم ، مع ديانة وخير سامحه الله . وفى هذا اليوم توفى .

﴿ الفقيه العابد الناسك ﴾

شرف الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعد الله بن عبد الأحد بن سعد الله بن عبد القاهر ابن عبد الواحد بن عمر الحرانى ، المعروف بابن النجيح ، توفى فى وادى بنى سالم ، فحمل إلى المدينة فغسل وصلى عليه فى الروضة ودفن بالبقيع شرقى قبر عقيل ، فغبطه الناس فى هذه الموتة وهذا القبر ، رحمه الله ، وكان ممن غبطه الشيخ شمس الدين بن مسلم قاضى الحنابلة ، فمات بعده ودفن عنده وذلك بعده بثلاث سنين رحمهما الله . وجاء يوم حضر جنازة الشيخ شرف الدين محمد المذكور شرف الدين بن أبى العز الحنفى قبل ذلك بجمعة ، مرجعه من الحج بعد انفصاله عن مكة بمرحلتين فغبط الميت المذكور بتلك الموتة فرزق مثلها بالمدينة ، وقد كان شرف الدين بن نجيح هذا قد صحب شيخنا العلام تقى الدين بن تيمية ، وكان معه فى مواطن كبار صعبة لا يستطيع الاقدام عليها إلا الأبطال الخلص الخواص ، وسجن معه ، وكان من أكبر خدامه وخواص أصحابه ، ينال فيه الأذى وأوذى بسببه مرات ، وكلما له فى ازدياد محبة فيه وصبراً على أذى أعدائه ، وقد كان هذا الرجل فى نفسه وعند الناس جيدا مشكور السيرة جيد العقل والفهم ، عظيم الديانة والزهد ، ولهذا كانت عاقبته هذه الموتة عقيب الحج ، وصلى عليه بروضة مسجد رسول الله ﷺ ، ودفن بالبقيع بقيع الفرقد بالمدينة النبوية ، فختم له بصالح عمله ، وقد كان كثير من السلف يتمنى أن يموت عقيب

عمل صالح يعمله ، وكانت له جنازة حافلة رحمه الله تعالى ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها : الخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله العباسى ، وسلطان البلاد الملك الناصر ، ونائبه بمصر سيف الدين أرغون ووزيره أمين الملك ، وقضاته بمصر هم المذكورون فى التى قبلها ، ونائبه بالشام تنكز ، وقضاة الشام الشافعى جمال الدين الذرعى ، والحنفى الصدر على البصراوى ، والمالكى شرف الدين الهمدانى ، والحنبلى شمس الدين بن مسلم ، وخطيب الجامع الأموى جلال الدين القزوينى ، ووكيل بيت المال جمال الدين ابن القلانسى ، ومحتسب البلد فخر الدين بن شيخ السلامية ، وناظر الدواوين شمس الدين غبريال ومشد الدواوين علم الدين طرقشى ، وناظر الجيش قطب الدين بن شيخ السلامية ، ومعين الدين ابن الخشيش ، وكاتب السر شهاب الدين محمود ، ونقيب الأشراف شرف الدين بن عدنان ، وناظر الجامع بدر الدين بن الحداد ، وناظر الخزانة عز الدين بن القلانسى ، ووالى البر علاء الدين ابن المروانى ، ووالى دمشق شهاب الدين برق .

وفى خامس عشر ربيع الأول باشر عز الدين بن القلانسى الحسبة عوضا عن ابن شيخ السلامية مع نظر الخزانة ، وفى هذا الشهر حمل كريم الدين وكيل السلطان من القدس إلى الديار المصرية فاعتقل ثم أخذت منه أموال وذخائر كثيرة ، ثم نفى إلى الصعيد وأجرى عليه نفقات سلطانية له ولمن معه من عياله ، وطلب كريم الدين الصغير وصودر بأموال جمة . وفى يوم الجمعة الحادى عشر من ربيع الآخر قرئ كتاب السلطان بالمقصورة من الجامع الأموى بحضرة نائب السلطنة والقضاة ، يتضمن إطلاق مكس الغلة بالشام المحروس جميعه ، فكثرت الأدعية للسطان ، وقدم البريد إلى نائب الشام يوم الجمعة خامس عشرين ربيع الآخر بعزل قاضى الشافعية الذرعى ، فبلغه ذلك فامتنع بنفسه من الحكم ، وأقام بالعادلية بعد العزل خمسة عشر يوما ثم انتقل منها إلى الاتابكية ، واستمرت بيده مشيخة الشيوخ وتدريس الاتابكية ، واستدعى نائب السلطان شيخنا الامام الزاهد برهان الدين الفزارى ، فعرض عليه القضاء فامتنع ، فألح عليه بكل ممكن فأبى وخرج من عنده فأرسل فى أثره الأعيان إلى مدرسته فدخلوا عليه بكل حيلة فامتنع من قبول الولاية ، وصمم أشد التصميم ، جزاه الله خيرا عن مروءته ، فلما كان يوم الجمعة جاء البريد فأخبر بتوليته قضاء الشام ، وفى هذا اليوم خلع على تقى الدين سليمان بن مراجل بنظر الجامع عوضا عن بدر الدين ابن الحداد توفى ، وأخذ من ابن مراجل نظر المارستان الصغير لبدر الدين بن العطار ، وخسف القمر ليلة الخميس للنصف من جمادى الآخرة بعد العشاء ، فصلى الخطيب صلاة الكسوف بأربع

سور : ق ، واقتربت ، والواقعة ، والقيامة ، ثم صلى العشاء ثم خطب بعدها ثم أصبح فصلى بالناس الصبح ثم ركب على البريد إلى مصر فرزق بن السلطان فتولاه وولاه بعد أيام القضاء ثم كر راجعا إلى الشام فدخل دمشق فى خامس رجب على القضاء مع الخطابة وتدريس العادلية والغزالية ، فباشر ذلك كله ، وأخذت منه الأمينية فدرس فيها جمال الدين بن القلانسى ، مع وكالة بيت المال ، وأضيف إليه قضاء العساكر وخوطب بقاضى القضاة جلال الدين القزوينى .

وفيها قدم ملك التكرور إلى القاهرة بسبب الحج فى خامس عشرين رجب ، فنزل بالقرافة ومعه من المغاربة والخدم نحو من عشرين ألفا ، ومعهم ذهب كثير بحيث إنه نزل سعر الذهب درهمين فى كل مثقال ، ويقال له الملك الأشرف موسى بن أبى بكر ، وهو شاب جميل الصورة ، له مملكة متسعة مسيرة ثلاث سنين ، ويذكر أن تحت يده أربعة وعشرين ملكا ، كل ملك تحت يده خلق وعساكر ، ولما دخل قلعة الجبل ليسلم على السلطان أمر بتقبيل الأرض فامتنع من ذلك ، فأكرمه السلطان ، ولم يمكن من الجلوس أيضاً حتى خرج من بين يدى السلطان وأحضر له حصان أشهب بزنارى أطلس أصفر ، وهيئت له هجن وآلات كثيرة تليق بمثله ، وأرسل هو إلى السلطان أيضا بهدايا كثيرة من جملتها أربعون ألف دينار ، وإلى النائب بنحو عشرة آلاف دينار ، وتحف كثيرة .

وفى شعبان ورمضان زاد النيل بمصر زيادة عظيمة ، لم ير مثلها من نحو مائة سنة أو أزيد منها ومكث على الأراضى نحو ثلاثة أشهر ونصف ، وغرق أقصابا كثيرة ، ولكن كان نفعه أعظم من ضره . وفى يوم الخميس ثامن عشر شعبان استناب القاضى جلال الدين القزوينى نائبين فى الحكم ، وهما يوسف بن إبراهيم بن جملة المحجى الصالحى ، وقد ولى القضاء فيما بعد ذلك كما سيأتى ، ومحمد بن على بن إبراهيم المصرى ، وحكما يومئذ ، ومن الغد جاء البريد ومعه تقليد قضاء حلب للشيخ كمال الدين بن الزملكانى ، فاستدعاه نائب السلطنة وفاوضه فى ذلك فامتنع ، فراجعه النائب ثم راجع السلطان فجاء البريد فى ثانى عشر رمضان بامضاء الولاية فشرع للتأهب لبلاد حلب ، وتمادى فى ذلك حتى كان خروجه إليها فى بكرة يوم الخميس رابع عشر شوال، ودخل حلب يوم الثلاثاء سادس عشرين شوال فأكرم إكراماً زائداً ، ودرس بها وألقى علوما أكبر من تلك البلاد ، وحصل لهم الشرف بفنونه وفوائده ، وحصل لأهل الشام الأسف على دروسه الأنيقة الفائقة ، وما أحسن ما قال الشاعر وهو شمس الدين محمد الخناط فى قصيدة له مطولة أولها قوله :

أسفت لفقدك جلق الفيحاء * وتباشرت بقدومك الشهباء

وفى ثانى عشر رمضان عزل أمين الملك عن وزارة مصر وأضيفت الوزارة إلى الامير علاء الدين مغلطاى الجمالى ، أستاذ دار السلطان . وفى أواخر رمضان طلب الصاحب شمس الدين غبريال إلى

القاهرة فولى بها نظر الدواوين عوضاً عن كريم الدين الصغير ، وقدم كريم الدين المذكور إلى دمشق فى شوال ، فنزل بدار العدل من القصاعين . وولى سيف الدين قد يدار ولاية مصر ، وهوشهم سفاك للدماء ، فأراق الخمور وأحرق الحشيشة وأمسك الشطار ، واستقامت به أحوال القاهرة ومصر ، وكان هذا الرجل ملازما لابن تيمية مدة مقامه بمصر .

وفى رمضان قدم إلى مصر الشيخ نجم الدين عبد الرحيم بن الشحام الموصلى من بلاد السلطان أزبك ، وعنده فنون من علم الطب وغيره ، ومعه كتاب بالوصية به فأعطى تدريس الظاهرية البرانية نزل له عنها جمال الدين بن القلانسى ، فباشرها فى مستهل ذى الحجة ، ثم درس بالجاروضية . ثم خرج الركب فى تاسع شوال وأميره كوكنجبار المحمدى ، وقاضيه شهاب الدين الظاهرى . وممن خرج إلى الحج برهان الدين الفزارى ، وشهاب الدين قرطاى الناصرى نائب طرابلس ، وصاروحا وشهرى وغيرهم . وفى نصف شوال زاد السلطان فى عدة الفقهاء بمدرسته الناصرية ، كان فيها من كل مذهب ثلاثون ثلاثون ، فزادهم إلى أربعة وخمسين من كل مذهب ، وزادهم فى الجوامك أيضاً . وفى الثالث والعشرين منه وجد كريم الدين الكبير وكيل السلطان قد شنق نفسه داخل خزانة له قد أغلقها عليه من داخل : ربط حلقه فى حبل وكان تحت رجليه قفص فدفع القفص برجليه فمات فى مدينة أسوان ، وستأتى ترجمته .

وفى سابع عشر ذى القعدة زينت دمشق بسبب عافية السلطان من مرض كان قد أشفى منه على الموت ، وفى ذى القعدة درس جمال الدين بن القلانسى بالظاهرية الجوانية عوضا عن ابن الزملكانى ، سافر على قضاء حلب ، وحضر عنده القاضى القزوينى ، وجاء كتاب صادق من بغداد إلى المولى شمس بن حسان يذكر فيه أن الأمير جوبان أعطى الأمير محمد حسيناه قدحاً فيه خمر ليشربه ، فامتنع من ذلك أشد الامتناع ، فألح عليه وأقسم فأبى أشد الاباء ، فقال له إن لم تشربها وإلا كلفتك أن تحمل ثلاثين تومانا ، فقال نعم أحمل ولا أشربها ، فكتب عليه حجة بذلك ، وخرج من عنده إلى أمير آخر يقال له بكتى ، فاستقرض منه ذلك المال ثلاثين تومانا فأبى أن يقرضه إلا بربح عشرة توامين ، فاتفقا على ذلك ، فبعث بكتى إلى جوبان يقول له : المال الذى طلبته من حسيناه عندى فان رسمت حملته إلى الخزانة الشريفة ، وإن رسمت تفرقه على الجيش . فأرسل جوبان إلى محمد حسيناه فأحضره عنده فقال له : تزن أربعين تومانا ولا تشرب قدحا من خمر ؟ قال نعم ، فأعجبه ذلك منه ومزق الحجة المكتوبة عليه ، وحظى عنده وحكمه فى أموره كلها ، وولاه ولايات كتابه ، وحصل لجوبان إقلاع ورجوع عن كثير مما كان يتعاطاه ، رحم الله حسيناه .

وفى هذه السنة كانت فتنة بأصبهان قتل بسببها ألوف من أهلها ، واستمرت الحرب بينهم

شهوراً . وفيها كان غـلاء مفرط بدمشق ، بلغت الغرارة مائتين وعشرين ، وقلت الاقوات . ولولا أن الله أقام للناس من يحمل لهـم الغلة من مصر لاشـتد الغـلاء وزاد أضعاف ذلك ، فكان مات أكثر الناس ، واستمر ذلك مدة شهور من هـذه السنة ، وإلى أثناء سـنة خمس وعشرين ، حتى قدمت الغلات ورخصت الأسعار ولله الحمد والمنة .

ومن توفى فيها من الأعيان : توفى فى مستهل المحرم

﴿ بدر الدين بن ممدود بن أحمد الحنفى ﴾

قاضى قلعة الروم بالحجاز الشريف ، وقد كان عبداً صالحا ، حج مرات عديدة ، وربمـا أحرم من قلعة الروم أو حرم بيت المقدس ، وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب ، وعلى شرف الدين بن العز وعلى شرف الدين بن نجيح توفوا فى أقل من نصف شهر كلهم بطريق الحجاز بعد فراغهم من الحج وذلك أنهم غبطوا ابن نجيح صاحب الشيخ تقى الدين ابن تيمية بتلك الموتة كما تقـدم ، فرزقوها فماتوا عقيب عملهم الصالح بعد الحج .

﴿ الحجة الكبيرة خوندا بنت مكية ﴾

زوجة الملك الناصر ، وقـد كانت زوجة أخيه الملك الأشرف ثم هجرها الناصر وأخرجها من القلعة ، وكانت جنازتها حافلة ، ودفنت بتربتها التى أنشأتها .

﴿ الشيخ محمد بن جعفر بن فرعوش ﴾

ويقال له اللباد ويعرف بالمؤله ، كان يقرئ الناس بالجامع نحواً من أربعين سنة ، وقد قرأت عليه شيئا من القراءات ، وكان يعـلم الصغار عقد الراء والحروف المتقنة كالراء ونحوها ، وكان متقللا من الدنيا لا يقتنى شيئا ، وليس له بيت ولا خزانة ، إنما كان يأكل فى السوق وينام فى الجامع ، توفى فى مستهل صفر وقد جاوز السبعين ، ودفن فى باب الفراديس رحمه الله . وفى هذا اليوم توفى بمصر .

﴿ الشيخ أيوب السعودى ﴾

وقـد قارب المائة ، أدرك الشيخ أبا السعود وكانت جنازته مشهودة . ودفن بتربة شيخه بالقرافة وكتب عنـه قاضى القضاة تقى الدين السبكى فى حياته ، وذكر الشيخ أبو بكر الرحبى أنه لم ير مثـل جنازته بالقاهرة منذ سكنها رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام الزاهد نور الدين ﴾

أبو الحسن على بن يعقوب بن جبريل البكرى المصرى الشافعى ، له تصانيف ، وقرأ مسند الشافعى على وزيرة بنت المنجا ، ثم إنه أقام بمصر ، وقد كان فى جملة من ينكر على شيخ الاسلام ابن تيمية ، فأراد بعض الدولة قتله فهرب واختفى عنده كما تقدم لما كان ابن تيمية مقيما بمصر ، وما مثاله إلا مثال ساقية

ضعيفة كدرة لاطمت بحراً عظيما صافيا ، أو رملة أرادت زوال جبل ، وقد أضحك العقلاء عليه ، وقد أراد السلطان قتله فشفع فيه بعض الامراء ، ثم أنكر مرة شيئا على الدولة فنفى من القاهرة إلى بلدة يقال لها ديروط ، فكان بها حتى توفى يوم الاثنين سابع ربيع الآخر ، ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته مشهورة غير مشهودة ، وكان شيخه ينكر عليه إنكاره على ابن تيمية ، ويقول له أنت لاتحسن أن تتكلم .

﴿ الشمس محمد الباجربقى ﴾

الذى تنسب إليه الفرقة الضالة الباجربقية ، والمشهور عنهم إنكار الصانع جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ، وقد كان والده جمال الدين بن عبد الرحيم بن عمر الموصلى رجلا صالحا من علماء الشافعية ودرس فى أماكن بدمشق ، ونشأ ولده هذا بين الفقهاء واشتغل بعض شئ ثم أقبل على السلوك ولازم جماعة يعتقدونه ويزورونه ويرزقونه ممن هو على طريقه ، وآخرون لا يفهمونه ، ثم حكم القاضى المالكى باراقة دمه فهرب إلى الشرق ، ثم إنه أثبت عداوة بينه وبين الشهود فحكم الحنبلى بحقن دمه فأقام بالقابون مدة سنين حتى كانت وفاته ليلة الاربعاء سادس عشر ربيع الآخر ، ودفن بالقرب من مغارة الدم بسفح قاسيون فى قبة فى أعلى ذيل الجبل تحت المغارة ، وله من العمر ستون سنة .

﴿ شيخنا القاضى المعمر الفقيه ﴾

محى الدين أبو زكريا يحيى بن الفاضل جمال الدين إسحاق بن خليل بن فارس الشيبانى الشافعى اشتغل على النواوى ولازم ابن المقدسى ، وولى الحكم بزرع وغيرها ، ثم قام بدمشق يشتغل فى الجامع ، ودرس فى الصارمية وأعاد فى مدارس عدة إلى أن توفى فى سلخ ربيع الآخر ودفن بقاسيون وقد قارب الثمانين رحمه الله ، وسمع كثيراً وخرج له الذهبى شيئا وسمعنا عليه الدارقطنى وغيره .

﴿ الفقيه الكبير الصدر الامام العالم الخطيب بالجامع ﴾

بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن يوسف بن محمد بن الحداد الآمدى الحنبلى ، سمع الحديث واشتغل وحفظ المحرر فى مذهب أحمد وبرع على ابن حمدان وشرحه عليه فى مدة سنين وقد كان ابن حمدان يثنى عليه كثيرا وعلى ذهنه وذكائه ، ثم اشتغل بالكتابة ولزم خدمة الأمير قرا سنقر بحلب ، فولاه نظر الأوقاف وخطابة حلب بجامعها الأعظم ، ثم لما صار إلى دمشق ولاه خطابة الأموى فاستمر خطيبا فيها اثنين وأربعين يوما ، ثم أعيد إليها جلال الدين القزوينى ، ثم ولى نظر المارستان والحسبة ونظر الجامع الاموى ، وعين لقضاء الحنابلة فى وقت ، ثم توفى ليلة الاربعاء سابع جمادى الآخرة ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

﴿ الكاتب المفيد قطب الدين ﴾

أحمد بن مفضل بن فضل الله المصرى ، أخو محى الدين كاتب تنكز ، والد الصاحب علم الدين

كان خبيراً بالكتابة وقد ولى استيفاء الأوقاف بعد أخيه ، وكان أسن من أخيه ، وهو الذى علمه صناعة الكتابة وغيرها ، توفى ليلة الاثنين ثانى رجب وعمل عزاؤه بالشميساطية ، وكان مباشر أوقافها .

﴿ الأمير الكبير ملك العرب ﴾

محمد بن عيسى بن مهنا أخو مهنا ، توفى بسلمية يوم السبت سابع رجب ، وقد جاوز الستين كان مليح الشكل حسن السيرة عاملا عارفا رحمه الله .

وفى هذا الشهر وصل الخبر إلى دمشق بموت .

﴿ الوزير الكبير على شاه بن أبى بكر التبريزى ﴾

وزير أبى سعيد بعد قتل سعد الدين الساوى ، وكان شيخاً جليلا فيه دين وخير ، وحمل إلى تبريز فدفن بها فى الشهر الماضى رحمه الله .

﴿ الأمير سيف الدين بكتمر ﴾

والى الولاة صاحب الأوقاف فى بلدان شتى : من ذلك مدرسة بالصلب ، وله درس بمدرسة أبى عمر وغير ذلك ، توفى بالاسكندرية ، وهو نائبها خامس رمضان رحمه الله .

﴿ شرف الدين أبو عبد الله ﴾

محمد ابن الشيخ الامام العلامة زين الدين بن المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى الحنبلى ، أخو قاضى القضاة علاء الدين ، سمع الحديث ودرس وأفتى ، وصحب الشيخ تقى الدين بن تيمية ، وكان فيه دين ومودة وكرم وقضاء حقوق كثيرة ، توفى ليلة الاثنين رابع شوال ، وكان مولده فى سنة خمس وسبعين وستمائة ، ودفن بتربتهم بالصالحية .

﴿ الشيخ حسين الكردى الموله ﴾

كان يخالط النجاسات والقاذورات ، ويمشي حافيا ، وربما تكلم بشيء من الهذيانات التى تشبه علم المغيبات ، وللناس فيه اعتقاد كما هو المعروف من أهل العمى والضلالات ، مات فى شوال .

﴿ كريم الدين الذى كان وكيل السلطان ﴾

عبد الكريم بن العلم هبة الله المسلمانى ، حصل له من الأموال والتقدم والمكانة الخطيرة عند السلطان مالم يحصل لغيره فى دولة الأتراك ، وقد وقف الجامعين بدمشق أحدهما جامع القبيبات والحوض الكبير الذى تجاه باب الجامع ، واشترى له نهر ماء بخمسين ألفا ، فانتفع به الناس انتفاعا كثيراً ، ووجدوا رفقا . والثانى الجامع الذى بالقابون . وله صدقات كثيرة تقبل الله منه وعفا عنه ، وقد مسك فى آخر عمره ثم صودر ونفى إلى الشوبك ، ثم إلى القدس ، ثم الصعيد فخنق نفسه كما قيل بعمامته بمدينة أسوان ، وذلك فى الثالث والعشرين من شوال ، وقد كان حسن الشكل تام القامة ،

ووجد له بعد موته ذخائر كثيرة سامحه الله .

﴿ الشيخ الامام العالم علاء الدين ﴾

على بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن العطار ، شيخ دار الحديث النورية ، ومدرس القوصية بالجامع ، ولد يوم عيد الفطر سنة أربع وخمسين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل على الشيخ محى الدين النواوى ولازمه حتى كان يقال له مختصر النواوى ، وله مصنفات وفوائد ومجاميع وتخاريج ، و باشر مشيخة النورية من سنة أربع وتسعين إلى هذه السنة ، مدة ثلاثين سنة ، توفى يوم الاثنين منها مستهل ذى الحجة فولى بعده النورية علم الدين البرزالى ، وتولى القوصية شهاب الدين بن حرز الله وصلى عليه بالجامع ودفن بقاسيون رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وسبعمائة ﴾

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون فى التى قبلها ، وأولها يوم الأربعاء . وفى خامس صفر منها قدم إلى دمشق الشيخ شمس الدين محمود الأصبهانى بعد مرجعه من الحج وزيارة القدس الشريف وهو رجل فاضل له مصنفات منها شرح مختصر ابن الحاجب ، وشرح الجويد وغير ذلك ، ثم إنه شرح الحاجبية أيضاً وجمع له تفسيرا بعد صيرورته إلى مصر ، ولما قدم إلى دمشق أكرم واشتغل عليه الطلبة ، وكان حظياً عند القاضى جلال الدين القزوينى ، ثم إنه ترك الكل وصار يتردد إلى الشيخ تقى الدين بن تيمية وسمع عليه من مصنفاته ورده على أهل الكلام ، ولازمه مدة فلما مات الشيخ تقى الدين تحول إلى مصر وجمع التفسير .

وفى ربيع الأول جرد السلطان تجريدة نحو خمسة آلاف إلى اليمن لخروج عمه عليه ، وصحبتهم خلق كثير من الحجاج ، منهم الشيخ فخر الدين النويرى . وفيها منع شهاب الدين بن مرى البعلبكى من الكلام على الناس بمصر ، على طريقة الشيخ تقى الدين بن تيمية ، وعزره القاضى المالكى بسبب الاستغاثة ، وحضر المذكور بين يدى السلطان وأثنى عليه جماعة من الأمراء ، ثم سفر إلى الشام بأهله فنزل ببلادالخليل ، ثم انتزح إلى بلاد الشرق وأقام بسنجار وماردين ومعاملتهما يتكلم و يعظ الناس إلى أن مات رحمه الله كما سنذكره .

وفى ربيع الآخر عاد نائب الشام من مصر وقد أكرمه السلطان والأمراء . وفى جمادى الأولى وقع بمصر مطر لم يسمع بمثله بحيث زاد النيل بسببه أربع أصابع ، وتغير أياماً . وفيه زادت دجلة ببغداد حتى غرقت ما حول بغداد وانحصر الناس بها ستة أيام لم تفتح أبوابها ، و بقيت مثل السفينة فى وسط البحر ، وغرق خلق كثير من الفلاحين وغيرهم ، وتلف للناس مالا يعلمه إلا الله ، و ودع أهل البلد بعضهم بعضاً ، ولجأوا إلى الله تعالى وحملوا المصاحف على رؤسهم فى شدة الشوق فى أنفسهم

حتى القضاة والأعيان ، وكان وقتاً عجيباً ، ثم لطف الله بهم فغيض الماء وتناقص ، وتراجع الناس إلى ما كانوا عليه من أمورهم الجائرة وغير الجائزة ، وذكر بعضهم أنه غرق بالجانب الغربى نحو من ستة آلاف وسمائة بيت ، وإلى عشرة سنين لا يرجع ما غرق .

وفى أوائل جمادى الآخرة فتح السلطان خانقاه سرياقوس التى أنشأها وساق إليها خليجا وبنى عندها محلة ، وحضر السلطان بها ومعه القضاة والأعيان والأمراء وغيرهم ، ووليها مجد الدين الأقصرائى ، وعمل السلطان بها وليمة كبيرة ، وسمع على قاضى القضاة ابن جماعة عشرين حديثا بقراءة ولده عز الدين بحضرة الدولة منهم أرغون النائب ، وشيخ الشيوخ القونوى وغيرهم ، وخلع على القارىء عز الدين وأثنوا عليه ثناء زائدا ، وأجلس مكرماً ، وخلع أيضا على والده ابن جماعة وعلى المالكى وشيخ الشيوخ ، وعلى مجد الدين الأقصرائى شيخ الخانقاه المذكورة وغيرهم . وفى يوم الأربعاء رابع عشر رجب درس بقبة المنصورية فى الحديث الشيخ زين الدين بن الكتانى الدمشقى ، باشارة نائب الكرك وأرغون ، وحضر عنده الناس ، وكان فقيها جيداً ، وأما الحديث فليس من فنه ولا من شغله .

وفى أواخر رجب قدم الشيخ زين الدين بن عبد الله بن المرحل من مصر على تدريس الشامية البرانية ، وكانت بيد ابن الزملكانى فانتقل إلى قضاء حلب ، فدرس بها فى خامس شعبان وحضر القاضى الشافعى وجماعة . وفى سلخ رجب قدم القاضى عز الدين بن بدر الدين بن جماعة من مصر ومعه ولده ، وفى صحبته الشيخ جمال الدين الدمياطى وجماعة من الطلبة بسبب سماع الحديث ، فقرأ بنفسه وقرأ الناس له واعتنوا بأمره ، وسمعنا معهم وبقراءته شيئا كثيرا ، نفعهم الله بما قرؤوا وبما سمعوا ، ونفع بهم . وفى يوم الاربعاء ثانى عشر شوال درس الشيخ شمس الدين بن الأصبهانى بالرواحية بعد ذهاب ابن الزملكانى إلى حلب ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكان فيهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وجرى يومئذ بحث فى العام إذا خص ، وفى الاستثناء بعد النفى ووقع انتشار وطال الكلام فى ذلك المجلس ، وتكلم الشيخ تقى الدين كلاما أبهت الحاضرين ، وتأخر ثبوت عيد الفطر إلى قريب الظهر يوم العيد ، فلما ثبت دقت البشائر وصلى الخطيب العيد من الغد بالجامع ، ولم يخرج الناس إلى المصلى ، وتغضب الناس على المؤذنين وسجن بعضهم . وخرج الركب فى عاشره وأميره صلاح الدين ابن أيبك الطويل ، وفى الركب صلاح الدين بن أوحد ، والمنكورسى ، وقاضيه شهاب الدين الظاهر . وفى سابع عشره درس بالرباط الناصرى بقاسيون حسام الدين القزوينى الذى كان قاضى طرابلس ، قايضه بها جمال الدين بن الشريشى إلى تدريس المسرورية ، وكان قد جاء توقيعه بالعذراوية والظاهرية فوقف فى طريقه قاضى القضاة جمال الدين ونائباه ابن جملة

والفخر المصرى ، وعقد له ولكمال الدين ابن الشيرازى مجلسا ، ومعه توقيع بالشامية البرانية ، فعطل الامر عليهما لأنهما لم يظهرا استحقاقهما فى ذلك المجلس ، فصارت المدرستان العذراوية والشامية لابن المرحل كما ذكرنا ، وعظم القزوينى بالمسرورية فقايض منها لابن الشريشنى إلى الرباط الناصرى ، فدرس به فى هذا اليوم وحضر عنده القاضى جلال الدين ، ودرس بعده ابن الشريشنى بالمسرورية وحضر عنده الناس أيضا . وفيه عادت التجريدة اليمنية وقد فقد منهم خلق كثير من الغلمان وغيرهم ، فحبس مقدمهم الكبير ركن الدين بيبرس لسوء سيرته فيهم .

ومن توفى فيها من الأعيان

﴿ الشيخ إبراهيم الصباح ﴾

وهو إبراهيم بن منير البعلبكى ، كان مشهوراً بالصلاح مقيما بالمأذنة الشرقية ، توفى ليلة الأربعاء مستهل المحرم ودفن بالباب الصغير ، وكانت جنازته حافلة ، حمله الناس على رؤس الأصابع ، وكان ملازماً لمجالس الشيخ تقى الدين بن تيمية .

﴿ إبراهيم المولّه ﴾

الذى يقال له القمينى لاقامته بالقمامين خارج باب شرقى ، وربما كاشف بعض العوام ، ومع هذا لم يكن من أهل الصلاة ، وقد استتابه الشيخ تقى الدين بن تيمية وضربه على ترك الصلوات ومخالطة القاذورات ، وجمع النساء والرجال حوله فى الأماكن النجسة . توفى كهلا فى هذا الشهر .

﴿ الشيخ عفيف الدين ﴾

محمد بن عمر بن عثمان بن عمر الصقلى ثم الدمشقى ، إمام مسجد الرأس ، آخر من حدث عن ابن الصلاح ببعض سنن البيهقى ، سمعنا عليه شيئا منها ، توفى فى صفر .

﴿ الشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك ﴾

عبد الله بن موسى بن أحمد الجزرى ، الذى كان مقيما [1] أبى بكر من جامع دمشق ، كان من الصالحين الكبار مباركا خيراً ، عليه سكينة ووقار ، وكانت له مطالعة كثيرة ، وله فهم جيد وعقل جيد ، وكان من الملازمين لمجالس الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، وكان ينقل من كلامه أشياء كثيرة ويفهمها يعجز عنها كبار الفقهاء . توفى يوم الاثنين سادس عشرين صفر ، وصلى عليه بالجامع ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة محمودة .

﴿ الشيخ الصالح الكبير المعمر ﴾

الرجل الصالح تقى الدين ابن الصائغ المقرى المصرى ، الشافعى ، آخر من بقى من مشايخ القراء وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن على بن سالم بن مكى ، توفى فى صفر ودفن بالقرافة وكانت جنازته حافلة ، قارب التسعين ولم يبق له منها سوى سنة واحدة ، وقد قرأ عليه غير واحد ،

(١) بياض بالاصل ولعله « بمحراب » أو « بخلوة » أو نحو هذا .

وهو ممن طال عمره وحسن عمله ﴿ الشيخ الامام صدر الدين ﴾

أبو زكريا يحيى بن على بن تمام بن موسى الانصارى السبكى الشافعى ، سمع الحديث وبرع فى الأصول والفقه ، ودرس بالسيفية وباشرها بعده ابن أخيه تقى الدين السبكى الذى تولى قضاء الشام فيما بعد .

﴿ الشهاب محمود ﴾ هو الصدر الكبير الشيخ الامام العالم العلامة شيخ صناعة الانشاء الذى لم يكن بعد القاضى الفاضل مثله فى صنعة الانشاء ، وله خصائص ليست للفاضل من كثرة النظم والقصائد المطولة الحسنة البليغة ، فهو شهاب الدين أبو الثنا محمود بن سلمان بن فهد الحلبى ثم الدمشقى ، ولد سنة أربع وأربعين وستمائة بحلب ، وسمع الحديث وعنى باللغة والأدب والشعر وكان كثير الفضائل بارعا فى علم الانشاء نظما ونثرا ، وله فى ذلك كتب ومصنفات حسنة فائقة ، وقد مكث فى ديوان الانشاء نحوا من خمسين سنة ، ثم ولى كتابة السر بدمشق نحواً من ثمان سنين إلى أن توفى ليلة السبت ثانى عشرين شعبان فى منزله قرب باب النطفانيين وهى دار القاضى الفاضل وصلى عليه بالجامع ودفن بتربة له أنشأها بالقرب من اليغمورية وقد جاوز الثمانين رحمه الله .

﴿ شيخنا المسند المعمر الرحلة ﴾

عفيف الدين إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الآمدى ثم الدمشقى الحنفى شيخ دار الحديث الظاهرية ، ولد فى حدود الأربعين وستمائة ، وسمع الحديث على جماعة كثيرين ، منهم يوسف بن خليل ومجد الدين بن تيمية ، وكان شيخا حسنا بهى المنظر سهل الاسماع يحب الرواية ولديه فضيلة ، توفى ليلة الاثنين ثانى عشرين رمضان ، ودفن بقاسيون ، وهو والد فخر الدين ناظر الجيوش والجامع . وقبله بيوم توفى الصدر معين الدين يوسف بن زغيب الرحبى أحد كبار التجار الأمناء . وفى رمضان توفى ﴿ البدر العوام ﴾

وهو محمد بن على البابا الحلبى ، وكان فرداً فى العوم ، وطيب الأخلاق ، انتفع به جماعة من التجار فى بحر اليمن كان معهم فغرق بهم المركب ، فالجأوا إلى صخرة فى البحر ، وكانوا ثلاثة عشر ، ثم إنه غطس فاستخرج لهم أموالا من قرار البحر بعد أن أفلسوا وكادوا أن يهلكوا ، وكان فيه ديانة وصيانة ، وقد قرأ القرآن وحج عشر مرات ، وعاش ثمانا وثمانين سنة رحمه الله ، وكان يسمع الشيخ تقى الدين بن تيمية كثيراً . وفيه توفى .

﴿ الشهاب أحمد بن عثمان الامشاطى ﴾

الأديب فى الأزجال والموشحات والمواليا والدوبيت والبلاليق ، وكان أستاذ أهل هذه الصناعة مات فى عشر الستين . ﴿ القاضى الامام العالم الزاهد ﴾

صدر الدين سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح بن خصيب الجعفرى الشافعى المعروف بخطيب

داريا ، ولد سنة ثنتين وأربعين وستمائة ، بقرية بسرا من عمل السواد ، وقدم مع والده فقرأ بالصالحية القرآن على الشيخ نصر بن عبيد ، وسمع الحديث وتفقه على الشيخ محى الدين النووى ، والشيخ تاج الدين الفزارى ، وتولى خطابة داريا وأعاد بالناصرية ، وتولى نيابة القضاء لابن صصرى مدة ، وكان متزهداً لا يتنعم بحمام ولا كتان ولا غيره ، ولم يغير ما اعتاده فى البر ، وكان متواضعاً ، وهو الذى استسقى بالناس فى سنة تسع عشرة فسقوا كما ذكرنا ، وكان يذكر له نسباً إلى جعفر الطيار ، بينه وبينه عشرة آباء ، ثم ولى خطابة العقيبية فترك نيابة الحكم وقال هذه تكفى إلى أن توفى ليلة الخميس ثامن ذى القعدة ، ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته مشهورة رحمه الله ، وتولى بعده الخطابة ولده شهاب الدين .

﴿ أحمد بن صبيح المؤذن ﴾

الرئيس بالعروش بجامع دمشق مع البرهان بدر الدين أبو عبد الله محمد بن صبيح بن عبد الله التفليسى مولاهم المقرى المؤذن ، كان من أحسن الناس صوتا فى زمانه ، وأطيبهم نغمة ، ولد سنة ثنتين وخمسين وستمائة تقريباً ، وسمع الحديث فى سنة سبع وخمسين ، وممن سمع عليه ابن عبد الدائم وغيره من المشايخ ، وحدث وكان رجلا حسنا ، أبوه مولى لامرأة اسمها شامة بنت كامل الدين التفليسى ، امرأة فخر الدين الكرخى ، وباشر مشارفة الجامع وقراءة المصحف ، وأذن عند نائب السلطنة مدة ، وتوفى فى ذى الحجة بالطواويس ، وصلى عليه بجامع العقيبية ، ودفن بمقابر باب الفراديس .

﴿ خطاب بانى خان خطاب ﴾

الذى بين الكسوة وغباغب . الأمير الكبير عز الدين خطاب بن محمود بن رتقش العراقى ، كان شيخا كبيراً له ثروة من المال كبيرة ، وأملاك وأموال ، وله حمام بحكر السماق ، وقد عمر الخان المشهور به بعد موته إلى ناحية الكنف المصرى ، مما يلى غباغب ، وهو برج الصفر ، وقد حصل لكثير من المسافرين به رفق ، توفى ليلة سبع عشرة ربيع الآخر ودفن بتربته بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالى . وفى ذى القعدة منها توفى رجل آخر اسمه :

﴿ ركن الدين خطاب بن الصاحب كمال الدين ﴾

أحمد ابن أخت ابن خطاب الرومى السيواسى ، له خانقاه ببلده بسيواس ، عليها أوقاف كثيرة وبر وصدقة ، توفى وهو ذاهب إلى الحجاز الشريف بالكرك ، ودفن بالقرب من جعفر وأصحابه بمؤتة رحمه الله . وفى العشر الأخير من ذى القعدة توفى

﴿ بدر الدين أبو عبد الله ﴾

محمد بن كمال الدين أحمد بن أبى الفتح بن أبى الوحش أسد بن سلامة بن سليمان بن فتيان

الشيبانى المعروف بابن العطار ، ولد سنة سبعين [وستمائة] ؛ وسمع الحديث الكثير ، وكتب الخط المنسوب واشتغل بالتنبيه ونظم الشعر ، وولى كتابة الدرج ، ثم نظر الجيش ونظر الأشراف ، وكانت له حظوة فى أيام الأفرم ، ثم حصل له خمول قليل ، وكان مترفا منعما له ثروة ورياسة وتواضع وحسن سيرة ، ودفن بسفح قاسيون بتربتهم رحمه الله .

﴿ القاضى محيي الدين ﴾

أبو محمد بن الحسن بن محمد بن عمار بن فتوح الحارثى ، قاضى الزبدانى مدة طويلة ، ثم ولى قضاء الكرك وبها مات فى العشرين من ذى الحجة ، وكان مولده سنة خمس وأربعين وستمائة ، وقد سمع الحديث واشتغل ، وكان حسن الأخلاق متواضعا ، وهو والد الشيخ جمال الدين بن قاضى الزبدانى مدرس الظاهرية رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها ، سوى كاتب سر دمشق شهاب الدين محمود فانه توفى ، وولى المنصب من بعده ولده الصدر شمس الدين . وفيها تحول التجار فى قماش النساء المخيط من الدهشة التى للجامع إلى دهشة سوق علي . وفى يوم الأربعاء ثامن المحرم باشر مشيخة الحديث الظاهرية الشيخ شهاب الدين بن جهبل بعد وفاة العفيف إسحاق وترك تدريس الصلاحية بالقدس الشريف ، واختار دمشق ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفى أولها فتح الحمام الذى بناه الامير سيف الدين جوبان بجوار داره بالقرب من دار الجالق ، وله بابان أحدهما إلى جهة مسجد الوزير ، وحصل به نفع . وفى يوم الاثنين ثانى صفر قدم الصاحب غبريال من مصر على البريد متوليا نظر الدواوين بدمشق على عادته ، وانفصل عنها الكريم الصغير ، وفرح الناس به . وفى يوم الثلاثاء حادى عشرين ربيع الأول بكرة ضربت عنق ناصر بن الشرف أبى الفضل بن إسماعيل بن الهيتى بسوق الخيل على كفره واستهانته واستهتاره بآيات الله ، وصحبته الزنادقة كالنجم بن خلكان ، والشمس محمد الباجريقى ، وابن المعمار البغدادى ، وكل فيهم انحلال وزندقة مشهور بها بين الناس . قال الشيخ علم الدين البرزالى : وربما زاد هذا المذكور المضروب العنق عليهم بالكفر والتلاعب بدين الاسلام ، والاستهانة بالنبوة والقرآن . قال وحضر قتله العلماء والأكابر وأعيان الدولة . قال : وكان هذا الرجل فى أول أمره قد حفظ التنبيه ، وكان يقرأ فى الختم بصوت حسن ، وعنده نباهة وفهم ، وكان منزلا فى المدارس والترب ، ثم إنه انسلخ من ذلك جميعه ، وكان قتله عزاً للاسلام وذلا للزنادقة وأهل البدع .

قلت : وقد شهدت قتله ، وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية حاضراً يومئذ ، وقد أتاه وقرعه

على ما كان يصدر منه قبل قتله ، ثم ضربت عنقه وأنا شاهد ذلك .

وفى شهر ربيع الأول رسم فى إخراج الكلاب من مدينة دمشق فجملوا فى الخندق من جهة باب الصغير من ناحية باب شرقى ، الذكور على حدة والاناث على حدة ، وألزم أصحاب الدكاكين بذلك ، وشددوا فى أمرهم أياماً . وفى ربيع الأول ولى الشيخ علاء الدين المقدسى معيد البادرانية مشيخة الصلاحية بالقدس الشريف ، وسافر إليها . وفى جمادى الآخرة عزل قرطاى عن ولاية طرابلس ووليها طينال وأقر قرطاى على خبز القرمانى بدمشق بحكم سجن القرمانى بقلعة دمشق .

قال البرزالى : وفى يوم الاثنين عند العصر سادس عشر شعبان اعتقل الشيخ الامام العالم العلامة تقى الدين بن تيمية بقلعة دمشق ، حضر إليه من جهة نائب السلطنة تنكز مشدا الاوقاف وابن الخطيرى أحد الحجاب بدمشق ، وأخبراه أن مرسوم السلطان ورد بذلك ، وأحضرا معهما مركوبا ليركبه ، وأظهر السرور والفرح بذلك ، وقال أنا كنت منتظراً لذلك ، وهذا فيه خير كثير ومصلحة كبيرة ، وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة ، وأخليت له قاعة وأجرى إليها الماء ورسم له بالاقامة فيها ، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه باذن السلطان ، ورسم له ما يقوم بكفايته . قال البرزالى : وفى يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرئ بجامع دمشق الكتاب السلطانى الوارد باعتقاله ومنعه من الفتيا ، وهذه الواقعة سببها فتيا وجدت بخطه فى السفر وإعمال المطى إلى زيارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقبور الصالحين . قال : وفى يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر قاضى القضاة الشافعى فى حبس جماعة من أصحاب الشيخ تقى الدين فى سجن الحكم ، وذلك بمرسوم نائب السلطنة وإذنه له فيه ، فيما تقتضيه الشريعة فى أمرهم ، وعزر جماعة منهم على دواب ونودى عليهم ثم أطلقوا ، سوى شمس الدين محمد بن قيم الجوزية فانه حبس بالقلعة ، وسكنت القضية . قال وفى أول رمضان وصلت الأخبار إلى دمشق أنه أجريت عين ماء إلى مكة شرفها الله وانتفع الناس بها انتفاعاً عظيما ، وهذه العين تعرف قديماً بعين باذان ، أجراها جوبان من بلاد بعيدة حتى دخلت إلى نفس مكة ، ووصلت إلى عند الصفا وباب إبراهيم ، واستقى الناس منها فقيرهم وغنيهم وضعيفهم وشريفهم ، كلهم فيها سواء ، وارتفق أهل مكة بذلك رفقاً كثيراً ولله الحمد والمنة . وكانوا قد شرعوا فى حفرها وتجديدها فى أوائل هذه السنة إلى العشر الأخر من جمادى الأولى ، واتفق أن فى هذه السنة كانت الآبار التى بمكة قد يبست وقل ماؤها ، وقل ماء زمزم أيضاً ، فلولا أن الله تعالى لطف بالناس باجراء هذه القناة لنزح عن مكة أهلها ، أو هلك كثير مما يقيم بها . وأما الحجيج فى أيام الموسم فحصل لهم بها رفق عظيم زائد عن الوصف ، كما شاهدنا ذلك فى سنة إحدى وثلاثين عام حججنا . وجاء كتاب السلطان إلى نائبه بمكة باخراج الزيديين من المسجد الحرام ، وأن لا يكون

لهم فيه إمام ولا مجتمع ، ففعل ذلك .

وفى يوم الثلاثاء رابع شعبان درس بالشامية الجوانية شهاب الدين أحمد بن جهبل ، وحضر عنده القاضى القزوينى الشافعى وجماعة عوضاً عن الشيخ أمين الدين سالم بن أبى الدر إمام مسجد ابن هشام توفى ، ثم بعد أيام جاء توقيع بولاية القاضى الشافعى فباشرها فى عشرين رمضان . وفى عاشر شوال خرج الركب الشامى وأميره سيف الدين جوبان ، وحج عامئذ القاضى شمس الدين بن مسلم قاضى قضاة الحنابلة ، وبدر الدين ابن قاضى القضاة جلال الدين القزوينى ، ومعه تحف وهدايا وأمور تتعلق بالأمير سيف الدين أرغون نائب مصر ، فانه حج فى هذه السنة ومعه أولاده وزوجته بنت السلطان ، وحج فخر الدين ابن شيخ السلامية ، وصدرالدين المالكى ، وفخر الدين البعلبكى وغيره .

وفى يوم الاربعاء عاشر القعدة درس بالحنبلية برهان الدين أحمد بن هلال الزرعى الحنبلى ، بدلا عن شيخ الاسلام ابن تيمية ، وحضر عنده القاضى الشافعى وجماعة من الفقهاء وشق ذلك على كثير من أصحاب الشيخ تقى الدين ، وكان ابن الخطيرى الحاجب قد دخل على الشيخ تقى الدين قبل هذا اليوم فاجتمع به وسأله عن أشياء بأمر نائب السلطنة . ثم يوم الخميس دخل القاضى جمال الدين بن جملة وناصر الدين مشد الأوقاف ، وسألاه عن مضمون قوله فى مسألة الزيارة ، فكتب ذلك فى درج وكتب تحته قاضى الشافعية بدمشق : قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية إلى أن قال : وإنما المحز جعله زيارة قبر النبى ﷺ ، وقبور الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصية بالاجماع مقطوعا [بها] ، فانظر الآن هذا التحريف على شيخ الاسلام ، فان جوابه على هذه المسألة ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وإنما فيه ذكر قولين فى شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور ، وزيارة القبور من غير شد رحل إليها مسألة ، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى ، والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل ، بل يستحبها ويندب إليها ، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ، ولم يتعرض إلى هذه الزيارة فى هذه الوجه فى الفتيا ، ولا قال إنها معصية ، ولا حكى الاجماع على المنع منها ، ولا هو جاهل قول الرسول « زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة » والله سبحانه لايخفى عليه شىء ، ولا يخفى عليه خافية ، (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) .

وفى يوم الأحد رابع القعدة فتحت المدرسة الحمصية تجاه الشامية الجوانية ، ودرس بها محيى الدين الطرابلسى قاضى هكار ، وتلقب بأبى رباح ، وحضر عنده القاضى الشافعى . وفى ذى القعدة سافر القاضى جمال الدين الزرعى من الاتابكية إلى مصر ، ونزل عن تدريسها لمحيي الدين بن جهبل . وفى ثانى عشر ذى الحجة درس بالنجيبية ابن قاضى الزبدانى عوضاً عن الدمشقى نائب الحكم مات بالمدرسة المذكورة .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ ابن المطهر الشيعى جمال الدين ﴾

أبو منصور حسن بن يوسف بن مطهر الحلبى العراقى الشيعى ، شيخ الروافض بتلك النواحى ، وله التصانيف الكثيرة ، يقال تزيد على مائة وعشرين مجلدا ، وعدّها خمسة وخمسون مصنفا ، فى الفقه والنحو والأصول والفلسفة والرفض وغير ذلك من كبار وصغار ، وأشهرها بين الطلبة شرح ابن الحاجب فى أصول الفقه ، وليس بذاك الفائق ، ورأيت له مجلدين فى أصول الفقه على طريقة المحصول والأحكام ، فلا بأس بها فانها مشتملة على نقل كثير وتوجيه جيد ، وله كتاب منهاج الاستقامة فى إثبات الامامة ، خبط فيه فى المعقول والمنقول ، ولم يدر كيف يتوجه ، إذ خرج عن الاستقامة . وقد انتدب فى الرد عليه الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام تقى الدين أبو العباس ابن تيمية فى مجلدات أتى فيها بما يبهر العقول من الأشياء المليحة الحسنة ، وهو كتاب حافل . ولد ابن المطهر الذى لم تطهر خلائقه ولم يتطهر من دنس الرفض ليلة الجمعة سابع عشرين رمضان سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وتوفى ليلة الجمعة عشرين محرم من هذه السنة ، وكان اشتغاله ببغداد وغيرها من البلاد ، واشتغل على نصير الطوسى ، وعلى غيره ، ولما ترفض الملك خربندا حظى عنده ابن المطهر وساد جداً وأقطعه بلادا كثيرة .

﴿ الشمس الكاتب ﴾

محمد بن أسد الحرانى المعروف بالنجار ، كان يجلس ليكتب الناس عليه بالمدرسة القليجية ، توفى فى ربيع الآخر ودفن بباب الصغير .

﴿ العز حسن بن أحمد بن زفر ﴾

الأربلى ثم الدمشقى ، كان يعرف طرفا صالحا من النحو والحديث والتاريخ ، وكان مقيما بدويرة حمد صوفيا بها ، وكان حسن المجالسة أثنى عليه البرزالى فى نقله وحسن معرفته ، مات بالمارستان الصغير فى جمادى الآخرة ودفن بباب الصغير عن ثلاث وستين سنة .

﴿ الشيخ الامام أمين الدين سالم بن أبى الدر ﴾

عبد الرحمن بن عبد الله الدمشقى الشافعى مدرس الشامية الجوانية ، أخذها من ابن الوكيل قهراً وهو إمام مسجد ابن هشام ، ومحدث الكرسى به ، كان مولده فى سنة خمس وأربعين وستمائة ، اشتغل وحصل وأثنى عليه النووى وغيره ، وأعاد وأفتى ودرس ، وكان خبيرا بالمحاكمات ، وكان فيه مروءة وعصبية لمن يقصده ، توفى فى شعبان ودفن بباب الصغير .

﴿ الشيخ حماد ﴾

وهو الشيخ الصالح العابد الزاهد حماد الحلبى القطان ، كان كثير التلاوة والصلوات ، مواظباً على الاقامة بجامع التوبة بالعقيبة بالزاوية الغربية الشمالية ، يقرىء القرآن ويكثر الصيام ويتردد الناس

إلى زيارته ، مات وقد جاوز السبعين سنة على هذا القدم ، توفى ليلة الاثنين عشرين شعبان ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

﴿ الشيخ قطب الدين اليونيني ﴾

وهو الشيخ الامام العالم بقية السلف ، قطب الدين أبو الفتح موسى ابن الشيخ الفقيه الحافظ الكبير شيخ الاسلام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد البعلبكى اليونينى الحنبلى ، ولد سنة أربعين وستمائة بدار الفضل بدمشق ، وسمع الكثير وأحضره والده المشايخ واستجازله و بحث واختصر مرآة الزمان للسبط ، وذيل عليها ذيلا حسنا مرتباً أفاد فيه وأجاد بعبارة حسنة سهلة ، بانصاف وستر ، وأتى فيه بأشياء حسنة وأشياء فائقة رائقة ، وكان كثير التلاوة حسن الهيئة متقللا فى ملبسه ومأكله ، توفى ليلة الخميس ثالث عشر شوال ودفن بباب سطحا عند أخيه الشيخ شرف الدين رحمهما الله . ﴿ قاضى القضاة ابن مسلم ﴾

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر الصالحى الحنبلى ، ولد سنة ستين وستمائة ، ومات أبوه ـ وكان من الصالحين ـ سنة ثمان وستين ، فنشأ يتيما فقيراً لا مال له ، ثم اشتغل وحصل وسمع الكثير وانتصب للافادة والاشتغال ، فطار ذكره ، فلما مات التقى سليمان سنة خمس عشرة ولى قضاء الحنابلة ، فباشره أتم مباشرة ، وخرجت له تخاريج كثيرة ، فلما كانت هذه السنة خرج للحج فمرض فى الطريق فورد المدينة النبوية على ساكنها رسول الله أفضل الصلاة والسلام ، يوم الاثنين الثالث والعشرين من ذى القعدة فزار قبر رسول الله ﷺ وصلى فى مسجده وكان بالاشواق إلى ذلك ، وكان قد تمنى ذلك لما مات ابن نجيح ، فمات فى عشية ذلك اليوم يوم الثلاثاء وصلى عليه فى مسجد رسول الله ﷺ بالروضة ، ودفن بالبقيع إلى جانب قبر شرف الدين ابن نجيح ، الذى كان قد غبطه بموته هناك سنة حج هو وهو قبل هذه الحجة شرقى قبر عقيل رحمهم الله ، وولى بعده القضاء عز الدين بن التقى سليمان .

﴿ القاضى نجم الدين ﴾

أحمد بن عبد المحسن بن حسن بن معالى الدمشقى الشافعى ، ولد سنة تسع وأربعين واشتغل على تاج الدين الفزارى وحصل وبرع وولى الاعادة ثم الحكم بالقدس ، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالنجيبية ، وناب فى الحكم عن ابن صصرى مدة ، توفى بالنجيبية المذكورة يوم الأحد ثامن عشرين ذى القعدة ، وصلى عليه العصر بالجامع ، ودفن بباب الصغير .

﴿ ابن قاضى شهبة ﴾

الشيخ الامام العالم شيخ الطلبة ومفيدهم كمال الدين أبو محمد عبد الوهاب بن ذؤيب الاسدى

الشهبي الشافعي ، ولد بحوران في سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وقدم دمشق واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ، ولازمه وانتفع به ، وأعاد بحلقته ، وتخرج به ، وكذلك لازم أخاه الشيخ شرف الدين ، وأخذ عنه النحو واللغة ، وكان بارعا في الفقه والنحو ، له حلقة يشتغل فيها تجاه محراب الحنابلة ، وكان يعتكف جميع شهر رمضان ، ولم يتزوج قط ، وكان حسن الهيئة والشيبة ، حسن العيش والملبس متقللا من الدنيا ، له معلوم يقوم بكفايته من إعادات وفقاهات وتصدير بالجامع ، ولم يدرس قط ولا أفتى ، مع أنه كان ممن يصلح أن يأذن في الافتاء ، ولكنه كان يتورع عن ذلك ، وقد سمع الكثير : سمع المسند للامام أحمد وغير ذلك ، توفي بالمدرسة المجاهدية ـ وبها كانت إقامته ـ ليلة الثلاثاء حادي عشرين ذي الحجة ، وصلى عليه بعد صلاة الظهر ، ودفن بمقابر باب الصغير . وفيها كانت وفاة :

﴿ الشرف يعقوب بن فارس الجعبري ﴾

التاجر بفرجة ابن عمود ، وكان يحفظ القرآن ويؤم بمسجد القصب ، ويصحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية والقاضي نجم الدين الدمشقي ، وقد حصل أموالا وأملاكا وثروة ، وهو والد صاحبنا الشيخ الفقيه المفضل المحصل الزكي بدر الدين محمد ، خال الولد عمر إن شاء الله . وفيها توفي :

﴿ الحاج أبو بكر بن تيمراز الصيرفي ﴾

كانت له أموال كثيرة ودائرة ومكارم وبر وصدقات ، ولكنه انكسر في آخر عمره ، وكاد أن ينكشف فجبره الله بالوفاة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين وسبعمائة ﴾

استهلت بيوم الجمعة والحكام الخليفة والسلطان والنواب والقضاة والمباشرون هم المذكورون في التي قبلها سوى الحنبلي كما تقدم ، وفي العشر من المحرم دخل مصر أرغون نائب مصر فمسك في حادي عشر وحبس ، ثم أطلق أياما وبعثه السلطان إلى نائب حلب فاجتاز بدمشق بكرة الجمعة ثاني عشرين المحرم ، فأنزله نائب السلطنة بداره المجاورة لجامعه ، فبات بها ثم سافر إلى حلب ، وقد كان قبله بيوم قد سافر من دمشق الجاي الدوادار إلى مصر ، وصحبته نائب حلب علاء الدين الطنبغا معزولا عنها إلى حجوبية الحجاب بمصر . وفي يوم الجمعة التاسع عشر ربيع الأول قرىء تقليد قاضي الحنابلة عز الدين محمد بن التقي سليمان بن حمزة المقدسي ، عوضا عن ابن مسلم بمقصورة الخطابة بحضرة القضاة والأعيان ، وحكم وقرىء قبل ذلك بالصالحية . وفي أواخر هذا الشهر وصل البريد بتولية ابن النقيب الحاكم بحمص قضاء القضاة بطرابلس ، ونقل الذي بها إلى حمص نائبا عن قاضي دمشق ، وهو ناصر بن محمود الزرعي .

وفى سادس عشر ربيع الآخر عاد تنكز من مصر إلى الشام ، وقد حصل له تكريم من السلطان.
وفى ربيع الأول حصلت زلزلة بالشام وقى الله شرها . وفى يوم الخميس مستهل جمادى الاولى باشر نيابة الحنبلى القاضى برهان الدين الزرعى ، وحضر عنده جماعة من القضاة . وفى يوم الجمعة منتصف جمادى الآخرة جاء البريد بطلب القاضى القزوينى الشافعى إلى مصر ، فدخلها فى مستهل رجب ، فخلع عليه بقضاء قضاة مصر مع تدريس الناصرية والصالحية ودار الحديث الكاملية ، عوضا عن بدر الدين بن جماعة لأجل كبر سنه ، وضعف نفسه ، وضرر عينيه ، فجبروا خاطره فرتب له ألف درهم وعشرة أرادب قمح فى الشهر ، مع تدريس زاوية الشافعى ، وأرسل ولده بدر الدين إلى دمشق خطيباً بالأموى ، وعلى تدريس الشامية البرانية ، على قاعدة والده جلال الدين القزوينى فى ذلك ، فخلع عليه فى أواخر رجب ثامن عشرين وحضر عنده الأعيان .

وفى رجب كان عرس الامير سيف الدين قوصون الساقى الناصرى ، على بنت السلطان ، وكان وقتا مشهودا ، خلع على الأمراء والأكابر . وفى صبيحة هذه الليلة عقد عقد الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير بكتمر الساقى ، على بنت تنكز نائب الشام ، وكان السلطان وكيل أبيها تنكز والعاقد ابن الحريرى . وخلع عليه وأدخلت فى ذى الحجة من هذه السنة فى كلفة كثيرة .

وفى رجب جرت فتنة كبيرة بالاسكندرية فى سابع رجب ، وذلك أن رجلا من المسلمين قد تخاصم هو ورجل من الفرنج ، على باب البحر ، فضرب أحدهما الآخر بنعل ، فرفع الأمر إلى الوالى فأمر بغلق باب البلد بعد العصر ، فقال له الناس : إن لنا أموالا وعبيداً ظاهر البلد ، وقد أغلقت الباب قبل وقته . ففتحه فخرج الناس فى زحمة عظيمة ، فقتل منهم نحو عشرة ونهبت عمائم وثياب وغير ذلك ، وكان ذلك ليلة الجمعة ، فلما أصبح الناس ذهبوا إلى دار الوالى فأحرقوها وثلاث دور لبعض الظلمة ، وجرت أحوال صعبة ، ونهبت أموال ، وكسرت العامة باب سجن الوالى فخرج منه من فيه ، فبلغ نائب السلطنة فاعتقد النائب أنه السجن الذى فيه الأمراء ، فأمر بوضع السيف فى البلد وتخريبه ، ثم إن الخبر بلغ السلطان فأرسل الوزير طيبغا الجمالى سريعا فضرب وصادر ، وضرب القاضى ونائبه وعزلهم ، وأهان خلقا من الأكابر وصادرهم بأموال كثيرة جداً ، وعزل المتولى ثم أعيد ، ثم تولى القضاء بهاء الدين علم الدين الأخنائى الشافعى الذى تولى دمشق فيما بعد ، وعزل قضاة الاسكندرية المالكى ونائباه ، ووضعت السلاسل فى أعناقهم وأهينوا ، وضرب ابن السنى غير مرة .

وفى يوم السبت عشرين شعبان وصل إلى دمشق قاضى قضاة حلب ابن الزملكانى على البريد فأقام بدمشق أربعة أيام ثم سار إلى مصر ليتولى قضاء قضاة الشام بحضرة السلطان ، فاتفق موته

قبل وصوله إلى القاهرة (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا فى شك منه مريب) . وفى يوم الجمعة سادس عشرين شعبان باشر صدر الدين المالكى مشيخة الشيوخ مضافا إلى قضاء قضاة المالكية ، وحضر الناس عنده ، وقرئ تقليده بذلك بعد انفصال الزرعى عنها إلى مصر . وفى نصف رمضان وصل قاضى الحنفية بدمشق لقضاء القضاة عماد الدين أبى الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد الطرسوسى ، الذى كان نائبا لقاضى القضاة صدر الدين على البصروى ، فخلفه بعده بالمنصب ، وقرىء تقليده بالجامع ، وخلع عليه وباشر الحكم ، واستناب القاضى عماد الدين ابن العز ، ودرس بالنورية مع القضاء ، وشكرت سيرته .

وفى رمضان قدم جماعة من الأسارى مع تجار الفرنج فأنزلوا بالمدرسة العادلية الكبيرة واستفكوا من ديوان الاسرى بنحو من ستين ألفا ، وكثرت الأدعية لمن كان السبب فى ذلك . وفى ثامن شوال خرج الركب الشامى إلى الحجاز وأميره سيف الدين بالبان المحمدى ، وقاضيه بدر الدين محمد بن محمد قاضى حران . وفى شوال وصل تقليد قضاء الشافعية بدمشق لبدر الدين ابن قاضى القضاة ابن عز الدين بن الصائغ والخلعة معه ، فامتنع من ذلك أشد الامتناع ، وصمم ، وألح عليه الدولة فلم يقبل وكثر بكاؤه وتغير مزاجه واغتاظ ، فلما أصر على ذلك راجع تنكز السلطان فى ذلك ، فلما كان شهر ذى القعدة اشتهر تولية علاء الدين على بن إسماعيل القونوى قضاء الشام ، فسار إليها من مصر وزار القدس ودخل دمشق يوم الاثنين سابع عشرين ذى القعدة ، فاجتمع بنائب السلطنة ولبس الخلعة وركب مع الحجاب والدولة إلى العادلية ، فقرىء تقليده بها وحكم بها على العادة ، وفرح الناس به وبحسن سمته وطيب لفظه وملاحة شمائله وتودده ، وولى بعده مشيخة الشيوخ بمصر مجد الدين الأقصرائى الصوفى شيخ سرياقوس .

وفى يوم السبت ثالث عشرين ذى القعدة لبس القاضى محيى الدين بن فضل الله الخلعة بكتابة السر عوضا عن ابن الشهاب محمود ، واستمر ولده شرف الدين فى كتابة الدست . وفى هذه السنة تولى قضاء حلب عوضا عن ابن الزملكانى القاضى فخر الدين البازرى . وفى العشر الأول من ذى الحجة كمل ترخيم الجامع الاموى أعنى حائطه الشمالى وجاء تنكز حتى نظر إليه فأعجبه ذلك ، وشكر ناظره تقى الدين بن مراجل . وفى يوم الاضحى جاء سيل عظيم إلى مدينة بلبيس فهرب أهلها منها وتعطلت الصلاة والاضاحى فيها ، ولم ير مثله من مدة سنين متطاولة ، وخرب شيئا كثيرا من حواضرها وبساتينها فانا لله وإنا إليه راجعون .

وممن توفى فيها من الأعيان

﴿ الامير أبو يحيى ﴾

زكريا بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد أبى حفص الهنتاتى الجيانى (١) المغربى ، أمير بلاد المغرب .

(١) وفى شذرات الذهب « اللحيانى » .

ولد بتونس قبل سنة خمسين وستمائة ، وقرأ الفقه والعربية ، وكان ملوك تونس تعظمه وتكرمه ، لأنه من بيت الملك والامرة والوزارة . ثم بايعه أهل تونس على الملك فى سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وكان شجاعا مقداما ، وهو أول من أبطل ذكر ابن التومرت من الخطبة ، مع أن جده أبا حفص الهنتاتى كان من أخص أصحاب ابن التومرت . توفى فى المحرم من هذه السنة بمدينة الاسكندرية رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح العابد الناسك ﴾

ضياء الدين أبو الفدا إسماعيل بن رضى الدين أبى الفضل المسلم بن الحسن بن نصر الدمشقى ، المعروف بابن الحموى ، كان هو وأبوه وجده من الكتاب المشهورين المشكورين ، وكان هو كثير التلاوة والصلاة والصيام والبر والصدقة والاحسان إلى الفقراء والأغنياء . ولد سنة خمس وثلاثين وستمائة وسمع الحديث الكثير وخرج له البرزالى مشيخة سمعناها عليه ، وكان من صدور أهل دمشق ، توفى يوم الجمعة رابع عشر صفر ، وصلى عليه ضحوة يوم السبت ، ودفن بباب الصغير ، وحج وجاور وأقام بالقدس مدة. مات وله ثنتان وسبعون سنة رحمه الله ، وقد ذكر والده أنه حين ولد له فتح المصحف يتفاءل فاذا قوله (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل و إسحاق) فسماه إسماعيل . ثم ولد له آخر فسماه إسحاق ، وهذا من الاتفاق الحسن رحمهم الله تعالى .

﴿ الشيخ على المحارفى ﴾

على بن أحمد بن هوس الهلالى ، أصل جده من قرية إبل البسوق ، وأقام والده بالقدس ، وحج هو مرة وجاور بمكة سنة ثم حج ، وكان رجلا صالحا مشهوراً ، و يعرف بالمحارفى ، لأنه كان يحرف الازقة و يصلح الرصفان لله تعالى ، وكان يكثر التهليل والذكر جهرة ، وكان عليه هيبة ووقار ، ويتكلم كلاماً فيه تخويف وتحذير من النار ، وعواقب الردى ، وكان ملازماً لمجالس ابن تيمية ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثالث عشرين ربيع الاول ، ودفن بتربة الشيخ موفق الدين بالسفح ، وكانت جنازته حافلة جدا رحمه الله .

﴿ الملك الكامل ناصر الدين ﴾

أبو المعالى محمد بن الملك السعيد فتح الدين عبد الملك بن السلطان الملك الصالح إسماعيل أبى الجيش ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب أحد أكابر الامراء وأبناء الملوك ، كان من محاسن البلد ذكاء وفطنة وحسن عشرة ولطافة كلام ، بحيث يسرد كثيرا من الكلام بمنزلة الأمثال من قوة ذهنه وحذاقة فهمه ، وكان رئيسا من أجواد الناس ، توفى عشية الاربعاء عشرين جمادى الاولى وصلى عليه ظهر الخميس بصحن الجامع تحت النسر ، ثم أرادوا دفنه عند جده لأمه الملك الكامل فلم يتيسر ذلك فدفن بتربة أم الصالح سامحه الله ، وكان له سماع كثير سمعنا عليه منه ، وكان يحفظ تاريخا جيداً ،

وقام ولده الأمير صلاح الدين مكانه فى إمرة الطبلخانة ، وجعل أخوه فى عشرته ولبسا الخلع السلطانية بذلك .

﴿ الشيخ الامام نجم الدين ﴾

أحمد بن محمد بن أبى الحزم القرشى المخزومى التمولى ، كان من أعيان الشافعية ، وشرح الوسيط وشرح الحاجبية فى مجلدين ، ودرس وحكم بمصر ، وكان محتسبا بها أيضاً ، وكان مشكور السيرة فيها ، وقد تولى بعده الحكم نجم الدين بن عقيل ، والحسبة ناصر الدين بن قار السبقوق ، توفى فى رجب وقد جاوز الثمانين ، ودفن بالقرافة رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح أبو القاسم ﴾

عبد الرحمن بن موسى بن خلف الحزامى ، أحد مشاهير الصالحين بمصر ، توفى بالروضة وحمل إلى شاطئ النيل ، وصلى عليه وحمل على الرؤس والأصابع ، ودفن عند ابن أبى جمزة ، وقد قارب الثمانين ، وكان ممن يقصد إلى الزيارة رحمه الله .

﴿ القاضى عز الدين ﴾

عبد العزيز بن أحمد بن عثمان بن عيسى بن عمر بن الخضر الهكارى الشافعى ، قاضى المحلة ، كان من خيار القضاة ، وله تصنيف على حديث المجامع فى رمضان ، يقال إنه استنبط فيه ألف حكم . توفى فى رمضان ، وقد كان حصل كتبا جيدة منها التهذيب لشيخنا المزى .

﴿ الشيخ كمال الدين بن الزملكانى ﴾

شيخ الشافعية بالشام وغيرها ، انتهت إليه رياسة المذهب تدريسا و إفتاء ومناظرة ، ويقال فى نسبه السماكى نسبة إلى أبى دجانة سماك بن خرشة والله أعلم . ولد ليلة الاثنين ثامن شوال سنة ست و ستين وستمائة ، وسمع الكثير واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزارى ، وفى الاصول على القاضى بهاء الدين بن الزكى ، وفى النحو على بدر الدين بن ملك وغيرهم ، وبرع وحصل وساد أقرانه من أهل مذهبه ، وحاز قصب السبق عليهم بذهنه الوقاد فى تحصيل العلم الذى أسهره ومنعه الرقاد وعبارته التى هى أشهى من كل شئ معتاد ، وخطه الذى هو أنضر من أزاهير الوهاد ، وقد درس بعدة مدارس بدمشق ، وباشر عدة جهات كبار ، كنظر الخزانة ونظر المارستان النورى وديوان الملك السعيد ، و وكالة بيت المال . وله تعاليق مفيدة واختيارات حميدة سديدة ، ومناظرات سعيدة . ومما علقه قطعة كبيرة من شرح المنهاج للنووى ، ومجلد فى الرد على الشيخ تقى الدين ابن تيمية فى مسألة الطلاق وغير ذلك ، وأما دروسه فى المحافل فلم أسمع أحداً من الناس درس أحسن منها ولا أحلى من عبارته ، وحسن تقريره ، وجودة احترازاته ، وصحة ذهنه وقوة قريحته وحسن نظمه ، وقد

درس بالشامية البرانية و العذراوية والظاهرية الجوانية والرواحية والمسرورية ، فكان يعطى كل واحدة منهن حقها بحيث كان يكاد ينسخ بكل واحد من تلك الدروس ما قبله من حسنه وفصاحته ، ولا يهيله تعداد الدروس وكثرة الفقهاء والفضلاء ، بل كلما كان الجمع أكثر والفضلاء أكبر كان الدرس أنضر وأبهر وأحلى وأنصح وأفصح . ثم لما انتقل إلى قضاء حلب وما معه من المدارس العديدة عامله معاملة مثلها ، وأوسع بالفضيلة جميع أهلها ، وسمعوا من العلوم ما لم يسمعوا هم ولا آباؤهم . ثم طلب إلى الديار المصرية ليولى الشامية دار السنة النبوية فعاجلته المنية قبل وصوله إليها ، فمرض وهو سائر على البريد تسعة أيام ، ثم عقب المرض بحراق الحمام فقبضه هاذم اللذات ، وحال بينه و بين سائر الشهوات والارادات ، والاعمال بالنيات . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ، وكان من نيته الخبيثة إذا رجع إلى الشام متوليا أن يؤذى شيخ الاسلام ابن تيمية فدعا عليه فلم يبلغ أمله ومراده ، فتوفى فى سحر يوم الاربعاء سادس عشر شهر رمضان بمدينة بلبيس ، وحمل إلى القاهرة ودفن بالقرافة ليلة الخميس جوار قبة الشافعى تغمدهما الله برحمته .

﴿ المؤذن المشهور بالجامع الأموى ﴾

الحاج على بن فرج بن أبى الفضل الكتانى ، كان أبوه من خيار المؤذنين ، فيه صلاح ودين وله قبول عند الناس ، وكان حسن الصوت جهوره ، وفيه توددوخدم وكرم ، وحج غير مرة وسمع من أبى عمر وغيره ، توفى ليلة الأربعاء ثالث القعدة وصلى عليه غدوة ، ودفن بباب الصغير . وفى ذى القعدة توفى ﴿ الشيخ فضل ابن الشيخ الرجيحى التونسى ﴾

وأجلس أخوه يوسف مكانه بالزاوية .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ﴾

فى ذى القعدة منها كانت وفاة شيخ الاسلام أبى العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه كما ستأتى ترجمة وفاته فى الوفيات إن شاء الله تعالى .

استهلت هذه السنة وحكام البلاد هم المذكورون فى التى قبلها سوى نائب مصر وقاضى حلب . وفى يوم الأربعاء ثانى المحرم درس بحلقة صاحب حمص الشيخ الحافظ صلاح الدين العلائى ، نزل له عنها شيخنا الحافظ المزى ، وحضر عنده الفقهاء والقضاة والاعيان ، وذكر درسا حسنا مفيداً . وفى يوم الجمعة رابع المحرم حضر قاضى القضاة علاء الدين القونوى مشيخة الشيوخ بالسمساطية عوضا عن القاضى المالكى شرف الدين ، وحضر عنده الفقهاء والصوفية على العادة . وفى يوم الأحد ثامن عشر صفر درس بالمسرورية تقى الدين عبدالرحمن بن الشيخ كمال الدين بن الزملكانى عوضا عن جمال الدين بن الشريشى بحكم انتقاله إلى قضاء حمص ، وحضر الناس عنده وترحموا على والده .

وفى يوم الأحد خامس عشرين صفر وصل إلى دمشق الأمير الكبير صاحب بلاد الروم تمرتاش ابن جوبان ، قاصدا إلى مصر ، فخرج نائب السلطنة والجيش إلى تلقيه ، وهو شاب حسن الصورة تام الشكل مليح الوجه . ولما انتهى إلى السلطان بمصر أكرمه وأعطاه تقدمة ألف ، وفرق أصحابه على الأمراء وأكرموا إكراما زائدا ، وكان سبب قدومه إلى مصر أن صاحب العراق الملك أبا سعيد كان قد قتل أخاه جواجا رمشتق فى شوال من السنة الماضية ، فهم والده جوبان بمحاربة السلطان أبى سعيد فلم يتمكن من ذلك ، وكان جوبان إذ ذاك مدبر الممالك ، فخاف تمرتاش هذا عند ذلك من السلطان ففر هاربا بدمه إلى السلطان الناصر بمصر .

وفى ربيع الأول توجه نائب الشام سيف الدين تنكز إلى الديار المصرية لزيارة السلطان فأكرمه واحترمه واشترى فى هذه السفرة دار الفلوس التى بالقرب من البزوريين والجوزية ، وهى شرقيها ، وقد كان سوق البزورية اليوم يسمى سوق القمح ، فاشترى هذه الدار وعمرها دارا هائلة ليس بدمشق دار أحسن منها ، وسماها دار الذهب ، وهدم حمام سويد تلقاءها وجعله دار قرآن وحديث فى غاية الحسن أيضا ، ووقف عليها أماكن ورتب فيها المشايخ والطلبة كما سيأتى تفصيله فى موضعه ، واجتاز برجوعه من مصر بالقدس الشريف وزاره وأمر ببناء حمام به ، وبناء دار حديث أيضا به ، وخانقاه كما يأتى بيانه . وفى آخر ربيع الأول وصلت القناة إلى القدس التى أمر بعمارتها وتجديدها سيف الدين تنكز قطلبك ، فقام بعمارتها مع ولاة تلك النواحى ، وفرح المسلمون بها ودخلت حتى إلى شط المسجد الاقصى ، وعمل به بركة هائلة ، وهى مرخمة ما بين الصخرة والاقصى ، وكان ابتداء عملها من شوال من السنة الماضية . وفى هذه المدة عمر سقوف شرافات المسجد الحرام وإيوانه ، وعمرت بمكة طهارة مما يلى باب بنى شيبة .

قال البرزالى : وفى هذا الشهر كملت عمارة الحمام الذى بسوق باب توما ، وله بابان . وفى ربيع الآخر نقض الترخيم الذى بحائط جامع دمشق القبلى من جهة الغرب مما يلى باب الزيادة ، فوجدوا الحائط متجافيا نخيف من أمره ، وحضر تنكز بنفسه ومعه القضاة وأرباب الخبرة ، فاتفق رأيهم على نقضه وإصلاحه ، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة سابع عشرين ربيع الآخر وكتب نائب السلطنة إلى السلطان يعلمه بذلك ويستأذنه فى عمارته ، فجاء المرسوم بالاذن بذلك ، فشرع فى نقضه يوم الجمعة خامس عشرين جمادى الأولى ، وشرعوا فى عمارته يوم الاحد تاسع جمادى الآخرة ، وعمل محراب فيما بين الزيادة ومقصورة الخطابة يضاهى محراب الصحابة ، ثم جدوا ولازموا فى عمارته ، وتبرع كثير من الناس بالعمل فيه من سائر الناس ، فكان يعمل فيه كل يوم أزيد من مائة رجل ، حتى كملت عمارة الجدار وأعيدت طاقاته وسقوفه فى العشرين من رجب وذلك بهمة تقى الدين بن مراجل

وهذا من العجب فانه نقض الجدار وما يسامته من السقف ، وأعيد فى مدة لا يتخيل إلى أحد أن عمله يفرغ فيما يقارب هذه المدةجزما ، وساعدهم على سرعة الاعادة حجارة وجدوها فى أساس الصومعة الغربية التى عند الغزالية ، وقد كان فى كل زاوية من هـذا المعبد صومعة كما فى الغربية والشرقية القبلتين منه فأبيدت الشماليتين قديما ولم يبق منهما من مدة ألوف من السنين سوى أس هـذه المأذنة الغربية الشمالية ، فكانت من أكبر العون على إعادة هذا الجدار سريعا . ومن العجب أن ناظر الجامع ابن مراجل لم ينقص أحداً من أرباب المرتبات على الجامع شيئا مع هذه العمارة .

وفى ليلة السبت خامس جمادى الأولى وقع حريق عظيم بالقرايين واتصل بالرماحين ، واحترقت القيسارية والمسجد الذى هناك ، وهلك للناس شىء كثير من الفرا والجوخ والأقمشة ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفى يوم الجمعة عاشره بعد الصلاة صلى على القاضى شمس الدين بن الحريرى قاضى قضاة الحنفية بمصر ، وصلى عليه صلاة الغائب بدمشق . وفى هذا اليوم قدم البريد بطلب برهان الدين بن عبد الحق الحنفى إلى مصر ليلى القضاء بها بعـد ابن الحريرى ، فخرج مسافراً إليها ، ودخـل مصر فى خامس عشرين جمادى الأولى ، واجتمع بالسلطان فولاه القضاء وأكرمه وخلع عليه وأعطاه بغلة بزنارى ، وحكم بالمدرسة الصالحية بحضرة القضاة والحجاب ، ورسم له بجميع جهات ابن الحريرى .

وفى يوم الاثنين تاسع جمادى الآخرة أخرج ما كان عنـد الشيخ تقى الدين بن تيميـة من الكتب والأوراق والدواة والقلم ، ومنع من الكتب والمطالعـة ، وحملت كتبه فى مستهل رجب إلى خزانة الكتب بالعادلية الكبيرة . قال البرزالى : وكانت نحوستين مجلداً ، وأربع عشرة ربطة كراريس ، فنظر القضاة والفقهاء فيها وتفرقوها بينهم ، وكان سبب ذلك أنه أجاب لما كان ردعليه التقى ابن الاخنائى المالكى فى مسألة الزيارة فرد عليه الشيخ تقى الدين واستجهله وأعلمه أنه قليل البضاعة فى العلم ، فطلع الاخنائى إلى السلطان وشكاه ، فرسم السلطان عند ذلك باخراج ما عنده من ذلك وكان ما كان ، كما ذكرنا . وفى أواخره رسم لعـلاء الدين بن القـلانسى فى الدست ، مكان أخيـه جمال الدين توقيراً لخاطره عن المباشرة ، وأن يكون معلومه عـلى قضاء العسـاكر والوكالة ، وخلع عليهما بذلك .

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرين رجب رسم للأئمة الثلاثة الحنفى والمالكى والحنبلى بالصلاة فى الحائط القبلى من الأموى ، فعين المحراب الجديدالذى بين الزيادة والمقصورة للامام الحنفى ، وعين محراب الصحابة للمالكى وعين محراب مقصورة الخضر الذى كان يصلى فيه المالكى للحنبلى ، وعوض إمام محراب الصحابة بالكلاسـة ، وكان قبل ذلك فى حال العمارة قد بلغ محراب الحنفيـة من المقصورة

المعروفة بهم ، ومحراب الحنابلة من خلفهم في الرواق الثالث الغربي وكانا بين الأعمدة ، فنقلت تلك المحاريب ، وعوضوا بالمحاريب المستقرة بالحائط القبلي واستقر الأمر كذلك .

وفي العشرين من شعبان مسك الامير تمرتاش بن جوبان الذي أتى هاربا إلى السلطان الناصر بمصر وجماعة من أصحابه ، وحبسوا بقلعة مصر ، فلما كان ثاني شوال أظهر موته ، يقال إنه قتله السلطان وأرسل رأسه إلى أبي سعيد صاحب العراق ابن خربندا ملك التتار .

وفي يوم الاثنين ثاني شوال خرج الركب الشامي وأميره فخر الدين عثمان بن شمس الدين لؤلؤ الحلبي أحد أمراء دمشق ، وقاضيه قاضي قضاة الحنابلة عز الدين بن التقي سليمان . وممن حج الأمير حسام الدين الشبمقدار ، والأمير قبجق والأمير حسام الدين بن النجيبي وتقي الدين بن السلعوس وبدر الدين بن الصائغ وابنا جهبل والفخر المصري ، والشيخ علم الدين البرزالي ، وشهاب الدين الظاهري . وقبل ذلك بيوم حكم القاضي المنفلوطي الذي كان حاكما ببعلبك بدمشق نيابة عن شيخه قاضي القضاة علاء الدين القونوي ، وكان مشكور السيرة ، تألم أهل بعلبك لفقده ، فحكم بدمشق عوضا عن القونوي بسبب عزمه على الحج ، ثم لما رجع الفخر من الحج عاد إلى الحكم واستمر المنفلوطي يحكم أيضاً ، فصاروا ثلاث نواب : ابن جملة والفخر المصري والمنفلوطي . وسافر ابن الحشيشي في ثاني عشرين شوال إلى القاهرة لينوب عن القاضي فخر الدين كاتب المماليك إلى حين رجوعه من الحجاز ، فلما وصل ولي حجابة ديوان الجيش ، واستمر هناك ، واستقل قطب الدين ابن شيخ السلامية بنظر الجيش بدمشق على عادته .

وفي شوال خلع على أمين الملك بالديار المصرية وولي نظر الدواوين فباشره شهرا ويومين وعزل عنه .

﴿ ذكر وفاة شيخ الاسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية قدس الله روحه ﴾

قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه : وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي العقدة توفي الشيخ الامام العالم العلم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد القدوة شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شيخنا الامام العلامة المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الامام شيخ الاسلام أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن محمد ابن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي ، بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوسا بها ، وحضر جمع كثير إلى القلعة ، وأذن لهم في الدخول عليه ، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرؤا القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله ، ثم انصرفوا ، ثم حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن واقتصروا على من يغسله ، فلما فرغ من غسله أخرج ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع

وامتلأ الجامع أيضا وصحنه والكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى باب اللبادين والفوارة ، وحضرت الجنازة فى الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ووضعت فى الجامع ، والجند قد احتاطوا بها يحفظونها من الناس من شدة الزحام ، وصلى عليه أولا بالقلعة ، تقدم فى الصلاة عليه أولا الشيخ محمد بن تمام ، ثم صلى عليه بالجامع الأموى عقيب صلاة الظهر ، وقد تضاعف اجتماع الناس على ما تقدم ذكره ، ثم تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة والأسواق بأهلها ومن فيها ، ثم حمل بعد أن صلى عليه على الرؤس والأصابع ، وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه والثناء والدعاء له ، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابهم ، وذهبت النعال من أرجل الناس وقباقيبهم ومناديل وعمائم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنازة ، وصار النعش على الرؤس تارة يتقدم وتارة يتأخر ، وتارة يقف حتى تمر الناس ، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها وهى شديدة الزحام ، كل باب أشد زحمة من الآخر ، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها ، لكن كان معظم الزحام من الأبواب الأربعة : باب الفرج الذى أخرجت منه الجنازة ، وباب الفراديس ، وباب النصر ، وباب الجابية . وعظم الأمر بسوق الخيل وتضاعف الخلق وكثر الناس ، ووضعت الجنازة هناك وتقدم للصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن ، فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله رحمهما الله ، وكان دفنه قبل العصر بيسير ، وذلك من كثرة من يأتى ويصلى عليه من أهل البساتين وأهل الغوطة وأهل القرى وغيرهم ، وأغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور إلا من هو عاجز عن الحضور ، مع الترحم والدعاء له ، وأنه لو قدر ما تخلف ، وحضر نساء كثيرات بحيث حزرن بخمسة عشر ألف امرأة ، غير اللاتى كن على الأسطحة وغيرهن ، الجميع يترحمن ويبكين عليه فيما قيل . وأما الرجال فحزروا بستين ألفا إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مائتى ألف وشرب جماعة الماء الذى فضل من غسله ، واقتسم جماعة بقية السدر الذى غسل به ، ودفع فى الخيط الذى كان فيه الزئبق الذى كان فى عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهما ، وقيل إن الطاقية التى كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهما . وحصل فى الجنازة ضجيج وبكاء كثير ، وتضرع وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية وبالبلد ، وتردد الناس إلى قبره أياما كثيرة ليلا ونهاراً يبيتون عنده ويصبحون ، ورؤيت له منامات صالحة كثيرة ، ورثاه جماعة بقصائد جمة .

وكان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الاول بحران سنة إحدى وستين وستمائة ، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير ، فسمع الحديث من ابن عبد الدائم وابن أبى اليسر وابن عبدان والشيخ شمس الدين الحنبلى ، والشيخ شمس الدين بن عطاء الحنفى ، والشيخ جمال الدين بن الصيرفى ، ومجد الدين

ابن عساكر والشيخ جمال الدين البغدادى و، النجيب بن المقداد ، وابن أبى الخير ، وابن علان وابن أبى بكر اليهودى والكمال عبد الرحيم والفخر على وابن شيبان والشرف بن القواس ، و زينب بنت مكى ، وخلق كثير سمع منهم الحديث ، وقرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث وكتب الطباق والاثبات ولازم السماع بنفسه مدة سنين ، وقل أن سمع شيئا إلا حفظه ، ثم اشتغل بالعلوم ، وكان ذكيا كثير المحفوظ فصار إماما فى التفسير وما يتعلق به عارفا بالفقه ، فيقال إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا فى زمانه وغيره ، وكان عالما باختلاف العلماء ، عالما فى الاصول والفروع والنحو واللغة ، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية ، وما قطع فى مجلس ولا تكلم معه فاضل فى فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فنه ، ورآه عارفا به متقناً له ، وأما الحديث فكان حامل رايته حافظا له مميزاً بين صحيحه وسقيمه ، عارفا برجاله متضلعاً من ذلك ، وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة فى الأصول والفروع ، كمل منها جملة و بيضت وكتبت عنه وقرئت عليه أو بعضها ، وجملة كبيرة لم يكملها ، وجملة كملها ولم تبيض إلى الآن . وأثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره ، مثل القاضى الخويى ، وابن دقيق العيد ، وابن النحاس ، والقاضى الحنفى قاضى قضاة مصر ابن الحريرى وابن الزملكانى وغيرهم ، ووجدت بخط ابن الزملكانى أنه قال : اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ، وأن له اليد الطولى فى حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدين ، وكتب على تصنيف له هذه الابيات :

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلت عن الحصر

هو حجة لله قاهرة ... هو بيننا أعجوبة الدهر

هو آية فى الخلق ظاهرة ... أنوارها أربت على الفجر

وهذا الثناء عليه ، وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنة ، وكان بينى و بينه مودة وصحبة من الصغر ، وسماع الحديث والطلب من نحو سنة ، وله فضائل كثيرة ، وأسماء مصنفاته وسيرته وماجرى بينه و بين الفقهاء والدولة وحبسه مرات وأحواله لايحتمل ذكر جميعها هذا الموضع ، وهذا الكتاب .

ولما مات كنت غائبا عن دمشق بطريق الحجاز ، ثم بلغنا خبر موته بعد وفاته بأكثر من خمسين يوما لما وصلنا إلى تبوك ، وحصل التأسف لفقده رحمه الله تعالى . هذا لفظه فى هذا الموضع من تاريخه .

ثم ذكر الشيخ علم الدين بعد إيراد هذه الترجمة جنازة أبى بكر بن أبى داود وعظمها ، وجنازة الامام أحمد ببغداد وشهرتها ، وقال الامام أبو عثمان الصابونى : سمعت أبا عبدالرحمن السيوفى يقول : حضرت جنازة أبى الفتح القواس الزاهد مع الشيخ أبى الحسن الدارقطنى فلما بلغ إلى ذلك الجمع العظيم أقبل علينا وقال سمعت أبا سهل بن زياد القطان يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول سمعت أبى يقول : قولوا لاهل البدع بيننا و بينكم الجنائز ، قال ولا شك أن جنازة أحمد بن

حنبل كانت هائلة عظيمة ، بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك، وتعظيمهم له ، وأن الدولة كانت تحبه ، والشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله توفي ببلدة دمشق ، وأهلها لا يعشرون أهل بغداد حينئذ كثرة ، ولكنهم اجتمعوا لجنازته اجتماعا لو جمعهم سلطان قاهر ، وديوان حاصر لما بلغوا هذه الكثرة التي اجتمعوها في جنازته ، وانتهوا إليها . هذا مع أن الرجل مات بالقلعة محبوسا من جهة السلطان ، وكثير من الفقهاء والفقراء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة ، مما ينفر منها طباع أهل الأديان ، فضلا عن أهل الاسلام . وهذه كانت جنازته .

قال : وقد اتفق موته في سحر ليلة الاثنين المذكور ، فذكر ذلك مؤذن القلعة على المنارة بها وتكلم به الحراس على الابرجة ، فما أصبح الناس إلا وقد تسامعوا بهذا الخطب العظيم والامر الجسيم ، فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلعة من كل مكان أمكنهم المجيء منه ، حتى من الغوطة والمرج ، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئا ، ولا فتحوا كثيرا من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أوائل النهار على العادة ، وكان نائب السطنة تنكز قد ذهب يتصيد في بعض الأمكنة ، فحارت الدولة ماذا يصنعون ، وجاء الصاحب شمس الدين غبريال نائب القلعة فعزاه فيه ، وجلس عنده ، وفتح باب القلعة لمن يدخل من الخواص والاصحاب والاحباب ، فاجتمع عند الشيخ في قاعته خلق من أخصاء أصحابه من الدولة وغيرهم من أهل البلد والصالحية ، فجلسوا عنده يبكون ويثنون * على مثل ليلى يقتل المرء نفسه * وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي رحمه الله ، وكشفت عن وجه الشيخ ونظرت إليه وقبلته ، وعلى رأسه عمامة بعذب مغروزة وقد علاه الشيب أكثر مما فارقناه . وأخبر الحاضرين أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل القلعة ثمانين ختمة وشرعا في الحادية والثمانين ، فانتهينا فيها إلى آخر اقتربت الساعة (إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) فشرع عند ذلك الشيخان الصالحان الخيران عبد الله بن المحب وعبد الله الزرعي الضرير - وكان الشيخ رحمه الله يحب قراءتهما - فابتدآ من أول سورة الرحمن حتى ختموا القرآن وأنا حاضر أسمع وأرى .

ثم شرعوا في غسل الشيخ وخرجت إلى مسجد هناك ولم يدعوا عنده إلا من ساعد في غسله ، منهم شيخنا الحافظ المزي وجماعة من كبار الصالحين الأخيار ، أهل العلم والايمان ، فما فرغ منه حتى امتلأت القلعة وضج الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحم ، ثم ساروا به إلى الجامع فسلكوا طريق العمادية على العادلية الكبيرة ، ثم عطفوا على ثلث الناطفانيين ، وذلك أن سويقة باب البريد كانت قد هدمت لتصلح ، ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموي ، والخلائق فيه بين يدي الجنازة وخلفها وعن يمينها وشمالها مالا يحصي عدتهم إلا الله تعالى ، فصرخ صارخ وصاح صائح هكذا

تكون جنائز أئمة السنة فتباكى الناس وضجوا عند سماع هذا الصارخ ووضع الشيخ فى موضع الجنائز مما يلى المقصورة ، وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف ، بل مرصوصين رصا لايتمكن أحد من السجود إلا بكلفة جو الجامع وبرى الأزقة والاسواق ، وذلك قبل أذان الظهر بقليل ، وجاء الناس من كل مكان ، ونوى خلق الصيام لأنهم لا يتفرغون فى هذا اليوم لا كل ولا لشرب ، وكثر الناس كثرة لاتحد ولا توصف ، فلما فرغ من أذان الظهر أقيمت الصلاة عقبه على السدة خلاف العادة ، فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لغيبة الخطيب بمصر فصلى عليه إماما ، وهو الشيخ علاء الدين الخراط ، ثم خرج الناس من كل مكان من أبواب الجامع والبلد كما ذكرنا ، واجتمعوا بسوق الخيل ، ومن الناس من تعجل بعد أن صلى فى الجامع إلى مقابر الصوفية ، والناس فى بكاء وتهليل فى مخافتة كل واحد بنفسه ، وفى ثناء وتأسف ، والنساء فوق الاسطحة من هناك إلى المقبرة يبكين ويدعين ويقلن هذا العالم .

وبالجملة كان يوما مشهودا لم يعهد مثله بدمشق إلا أن يكون فى زمن بنى أمية حين كان الناس كثيرين ، وكانت دار الخلافة ، ثم دفن عند أخيه قريبا من أذان العصر على التحديد ، ولا يمكن أحد حصر من حضر الجنازة ، وتقريب ذلك أنه عبارة عمن أمكنه الحضور من أهل البلد وحواضره ولم يتخلف من الناس إلا القليل من الصغار والمخدرات ، وما علمت أحداً من أهل العلم إلا النفر اليسير تخلف عن الحضور فى جنازته ، وهم ثلاثة أنفس : وهم ابن جملة ، والصدر ، والقفجارى ، وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعاداته فاختفوا من الناس خوفا على أنفسهم ، بحيث إنهم علموا متى خرجوا قتلوا وأهلكهم الناس ، وتردد شيخنا الامام العلامة برهان الدين الفزارى إلى قبره فى الايام الثلاثة وكذلك جماعة من علماء الشافعية ، وكان برهان الدين الفزارى يأتى راكبا على حماره وعليه الجلالة والوقار رحمه الله .

وعملت له ختمات كثيرة ورؤيت له منامات صالحة عجيبة ، ورثى بأشعار كثيرة وقصائد مطولة جدا . وقد أفردت له تراجم كثيرة ، وصنف فى ذلك جماعة من الفضلاء وغيرهم ، وسألخص من مجموع ذلك ترجمة وجيزة فى ذكر مناقبه وفضائله وشجاعته وكرمه ونصحه وزهادته وعبادته وعلومه المتنوعة الكثيرة المجودة وصفاته الكبار والصغار ، التى احتوت على غالب العلوم ومفرداته فى الاختيارات التى نصرها بالكتاب والسنة وأفتى بها .

وبالجملة كان رحمه الله من كبار العلماء وممن يخطئ ويصيب ولكن خطؤه بالنسبة إلى صوابه كنقطة فى بحر لجى ، وخطؤه أيضا مغفور له كما فى صحيح البخارى : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله

أجران و إذا اجتهد فأخطأ فله أجر » فهو مأجور . وقال الامام مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله و يترك إلا صاحب هذا القبر .

وفى سادس عشرين ذى القعدة نقل تنكز حواصله وأمواله من دار الذهب داخل باب الفراديس إلى الدار التى أنشأها ، وتعرف بدار فلوس ، فسميت دار الذهب ، وعزل خزنداره ناصر الدين محمد ابن عيسى ، وولى مكانه مملوكه أباجى . وفى ثانى عشرين القعدة جاء إلى مدينة عجلون سيل عظيم من أول النهار إلى وقت العصر ، فهدم من جامعها وأسواقها و رباعها ودورها شيئا كثيراً ، وغرق سبعة نفر ، وهلك للناس شىء كثير من الأموال والغلات والامتعة والمواشى ما يقارب قيمته ألف ألف درهم والله أعلم ، و إنا لله و إنا إليه راجعون .

وفى يوم الأحد ثامن عشر ذى الحجة ألزم القاضى الشافعى الشيخ علاء الدين القونوى جماعة الشهود بسائر المراكز أن يرسلوا فى عمائمهم العذبات ليتميزوا بذلك عن عوام الناس ، ففعلوا ذلك أياماً ثم تضرروا من ذلك فأرخص لهم فى تركها ، ومنهم من استمر بها . وفى يوم الثلاثاء عشرين ذى الحجة أفرج عن الشيخ الامام العالم العلامة أبى عبد الله شمس الدين ابن قيم الجوزية ، وكان معتقلا بالقلعة أيضا ، من بعد اعتقال الشيخ تقى الدين بأيام من شعبان سنة ست وعشرين إلى هذا الحين ، وجاء الخبر بأن السلطان أفرج عن الجاولى والامير فرج بن قراسنقر ، ولاجين المنصورى ، وأحضروا بعد العيد بين يديه ، وخلع عليهم . وفيه وصل الخبر بموت الأمير الكبير جوبان نائب السلطان أبى سعيد على تلك البلاد ، ووفاة قرا سنقر المنصورى أيضاً كلاهما فى ذى القعدة من هذه السنة ، وجوبان هذا هو الذى ساق القناة الواصلة إلى المسجد الحرام ، وقد غرم عليها أموالا جزيلة كثيرة ، وله تربة بالمدينة النبوية ، ومدرسة مشهورة ، وله آثار حسنة ، وكان جيد الاسلام له همة عالية وقد دبر الممالك فى أيام أبى سعيد مدة طويلة على السداد ، ثم أراد أبو سعيد مسكه فتخلص من ذلك كما ذكرنا ، ثم إن أبا سعيد قتل ابنه خواجا رمشق فى السنة الماضية ففر ابنه الآخر تمرتاش هارباً إلى سلطان مصر ، فآواه شهراً ثم ترددت الرسل بين الملكين فى قتله فقتله صاحب مصر فيما قيل وأرسل برأسه إليه ، ثم توفى أبوه بعده بقليل ، والله أعلم بالسرائر .

وأما قراسنقر المنصورى فهو من جملة كبار أمراء مصر والشام ، وكان من جملة من قتل الاشرف خليل بن المنصور كما تقدم ، ثم ولى نيابة مصر مدة ، ثم صار إلى نيابة دمشق ثم إلى نيابة حلب ، ثم فر إلى التتر هو والافرم والزركاشى فآواهم ملك التتار خربندا وأكرمهم وأقطعهم بلاداً كثيرة ، وتزوج قراسنقر بنت هولاكو ثم كانت وفاته بمراغة بلده التى كان حاكماً بها فى هذه السنة ، وله نحو تسعين سنة والله أعلم .

ومن توفى فيها من الاعيان شيخ الاسلام العلامة تقى الدين ابن تيمية كما تقدم ذكر ذلك فى الحوادث وسنفرد له ترجمة على حدة إن شاء الله تعالى .

﴿ الشريف العالم الزاهد المحدث ﴾

عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن العلوى الحسينى العراقى الاسكندرى الشافعى ، سمع الكثير وحفظ الوجيز فى الفقه ، والايضاح فى النحو ، وكان زاهداً متقللا من الدنيا وبلغ تسعين سنة وعقله وعلمه وذهنه ثابت متيقظ ، ولد سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وتوفى يوم الجمعة خامس المحرم ، ودفن بالاسكندرية بين المادين رحمه الله

﴿ الشمس محمد بن عيسى التكريدى ﴾

كانت فيه شهامة وحزامة ، وكان يكون بين يدى الشيخ تقى الدين بن تيمية كالمنفذ لما يأمر به وينهى عنه ، ويرسله الأمراء وغيرهم فى الأمور المهمة ، وله معرفة وفهم بتبليغ رسالته على أتم الوجوه توفى فى الخامس من صفر بالقبيبات ودفن عند الجامع الكريمى رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

أبو بكر بن شرف بن محسن بن معن بن عمان الصالحى ، ولد سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وسمع الكثير صحبة الشيخ تقى الدين بن تيمية والمزى ، وكان ممن يحب الشيخ تقى الدين ، وكان معهما كالخادم لهما ، وكان فقيراً ذا عيال يتناول من الزكاة والصدقات ما يقوم بأوده ، وأقام فى آخر عمره بحمص ، وكان فصيحاً مفوها ، له تعاليق وتصانيف فى الأصول وغيرها ، وكان له عبادة وفيه خير وصلاح ، وكان يتكلم على الناس بعد صلاة الجمعة إلى العصر من حفظه ، وقد اجتمعت به مرة صحبة شيخنا المزى حين قدم من حمص فكان قوى العبارة فصيحها متوسطاً بالعلم ، له ميل إلى التصوف والكلام فى الاحوال والأعمال والقلوب وغير ذلك ، وكان يكثر ذكر الشيخ تقى الدين بن تيمية . توفى بحمص فى الثانى والعشرين من صفر من هذه السنة ، وقد كان الشيخ يحض الناس على الاحسان إليه ، وكان يعطيه ويرفده .

﴿ ابن الدواليبى البغدادى ﴾

الشيخ الصالح العالم العابد الرحلة المسند المعمر عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المحسن ابن أبى الحسين بن عبد الغفار البغدادى الأزجى الحنبلى المعروف بابن الدواليبى ، شيخ دار الحديث المستنصرية ، ولد فى ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وسمع الكثير ، وله إجازات عالية ، واشتغل بحفظ الخرقى ، وكان فاضلا فى النحو وغيره ، وله شعر حسن ، وكان رجلا صالحا جاوز التسعين وصار رحلة العراق ، وتوفى يوم الخميس رابع جمادى الأولى ودفن بمقبرة الامام أحمد مقابر الشهداء

رحمه الله ، وقد أجازنى فيمن أجاز من مشايخ بغداد ولله الحمد .

﴿ قاضى القضاة شمس الدين ابن الحريرى ﴾

أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبى عمرو عثمان بن أبى الحسن عبد الوهاب الأنصارى الحنفى ، ولد سنة ثلاث وخمسين ، وسمع الحديث واشتغل وقرأ الهداية ، وكان فقيهاً جيداً ، ودرس بأماكن كثيرة بدمشق ، ثم ولى القضاء بها ، ثم خطب إلى قضاء الديار المصرية فاستمر بها مدة طويلة محفوظ العرض ، لا يقبل من أحد هدية ولا تأخذه فى الحكم لومة لائم ، وكان يقول إن لم يكن ابن تيمية شيخ الاسلام فمن ؟ وقال لبعض أصحابه : أتحب الشيخ تقى الدين ؟ قال : نعم ، قال : والله لقد أحببت شيئاً مليحا . توفى رحمه الله يوم السبت رابع جمادى الآخرة ودفن بالقرافة ، وكان قد عين لمنصبه القاضى برهان الدين بن عبد الحق فنفذت وصيته بذلك ، وأرسل إليه إلى دمشق فأحضر فباشر الحكم بعده وجميع جهاته .

﴿ الشيخ الامام العالم المقرى ﴾

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الامام تقى الدين محمد بن جبارة بن عبد الولى بن جبارة المقدسى المرداوى الحنبلى ، شارح الشاطبية ، ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير وعنى بفن القراءات فبرز فيه ، وانتفع الناس به ، وقد أقام بمصر مدة واشتغل بها على الفزارى فى أصول الفقه ، وتوفى بالقدس رابع رجب رحمه الله ، كان يعد من الصلحاء الاخيار ، سمع عن خطيب مردا وغيره

﴿ ابن العاقولى البغدادى ﴾

الشيخ الامام العلامة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن على بن حماد بن ثابت الواسطى العاقولى ثم البغدادى الشافعى ، مدرس المستنصرية مدة طويلة نحواً من أربعين سنة ، وباشر نظر الأوقاف وعين لقضاء القضاة فى وقت . ولد ليلة الأحد عاشر رجب سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وسمع الحديث وبرع واشتغل وأفتى من سنة سبع وخمسين إلى أن مات ، وذلك مدة إحدى وسبعين سنة ، وهذا شىء غريب جداً ، وكان قوى النفس له وجاهة فى الدولة ، فكم كشف كربة عن الناس بسعيه وقصده ، توفى ليلة الأربعاء رابع عشرين شوال ، وقد جاوز التسعين سنة ، ودفن بداره ، وكان قد وقفها على شيخ وعشرة صبيان يسمعون القرآن ويحفظونه ، ووقف عليها أملاكه كلها . تقبل الله منه ورحمه ، ودرس بعده بالمستنصرية قاضى القضاة قطب الدين .

﴿ الشيخ الصالح العالم العابد التاجر البار ﴾

شمس الدين محمد بن داود بن محمد بن ساب السلامى البغدادى ، أحد ذوى اليسار ، وله برٌّ تام بأهل العلم ، ولاسيما أصحاب الشيخ تقى الدين ، وقد وقف كتبا كثيرة ، وحج مرات ، وتوفى ليلة الاحد رابع عشرين ذى القعدة بعد وفاة الشيخ تقى الدين بأربعة أيام ، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة ودفن

بباب الصغير رحمه الله وأكرم مثواه . وفى هذه الليلة توفيت الوالدة مريم بنت فرج بن على من قرية كان الوالد خطيبها ، وهى مجيدل القرية سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، وصلى عليها بعد الجمعة ودفنت بالصوفية شرقى قبر الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمهما الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة ﴾

استهلت والخليفة والحكام هم المباشرون فى التى قبلها ، غير أن قطب الدين ابن شيخ السلامية اشتغل بنظر الجيش . وفى المحرم طلب القاضى محيي الدين بن فضل الله كاتب سر دمشق وولده شهاب الدين ، وشرف الدين بن شمس الدين بن الشهاب محمود إلى مصر على البريد ، فباشر القاضى الصدر الكبير محيي الدين المذكور كتابة السر بها عوضاً عن علاء الدين بن الأثير لمرض اعتراه ، وأقام عنده ولده شهاب الدين ، وأقبل شرف الدين الشهاب محمود إلى دمشق على كتابة السر عوضاً عن ابن فضل الله . وفيه ذهب ناصر الدين مشد الأوقاف ناظراً على القدس والخليل ، فعمر هنالك عمارات كثيرة لملك الأمراء تنكز ، وفتح فى الأقصى شبا كين عن يمين المحراب وشماله وجاء الأمير نجم الدين داود بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن يوسف بن الزيبق من شد الدواوين بحمص إلى شدها بدمشق . وفى الحادى والعشرين من صفر كمل ترخيم الحائط القبلى من جامع دمشق وبسط الجامع جميعه ، وصلى الناس الجمعة به من الغد ، وفتح باب الزيادة ، وكان له أياماً مغلقا وذلك فى مباشرة تقى الدين بن مراجل .

وفى ربيع الآخر قدم من مصر أولاد الأمير شمس الدين قراسنقر إلى دمشق فسكنوا فى دار أبيهم داخل باب الفراديس ، فى دهليز المقدمية ، وأعيدت عليهم أملاكهم المخلفة عن أبيهم ، وكانت تحت الحوطة ، فلما مات فى تلك البلاد أفرج عنها أو أكثرها . وفى يوم الجمعة آخر شهر ربيع الآخر أنزل الأمير جوبان وولده من قلعة المدينة النبوية وهما ميتان مصبران فى توابيتهما ، فصلى عليهما بالمسجد النبوى ، ثم دفنا بالبقيع عن مرسوم السلطان ، وكان مراد جوبان أن يدفن فى مدرسته فلم يمكن من ذلك .

وفى هذا اليوم صلى بالمدينة النبوية على الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله ، وعلى القاضى نجم الدين البالسى المصرى صلاة الغائب . وفى يوم الاثنين منتصف جمادى الآخرة درس القاضى شهاب الدين أحمد بن جهبل بالمدرسة البادرائية عوضاً عن شيخنا برهان الدين الفزارى توفى إلى رحمة الله تعالى ، وأخذ مشيخة دار الحديث منه الحافظ شمس الدين الذهبى ، وحضرها فى يوم الأربعاء سابع عشره ، ونزل عن خطابة بطنا للشيخ جمال الدين المسلاتى المالكى ، فخطب بها يوم الجمعة تاسع عشره . وفى أواخر هذا الشهر قدم نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون إلى دمشق

قاصدا باب السلطان ، فتلقاه نائب دمشق وأنزله بداره التي عند جامعه ، ثم سار نحو مصر فغاب نحواً من أربعين يوما ، ثم عاد راجعاً إلى نيابة حلب . وفي عاشر رجب طلب الصاحب تقي الدين ابن عمر بن الوزير شمس الدين بن السلعوس إلى مصر فولى نظر الدواوين بها حتى مات عن قريب .

وخرج الركب يوم السبت تاسع شوال وأميره سيف الدين بلطى ، وقاضيه شهاب الدين القيمرى وفي الحجاج زوجة ملك الأمراء تنكز ، وفي خدمتها الطواشى شبل الدولة وصدر الدين المالكى ، وصلاح الدين ابن أخي الصاحب تقي الدين توبة ، وأخوه شرف الدين ، والشيخ على المغربى ، والشيخ عبد الله الضرير وجماعة .

وفي بكرة الأربعاء ثالث شوال جلس القاضي ضياء الدين على بن سليم بن ربيعة للحكم بالعادلية الكبيرة نيابة عن قاضي القضاة القونوى ، وعوضاً عن الفخر المصرى بحكم نزوله عن ذلك وإعراضه عنه تاسع عشر رمضان من هذه السنة . وفي يوم الجمعة سادس ذى القعدة بعد أذان الجمعة صعد إلى منبر جامع الحاكم بمصر شخص من مماليك الجاولى يقال له أرصى ، فادعى أنه المهدى وسجع سجعات يسيرة على رأى الكهان ، فأنزل في شرخيبة ، وذلك قبل حضور الخطيب بالجامع المذكور . وفي ذى القعدة وما قبله وما بعده من أواخر هذه السنة وأوائل الأخرى وسعت الطرقات والأسواق داخل دمشق وخارجها ، مثل سوق السلاح والرصيف والسوق الكبير وباب البريد ومسجد القصب إلى الزنجبيلية ، وخارج باب الجابية إلى مسجد الدبان ، وغير ذلك من الأماكن التي كانت تضيق عن سلوك الناس ، وذلك بأمر تنكز ، وأمر باصلاح القنوات ، واستراح الناس من ترتيش الماء عليهم بالنجاسات . ثم في العشر الأخير من ذى الحجة رسم بقتل الكلاب فقتل منهم شيء كثير جداً ، ثم جمعوا خارج باب الصغير مما يلى باب كيسان في الخندق ، وفرق بين الذكور منهم والاناث ليموتوا سريعا ، ولا يتوالدوا ، وكانت الجيف والميتات تنقل إليهم فاستراح الناس من النجاسة من الماء والكلاب ، وتوسعت لهم الطرقات .

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ذى الحجة حضر مشيخة الشيوخ بالسمساطية قاضي القضاة شرف الدين المالكى بعد وفاة قاضي القضاة القونوى الشافعى ، وقرىء تقليده بالسبحة بها وحضره الأعيان وأعيد إلى ما كان عليه .

وممن توفى فيها من الأعيان

﴿ الشيخ الامام العالم الزاهد مفتي المسلمين ﴾

نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عقيل بن أبي الحسن بن عقيل البالسى الشافعى ، شارح التنبيه ، ولد سنة ستين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل بالفقه وغيره من فنون العلم ، فبرع فيها

ولازم ابن دقيق العيد وناب عنه فى الحكم ، ودرس بالمغربية والطيبرسية وجامع مصر ، وكان مشهورا بالفضيلة والديانة وملازمة الاشتغال . توفى ليلة الخميس رابع عشر المحرم ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته حافلة ، رحمه الله .

﴿ الأمير سيف الدين قطلوبك التشنكير الرومى ﴾

كان من أكابر الأمراء وولى الحجوبية فى وقت ، وهو الذى عمر القناة بالقدس ، توفى يوم الاثنين سابع ربيع الأول ودفن بتربته شمال باب الفراديس ، وهى مشهورة حسنة ، وحضر جنازته بسوق الخيل النائب والأمراء . ﴿ محدث اليمن ﴾

شرف الدين أحمد بن فقيه زبيد أبى الحسين بن منصور الشماخى المذحجى ، روى عن المكيين وغيرهم ، وبلغت شيوخه خمسمائة أو أزيد ، وكان رحلة تلك البلاد ومفيدها الخير ، وكان فاضلا فى صناعة الحديث والفقه وغير ذلك ، توفى فى ربيع الأول من هذه السنة .

﴿ نجم الدين أبو الحسن ﴾

على بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الواحد أبو محمد بن المسلم أحد رؤساء دمشق المشهورين ، له بيت كبير ونسب عريق ، ورياسة باذخة وكرم زائد ، باشر نظر الأيتام مدة ، وسمع الكثير وحدث ، وكانت لديه فضائل وفوائد ، وله الثروة الكثيرة ، ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، ومات يوم الاثنين ضحوة خامس ربيع الآخر ، وصلى عليه بعد الظهر بالأموى ، ودفن بسفح قاسيون بتربة أعدها لنفسه ، وقبران عنده ، وكتب على قبره (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) الآية ، وسمعنا عليه الموطأ وغيره .

﴿ الامير بكتمر الحاجب ﴾

صاحب الحمام المشهور خارج باب النصر فى طريق مقابر الصوفية من ناحية الميدان ، كانت وفاته بالقاهرة فى عشرين ربيع الآخر ، ودفن بمدرسته التى أنشأها إلى جانب داره هناك .

﴿ الشيخ شرف الدين عيسى بن محمد بن قراجا بن سليمان ﴾

السهروردى الصوفى الواعظ ، له شعر ومعرفة بالألحان والأنغام ، ومن شعره قوله :

بشراك يا سعد هذا الحى قد بانا * فحلها سيبطل الابل والبانا (١)
منازل ما وردنا طيب منزلها * حتى شربنا كؤس الموت أحيانا
متناغراما وشوقا فى المسير لها * فنذوا فى نسيم القرب أحيانا

توفى فى ربيع الآخر .

---

(١) كذا فى الاصل . وليحرر .

﴿ شيخنا العالم العلامة برهان الدين الفزارى ﴾

هو الشيخ الامام العالم العلامة شيخ المذهب وعلمه ومفيد أهله ، شيخ الاسلام مفتى الفرق بقية السلف برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ العلامة تاج الدين أبى محمد عبد الرحمن ابن الشيخ الامام المقرى المفتى برهان الدين أبى إسحاق إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزارى المصرى الشافعى ، ولد فى ربيع الأول سنة ستين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل على أبيه وأعاد فى حلقته وبرع وساد أقرانه ، وسائر أهل زمانه من أهل مذهبه فى دراية المذهب ونقله وتحريره ، ثم كان فى منصب أبيه فى التدريس بالبادرائية ، وأشغل الطلبة بالجامع الأموى فانتفع به المسلمون ، وقد عرضت عليه المناصب الكبار فأباها ، فمن ذلك أنه باشر الخطابة بعد عمه العلامة شرف الدين مدة ثم تركها وعاد إلى البادرائية ، وعرض عليه قضاء قضاة الشام بعد ابن صصرى وألح نائب الشام عليه بنفسه وأعوانه من الدولة فلم يقبل ، وصمم وامتنع أشد الامتناع ، وكان مقبلا على شأنه عارفاً بزمانه مستغرقا أوقاته فى الاشتغال والعبادة ليلا ونهارا ، كثير المطالعة و إسماع الحديث ، وقد سمعنا عليه صحيح مسلم وغيره ، وكان يدرس بالمدرسة المذكورة ، وله تعليق كثير على التنبيه ، فيه من الفوائد ما ليس يوجد فى غيره ، وله تعليق على مختصر ابن الحاجب فى أصول الفقه ، وله مصنفات فى غير ذلك كبار . و بالجملة فلم أر شافعيا من مشايخنا مثله ، وكان حسن الشكل عليه البهاء والجلالة والوقار ، حسن الأخلاق ، فيه حدة ثم يعود قريبا ، وكرمه زائد و إحسانه إلى الطلبة كثير ، وكان لا يقتنى شيئا و يصرف مرتبه وجامكية مدرسته فى مصالحه ، وقد درس بالبادرائية من سنة سبعين وستمائة إلى عامه هذا ، توفى بكرة يوم الجمعة سابع جمادى الاولى بالمدرسة المذكورة ، وصلى عليه عقب الجمعة بالجامع وحملت جنازته على الرؤس وأطراف الأنامل ، وكانت حافلة ، ودفن عند أبيه وعمه وذويه بباب الصغير رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ الامام العالم الزاهد الورع ﴾

مجد الدين إسماعيل الحرانى الحنبلى ، ولد سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وقرأ القراءات وسمع الحديث فى دمشق حين انتقل مع أهله اليها سنة إحدى وسبعين ، واشتغل على الشيخ شمس الدين بن أبى عمر ، ولازمه وانتفع به ، وبرع فى الفقه وصحة النقل وكثرة الصمت عما لا يعنيه ، ولم يزل مواظبا على جهاته و وظائفه لا ينقطع عنها إلا من عذر شرعى ، إلى أن توفى ليلة الأحد تاسع جمادى الأولى ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى . وفى هذا الحين توفى .

﴿ الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الله ﴾

الذى كان ناظر الدواوين بحلب ، ثم انتقل إلى نظرها بطرابلس . توفى بحماة ، وكان محبا للعلماء وأهل الخير ، وفيه كرم و إحسان ، وهو والد القاضى ناصر الدين كاتب السر بدمشق ، وقاضى العساكر

الحلبية ومشيخة الشيوخ بالسمساطيـة ، ومدرس الأسـدية بحلب ، والناصرية والشاميـة الجوانية بدمشق .

﴿ القاضي معين الدين ﴾

هبة الله بن علم الدين مسعود بن أبي المعالي عبد الله بن أبي الفضل ابن الخشيشي الكاتب وناظر الجيش بمصر في بعض الأحيـان ، ثم بدمشق مدة طويلة مستقلا ومشاركا لقطب الدين ابن شيخ السلامية ، وكان خبيراً بذلك يحفظه على ذهنه ، وكانت له يد جيدة في العربية والأدب والحساب، وله نظم جيـد ، وفيه تودد وتواضع . توفي بمصر في نصف جمادى الآخرة ودفن بتربة الفخر كاتب المماليك .

﴿ قاضي القضاة وشيخ الشيوخ ﴾

علاء الدين القونوي ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي التبريزي الشافعي ، ولد بمدينة قونية في سنة ثمان وستين وستمائة تقريبا واشتغل هناك ، وقدم دمشق سنة ثلاث وتسعين ، وهو معدود من الفضلاء فازداد بها اشتغالا ، وسمع الحديث وتصدر للاشتغال بجامعها ودرس بالاقبالية ثم سافر إلى مصر فدرس بها في عدة مدارس كبار ، وولي مشيخة الشيوخ بهـا وبدمشق ، ولم يزل يشتغل بها وينفع الطلبة إلى أن قدم دمشـق قاضيا عليها في سـنة سـبع وعشرين ، وله تصانيف في الفقه وغيره ، وكان بحر زعلوما كثيرة منها النحو والتصريف والأصلان والفقه ، وله معرفة جيدة بكشاف الزمخشري ، وفهم الحديث ، وفيـه إنصاف كثير وأوصاف حسنة ، وتعظيم لأهل العـلم ، وخرجت له مشيخة سمعناها عليـه ، وكان يتواضع لشيخنا المزي كثيراً ، توفي ببستانه بالسهم يوم سبت بعد العصر رابع عشر ذي القعدة ، وصلي عليه من الغد ، ودفن بسفح قاسيون سامحه الله .

﴿ الامير حسام الدين لاجين المنصوري الحسامي ﴾

ويعرف بلاجين الصغير ، وولي البر بدمشق مدة ، ثم نيابة غزة ثم نيابة البيرة ، وبها مات في ذي القعدة ، ودفن هناك ، وكان ابتنى تربة لزوجتـه ظاهر باب شرقي فلم يتفق دفنه بها (وماتدري نفس بأي أرض تموت) .

﴿ الصاحب عز الدين أبو يعلى ﴾

حمزة بن مؤيد الدين أبي المعالي أسـعد بن عز الدين أبي غالب المظفر ابن الوزير مؤيد الدين أبي المعالي بن أسعد بن العميد أبي يعلى بن حمزة بن أسـد بن علي بن محمـد التميمي الدمشقي ابن القلانسي ، أحد رؤساء دمشق الـكبار ، ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، وسمع الحديث من جماعة ، ورواه وسمعنا عليه ، وله رياسة باذخة وأصالة كثيرة وأملاك هائلة كافية لما يحتاج إليه من أمور الدنيا ولم يزل معه صناعة للوظائف إلى أن ألزم بوكالة بيت السلطان ثم بالوزارة في سنة عشرة كما تقدم ثم عزل ، وقد صودر في بعض الأحيان ، وكانت له مكارم على الخواص والـكبار ، وله إحسان إلى الفقراء والمحتاجين . ولم يزل معظما وجيها عند الدولة من النواب والملوك والامراء وغيرهم إلى أن توفي ببستانه

ليلة السبت سادس الحجة ، وصلى عليه من الغد ودفن بتربته بسفح قاسيون ، وله فى الصالحية رباط حسن بمأذنة ، وفيه دارحديث وبر وصدقة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت بالأربعاء والحكام بالبلادهم المذكورون بالتى قبلها سوى الشافعى فانه توفى وولى مكانه فى رابع المحرم منها علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السبكى الاخنائى الشافعى وقدم دمشق فى الرابع والعشرين منه صحبة نائب السلطنة تنكز ، وقد زار القدس وحضر معه تدريس التنكزية التى أنشأها بها . ولما قدم دمشق نزل بالعادلية الكبيرة على العادة ، ودرس بها وبالغزالية ، واستمر بنيابة المنفلوطى ، ثم استناب زين الدين بن المرحل ، وفى صفر باشر شرف الدين محمود بن الخطيرى شد الاوقاف وانفصل عنها نجم الدين بن الزيبق إلى ولاية نابلس . وفى ربيع الآخر شرع بترخيم الجانب الشرقى من الأموى نسبة الجانب الغربى ، وشاور ابن مراجل النائب والقاضى على جمع الفصوص من سائر الجامع فى الحائط القبلى ، فرسما له بذلك . وفى يوم الجمعة أقيمت الجمعة فى إيوان الشافعية بالمدرسة الصالحية بمصر ، وكان الذى أنشأ ذلك الأمير جمال الدين نائب الكرك ، بعدأن استفتى العلماء فى ذلك . وفى ربيع الآخر تولى القضاء بحلب شمس الدين بن النقيب عوضا عن فخر الدين بن البازرى ، توفى ، وولى شمس الدين بن مجد البعلبكى قضاء طرابلس عوضا عن ابن النقيب . وفى آخر جمادى الأولى باشر نيابة الحكم عن الاخنائى محيى الدين بن جميل عوضا عن المنفلوطى توفى .

وفى هذا الشهر وقف الأمير الوزير علاء الدين مغلطاى الناصرى مدرسة على الحنفية وفيها صوفية أيضا ، ودرس بها القاضى علاء الدين بن التركمانى ، وسكنها الفقهاء . وفى جمادى الآخرة زينت البلاد المصرية والشامية ودقت البشائر بسبب عافية السلطان من وقعة انصدعت منها يده ، وخلع على الأمراء والأطباء بمصر ، وأطلقت الحبوس . وفى جمادى الآخرة قدم على السلطان رسل من الفرنج يطلبون منه بعض البلاد الساحلية فقال لهم : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، ثم سيرهم إلى بلادهم خاسئين .

وفى يوم الأحد سادس رجب حضر الدرس الذى أنشأه القاضى فخر الدين كاتب المماليك على الحنفية بمحرابهم بجامع دمشق ، ودرس به الشيخ شهاب الدين ابن قاضى الحصين، أخو قاضى القضاة برهان الدين بن عبد الحق بالديار المصرية ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وانصرفوا من عنده إلى عند ابن أخيه صلاح الدين بالجوهرية ، درس بها عوضا عن حموه شمس الدين ابن الزكى نزل له عنها . وفى آخر رجب خطب بالجامع الذى أنشأه الأمير سيف الدين الماشى الحاجب ظاهر القاهرة

بالشارع ، وخطب بالجامع الذى أنشأه قوصون بين جامع طولون والصالحية ، يوم الجمعة حادى عشر رمضان وحضر السلطان وأعيان الأمراء الخطبة ، خطب به يومئذ قاضى القضاة جلال الدين القزوينى الشافعى ، وخلع عليه خلعة سنية ، واستقل فى خطابته بدر الدين بن شكرى .

وخرج الركب الشامى يوم السبت حادى عشر شوال وأميره سيف الدين المرساوى صهر بلبان البيرى ، وقاضيه شهاب الدين ابن المجد عبد الله مدرس الاقبالية ، ثم تولى قضاء القضاة كما سيأتى ، وممن حج فى هذه السنة رضى الدين بن المنطيق ، والشمس الأردبيلى شيخ الجاروضية وصفى الدين ابن الحريرى ، وشمس الدين ابن خطيب بيروذ ، والشيخ محمد النيربانى وغيرهم ، فلما قضوا مناسكهم رجعوا إلى مكة لطواف الوداع ، فبينماهم فى سماع الخطبة إذ سمعوا جلبة الخيل من بنى حسن وعبيدهم ، قد حطموا على الناس فى المسجد الحرام ، فثار إلى قتالهم الأتراك فاقتتلوا فقتل أمير من الطبلخانات بمصر ، يقال له سيف الدين جخدار وابنه خليل ، ومملوك له ، وأمير عشيرة يقال له الباجى ، وجماعة من الرجال والنساء ونهبت أموال كثيرة ، ووقعت خبطة عظيمة فى المسجد ، وتهارب الناس إلى منازلهم بأبيار الزاهر ، وما كادوا يصلون إليها وما أكملت الجمعة إلا بعد جهد ، فانا لله وإنا إليه راجعون . واجتمعت الامراء كلهم على الرجعة إلى مكة للاخذ بالثأر منهم ، ثم كروا راجعين وتبعهم العبيد حتى وصلوا إلى مخيم الحجيج ، وكادوا ينهبون الناس عامة جهرة ، وصار أهل البيت فى آخر الزمان يصدون الناس عن المسجد الحرام ، وبنو الأتراك هم الذين ينصرون الاسلام وأهله ويكفون الأذية عنهم بأنفسهم وأموالهم ، كما قال تعالى (إن أولياؤه إلا المتقون)

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ علاء الدين ابن الأثير ﴾

كاتب السر بمصر ، على بن أحمد بن سعيد بن محمد بن الاثير الحلبى الاصل ، ثم المصرى ، كانت له حرمة ووجاهة وأموال وثروة ومكانة عند السلطان ، حتى ضربه الفالج فى آخر عمره فانعزل عن الوظيفة وباشرها ابن فضل الله فى حياته .

﴿ الوزير العالم أبو القاسم ﴾

محمد بن محمد بن سهل بن محمد بن سهل الأزدى الغرناطى الأندلسى ، من بيت الرياسة والحشمة ببلاد المغرب ، قدم علينا إلى دمشق فى جمادى الأولى سنة أربع وعشرين ، وهو بعزم الحج ، فسمعت بقراءته صحيح مسلم فى تسعة مجالس على الشيخ نجم الدين بن العسقلانى . قراءة صحيحة ، ثم كانت وفاته فى القاهرة فى ثانى عشرين المحرم ، وكانت له فضائل كثيرة فى الفقه والنحو والتاريخ والأصول ، وكان عالى الهمة شريف النفس محترماً ببلاده جداً ، بحيث إنه يولى الملوك ويعزلهم ، ولم يل هو مباشرة شئ ولا أهل بيته ، وإنما كان يلقب بالوزير مجازاً .

﴿ شيخنا الصالح العابد الناسك الخاشع ﴾

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح العابد شرف الدين أبى الحسن بن حسين بن غيلان البعلبكى الحنبلى ، إمام مسجد السلاين بدار البطيخ العتيقة ، سمع الحديث وأسمعه ، وكان يقرئ القرآن طرفى النهار ، وعليه ختمت القرآن فى سنة أحد عشر وسبعمائة ، وكان من الصالحين الكبار ، والعباد الاخيار ، توفى يوم السبت سادس صفر وصلى عليه بالجامع ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته حافلة .

وفى هذا الشهر ـ أعنى صفر ـ كانت وفاة والى القاهرة القديدار وله آثار غريبة ومشهورة .

﴿ بها دراص الأمير الكبير ﴾

رأس ميمنة الشام ، سيف الدين بها دراص المنصورى أكبر أمراء دمشق ، وممن طال عمره فى الحشمة والثروة ، وهو ممن اجتمعت فيه الآية الكريمة (زين للناس حب الشهوات من النساء) الآية ، وقد كان محببا إلى العامة ، وله بر وصدقة وإحسان ، توفى ليلة الثلاثاء ودفن بتربته خارج باب الجابية ، وهى مشهورة أيضاً .

﴿ الحجار ابن الشحنة ﴾

الشيخ الكبير المسند المعمر الرحلة شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن أبى طالب بن نعمة بن حسن ابن على بن بيان الدير مقرنى ثم الصالحى الحجار المعروف بابن الشحنة ، سمع البخارى على الزبيدى سنة ثلاثين وستمائة بقاسيون ، وإنما ظهر سماعه سنة ست وسبعمائة ففرح بذلك المحدثون وأكثروا السماع عليه ، فقرىء البخارى عليه نحواً من ستين مرة وغيره ، وسمعنا عليه بدار الحديث الاشرفية فى أيام الشتويات نحواً من خمسمائة جزء بالاجازات والسماع ، وسماعه من الزبيدى وابن اللتى ، وله إجازة من بغداد فيها مائة وثمانية وثلاثون شيخا من العوالى المسندين ، وقد مكث مدة مقدم الحجارين نحواً من خمس وعشرين سنة ، ثم كان يخيط فى آخر عمره ، واستقرت عليه جامكيته لما اشتغل باسماع الحديث ، وقد سمع عليه السلطان الملك الناصر ، وخلع عليه وألبسه الخلعة بيده ، وسمع عليه من أهل الديار المصرية والشامية أمم لايحصون كثرة ، وانتفع الناس بذلك ، وكان شيخا حسنا بهى المنظر سليم الصدر ممتعا بحواسه وقواه ، فانه عاش مائة سنة محققا ، وزاد عليها ، لأنه سمع البخارى من الزبيدى فى سنة ثلاثين وستمائة وأسمعه هو فى سنة ثلاثين وسبعمائة فى تاسع صفر بجامع دمشق ، وسمعنا عليه يومئذ ولله الحمد ، ويقال إنه أدرك موت المعظم عيسى بن العادل لما توفى ، والناس يسمعهم يقولون مات المعظم ، وقد كانت وفاة المعظم فى سنة أربع وعشرين وستمائة ، وتوفى الحجار يوم الاثنين خامس عشرين صفر من هذه السنة ، وصلى عليه بالمظفرى يوم الثلاثاء ودفن بتربة له عند زاوية الدومى ، بجوار جامع الافرم . وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

﴿ الشيخ نجم الدين بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن ﴾

أبي نصر المحصل المعروف بابن الشحام ، اشتغل ببلده ثم سافر وأقام بمدينة سراى من مملكة إربل ، ثم قدم دمشق فى سنة أربع وعشرين فدرس بالظاهرية البرانية ثم بالجاروضية ، وأضيف إليه مشيخة رباط القصر ، ثم نزل عن ذلك لزوج ابنته نور الدين الأردبيلى ، توفى فى ربيع الأول وكان يعرف طرفا من الفقه والطب .

﴿ الشيخ إبراهيم الهدمة ﴾

أصله كردى من بلاد المشرق ، فقدم الشام ، وأقام بين القدس والخليل ، فى أرض كانت مواتا فأحياها وغرسها و زرع فيها أنواعا ، وكان يقصد للزيارة ، و يحكى الناس عنه كرامات صالحة ، وقد بلغ مائة سنة ، وتزوج فى آخر عمره ورزق أولادا صالحين ، توفى فى جمادى الآخرة رحمه الله .

الست صاحبة التربة بباب الخواصين الخوندة المعظمة المحجبة المحترمة :

﴿ ستيته بنت الأمير سيف الدين ﴾

كركاى المنصورى ، زوجة نائب الشام تنكز ، توفيت بدار الذهب وصلى عليها بالجامع ثالث رجب ، ودفنت بالتربة التى أمرت بانشائها بباب الخواصين ، وفيها مسجد و إلى جانبها رباط للنساء ومكتب للايتام . وفيها صدقات و بر وصلات ، وقراء عليها ، كل ذلك أمرت به ، وكانت قد حجت فى العام الماضى رحمها الله .

﴿ قاضى قضاة طرابلس ﴾

شمس الدين محمد بن عيسى بن محمود البعلبكى المعروف بابن المجد الشافعى ، اشتغل ببلده و برع فى فنون كثيرة ، وأقام بدمشق مدة يدرس بالقوصية و بالجامع ، و يؤم بمدرسة أم الصالح ، ثم انتقل إلى قضاء طرابلس فأقام بها أربعة أشهر ، ثم توفى فى سادس رمضان وتولاها بعده ولده تقى الدين وهو أحد الفضلاء المشهورين ، ولم تطل مدته حتى عزل عنها وأخرج منها .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

عبد الله بن أبى القاسم بن يوسف بن أبى القاسم الحورانى ، شيخ طائفتهم و إليه مرجع زاويتهم بحوران ، كان عنده تفقه بعض شىء ، و زهادة و بزار ، وله أصحاب يخدمونه ، و بلغ السبعين سنة ، وخرج لتوديع بعض أهله إلى ناحية الكرك من ناحية الحجاز فأدركه الموت هناك ، فمات فى أول ذى القعدة .

﴿ الشيخ حسن بن على ﴾

ابن أحمد الانصارى الضرير كان بفرد عين أولا ، ثم عمى جملة ، وكان يقرأ القرآن و يكثر التلاوة ثم انقطع إلى المنارة الشرقية ، وكان يحضر السماعات و يستمع و يتواجد ، ولكثير من الناس فيه اعتقاد على ذلك ، ولمجاورته فى الجامع وكثرة تلاوته وصلاته والله يسامحه ، توفى يوم السبت فى العشر

الأول من ذى الحجة بالمأذنة الشرقية ، وصلى عليه بالجامع ، ودفن بباب الصغير .

﴿ محيي الدين أبو الثناء محمود ﴾

ابن الصدر شرف الدين القلانسي ، توفى فى ذى الحجة ببستانه ، ودفن بتربتهم بسفح قاسيون وهو جد الصدر جلال الدين بن القلانسى ، وأخيه علاء ، وهم ثلاثتهم رؤساء .

﴿ الشاب الرئيس ﴾

صلاح الدين يوسف بن القاضى قطب الدين موسى ابن شيخ السلامية ، ناظر الجيش أبوه ، نشأ هذا الشاب فى نعمة وحشمة وترفه وعشرة واجتماع بالأصحاب ، توفى يوم السبت تاسع عشرين ذى الحجة فاستراح من حشمته وعشرته إن لم تكن وبالا عليه ، ودفن بتربتهم تجاه الناصرية بالسفح ، وتأسف عليه أبواه ومعارفه وأصحابه سامحه الله .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها ، وقد ذكرنا ما كان من عبيد مكة إلى الحجاج ، وأنه قتل من المصريين أميران ، فلما بلغ الخبر السلطان عظم عليه ذلك ، وامتنع من الاكل على السماط فيما يقال أياما ، ثم جرد ستمائة فارس وقيل ألفا ، والاول أصح ، وأرسل إلى الشام أن يجرد مقدما آخر ، فجرد الأمير سيف الدين الجى بغا العادلى . وخرج من دمشق يوم دخلها الركب فى سادس عشرين المحرم ، وأمر أن يسير إلى إيلة ليجتمع مع المصريين ، وأن يسيروا جميعا إلى الحجاز .

وفى يوم الأربعاء تاسع صفر وصل نهر الساجور إلى مدينة حلب ، وخرج نائب حلب أرغون ومعه الامراء مشاة إليه فى تهليل وتكبير وتحميد ، يتلقون هذا النهر ، ولم يكن أحد من المعالى ولا غيرهم أن يتكلم بغير ذكر الله تعالى ، وفرح الناس بوصوله إليهم فرحا شديدا ، وكانوا قد وسعوا فى تحصيله من أماكن بعيدة احتاجوا فيها إلى نقب الجبال ، وفيها صخور ضخام وعقدوا له قناطر على الأودية ، وماوصل إلا بعد جهد جهيد ، وأمر شديد ، فلله الحمد وحده لاشريك له . وحين رجع نائب حلب أرغون مرض مرضا شديداً ومات رحمه الله .

وفى سابع صفر وسع تنكز الطرقات بالشام ظاهر باب الجابية ، وخرب كل ما يضيق الطرقات . وفى ثانى ربيع الاول لبس علاء الدين القلانسى خلعة سنية لمباشرة نظر الدواوين ديوان ملك الأمراء ، وديوان نظر المارستان ، عوضا عن ابن العادل ، ورجع ابن العادل إلى حجابة الديوان الكبير . وفى يوم ثانى ربيع الاول لبس عماد الدين ابن الشيرازى خلعة نظر الأموى عوضا عن ابن مراجل عزل عنه لا إلى بدل عنه ، وباشر جمال الدين بن القويرة نظر الأسرى بدلا عن ابن الشيرازى . وفى يوم الخميس آخر ربيع الاول لبس القاضى شرف الدين بن عبد الله بن شرف الدين

حسن ابن الحافظ أبى موسى عبد الله ابن الحافظ عبد الغنى المقدسى خلعة قضاء الحنابلة عوضا عن عز الدين بن التقى سليمان ، توفى رحمه الله ، وركب من دار السعادة إلى الجامع ، فقرئ تقليده تحت النسر بحضرة القضاة والأعيان ، ثم ذهب إلى الجوزية فحكم بها ، ثم إلى الصالحية وهو لابس الخلعة ، واستناب يومئذ ابن أخيه التقى عبد الله بن شهاب الدين أحمد . وفى سلخ ربيع الآخر اجتاز الأمير علاء الدين الطنبغا بدمشق وهو ذاهب إلى بلاد حلب نائبا عليها ، عوضاً عن أرغون توفى إلى رحمة الله ، وقد تلقاه النائب والجيش . وفى مستهل جمادى الأولى حضر الأمير الشريف رميثة بن أبى نمى إلى مكة ، فقرئ تقليده بإمرة مكة من جهة السلطان ، صحبة التجريدة ، وخلع عليه وبايعه الأمراء المجردون من مصر والشام داخل الكعبة ، وقد كان وصول التجاريد إلى مكة فى سابع ربيع الأول ، فأقاموا بباب المعلى ، وحصل لهم خير كثير من الصلاة والطواف ، وكانت الأسعار رخيصة معهم .

وفى يوم السبت سابع ربيع الآخر خلع على القاضى عز الدين بن بدر الدين بن جماعة بوكالة السلطان ونظر جامع طولون ونظر الناصرية ، وهنأه الناس عوضاً عن التاج ابن إسحاق عبد الوهاب ، توفى ودفن بالقرافة . وفى هذا الشهر تولى عماد الدين ابن قاضى القضاة الاخنائى تدريس الصارمية وهو صغير بعد وفاة النجم هاشم بن عبد الله البعلبكى الشافعى ، وحضرها فى رجب وحضر عنده الناس خدمة لأبيه ، وفى حادى عشرين جمادى الآخرة رجعت التجريدة من الحجاز صحبة الأمير سيف الدين الحى بغا ، وكانت غيبتهم خمسة أشهر وأياما وأقاموا بمكة شهرا واحدا ويوما واحدا وحصل للعرب منهم رعب شديد ، وخوف أكيد ، وعزلوا عن مكة عطية وولوا أخاه رميثة وصلوا وطافوا واعتمروا ، ومنهم من أقام هناك ليحج . وفى ثانى رجب خلع على ابن أبى الطيب بنظر ديوان بيت المال عوضاً عن ابن الصاين توفى .

وفى أوائل شعبان حصل بدمشق هواء شديد مزعج كسر كثيرا من الأشجار والأغصان ، وألقى بعض الحيطان والجدران ، وسكن بعد ساعة بإذن الله ، فلما كان يوم تاسعه سقط برد كبار مقدار بيض الحمام ، وكسر بعض جامات الحمام . وفى شهر شعبان هذا خطب بالمدرسة المعزية على شاطىء النيل أنشأها الأمير سيف الدين طغز دمر ، أمير مجلس الناصرى ، وكان الخطيب عز الدين عبد الرحيم بن الفرات الحنفى . وفى نصف رمضان قدم الشيخ تاج الدين عمر بن على بن سالم اللخمى ابن الفاكهانى المالكى ، نزل عند القاضى الشافعى ، وسمع عليه شيئا من مصنفاته ، وخرج إلى الحج عامئذ مع الشاميين ، وزار القدس قبل وصوله إلى دمشق . وفى هذا الشهر وطئ سوق الخيل وركبت فيه حصبات كثيرة ، وعمل فيه نحو من أربعمائة نفس فى أربعة أيام حتى ساووه وأصلحوه ، وقد كان

قبل ذلك يكون فيه مياه كثيرة ، وملقات . وفيه أصلح سوق الدقيق داخل باب الجابية إلى الثابتية وسقف عليه السقوف .

وخرج الركب الشامي يوم الاثنين ثامن شوال وأميره عز الدين أيبك ، أمير علم ، وقاضيه شهاب الدين الظاهري . وممن حج فيه شهاب الدين بن جهبل وأبو النسر وابن جملة والفخر المصري والصدر المالكي وشرف الدين الكفوي الحنفي ، والبهاء ابن إمام المشهدوجلال الدين الأعيالي ناظر الأيتام ، وشمس الدين الكردي ، وفخر الدين البعلبكي ، ومجد الدين ابن أبي المجد ، وشمس الدين ابن قيم الجوزية ، وشمس الدين ابن خطيب بيرة ، وشرف الدين قاسم العجلوني ، وتاج الدين ابن الفاكهاني والشيخ عمر السلاوي ، وكاتبه إسماعيل ابن كثير ، وآخرون من سائر المذاهب، حتى كان الشيخ بدر الدين يقول : اجتمع في ركبنا هذا أربعمائة فقيه وأربع مدارس وخانقاه ، ودارحديث ، وقد كان معنا من المفتيين ثلاثة عشر نفساً ، وكان في المصريين جماعة من الفقهاء منهم قاضي المالكية تقي الدين الأخنائي ، وفخر الدين النويري ، وشمس الدين ابن الحارثي ، ومجد الدين الأقصرائي ، وشيخ الشيوخ الشيخ محمد المرشدي . وفي ركب العراق الشيخ أحمد السروجي أشد وكان من المشاهير . وفي الشاميين الشيخ علي الواسطي صحبة ابن المرجاني ، وأمير المصريين مغلطاي الجمالي الذي كان وزيراً في وقت ، وكان إذ ذاك مريضا ، ومررنا بعين تبوك وقد أصلحت في هذه السنة ، وصينت من دوس الجمال والجمالين ، وصار ماؤها في غاية الحسن والصفاء والطيب ، وكانت وقفة الجمعة ومطرنا بالطواف ، وكانت سنة مرخصة آمنة .

وفي نصف ذي الحجة رجع تنكز من ناحية قلعة جعبر ، وكان في خدمته أكثر الجيش الشامي ، وأظهر أبهة عظيمة في تلك النواحي . وفي سادس عشرذي الحجة وصل توقيع القاضي علاء الدين بن القلانسي بجميع جهات أخيه جمال الدين بحكم وفاته مضافا إلى جهاته ، فاجتمع له من المناصب الكبار مالم يجتمع لغيره من الرؤساء في هذه الأعصار، فمن ذلك : وكالة بيت المال ، وقضاء العسكر وكتابة الدست ، ووكالة ملك الأمراء ، ونظر البيمارستان ، ونظر الحرمين ، ونظر ديوان السعيد ، وتدريس الأمينية والظاهرية والعصرونية وغير ذلك انتهى .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ قاضي القضاة ﴾

عز الدين أبو عبد الله بن محمد بن قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر المقدسي الحنبلي ، ولد سنة خمس وستين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل على والده واستنابه في أيام ولايته ، فلما ولي ابن مسلم لزم بيته يحضر درس الجوزية ودار الحديث الأشرفية بالجبل ويأوي إلى بيته ، فلما توفي ابن مسلم ولي قضاء الحنابلة بعده نحواً من أربع سنين ، وكان فيه

تواضع وتودد وقضاء لحوائج الناس ، وكانت وفاته يوم الأربعاء تاسع صفر ، وكان يوما مطيرا ، ومع هذا شهد الناس جنازته ، ودفن بتربتهم رحمهم الله ، وولى بعده نائبه شرف الدين ابن الحافظ ، وقد قارب الثمانين . وفى نصف صفر توفى

﴿ الامير سيف الدين قجليس ﴾

سيف النعمة ، وقد كان سمع على الحجار ووزيره بالقدس الشريف .

وفى منتصف صفر توفى ﴿ الأمير الكبير سيف الدين أرغون ﴾ بن عبد الله الدويدار الناصرى ، وقد عمل [على] نيابة مصر مدة طويلة ، ثم غضب عليه السلطان فأرسله إلى نيابة حلب ، فمكث بها مدة ثم توفى بها فى سابع عشر ربيع الأول ، ودفن بتربة اشتراها بحلب ، وقدكان عنده فهم وفقه ، وفيه ديانة واتباع للشريعة ، وقد سمع البخارى على الحجار وكتبه جميعه بخطه ، وأذن له بعض العلماء فى الافتاء ، وكان يميل إلى الشيخ تقى الدين ابن تيمية وهو بمصر ، توفى ولم يكمل الخمسين سنة ، وكان يكره اللهو رحمه الله . ولما خرج يلتقى نهر الساجور خرج فى ذل ومسكنة ، وخرج معه الأمراء كذلك مشاة فى تكبير وتهليل وتحميد ، ومنع المغانى ومن اللهو واللعب فى ذلك رحمه الله .

﴿ القاضى ضياء الدين ﴾

أبو الحسن على بن سليم بن ربيع بن سليمان الأزرعى الشافعى ، تنقل فى ولاية الأقضية بمدارس كثيرة ، مدة ستين سنة ، وحكم بطرابلس وعجلون وزرع وغيرها ، وحكم بدمشق نيابة عن القونوى نحواً من شهر ، وكان عنده فضيلة وله نظم كثير . نظم التنبيه فى نحو ست عشرة ألف بيت ، وتصحيحها فى ألف وثلثمائة بيت ، وله مدائح ومواليا وأزجال وغير ذلك ، ثم كانت وفاته بالرملة يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأول عن خمس وثمانين سنة رحمه الله ، وله عدة أولاد منهم عبد الرزاق أحد الفضلاء ، وهو ممن جمع بين علمى الشريعة والطبيعة .

﴿ أبو دبوس عثمان بن سعيد المغربى ﴾

تملك فى وقت بلاد قابس ثم تغلب عليه جماعة فانتزعوها منه فقصد مصر فأقام بها وأقطع إقطاعا ، وكان يركب مع الجند فى زى المغاربة متقلداً سيفا ، وكان حسن الهيئة يواظب على الخدمة إلى أن توفى فى جمادى الأولى .

﴿ الامام العلامة ضياء الدين أبو العباس ﴾

أحمد بن قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطى الشافعى ، مدرس الحسامية ونائب الحكم بمصر ، وأعاد فى أماكن كثيرة ، وتفقه على والده ، توفى فى جمادى الآخرة وتولى الحسامية بعده ناصر الدين التبريزى .

﴿ الصدر الكبير تاج الدين الكارمى ﴾

المعروف بابن الرهايلى ، كان أكبر تجار دمشق الكارمية وبمصر ، توفى فى جمادى الآخرة ، يقال إنه خلف مائة ألف دينار غير البضائع والأثاث والأملاك .

﴿ الامام العلامة فخر الدين ﴾

عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان بن الماردانى التركمانى الحنفى شرح فخر الدين هذا الجامع وألقاه دروساً فى مائة كراس ، توفى فى رجب وله إحدى وسبعون سنة ، كان شجاعاً عالماً فاضلا ، وقوراً فصيحا حسن المفاكهة ، وله نظم حسن . وولى بعده المنصورية ولده تاج الدين .

﴿ تقى الدين عمر ابن الوزير شمس الدين ﴾

محمد بن عثمان بن السلعوس ، كان صغيراً لما مات أبوه تحت العقوبة ، ثم نشأ فى الخدم ثم طلبه السلطان فى آخر وقت فولاه نظر الدواوين بمصر ، فباشره يوما واحدا وحضر بين يدى السلطان يوم الخميس ، ثم خرج من عنده وقد اضطرب حاله فما وصل إلى منزله إلا فى محفة ، ومات بكرة يوم السبت سادس عشرين ذى القعدة ، وصلى عليه بجامع عمرو بن العاص ، ودفن عند والده بالقرافة وكانت جنازته حافلة .

﴿ جمال الدين أبو العباس ﴾

أحمد بن شرف الدين بن جمال الدين محمد بن أبى الفتح نصر الله بن أسد بن حمزة بن أسد بن على بن محمد التميمى الدمشقى ابن القلانسى ، قاضى العساكر ووكيل بيت المال ومدرس الامينية وغيرها حفظ التنبيه ثم المحرر للرافعى ، وكان يستحضره ، واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزارى ، وتقدم لطالب العلم والرئاسة ، وباشر جهات كباراً ، ودرس بأماكن وتفرد فى وقته بالرياسة والبيت والمناصب الدينية والدنيوية ، وكان فيه تواضع وحسن سمت وتودد وإحسان وبر بأهل العلم والفقراء والصالحين وهو ممن أذن له فى الافتاء وكتب إنشاء ذلك وأنا حاضر على البديهة فأفاد وأجاد ، وأحسن التعبير وعظم فى عينى . توفى يوم الأثنين ثامن عشرين ذى القعدة ، ودفن بتربتهم بالسفح ، وقد سمع الحديث على جماعة من المشايخ وخرج له فخر الدين البعلبكى مشيخة سمعناها عليه رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت وحكام البلاد هم هم ، وفى أولها فتحت القيسارية التى كانت مسبك الفولاذ جوا باب الصغير حولها تنكز قيسارية ببركة . وفى يوم الاربعاء ذكر الدرس بالأمينية والظاهرية علاء الدين بن القلانسى عوضاً عن أخيه جمال الدين ، وذكر ابن أخيه أمين الدين محمد بن جمال الدين الدرس فى العصرونية ، تركها له عمه ، وحضر عندهما جماعة من الأعيان . وفى تاسع المحرم جاء إلى حمص سيل عظيم غرق بسببه خلق كثير وجم غفير ، وهلك للناس أشياء كثيرة . وممن مات فيه نحو مائتى

امرأة بحمام النائب ، كن مجتمعات على عروس أو عروسين فهلكن جميعا .

وفى صفر أمر تنكز ببياض الجدران المقابلة لسوق الخيل إلى باب الفراديس ، وأمر بتجديد خان الظاهر ، فغرم عليه نحواً من سبعين ألفا . وفى هذا الشهر وصل تابوت لاجين الصغير من البيرة فدفن بتربته خارج باب شرقى . وفى تاسع ربيع الآخر حضر الدرس بالقيمازية عماد الدين الطرسوسى الحنفى عوضا عن الشيخ رضى الدين المنطيقى ، توفى ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفى أول ربيع الآخر خلع على الملك الأفضل على بن الملك المؤيد صاحب حماة وولاه السلطان الملك الناصر مكان أبيه بحكم وفاته ، وركب بمصر بالعصائب والسبابة والفاشية أمامه. وفى نصف هذا الشهر سافر الشيخ شمس الدين الأصفهانى شارح المختصر ومدرس الرواحية إلى الديار المصرية على خيل البريد وفارق دمشق وأهلها واستوطن القاهرة .

وفى يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة خطب بالجامع الذى أنشأه الامير سيف الدين آل ملك واستقر فيه خطيبا نور الدين على بن شبيب الحنبلى . وفيه أرسل السلطان جماعة من الأمراء إلى الصعيد فأحاطوا على ستمائة رجل ممن كان يقطع الطريق فأتلف بعضهم . وفى جمادى الآخرة تولى شد الدواوين بدمشق نور الدين ابن الخشاب عوضا عن الطرقشى . وفى يوم الاربعاء حادى عشر رجب خلع على قاضى القضاة علاء الدين بن الشيخ زين الدين بن المنجا بقضاء الحنابلة عوضاً عن شرف الدين بن الحافظ ، وقرئ تقليده بالجامع ، وحضر القضاة والأعيان . وفى اليوم الثانى استناب برهان الدين الزرعى . وفى رجب باشر شمس الدين موسى بن التاج إسحاق نظر الجيوش بمصر عوضاً عن فخر الدين كاتب المماليك توفى ، وباشر النشو مكانه فى نظر الخاص ، وخلع عليه بطرحة ، فلما كان فى شعبان عزل هو وأخوه العلم ناظر الدواوين وصودروا وضربوا ضرباً عظيما ، وتولى نظر الجيش المكين بن قروينة ، ونظر الدواوين أخوه شمس الدين بن قروينة .

وفى شعبان كان عرس أنوك ، ويقال كان اسمه محمد بن السلطان الملك الناصر، على بنت الاميرسيف الدين بكتمر الساقى ، وكان جهازها بألف ألف دينار ، وذبح فى هذا العرس من الاغنام والدجاج والاوز والخيل والبقر نحو من عشرين ألفا ، وحملت خلوى بنحو ثمانية عشر ألف قنطار ، وحمل له من الشمع ثلاثة آلاف قنطار ، قاله الشيخ أبو بكر ، وكان هذا العرس ليلة الجمعة حادى عشر شعبان وفى شعبان هذا حول القاضى محى الدين بن فضل الله من كتابة السر بمصر إلى كتابة السر بالشام ، ونقل شرف بن شمس الدين بن الشهاب محمود إلى كتابة السر بمصر ، وأقيمت الجمعة بالشامية البرانية فى خامس عشر شعبان ، وحضرها القضاة والامراء ، وخطب بها الشيخ زين الدين عبد النور المغربى وذلك باشارة الاميرحسام الدين اليشمقدار الحاجب بالشام ، ثم خطب عنه كمال الدين بن الزكى ، وفيه

أمر نائب السلطنة بتبييض البيوت من سوق الخيل إلى ميدان الحصا، ففعل ذلك . وفيه زادت الفرات زيادة عظيمة لم يسمع بمثلها ، واستمرت نحوا من اثنى عشر يوماً فأتلفت بالرحبة أموالا كثيرة ، وكسرت الجسر الذى عند دير بسر ، وغلت الاسعار هناك فشرعوا فى إصلاح الجسر ، ثم انكسر مرة ثانية .

وفى يوم السبت تاسع شوال خرج الركب الشامى وأميره سيف الدين أوزان ، وقاضيه جمال الدين ابن الشريشى ، وهو قاضى حمص الآن ، وحج السلطان فى هذه السنة وصحبته قاضى القضاة القزوينى وعز الدين بن جماعة ، وموفق الدين الحنبلى ، وسبعون أميراً . وفى ليلة الخميس حادى عشرين شوال رسم على الصاحب عز الدين غبريال بالمدرسة النجيبية الجوانية ، وصودر وأخذت منه أموال كثيرة ، وأفرج عنه فى المحرم من السنة الآتية .

وممن توفى فيها من الأعيان :

﴿ الشيخ عبد الرحمن بن أبى محمد بن محمد ﴾

ابن سلطان القرامذى ، أحد المشاهير بالعبادة والزهادة وملازمة الجامع الأموى ، وكثرة التلاوة والذكر ، وله أصحاب يجلسون إليه ، وله مع هذا ثروة وأملاك ، توفى فى مستهل المحرم عن خمس أوست وثمانين سنة ، ودفن بباب الصغير ، وكان قد سمع الحديث واشتغل بالعلم ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة إلى أن مات .

﴿ الملك المؤيد صاحب حماة ﴾

عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين على بن الملك المظفر تقى الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، كانت له فضائل كثيرة فى علوم متعددة من الفقه والهيئة والطب وغير ذلك ، وله مصنفات عديدة، منها تاريخ حافل فى مجلدين كبيرين ، وله نظم الحاوى وغير ذلك ، وكان يحب العلماء ويشاركهم فى فنون كثيرة ، وكان من فضلاء بنى أيوب ، ولى ملك حماة من سنة إحدى وعشرين إلى هذا الحين ، وكان الملك الناصر يكرمه ويعظمه ، وولى بعده ولده الافضل على ، توفى فى سحر يوم الخميس ثامن عشرين المحرم ، ودفن ضحوة عند والديه بظاهر حماة .

﴿ القاضى الامام العالم المحدث ﴾

تاج الدين أبو القاسم عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافى بن عوض بن سنان بن عبدالله السعدى الفقيه الشافعى ، سمع الكثير وخرج لنفسه معجما فى ثلاث مجلدات ، وقرأ بنفسه الكثير ، وكتب الخط الجيد ، وكان متقنا عارفا بهذا الفن ، يقال إنه كتب بخطه نحواً من خمسمائة مجلد، وقد كان شافعيا مفتيا ، ومع هذا ناب فى وقت عن القاضى الحنبلى ، وولى مشيخة الحديث بالمدرسة الصاحبية ، وتوفى

بمصر فى مستهل ربيع الأول عن ثنتين وثمانين سنة ، رحمه الله .

﴿ الشيخ رضى الدين بن سليمان ﴾

المنطقى الحنفى ، أصله من أب كرم ، من بلاد قونية ، وأقام بحماة ثم بدمشق ، ودرس بالقيمازية ، وكان فاضلا فى المنطق والجدل ، واشتغل عليه جماعة فى ذلك ، وبلغ من العمر ستا وثمانين سنة ، وحج سبع مرات ، توفى ليلة الجمعة سادس عشرين ربيع الأول ، وصلى عليه بعد الصلاة ودفن بالصوفية

وفى ربيع الاول توفى : ﴿ الامير علاء الدين طيبغا ﴾

ودفن بتربته بالصالحية . وكذلك الأمير سيف الدين زولاق ، ودفن بتربته أيضاً .

﴿ قاضى القضاة شرف الدين أبو محمد ﴾

عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغنى المقدسى الحنبلى ، ولد سنة ست وأربعين وستمائة ، وباشر نيابة ابن مسلم مدة ، ثم ولى القضاء فى السنة الماضية ، ثم كانت وفاته فجأة فى مستهل جمادى الأولى ليلة الخميس ، ودفن من الغد بتربة الشيخ أبى عمر .

﴿ الشيخ ياقوت الحبشى ﴾

الشاذلى الاسكندرانى ، بلغ الثمانين ، وكان له أتباع ، وأصحاب منهم شمس الدين ابن اللبان الفقيه الشافعى ، وكان يعظمه ويطريه وينسب إليه مبالغات الله أعلم بصحتها وكذبها ، توفى فى جماد وكانت جنازته حافلة جداً .

﴿ النقيب ناصح الدين ﴾

محمد بن عبد الرحيم بن قاسم بن إسماعيل الدمشقى ، نقيب المتعممين ، تتلمذ أولا للشهاب المقرى ثم كان بعده فى المحافل العزاء والهناء ، وكان يعرف هذا الفن جيداً ، وكان كثير الطلب من الناس ، ويطلبه الناس لذلك ، ومع هذا مات وعليه ديون كثيرة ، توفى فى أواخر رجب .

﴿ القاضى فخر الدين كاتب المماليك ﴾

وهو محمد بن فضل الله ناظر الجيوش بمصر ، أصله قبطى فأسلم وحسن إسلامه ، وكانت له أوقاف كثيرة ، وبر وإحسان إلى أهل العلم ، وكان صدراً معظماً ، حصل له من السلطان حظ وافر ، وقد جاوز السبعين وإليه تنسب الفخرية بالقدس الشريف ، توفى فى نصف رجب واحتيط على أمواله وأملاكه بعد وفاته رحمه الله .

﴿ الامير سيف الدين الجاى الدويدار الملكى الناصرى ﴾

كان فقيها حنفيا فاضلا ، كتب بخطه ربعة وحصل كتباً كثيرة معتبرة ، وكان كثير الاحسان إلى أهل العلم ، توفى فى سلخ رجب رحمه الله .

﴿ الطبيب الماهر الحاذق الفاضل ﴾

أمين الدين سليمان بن داود بن سليمان ، كان رئيس الأطباء بدمشق ومدرسهم مدة ، ثم عزل بجمال الدين بن الشهاب الكحال مدة قبل موته لأمر تعصب عليه فيه نائب السلطنة ، توفي يوم السبت سادس عشرين شوال ودفن بالقبيبات .

﴿ الشيخ الامام العالم المقرى شيخ القراء ﴾

برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري ، ثم الخليلي الشافعي ، صاحب المصنفات الكثيرة في القراءات وغيرها ، ولد سنة أربعين وستمائة بقلعة جعبر ، واشتغل ببغداد ، ثم قدم دمشق وأقام ببلد الخليل نحو أربعين سنة يقرىء الناس ، وشرح الشاطبية وسمع الحديث ، وكانت له إجازة من يوسف بن خليل الحافظ ، وصنف بالعربية والعروض والقراءات نظماً ونثراً ، وكان من المشايخ المشهورين بالفضائل والرياسة والخير والديانة والعفة والصيانة ، توفي يوم الأحد خامس شهر رمضان ، ودفن ببلد الخليل تحت الزيتونة ، وله ثنتان وتسعون سنة رحمه الله .

﴿ قاضي القضاة علم الدين ﴾

أبو عبد الله محمد بن القاضي شمس الدين أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمه الأخنائي السعدي المصري الشافعي الحاكم بدمشق وأعمالها ، كان عفيفا نزها ذكيا سار العبارة محبا للفضائل ، معظما لأهلها كثيرا لاسماع الحديث في العادلية الكبيرة ، توفي يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة ودفن بسفح قاسيون عند زوجته تجاه تربة العادل كتبغا من ناحية الجبل .

﴿ قطب الدين موسى ﴾

ابن أحمد بن الحسين بن شيخ السلامية ناظر الجيوش الشامية ، كانت له ثروة وأموال كثيرة ، وله فضائل و إفضال وكرم و إحسان إلى أهل الخير ، وكان مقصداً في المهمات ، توفي يوم الثلاثاء ثاني الحجة وقد جاوز السبعين ، ودفن بتربته تجاه الناصرية بقاسيون ، وهو والد الشيخ الامام العلامة عز الدين حمزة مدرس الحنبلية .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت يوم الأربعاء والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، وليس للشافعية قاض ، وقاضي الحنفية عماد الدين الطرسوسي ، وقاضي المالكية شرف الدين الهمداني ، ، وقاضي الحنابلة علاء الدين ابن المنجا ، وكاتب السر محيي الدين بن فضل الله ، وناظر الجامع عماد الدين بن الشيرازي .

وفي ثاني المحرم قدم البشير بسلامة السلطان من الحجاز وباقتراب وصوله إلى البلاد ، فدقت البشائر و زينت البلد . وأخبر البشير بوفاة الأمير سيف الدين بكتمر الساقي و ولده شهاب الدين

أحمد وهما راجعان فى الطريق ، بعد أن حجا قريبا من مصر : الوالد أولا ، ثم من بعده أبوه بثلاثة أيام بعيون القصب ، ثم نقلا إلى تربتهما بالقرافة ، ووجـد لبكتمر من الأموال والجواهر واللآلى والقماش والأمتعة والحواصل شىء كثير، لا يكاد ينحصر ولا ينضبط ، وأفرج عن الصاحب شمس الدين غبريال فى المحرم، وطلب فى صفر إلى مصر فتوجه على خيل البريد ، واحتيط على أهله بعد مسيره وأخذت منهم أموال كثيرة لبيت المال .

وفى أواخر صفر قدم الصاحب أمين الملك على نظر الدواوين بدمشق عوضا عن غبريال ، وبعده بأربعة أيام قدم القاضى فخر الدين بن الحلى على نظر الجيش بعد وفاة قطب الدين ابن شيخ السلامية. وفى نصف ربيع الأول لبس ابن جملة خلعة القضاء للشافعية بدمشق بدار السعادة ، ثم جاء إلى الجامع وهى عليه ، وذهب إلى العادلية وقرئ تقليده بها بحضرة الأعيان ، ودرس بالعادلية والغزاليـة يوم الأربعاء ثانى عشر الشهر المذكور. وفى يوم الاثنين رابع عشرينه حضر ابن أخيه جمال الدين محمود إعادة القيمرية نزل له عنها ، ثم استنابه بعد ذلك فى المجلس، وخرج إلى العادلية فحكم بها ، ثم لم يستمر بعـد ذلك ، عزل عن النيابة بيومه ، واستناب بعده جمال الدين إبراهيم بن شمس الدين محمد بن يوسف الحسبانى ، وله همة وعنده نزاهة وخبرة بالأحكام .

وفى ربيع الأول ولى شهاب قرطاى نيابة طرابلس وعزل عنهـا طبـلان إلى نيابة غزة وتولى نائب غزة حمص ، وحصل للذى جاء بتقاليدهم مائة ألف درهم منهم ، وفى ربيع الآخر أعيد القاضى محى الدين بن فضل الله وولده إلى كتابة سر مصر، ورجع شرف الدين ابن الشهاب محمود إلى كتابة سر الشـام كما كان . وفى منتصف هـذا الشهر ولى نقابة الأشراف عماد الدين موسى الحسينى عوضا عن أخيه شرف الدين عدنان توفى فى الشهر الماضى ودفن بتربتهم عند مسجد الدبان . وفيه درس الفخر المصرى بالدولعية عوضا عن ابن جملة بحكم ولايته القضاء . وفى خامس عشرين رجب درس بالبادرائية القاضى علاء الدين على بن شريف ويعرف بابن الوحيد ، عوضا عن ابن جهبل توفى فى الشهر الماضى ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكنت إذ ذاك بالقدس أنا والشـيخ شمس الدين ابن عبد الهادى وآخرون ، وفيه رسم السـلطان الملك الناصر بالمنع من رمى البنـدق ، وأن لا تباع قسيها ولا تعمل ، وذلك لافساد رماة البندق أولاد الناس ، وأن الغالب عـلى من تعـاناه اللواط والفسق وقلة الدين ، ونودى بذلك فى البلاد المصرية والشامية .

قال البرزالى : وفى نصف شـعبان أمر السـلطان بتسليم المنجمين إلى والى القاهرة فضربوا وحبسوا لافسادهم حال النساء ، فمات منهم أربعة تحت العقوبة ، ثلاثة من المسلمين ونصرانى ، وكتب إلى بذلك الشيخ أبو بكر الرحبى . وفى أول رمضان وصـل البريد بتولية الأمـير فخر الدين ابن

الشمس لؤلؤ ولاية البر بدمشق بعد وفاة شهاب الدين بن المروانى ، ووصل كتاب من مكة إلى دمشق فى رمضان يذكر فيه أنها وقعت صواعق ببلاد الحجاز فقتلت جماعة متفرقين فى أماكن شتى ، وأمطار كثيرة جداً ، وجاء البريد فى رابع رمضان بتولية القاضى محيي الدين بن جميل قضاء طرابلس فذهب إليها ، ودرس ابن المجد عبد الله بالرواحية عوضاً عن الأصبهانى بحكم إقامته بمصر . وفى آخر رمضان أفرج عن الصاحب علاء الدين وأخيه شمس الدين موسى بن التاج إسحاق بعد سجنهما سنة ونصفاً .

وخرج الركب الشامى يوم الخميس عاشر شوال وأميره بدر الدين بن معبد وقاضيه علاء الدين ابن منصور مدرس الحنفية بالقدس بمدرسة تنكز ، وفى الحجاج صدر الدين المالكى ، وشهاب الدين الظهيرى ، ومحيي الدين ابن الأعقف وآخرون وفى يوم الأحد ثالث عشره درس بالاتابكية ابن جملة عوضاً عن ابن جميل تولى قضاء طرابلس ، وفى يوم الأحد عشرينه حكم القاضى شمس الدين محمد بن كامل التدمرى ، الذى كان فى خطابة الخليل بدمشق نيابة عن ابن جملة ، وفرح الناس بدينه وفضيلته .

وفى ذى القعدة مسك تنكز دواداره ناصر الدين محمد ، وكان عنده بمكانة عظيمة جداً ، وضربه بين يديه ضربا مبرحا ، واستخلص منه أموالا كثيرة ، ثم حبسه بالقلعة ثم نفاه إلى القدس، وضرب جماعة من أصحابه منهم علاء الدين بن مقلد حاجب العرب ، وقطع لسانه مرتين ، ومات وتغيرت الدولة وجاءت دولة أخرى مقدمها عنده حمزة الذى كان سميره وعشيره فى هذه المدة الأخيرة ، وانزاحت النعمة عن الدوادار ناصر الدين وذويه ومن يليه .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرين ذى القعدة ركب على الكعبة باب حديد أرسله السلطان مرصعا من السبط الأحمر كأنه آبنوس ، مركب عليه صفائح من فضة زنتها خمسة وثلاثون ألفا وثلثمائة وكسر، وقلع الباب العتيق ، وهومن خشب الساج، وعليه صفائح تسلمها بنو شيبة ، وكان زنتها ستين رطلا فباعوها كل درهم بدرهين ، لأجل التبرك . وهذا خطأ وهو ربا ـ وكان ينبغى أن يبيعوها بالذهب لئلا يحصل ربا بذلك ـ وترك خشب الباب العتيق داخل الكعبة ، وعليه اسم صاحب اليمن فى الفردتين ، واحدة عليها : اللهم يا ولى يا على اغفر ليوسف بن عمر بن على .

ومن توفى فيها من الأعيان :

﴿ الشيخ العالم تقى الدين محمود على ﴾

ابن محمود بن مقبل الدقوقى أبو الثناء البغدادى محدث بغداد منذ خمسين سنة ، يقرأ لهم الحديث وقد ولى مشيخة الحديث بالمستنصرية ، وكان ضابطا محصلا بارعا ، وكان يعظ ويتكلم فى الأعزية

والأهنية ، وكان فرداً فى زمانه و بلاده رحمه الله ، توفى فى المحرم وله قريب السبعين سنة ، وشهد جنازته خلق كثير ، ودفن بتربة الامام أحمد ، ولم يخلف درهما واحداً ، وله قصيدتان رثا بهما الشيخ تقى الدين ابن تيمية كتب بهما إلى الشيخ الحافظ البرزالى رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ الامام العالم عز القضاة ﴾

فخر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير المالكى الاسكندرى ، أحد الفضلاء المشهورين ، له تفسير فى ست مجلدات ، وقصائد فى رسول الله ﷺ حسنة ، وله فى كان وكان ، وقد سمع الكثير و روى ، توفى فى جماد الأولى عن ثنتين وثمانين سنة ، ودفن بالاسكندرية رحمه الله .

﴿ ابن جماعة قاضى القضاة ﴾

العالم شيخ الاسلام بدر الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الامام الزاهد أبى إسحاق إبراهيم ابن سعد الله ابن جماعة بن حازم بن صخر الكنانى الحموى الأصل ، ولد ليلة السبت رابع ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستمائة بحماة، وسمع الحديث واشتغل بالعلم ، وحصل علوما متعددة ، وتقدم وساد أقرانه ، و باشر تدريس القيمرية ، ثم ولى الحكم والخطابة بالقدس الشريف ، ثم نقل منه إلى قضاء مصر فى الأيام الأشرفية ، ثم باشر تداريس كبارها فى ذلك الوقت ، ثم ولى قضاء الشام وجمع له معه الخطابة ومشيخة الشيوخ وتدريس العادلية وغيرها مدة طويلة ، كل هذا مع الرياسة والديانة والصيانة والورع ، وكف الأذى ، وله التصانيف الفائقة النافعة ، وجمع له خطبا كان يخطب بها فى طيب صوت فيها وفى قراءته فى المحراب وغيره ، ثم نقل إلى قضاء الديار المصرية بعد وفاة الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ، فلم يزل حاكما بها إلى أن أضر وكبر وضعفت أحواله،فاستقال فأقيل وتولى مكانه القزوينى ، و بقيت معه بعض الجهات ورتبت له الرواتب الكثيرة الدارة إلى أن توفى ليلة الاثنين بعد عشاء الآخرة حادى عشرين جمادى الأولى ، وقد أكمل أربعا وتسعين سنة وشهراً وأياما ، وصلى عليه من الغد قبل الظهر بالجامع الناصرى بمصر ، ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته حافلة هائلة رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام الفاضل مفتى المسلمين ﴾

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محيي الدين يحيي بن تاج الدين بن إسماعيل بن طاهر بن نصر الله بن جهبل الحلبى الأصل ثم الدمشقى الشافعى ، كان من أعيان الفقهاء ، ولد سنة سبعين وستمائة واشتغل بالعلم ولزم المشايخ ولازم الشيخ الصدر بن الوكيل ، ودرس بالصلاحية بالقدس ، ثم تركها وتحول إلى دمشق فباشر مشيخة دار الحديث الظاهرية مدة ، ثم ولى مشيخة البادرائية فترك الظاهرية وأقام بتدريس البادرائية إلى أن مات،ولم يأخذ معلوما من واحدة منهما ، توفى يوم الخميس بعد العصر تاسع جمادى الآخرة وصلى عليه بعد الصلاة ودفن بالصوفية ، وكانت جنازته حافلة .

﴿ تاج الدين عبد الرحمن بن أيوب ﴾

مغسل الموتى فى سنة ستين وستمائة ، يقال إنه غسل ستين ألف ميت، وتوفى فى رجب وقد جاوز الثمانين .

﴿ الشيخ فخر الدين أبو محمد ﴾

عبد الله بن محمد بن عبد العظيم ابن السقطى الشافعى،كان مباشراً شهادة الخزانة ، وناب فى الحكم عند باب النصر ودفن بالقرافة

﴿ الامام الفاضل مجموع الفضائل ﴾

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب البكرى ، نسبة إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، كان لطيف المعانى ناسخا مطيقا يكتب فى اليوم ثلاث كراريس،وكتب البخارى ثمانى مرات ويقابله ويجلده ويبيع النسخة من ذلك بألف ونحوه ، وقد جمع تاريخا فى ثلاثين مجلداً ، وكان ينسخه ويبيعه أيضا بأزيد من ألف ، وذكر أن له كتابا سماه منتهى الأرب فى علم الأدب فى ثلاثين مجلدا أيضا ، وبالجملة كان نادراً فى وقته ، توفى يوم الجمعة عشرين رمضان رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك ﴾

الكثير الحج على بن الحسن بن أحمد الواسطى المشهور بالخير والصلاح ، وكثرة العبادة والتلاوة والحج ، يقال إنه حج أزيد من أربعين حجة ، وكانت عليه مهابة ولديه فضيلة ، توفى وهو محرم يوم الثلاثاء ثامن عشرين ذى القعدة ، وقد قارب الثمانين رحمه الله.

﴿ الأمير عز الدين إبراهيم بن عبد الرحمن ﴾

ابن أحمد ابن القواس ، كان مباشراً الشد فى بعض الجهات السلطانية ، وله دار حسنة بالعقيبة الصغيرة ، فلما جاءت الوفاة أوصى أن تجعل مدرسة ، ووقف عليها أوقافا ، وجعل تدريسها للشيخ عماد الدين الكردى الشافعى ، توفى يوم الأربعاء عشرين الحجة .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت بيوم الأحد وحكام البلاد هم المذكورون فى التى قبلها . وفى يوم الجمعة ثانى ربيع الأول أقيمت الجمعة بالخاتونية البرانية ، وخطب بها شمس الدين النجار المؤذن المؤقت بالأموى ، وترك خطابة جامع القابون . وفى مستهل هذا الشهر سافر الأمير شمس الدين محمد التدمرى إلى القدس حاكما به ، وعزل عن نيابة الحكم بدمشق . وفى ثالثه قدم من مصر زين الدين عبد الرحيم ابن قاضى القضاة بدر الدين ابن جماعة بخطابة القدس ،فخلع عليه من دمشق ثم سافر إليها.وفى آخر ربيع الأول باشر الأمير ناصر الدين بن بكتاش الحسامى شد الأوقاف عوضا عن شرف الدين محمود بن الخطيرى ، سافر بأهله إلى مصر أميراً نيابة بها عن أخيه بدر الدين مسعود،وعزل القاضى علاء الدين ابن القلانسى ،وسائر الدواوين والمباشرين الذين فى باب ملك الأمراء تنكز وصودروا بمائتى ألف

درهم ، واستدعى من غزة ناظرها جمال الدين يوسف صهر السنى المستوفى ، فباشر نظر ديوان النائب ونظر المارستان النورى أيضا على العادة .

وفى شهر ربيع الأول أمر تنكز باصلاح باب توما فشرع فيه فرفع بابه عشرة أذرع ، وجددت حجارته وحديده فى أسرع وقت ، وفى هذا الوقت حصل بدمشق سيل خرب بعض الجدران ثم تناقص ، وفى أوائل ربيع الآخر قدم من مصر جمال الدين آقوش نائب الكرك مجتازاً إلى طرابلس نائبها عوضا عن قرطا ، توفى . وفى جمادى الأولى طلب القاضى شهاب الدين ابن المجد عبد الله إلى دار السعادة فولى وكالة بيت المال عوضا عن ابن القلانسى ، ووصل تقليده من مصر بذلك ، وهنأه الناس . وفيه طلب الامير نجم الدين ابن الزيبق من ولاية نابلس فولى شد الدواوين بدمشق ، وقد شغر منصبه شهوراً بعد ابن الخشاب . وفى رمضان خطب الشيخ بدر الدين أبو اليسر ابن الصائغ بالقدس عوضا عن زين الدين ابن جماعة لاعراضه عنها واختياره العود إلى بلده .

﴿ قضية القاضى ابن جملة ﴾

لما كان فى العشر الأخير من رمضان وقع بين القاضى ابن جملة و بين الشيخ الظهير شيخ ملك الأمراء ـ وكان هو السفير فى تولية ابن جملة القضاء ـ فوقع بينهما منافسة ومحاققة فى أمور كانت بينه و بين الدوادار المتقدم ذكره ناصر الدين ، فحلف كل واحد منهما على خلاف ماحلف به الآخر عليه ، وتفاصلا من دار السعادة فى المسجد ، فلما رجع القاضى إلى منزله بالعادلية أرسل إليه الشيخ الظهير ليحكم فيه بما فيه المصلحة ، وذلك عن مرسوم النائب ، وكأنه كان خديعة فى الباطن واظهارا لنصرة القاضى عليه فى الظاهر ، فبدر به القاضى بادى الرأى فعزره بين يديه ، ثم خرج من عنده فتسلمه أعوان ابن جملة فطافوا به البلد على حمار يوم الأربعاء سابع عشرين رمضان ، وضربوه ضربا عنيفا ، ونادوا عليه : هذا جزاء من يكذب و يفتات على الشرع ، فتألم الناس له لكونه فى الصيام . وفى العشر الأخير من رمضان ، ويوم سبع وعشرين ، وهو شيخ كبير صائم ، فيقال : إنه ضرب يومئذ ألفين ومائة وإحدى وسبعين درة والله أعلم ، فما أمسى حتى استفتى على القاضى المذكور وداروا على المشايخ بسبب ذلك عن مرسوم النائب ، فلما كان يوم تاسع عشرين رمضان عقد نائب السلطنة بين يديه بدار السعادة مجلسا حافلا بالقضاة وأعيان المفتيين من سائر المذاهب ، وأحضر ابن جملة قاضى الشافعية والمجلس قد احتفل بأهله ، ولم يأذنوا لابن جملة فى الجلوس ، بل قام قائما ثم أجلس بعد ساعة جيدة فى طرف الحلقة ، إلى جانب المحفة التى فيها الشيخ الظهير ، وادعى عليه عند بقية القضاة أنه حكم فيه لنفسه ، واعتدى عليه فى العقوبة ، وأفاض الحاضرون فى ذلك ، وانتشر الكلام وفهموا من نفس النائب الحط على ابن جملة ، والميل عنه بعد أن كان إليه ، فما انفصل المجلس حتى حكم القاضى

شرف الدين المالكى بفسقه وعزله وسجنه ، فانفض المجلس على ذلك ، و رسم على ابن جملة بالعذراوية ثم نقل إلى القلعة جزاء وفاقا والحمد لله وحده ، وكان له فى القضاء سنة ونصف إلا أياما ، وكان يباشر الأحكام جيدا ، وكذا الأوقاف المتعلقة به ، وفيه نزاهة وتمييز الأوقاف بين الفقهاء والفقراء ، وفيه صرامة وشهامة و إقدام ، لكنه أخطأ فى هذه الواقعة ، وتعدى فيها فآل أمره إلى هذا .

وخرج الركب يوم الاثنين عاشر شوال وأميره الجى بغا وقاضيه مجد الدين ابن حيان المصرى

وفى يوم الاثنين رابع عشرينه درس بالاقبالية الحنفية نجم الدين ابن قاضى القضاة عماد الدين الطرسوسى الحنفى عوضا عن شمس الدين محمد بن عثمان بن محمد الأصبهانى ابن العجمى الحبطى ، و يعرف بابن الحنبلى ، وكان فاضلا دينا متقشفا كثير الوسوسة فى الماء جدا ، وأما المدرس مكانه وهو نجم الدين بن الحنفى فانه ابن خمس عشرة سنة ، وهو فى النباهة والفهم ، وحسن الاشتغال والشكل والوقار ، بحيث غبط الحاضرون كلهم أباه على ذلك ، ولهذا آل أمره أن تولى قضاء القضاة فى حياة أبيه ، نزل له عنه وحمدت سيرته وأحكامه .

وفى هذا الشهر أثبت محضر فى حق الصاحب شمس الدين غبريال المتوفى هذه السنة أنه كان يشترى أملاكا من بيت المال و يوقفها و يتصرف فيها تصرف الملاك لنفسه ، وشهد بذلك كمال الدين الشيرازى وابن أخيه عماد الدين وعلاء الدين القلانسى وابن خاله عماد الدين القلانسى ، وعزالدين ابن المنجا ، وتقى الدين ابن مراجل ، وكمال الدين بن الغويرة ، وأثبت على القاضى برهان الدين الزرعى الحنبلى ونفذه بقية القضاة ، وامتنع المحتسب عز الدين ابن القلانسى من الشهادة فرسم عليه بالعذراوية قريبا من شهر ، ثم أفرج عنه وعزل عن الحسبة ، واستمر على نظر الخزانة .

وفى يوم الأحد ثامن عشرين ذى القعدة حملت خلعة القضاء إلى الشيخ شهاب الدين ابن المجد وكيل بيت المال يومئذ ، فلبسها وركب إلى دار السعادة وقرىء تقليده بحضرة نائب السلطنة والقضاة ثم رجع إلى مدرسته الاقبالية فقرىء بها أيضا وحكم بين خصمين ، وكتب على أوراق السائلين ، ودرس بالعادلية والغزالية والاتابكيتين مع تدريس الاقبالية عوضا عن ابن جملة . وفى يوم الجمعة حضر الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى وفى صحبته صاحب حماة الأفضل ، فتلقاهما تنكز وأكرمهما ، وصليا الجمعة عند النائب ثم توجها إلى مصر ، فتلقاهما أعيان الأمراء وأكرم السلطان مهنا بن عيسى وأطلق له أموالا جزيلة كثيرة ، من الذهب والفضة والقماش ، وأقطعه عدة قرى ورسم له بالعود إلى أهله ، ففرح الناس بذلك ، قالوا وكان جميع ما أنعم به عليه السلطان قيمة مائة ألف دينار ، وخلع عليه وعلى أصحابه مائة وسبعين خلعة .

وفى يوم الأحد سادس الحجة حضر درس الرواحية الفخر المصرى عوضا عن قاضى القضاة

ابن المجد وحضر عنده القضاة الأربعة وأعيان الفضلاء . وفى يوم عرفة خلع على نجم الدين بن أبى الطيب بوكالة بيت المال ، عوضا عن ابن المجد ، وعلى عماد الدين ابن الشيرازى بالحسبة عوضا عن عز الدين ابن القلانسى وخرج الثلاثة من دار السعادة بالطرحات .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الأجل التاجر الصدوق ﴾

بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله عتيق النقيب شجاع الدين إدريس ، وكان رجلا حسنا يتجر فى الجوخ ، مات فجأة عصر يوم الخميس خامس محرم ، وخلف أولادا وثروة ، ودفن بباب الصغير ، وله بر وصدقة ومعروف ، وسمع بمسجد ابن هشام .

﴿ الصدر أمين الدين ﴾

محمد بن فخر الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف ابن أبى العيش الأنصارى الدمشقى بانى المسجد المشهور بالربوة ، على حافة بردى، والطهارة الحجارة إلى جانبه ، والسوق الذى هناك ، وله بجامع النيرب ميعاد . ولد سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وسمع البخارى وحدث به ، وكان من أكابر التجار ذوى اليسار ، توفى بكرة الجمعة سادس المحرم ودفن بتربته بقاسيون رحمه الله .

﴿ الخطيب الامام العالم ﴾

عماد الدين أبو حفص عمر الخطيب ، ظهير الدين عبد الرحيم بن يحيى بن إبراهيم بن على بن جعفر ابن عبد الله بن الحسن القرشى الزهرى النابلسى ، خطيب القدس ، وقاضى نابلس مدة طويلة ، ثم جمع له بين خطابة القدس وقضائها ، وله اشتغال وفيه فضيلة، وشرح صحيح مسلم فى مجلدات ، وكان سريع الحفظ سريع الكتابة ، توفى ليلة الثلاثاء عاشر المحرم ودفن بماملا رحمه الله .

﴿ الصدر شمس الدين ﴾

محمد بن إسماعيل بن حماد التاجر بقيسارية الشرب ، كتب المنسوب وانتفع به الناس ، وولى التجار لأمانته وديانته ، وكانت له معرفة ومطالعة فى الكتب ، توفى تاسع صفر عن نحو ستين سنة . ودفن بقاسيون رحمه الله . ﴿ جمال الدين قاضى القضاة الزرعى ﴾

هو أبو الربيع سليمان ابن الخطيب مجد الدين عمر بن سالم بن عمر بن عثمان الأذرعى الشافعى ولد سنة خمس وأربعين وستمائة بأذرعات ، واشتغل بدمشق فحصل ، وناب فى الحكم بزرع مدة فعرف بالزرعى لذلك ، وإنما هو من أذرعات وأصله من بلاد المغرب ، ثم ناب بدمشق ثم انتقل إلى مصر فناب فى الحكم بها ، ثم استقل بولاية القضاء بها نحواً من سنة ، وولى قضاء الشام مدة مع مشيخة الشيوخ نحواً من سنة ، ثم عزل وبقى على مشيخة الشيوخ نحواً من سنة مع تدريس الاتابكية ، ثم تحول إلى مصر فولى بها التدريس وقضاء العسكر ، ثم توفى بها يوم الأحد سادس صفر وقد قارب

السبعين رحمه الله، وقد خرج له البرزالى مشيخة سمعناها عليه وهو بدمشق عن اثنين وعشرين شيخا.

﴿ الشيخ الامام العالم الزاهد ﴾

زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمود بن عبيدان البعلبكى الحنبلى، أحد فضلاء الحنابلة، وممن صنف فى الحديث والفقه والتصوف وأعمال القلوب وغير ذلك، كان فاضلا له أعمال كثيرة، وقد وقعت له كائنة فى أيام الظاهر أنه أصيب فى عقله أو زوال فكره، أو قد عمل على الرياضة فاحترق باطنه من الجوع، فرأى خيالات لا حقيقة لها فاعتقد أنها أمر خارجى، وإنما هو خيال فكرى فاسد. وكانت وفاته فى نصف صفر ببعلبك، ودفن بباب سطحا ولم يكمل الستين، وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب، وعلى القاضى الزرعى معا. ﴿ الأمير شهاب الدين ﴾

نائب طرابلس له أوقاف وصدقات، وبر وصلات، توفى بطرابلس يوم الجمعة ثامن عشر صفر ودفن هناك رحمه الله.

﴿ الشيخ عبد الله بن يوسف بن أبى بكر الاسعردى الموقت ﴾

كان فاضلا فى صناعة الميقات وعلم الاصطرلاب وماجرى مجراه، بارعا فى ذلك، غير أنه لا ينفع به لسوء أخلاقه وشراستها، ثم إنه ضعف بصره فسقط من قيسارية بحمى عشية السبت عاشر ربيع الأول، ودفن بباب الصغير. ﴿ الامير سيف الدين بلبان ﴾

طرفا بن عبد الله الناصرى، كان من المقدمين بدمشق، وجرت له فصول يطول ذكرها، ثم توفى بداره عند مأذنة فيروز ليلة الأربعاء حادى عشرين ربيع الاول، ودفن بتربة اتخذها إلى جانب داره، ووقف عليها مقرئين، وبنى عندها مسجدا بأمام ومؤذن.

﴿ شمس الدين محمد بن يحيى بن محمد ابن قاضى حران ﴾

ناظر الأوقاف بدمشق، مات الليلة التى مات فيها الذى قبله، ودفن بقاسيون، وتولى مكانه عماد الدين الشيرازى. ﴿ الشيخ الامام ذو الفنون ﴾

تاج الدين أبو حفص عمر بن على بن سالم بن عبد الله اللخمى الاسكندرانى، المعروف بابن الفاكهانى، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة، وسمع الحديث واشتغل بالفقه على مذهب مالك، وبرع وتقدم بمعرفة النحو وغيره، وله مصنفات فى أشياء متفرقة، قدم دمشق فى سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة فى أيام الاخنائى، فأنزله فى دار السعادة وسمعنا عليه ومعه، وحج من دمشق عامئذ وسمع عليه فى الطريق، ورجع إلى بلاده، توفى ليلة الجمعة سابع جمادى الأولى، وصلى عليه بدمشق حين بلغهم خبر موته. ﴿ الشيخ الصالح العابد الناسك ﴾

أمين الدين أيمن بن محمد، وكان يذكر أن اسمه محمد بن محمد إلى سبع عشر نفسا كلهم اسمه

محمد ، وقد جاور بالمدينة مدة سنين إلى أن توفى ليلة الخميس ثامن ربيع الأول ، ودفن بالبقيع وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب . ﴿ الشيخ نجم الدين القبانى الحموى ﴾

عبد الرحمن بن الحسن بن يحيى اللخمى القبانى ، قرية من قرى أشمون الرمان ، أقام بحماة فى زاوية بزار ويلتمس دعاؤه ، وكان عابداً ورعاً زاهداً آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ، حسن الطريقة إلى أن توفى بها آخر نهار الاثنين رابع عشر رجب ، عن ست وستين سنة ، وكانت جنازته حافلة هائلة جداً ، ودفن شمالى حماة ، وكان عنده فضيلة ، واشتغل على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وله كلام حسن يؤثر عنه رحمه الله . ﴿ الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ﴾

الحافظ العلامة البارع ، فتح الدين بن أبى الفتح محمد بن الامام أبى عمرو محمد بن الامام الحافظ الخطيب أبى بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس الربعى اليعمرى الاندلسى الاشبيلى ثم المصرى ، ولد فى العشر الأول من ذى الحجة سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وسمع الكثير وأجازله الرواية عنهم جماعات من المشايخ ، ودخل دمشق سنة تسعين فسمع من الكندى وغيره ، واشتغل بالعلم فبرع وساد أقرانه فى علوم شتى من الحديث والفقه والنحو من العربية ، وعلم السير والتواريخ وغير ذلك من الفنون ، وقد جمع سيرة حسنة فى مجلدين ، وشرح قطعة حسنة من أول جامع الترمذى ، رأيت منها مجلداً بخطه الحسن ، وقد حرر وحبر وأفاد وأجاد ، ولم يسلم من بعض الانتقاد ، وله الشعر الرائق الفائق ، والنثر الموافق ، والبلاغة التامة ، وحسن الترصيف والتصنيف ، وجودة البديهة ، وحسن الطوية ، وله العقيدة السلفية الموضوعة على الآى والأخبار والآثار والاقتفاء بالآثار النبوية ، ويذكر عنه سوء أدب فى أشياء أخر[1] سامحه الله فيها ، وله مدائح فى رسول الله ﷺ حسان ، وكان شيخ الحديث بالظاهرية بمصر ، وخطب بجامع الخندق ، ولم يكن فى مصر فى مجموعه مثله فى حفظ الأسانيد والمتون والعلل والفقه والملح والأشعار والحكايات ، توفى فجأة يوم السبت حادى عشر شعبان ، وصلى عليه من الغد ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن عند ابن أبى جمرة رحمه الله . ﴿ القاضى مجد الدين بن حرمى ﴾

ابن قاسم بن يوسف العامرى الفاقوسى الشافعى ، وكيل بيت المال ، ومدرس الشافعى وغيره ، كانت له همة ونهضة ، وعلت سنه وهو مع ذلك يحفظ ويشغل ويشتغل ، ويلقى الدروس من حفظه إلى أن توفى ثانى ذى الحجة ، وولى تدريس الشافعى بعده شمس الدين ابن القماح ، والقطبية بهاء الدين ابن عقيل ، والوكالة نجم الدين الاسعردى المحتسب ، وهو كان وكيل بيت الظاهر .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون فى التى قبلها ، وناظر الجامع عز الدين ابن المنجا ، والمحتسب

---

(١) فى الشذرات « ويذكر عنه شئون أخر » .

عماد الدين الشيرازى وغيرهم . وفى مستهل المحرم يوم الخميس درس بأم الصالح الشيخ خطيب تبرور عوضاً عن قاضى القضاة شهاب الدين ابن المجد ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفى سادس المحرم رجع مهنا بن عيسى من عند السلطان فتلقاه النائب والجيش ، وعاد إلى أهله فى عز وعافية . وفيه أمر السلطان بعمارة جامع القلعة وتوسيعه ، وعمارة جامع مصر العتيق . وقدم إلى دمشق القاضى جمال الدين محمد بن عماد الدين ابن الأثير كاتب سرها عوضاً عن ابن الشهاب محمود . ووقع فى هذا الشهر والذى بعده موت كثير فى الناس بالخانوق .

وفى ربيع الأول مسك الامير نجم الدين بن الزيبق مشد الدواوين ، وصودر وبيعت خيوله وحواصله ، وتولاه بعده سيف الدين نمر مملوك بكتمر الحاجب ، وهو مشد الزكاة . وفيه كملت عمارة حمام الأمير شمس الدين حمزه الذى تمكن عند تنكز بعد ناصر الدين الدوادار ، ثم وقعت الشناعة عليه بسبب ظلمه فى عمارة هذا الحمام فقابله النائب على ذلك وانتصف للناس منه ، وضربه بين يديه وضربه بالبندق بيده فى وجهه ، وسائر جسده ، ثم أودعه القلعة ثم نقله إلى بحيرة طبرية فغرقه فيها ، وعزل الامير جمال الدين نائب الكرك عن نيابة طرابلس حسب سؤاله فى ذلك ، وراح إليها طيغال وقدم نائب الكرك إلى دمشق وقد رسم له بالاقامة فى سلخد ، فلما تلقاه نائب السلطنة والجيش نزل فى دار السعادة وأخذ سيفه بها ونقل إلى القلعة ، ثم نقل إلى صفت ثم إلى الاسكندرية ، ثم كان آخر العهد به .

وفى جمادى الأولى احتيط على دار الامير بكتمر الحاجب الحسامى بالقاهرة ، ونبشت وأخذ منها شىء كثير جداً ، وكان جد أولاده نائب الكرك المذكور . وفى يوم السبت تاسع جمادى الآخرة باشر حسام الدين أبو بكر ابن الأمير عز الدين أيبك التجيبى شد الأوقاف عوضا عن ابن بكتاش ، اعتقل ، وخلع على المتولى وهنأه الناس . وفى منتصف هذا الشهر علق الستر الجديد على خزانة المصحف العثمانى ، وهو من خز طوله ثمانية أذرع وعرضه أربعة أذرع ونصف ، غرم عليه أربعة آلاف وخمسمائة ، وعمل فى مدة سنة ونصف .

وخرج الركب الشامى يوم الخميس تاسع شوال وأميره علاء الدين المرسى ، وقاضيه شهاب الدين الظاهرى . وفيه رجع جيش حلب إليها وكانوا عشرة آلاف سوى من تبعهم من التركمان ، وكانوا فى بلاد أذنة وطرسوس وإياس ، وقد خربوا وقتلوا خلقا كثيرا ، ولم يعدم منهم سوى رجل واحد غرق بنهر جاهان ، ولكن كان قتل الكفار من كان عندهم من المسلمين نحواً من ألف رجل ، يوم عيد الفطر فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفيه وقع حريق عظيم بحماة فاحترق منه أسواق كثيرة ، وأملاك وأوقاف ، وهلكت أموال لاتحصر ، وكذلك احترق أكثر مدينة إنطاكية ، فتألم المسلمون لذلك . وفى ذى الحجة خرب المسجد

الذى كان فى الطريق بين باب النصر و بين باب الجابية ، عن حكم القضاة بأمر نائب السلطنة ، و بنى غربيه مسجد حسن أحسن وأنفع من الأول .

وتوفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الصالح المعمر رئيس المؤذنين بجامع دمشق ﴾

برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد الوانى ، ولد سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وسمع الحديث ، وروى ، وكان حسن الصوت والشكل ، محبباً إلى العوام ، توفى يوم الخميس سادس صفر ودفن بباب الصغير ، وقام من بعده فى الرياسة ولده أمين الدين محمد الوانى المحدث المفيد ، وتوفى بعده ببضع وأربعين يوماً رحمهما الله .

﴿ الكاتب المطبق المجود المحرر ﴾

بهاء الدين محمود ابن خطيب بعلبك محيي الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب السلمى ، ولد سنة ثمان وثمانين وستمائة ، واعتنى بهذه الصناعة فبرع فيها ، وتقدم على أهل زمانه قاطبة فى النسخ و بقية الأقلام ، وكان حسن الشكل طيب الأخلاق ، طيب الصوت حسن التودد ، توفى فى سلخ ربيع الأول ودفن بتربة الشيخ أبى عمر رحمه الله .

﴿ علاء الدين السنجارى ﴾

واقف دار القرآن عند باب الناطفانيين شمالى الأموى بدمشق ، على بن إسماعيل بن محمود كان أحد التجار الصدق الأخيار ، ذوى اليسار المسارعين إلى الخيرات ، توفى بالقاهرة ليلة الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة ، ودفن عند قبر القاضى شمس الدين بن الحريرى .

﴿ العدل نجم الدين التاجر ﴾

عبد الرحيم بن أبى القاسم عبد الرحمن الرحبى بانى التربة المشهورة بالمزة ، وقد جعل لها مسجداً و وقف عليها أوقافاً دارة ، وصدقات هناك ، وكان من أخيار أبناء جنسه ، عدل مرضى عند جميع الحكام ، وترك أولاداً وأموالا جمة ، ودارا هائلة ، و بساتين بالمزة ، وكانت وفاته يوم الأربعاء سابع عشرين جمادى الآخرة ودفن بتربته المذكورة بالمزة رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام الحافظ قطب الدين ﴾

أبو محمد عبد الكريم بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم بن على بن عبد الحق بن عبد الصمد بن عبد النور الحلبى الأصل ثم المصرى ، أحد مشاهير المحدثين بها ، والقائمين بحفظ الحديث و روايته وتدوينه وشرحه والكلام عليه ، ولد سنة أربع وستين وستمائة بحلب ، وقرأ القرآن بالروايات ، وسمع الحديث وقرأ الشاطبية والألفية ، و برع فى فن الحديث ، وكان حنفى المذهب وكتب كثيرا وصنف شرحا لأكثر البخارى ، وجمع تاريخاً لمصر ولم يكملهما ، وتكلم على السيرة

التي جمعها الحافظ عبد الغني وخرج لنفسه أربعين حديثا متباينة الاسناد ، وكان حسن الأخلاق مطرحاً للكلفة طاهر اللسان كثير المطالعة والاشتغال ، إلى أن توفي يوم الأحد سلخ رجب ، ودفن من الغد مستهل شعبان عند خاله نصر المنبجي ، وخلف تسعة أولاد رحمه الله .

﴿ القاضي الامام زين الدين أبو محمد ﴾

عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف السبكي ، قاضي المحلة ، و والده العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ، سمع من ابن الانماطي وابن خطيب المزة ، وحدث وتوفي تاسع شعبان ، وتبعته زوجته ناصرية بنت القاضي جمال الدين إبراهيم بن الحسين السبكي ، ودفنت بالقرافة ، وقد سمعت من ابن الصابوني شيئا من سنن النسائي ، وكذلك ابنتها محمدية ، وقد توفيت قبلها .

﴿ تاج الدين علي بن إبراهيم ﴾

ابن عبد الكريم المصري ، ويعرف بكاتب قطلبك ، وهو والد العلامة فخر الدين شيخ الشافعية ومدرسهم في عدة مدارس ، ووالده هذا لم يزل في الخدمة والكتابة إلى أن توفي عنده بالعادلية الصغيرة ليلة الثلاثاء ثالث عشر شعبان ، وصلى عليه من الغد بالجامع ، ودفن بباب الصغير .

﴿ الشيخ الصالح عبد الكافي ﴾

ويعرف بعبيد ابن أبي الرجال بن حسين بن سلطان بن خليفة المنيني ، ويعرف بابن أبي الازرق ، مولده في سنة أربع وأربعين وستمائة بقريته من بلاد بعلبك ، ثم أقام بقرية منين ، وكان مشهورا بالصلاح وقرئ عليه شيء من الحديث وجاوز التسعين .

﴿ الشيخ محمد بن عبد الحق ﴾

ابن شعبان بن علي الأنصاري ، المعروف بالسياح ، له زاوية بسفح قاسيون بالوادي الشمالي مشهورة به ، وكان قد بلغ التسعين ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكانت له معرفة بالأمور وعنده بعض مكاشفة ، وهو رجل حسن ، توفي أواخر شوال من هذه السنة .

﴿ الأمير سلطان العرب ﴾

حسام الدين مهنا بن عيسى بن مهنا ، أمير العرب بالشام ، وهم يزعمون أنهم من سلالة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، من ذرية الولد الذي جاء من العباسة أخت الرشيد فالله أعلم .

وقد كان كبير القدر محترماً عند الملوك كلهم ، بالشام ومصر والعراق ، وكان دينا خيراً متحيزا للحق ، وخلف أولادا و ورثة وأموالا كثيرة ، وقد بلغ سنا عالية ، وكان يحب الشيخ تقي الدين بن تيمية حبا زائدا ، هو وذريته وعربه ، وله عندهم منزلة وحرمة و إكرام ، يسمعون قوله و يمتثلونه ، وهو الذي نهاهم أن يغير بعضهم على بعض ، وعرفهم أن ذلك حرام ، وله في ذلك مصنف جليل ،

وكانت وفاة مهنا هذا ببلاد سلمية فى ثامن عشر ذى القعدة ، ودفن هناك رحمه الله .

﴿ الشيخ الزاهد ﴾

فضل بن عيسى بن قنديل العجلونى الحنبلى المقيم بالمسمارية ، أصله من بلاد حبراحى ، كان متقللا من الدنيا يلبس ثيابا طوالا وعمامة هائلة ، وهى بأرخص الأثمان ، وكان يعرف تعبير الرؤيا ويقصد لذلك ، وكان لا يقبل من أحد شيئا ، وقد عرضت عليه وظائف بجوامك كثيرة فلم يقبلها ، بل رضى بالرغيد الهنى من العيش الخشن إلى أن توفى فى ذى الحجة ، وله نحو تسعين سنة ، ودفن بالقرب من قبر الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمهما الله ، وكانت جنازته حافلة جدا .

﴿ ثم دخلت سنة ست وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت بيوم الجمعة والحكام هم المذكورون فى التى قبلها . وفى أول يوم منها ركب تنكز إلى قلعة جعبر ومعه الجيش والمناجنيق فغابوا شهراً وخمسة أيام وعادوا سالمين . وفى ثامن صفر فتحت الخانقاه التى أنشأها سيف الدين قوصون الناصرى خارج باب القرافة ، وتولى مشيختها الشيخ شمس الدين الأصبهانى المتكلم . وفى عاشر صفر خرج ابن جملة من السجن بالقلعة وجاءت الأخبار بموت ملك التتار أبى سعيد بن خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولى بن جنكزخان ، فى يوم الخميس ثانى عشر ربيع الآخر بدار السلطنة بقراباغ ، وهى منزلهم فى الشتاء ، ثم نقل إلى تربته بمدينته التى أنشأها قريبا من السلطانية مدينة أبيه ، وقد كان من خيار ملوك التتار وأحسنهم طريقة وأثبتهم على السنة وأقومهم بها ، وقد عز أهل السنة بزمانه وذلت الرافضة ، بخلاف دولة أبيه ، ثم من بعده لم يقم للتتار قائمة ، بل اختلفوا فتفرقوا شذر مذر إلى زماننا هذا ، وكان القائم من بعده بالأمر ارتكاون من ذرية أبغا ، ولم يستمر له الأمر إلا قليلا .

وفى يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى درس بالناصرية الجوانية بدر الدين الأردبيلى عوضا عن كمال الدين ابن الشيرازى توفى ، وحضر عنده القضاة . وفيه درس بالظاهرية البرانية الشيخ الامام المقرى سيف الدين أبو بكر الحريرى عوضا عن بدر الدين الأردبيلى ، تركها لما حصلت له الناصرية الجوانية ، وبعده بيوم درس بالنجيبية كاتبه إسماعيل ابن كثير عوضاً عن الشيخ جمال الدين ابن قاضى الزبدانى تركها حين تعين له تدريس الظاهرية الجوانية ، وحضر عنده القضاة والاعيان وكان درسا حافلا أثنى عليه الحاضرون وتعجبوا من جمعه وترتيبه ، وكان ذلك فى تفسير قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وانساق الكلام إلى مسألة ربا الفضل . وفى يوم الأحد رابع عشره ذكر الدرس بالظاهرية المذكورة ابن قاضى الزبدانى عوضا عن علاء الدين ابن القلانسى توفى ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكان يوما مطيرا .

وفى أول جمادى الآخرة وقع غلاء شديد بديار مصر واشتد ذلك إلى شهر رمضان،وتوجه خلق كثير فى رجب إلى مكة نحواً من ألفين وخمسمائة ، منهم عز الدين ابن جماعة ، وفخر الدين النويرى وحسن السلامى ، وأبو الفتح السلامى ، وخلق . وفى رجب كملت عمارة جسر باب الفرج وعمل عليه باسورة ورسم باستمرار فتحه إلى بعد العشاء الآخرة كبقية سائر الأبواب ، وكان قبل ذلك يغلق من المغرب . وفى سلخ رجب أقيمت الجمعة بالجامع الذى أنشأه نجم الدين ابن خيلخان تجاه باب كيسان من القبلة ، وخطب فيه الشيخ الامام العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية . وفى ثانى شعبان باشر كتابة السر بدمشق القاضى علم الدين محمد بن قطب الدين أحمد بن مفضل ، عوضاً عن كمال الدين ابن الأثير ، عزل وراح إلى مصر . وفى يوم الأربعاء رابع رمضان ذكر الدرس بالأمينية الشيخ بهاء الدين ابن إمام المشهد عوضاً عن علاء الدين بن القلانسى . وفى العشرين منه خلع على الصدر نجم الدين بن أبى الطيب بنظر الخزانة مضافا إلى ما بيده من وكالة بيت المال ، بعد وفاة ابن القلانسى بشهور .

وخرج الركب الشامى يوم الاثنين ثامن شوال وأميره قطلودمر الخليلى . وممن حج فيه قاضى طرابلس محيي الدين بن جهبل ، والفخر المصرى ، وابن قاضى الزبدانى ، وابن العز الحنفى ، وابن غانم والسخاوى وابن قيم الجوزية ،وناصر الدين بن البربوه الحنفى ، وجاءت الأخبار بوقعة جرت بين التتار قتل فيها خلق كثير منهم ، وانتصر على باشا وسلطانه الذى كان قد أقامه ، وهو موسى كاوون على اربا كاوون وأصحابه ، فقتل هو ووزيره ابن رشيد الدولة ، وجرت خطوب كثيرة طويلة ، وضربت البشائر بدمشق .

وفى ذى القعدة خلع على ناظر الجامع الشيخ عز الدين بن المنجا بسبب إكماله البطائن فى الرواق الشمالى والغربى والشرقى ، ولم يكن قبل ذلك له بطائن . وفى يوم الأربعاء سابع الحجة ذكر الدرس بالشبلية القاضى نجم الدين ابن قاضى القضاة عماد الدين الطرسوسى الحنفى ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وشكروا من فضله ونباهته ، وفرحوا لأبيه فيه . وفيها عزل ابن النقيب عن قضاء حلب ووليها ابن خطيب جسرين ، وولى الحسبة بالقاهرة ضياء الدين يوسف بن أبى بكر بن محمد خطيب بيت الأبار ، خلع عليه السلطان . وفى ذى القعدة رسم السلطان باعتقال الخليفة المستكفى وأهله ، وأن يمنعوا من الاجتماع ، فآل أمرهم كما كان أيام الظاهر والمنصور . وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿ السلطان أبو سعيد ابن خربندا ﴾

وكان آخر من اجتمع شمل التتار عليه ، ثم تفرقوا من بعده .

﴿ الشيخ المعمر الرحلة ﴾

شمس الدين على بن محمد بن ممدود بن عيسى البندنيجى الصوفى ، قدم علينا من بغداد شيخا

كبيرا راويا لأشياء كثيرة ، فيها صحيح مسلم والترمذى وغير ذلك ، وعنده فوائد ، ولد سنة أربع وأربعين وستمائة ، وكان والده محدثا فأسمعه أشياء كثيرة على مشايخ عدة ، وكان موته بدمشق رابع المحرم .

﴿ قاضى قضاة بغداد ﴾

قطب الدين أبو الفضائل محمد بن عمر بن الفضل التبريزى الشافعى المعروف بالأحوس ، سمع شيئا من الحديث واشتغل بالفقه والأصول والمنطق والعربية والمعانى والبيان ، وكان بارعا فى فنون كثيرة ودرس بالمستنصرية بعد العاقولى . وفى مدارس كبار ، وكان حسن الخلق كثير الخير على الفقراء والضعفاء ، متواضعاً يكتب حسنا أيضا ، توفى فى آخر المحرم ودفن بتربة له عند داره ببغداد رحمه الله .

﴿ الأمير صارم الدين ﴾

إبراهيم بن محمد بن أبى القاسم بن أبى الزهر ، المعروف بالمغزال ، كانت له مطالعة وعنده شيء من التاريخ ، ويحاضر جيداً ، ولما توفى يوم الجمعة وقت الصلاة السادس والعشرين من المحرم دفن بتربة له عند حمام العديم .

﴿ الأمير علاء الدين مغلطاى الخازن ﴾

نائب القلعة وصاحب التربة تجاه الجامع المظفرى من الغرب ، كان رجلا جيداً ، له أوقاف وبر وصدقات ، توفى يوم الجمعة بكرة عاشر صفر ، ودفن بتربته المذكورة .

﴿ القاضى كمال الدين ﴾

أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن هبة الله بن الشيرازى الدمشقى ، ولد سنة سبعين ، وسمع الحديث وتفقه على الشيخ تاج الدين الفزارى ، والشيخ زين الدين الفارقى ، وحفظ مختصر المزنى ودرس فى وقت بالبادرائية ، وفى وقت بالشامية البرانية ، ثم ولى تدريس الناصرية الجوانية مدة سنين إلى حين وفاته ، وكان صدرا كبيرا ، ذكر لقضاء قضاة دمشق غيرمرة ، وكان حسن المباشرة والشكل ، توفى فى ثالث صفر ودفن بتربتهم بسفح قاسيون رحمه الله .

﴿ الأمير ناصر الدين ﴾

محمد بن الملك المسعود جلال الدين عبد الله بن الملك الصالح إسماعيل بن العادل ، كان شيخا مسنا قد اعتنى بصحيح البخارى يختصره ، وله فهم جيد ولديه فضيلة ، وكان يسكن المزة وبها توفى ليلة السبت خامس عشرين صفر ، وله أربع وسبعون سنة ، ودفن بتربتهم بالمزة رحمه الله .

﴿ علاء الدين ﴾

على بن شرف الدين محمد بن القلانسى قاضى العسكر ووكيل بيت المال ، وموقع الدست ، ومدرس الأمينية والظاهرية وغير ذلك من المناصب ، ثم سلبها كلها سوى التدريسين ، وبقى معزولا إلى حين أن توفى بكرة السبت خامس وعشرين صفر ، ودفن بتربتهم .

﴿ عز الدين أحمد بن الشيخ زين الدين ﴾

محمد بن أحمد بن محمود العقيلي ، و يعرف بابن القلانسي ، محتسب دمشق وناظر الخزانة ، كان محمود المباشرة ، ثم عزل عن الحسبة واستمر بالخزانة إلى أن توفي يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى ودفن بقاسيون .

﴿ الشيخ علي بن أبي المجد بن شرف بن أحمد الحمصي ﴾

ثم الدمشقي مؤذن الربوة خمساً وأربعين سنة ، وله ديوان شعر وتعاليق وأشياء كثيرة مما ينكر أمرها ، وكان محلولا في دينه ، توفي في جمادى الأولى أيضا .

﴿ الأمير شهاب الدين بن برق ﴾

متولي دمشق ، شهد جنازته خلق كثير ، توفي ثاني شعبان ودفن بالصالحية وأثنى عليه الناس.

﴿ الأمير فخر الدين ابن الشمس لؤلؤ ﴾

متولي البر،كان مشكوراً أيضاً ، توفي رابع شعبان ، وكان شيخا كبيرا ، توفي ببستانه ببيت لهيا ودفن بتربته هناك وترك ذرية كثيرة رحمه الله .

﴿ عماد الدين إسماعيل ﴾

ابن شرف الدين محمد بن الوزير فتح الدين عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن صغير بن القيسراني ، أحد كتاب الدست ، وكان من خيار الناس ، محببا إلى الفقراء والصالحين ، وفيه مروءة كثيرة ، وكتب بمصر ثم صار إلى حلب كاتب سرها ، ثم انتقل إلى دمشق فأقام بها إلى أن مات ليلة الأحد ثالث عشر القعدة ، وصلى عليه من الغد بجامع دمشق ، ودفن بالصوفية عن خمس وستين سنة ، وقد سمع شيئا من الحديث على الأبرقوهي وغيره .

و في ذي القعدة توفي شهاب الدين ابن القديسة المحدث بطريق الحجاز الشريف . و في ذي الحجة توفي الشمس محمد المؤذن المعروف بالنجار و يعرف بالبقي ، وكان يتكلم و ينشد في المحافل ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت بيوم الجمعة والخليفة المستكفي بالله قد اعتقله السلطان الملك الناصر ، ومنعه من الاجتماع بالناس ، ونائب الشام تنكز بن عبد الله الناصري ، والقضاة والمباشرون هم المذكورون في التي قبلها ، سوى كاتب السر فانه علم الدين بن القطب ، ووالي البر الأمير بدر الدين بن قطلو بك ابن شنشنكير ، و والي المدينة حسام الدين طرقطاي الجوكنداري .

و في أول يوم منها يوم الجمعة وصلت الأخبار بأن علي باشا كسر جيشه ، وقيل إنه قتل ، ووصلت كتب الحجاج في الثاني والعشرين من المحرم تصف مشقة كثيرة حصلت للحجاج من

موت الجمال و إلقاء الأحمال ومشى كثير من النساء والرجال ، فانا لله و إنا إليه راجعون ، والحمد لله على كل حال .

و فى آخر المحرم قدم إلى دمشق القاضى حسام الدين حسن بن محمد الغورى قاضى بغداد ، وكان والوزير نجم الدين محمود بن على بن شروان الكردى ، وشرف الدين عثمان بن حسن البلدى فأقاموا ثلاثة أيام ثم توجهوا إلى مصر فحصل لهم قبول تام من السلطان ، فاستقضى الأول على الحنفية كما سيأتى ، واستوزر الثانى وأمر الثالث . وفى يوم عاشوراء أحضر شمس الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين بن اللبان الفقيه الشافعى إلى مجلس الحكم الجلالى ، وحضر معه شهاب الدين بن فضل الله مجد الدين الأقصرائى شيخ الشيوخ ، وشهاب الدين الأصبهانى ، فادعى عليه بأشياء منكرة من الحلول والاتحاد والغلو فى القرمطة وغير ذلك ، فأقر ببعضها فحكم عليه بحقن دمه ثم توسط فى أمره وأبقيت عليه جهاته ، ومنع من الكلام على الناس ، وقام فى صفه جماعة من الأمراء والأعيان .

و فى صفر احترق بقصر حجاج حريق عظيم أتلف دورا ودكاكين عديدة .

وفى ربيع الأول ولد للسلطان ولد فدقت البشائر و زينت البلد أياما . و فى منتصف ربيع الآخر أمر الأمير صارم الدين إبراهيم الحاجب الساكن تجاه جامع كريم الدين طبلخاناه ، وهو من كبار أصحاب الشيخ تقى الدين رحمه الله ، وله مقاصد حسنة صالحة ، وهو فى نفسه رجل جيد . وفيه أفرج عن الخليفة المستكفى وأطلق من البرج فى حادى عشرين ربيع الآخر ولزم بيته . وفى يوم الجمعة عشرين جمادى الآخرة أقيمت الجمعة فى جامعين بمصر ، أحدهما أنشأه الأمير عز الدين أيدمر بن عبد الله الخطيرى ، ومات بعد ذلك باثنى عشر يوما رحمه الله ، والثانى أنشأته امرأة يقال لها الست حدق دادة السلطان الناصر عند قنطرة السباع . وفى شعبان سافر القاضى شهاب الدين أحمد بن شرف بن منصور النائب فى الحكم بدمشق إلى قضاء طرابلس ، وناب بعده الشيخ شهاب الدين أحمد بن النقيب البعلبكى . وفيه خلع على عز الدين بن جماعة بوكالة بيت المال بمصر ، وعلى ضياء الدين ابن خطيب بيت الأبار بالحسبة بالقاهرة ، مع ما بيده من نظر الأوقاف وغيره . وفيه أمر الأمير ناظر القدس بطبلخاناه ثم عاد إلى القدس .

وفى عاشر رمضان قدمت من مصر مقدمتان ألفان إلى دمشق سائرة إلى بلاد سيس ، وفيهم علاء الدين ، فاجتمع به أهل العلم وهو من أفاضل الحنفية ، وله مصنفات فى الحديث وغيره .

وخرج الركب الشامى يوم الاثنين عاشر شوال وأميره بهادر قبجق ، وقاضيه محيي الدين الطرابلسى مدرس الحمصية ، وفى الركب تقى الدين شيخ الشيوخ وعماد الدين ابن الشيرازى ، ونجم الدين الطرسوسى ، وجمال الدين المرداوى ، وصاحبه شمس الدين ابن مفلح ، والصدر المالكى

والشرف ابن القيسرانى ، والشيخ خالد المقيم عند دار الطعم ، وجمال الدين بن الشهاب محمود .

وفى ذى القعدة وصلت الأخبار بأن الجيش تسلموا من بلاد سيس سبع قلاع ، وحصل لهم خير كثير ولله الحمد ، وفرح المسلمون بذلك . وفيه كانت وقعة هائلة بين التتار انتصر فيها الشيخ وذووه . وفيها نفى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليفة وأهله وذويه ، وكانوا قريبا من مائة نفس إلى بلاد قوص ، ورتب لهم هناك ما يقوم بمصالحهم ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ علاء الدين بن غانم ﴾

أبو الحسن على بن محمد بن سليمان بن حمائل بن على المقدسى (١) أحد الكبار المشهورين بالفضائل وحسن الترسل ، وكثرة الأدب والأشعار والمروءة التامة ، مولده سنة إحدى وخمسين وستمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وحفظ القرآن والتنبيه ، وباشر الجهات ، وقصده الناس فى الامور المهمات وكان كثير الاحسان إلى الخاص والعام . توفى مرجعه من الحج فى منزلة تبوك يوم الخميس ثالث عشر المحرم ، ودفن هناك رحمه الله ، ثم تبعه أخوه شهاب الدين أحمد فى شهر رمضان ، وكان أصغر منه سنا بسنة ، وكان فاضلا أيضا بارعا كثير الدعابة .

﴿ الشرف محمود الحريرى ﴾

المؤذن بالجامع الأموى ، بنى حماما بالنيرب ، ومات فى آخر المحرم .

﴿ الشيخ الصالح العابد ﴾

ناصر الدين بن الشيخ إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد بن مالك الجعبرى ثم المصرى ، ولد سنة خمسين وستمائة بقلعة جعبر ، وسمع صحيح مسلم وغيره ، وكان يتكلم على الناس ويعظهم ويستحضر أشياء كثيرة من التفسير وغيره ، وكان فيه صلاح وعبادة ، توفى فى الرابع والعشرين من المحرم ، ودفن بزاويتهم عند والده خارج باب النصر .

﴿ الشيخ شهاب الدين عبد الحق الحنفى ﴾

أحمد بن على بن أحمد بن على بن يوسف بن قاضى الحنفيين ويعرف بابن عبد الحق الحنفى ، شيخ المذهب ومدرس الحنفية وغيرها ، وكان بارعا فاضلا دينا ، توفى فى ربيع الأول .

﴿ الشيخ عماد الدين ﴾

إبراهيم بن على بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسى النابلسى الحنبلى الامام العالم العابد شيخ الحنابلة بها وفقيههم من مدة طويلة ، توفى فى ربيع الاول .

﴿ الشيخ الامام العابد الناسك ﴾

محب الدين عبد الله بن أحمد بن المحب عبد الله بن أحمد بن أبى بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد بن

---

(١) فى شذرات الذهب . « المنشى » .

عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسى الحنبلى ، سمع الكثير وقرأ بنفسه ، وكتب الطباق وانتفع الناس به ، وكانت له مجالس وعظ من الكتاب والسنة فى الجامع الأموى وغيره ، وله صوت طيب بالقراءة جداً ، وعليه روح وسكينة ووقار ، وكانت مواعيده مفيدة ينتفع بها الناس ، وكان شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية يحبه و يحب قراءته ، توفى يوم الاثنين سابع ربيع الأول ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن بقاسيون وشهد الناس له بخير ، رحمه الله تعالى ، و بلغ خمسا وخمسين سنة .

﴿ المحدث البارع المحصل المفيد المخرج المجيد ﴾

ناصر الدين محمد بن طغربل بن عبد الله الصيرفى أبوه ، الخوارزمى الأصل ، سمع الكثير وقرأ بنفسه ، وكان سريع القراءة ، وقرأ الكتب الكبار والصغار ، وجمع وخرج شيئا كثيراً ، وكان بارعا فى هذا الشأن ، رحل فأدركته منيته بحماة يوم السبت ثانى ربيع الأول ، ودفن من الغد بمقابر طيبة رحمه الله .

﴿ شيخنا الامام العالم العابد ﴾

شمس الدين أبو محمد عبد الله بن العفيف محمد بن الشيخ تقى الدين يوسف بن عبد المنعم بن نعمة المقدسى النابلسى الحنبلى ، إمام مسجد الحنابلة بها ، ولد سنة سبع وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير وكان كثير العبادة حسن الصوت ، عليه البهاء والوقار وحسن الشكل والسمت ، قرأت عليه عام ثلاث وثلاثين وسبعمائة مرجعنا من القدس كثيراً من الأجزاء والفوائد ، وهو والد صاحبنا الشيخ جمال الدين يوسف أحد مفتية الحنابلة وغيرهم ، والمشهورين بالخير والصلاح ، توفى يوم الخميس ثانى عشرين ربيع الآخر ودفن هناك رحمه الله .

﴿ الشيخ محمد بن عبد الله بن المجد ﴾

إبراهيم المرشدى المقيم بمنية مرشد ، يقصده الناس للزيارة ، و يضيف الناس على حسب مراتبهم و ينفق نفقات كثيرة جداً ، ولم يكن يأخذ من أحد شيئا فيما يبدو للناس ، والله أعلم بحاله ، وأصله من قرية دهروط ، وأقام بالقاهرة مدة واشتغل بها ، و يقال إنه قرأ التنبيه فى الفقه ، ثم انقطع بمنية مرشد واشتهر أمره فى الناس وحج مرات ، وكان إذا دخل القاهرة يزدحم عليه الناس ، ثم كانت وفاته يوم الخميس ثامن رمضان ودفن بزاويته ، وصلى عليه بالقاهرة ودمشق وغيرها .

﴿ الأمير أسد الدين ﴾

عبد القادر بن المغيث عبد العزيز بن الملك المعظم عيسى بن العادل ، ولد سنة ثنتين وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير وأسمع ، وكان يأتى كل سنة من مصر إلى دمشق و يكرم أهل الحديث ، ولم يبق من بعده من بنى أيوب أعلا سنا منه ، توفى بالرملة فى سلخ رمضان رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح الفاضل ﴾

حسن بن إبراهيم بن حسن الحاكى الحكرى إمام مسجد هناك ، ومذكر الناس فى كل جمعة ،

ولديه فضائل ، وفى كلامه نفع كثير إلى أن توفى فى العشرين من شوال ، ولم ير الناس مثل جنازته بديار مصر رحمه الله تعالى . ﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت بيوم الأربعاء والخليفة المستكفى منفى ببلاد قوص ، ومعه أهله وذووه ، ومن يلوذ به ، وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن الملك المنصور ، ولا نائب بديار مصر ولا وزير ، ونائبه بدمشق تنكز ، وقضاة البلاد ونوابها ومباشروها هم المذكورون فى التى قبلها . وفى ثالث ربيع الأول رسم السلطان بتسفير على ومحمد ابنى داود بن سليمان بن داود بن العاضد آخر خلفاء الفاطميين إلى الفيوم يقيمون به . وفى يوم الجمعة ثانى عشر ربيع الآخر عزل القاضى علم الدين بن القطب عن كتابة السر وضرب وصودر ، ونكب بسببه القاضى فخر الدين المصرى ، وعزل عن مدرسته الدولعية وأخذها ابن جملة ، والعادلية الصغيرة باشرها ابن النقيب ، ورسم عليه بالعذراوية مائة يوم ، وأخذ شىء من ماله.

وفى ليلة الأحد ثالث عشرين ربيع الأول بعد المغرب هبت ريح شديدة بمصر وأعقبها رعد وبرق وبرد بقدر الجوز ، وهذا شىء لم يشاهدوا مثله من أعصار متطاولة بتلك البلاد . وفى عاشر جمادى الأولى استهل الغيث بمكة من أول الليل ، فلما انتصف الليل جاء سيل عظيم هائل لم ير مثله من دهر طويل ، فخرب دورا كثيرة نحواً من ثلاثين أو أكثر ، وغرق جماعة وكسر أبواب المسجد ، ودخل الكعبة وارتفع فيها نحواً من ذراع أو أكثر ، وجرى أمر عظيم حكاه الشيخ عفيف الدين الطبرى . وفى سابع عشرين من جمادى الأولى عزل القاضى جلال الدين عن قضاء مصر ، واتفق وصول خبر موت قاضى الشام ابن المجد بعد أن عزل بيسير ، فولاه السلطان قضاء الشام فسار إليها راجعا عوداً على بدء ، ثم عزل السلطان برهان الدين بن عبد الحق قاضى الحنفية ، وعزل قاضى الحنابلة تقى الدين ، ورسم على ولده صدر الدين بأداء ديون الناس إليهم ، وكانت قريبا من ثلثمائة ألف ، فلما كان يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الآخرة بعد سفر جلال الدين بخمسة أيام طلب السلطان أعيان الفقهاء إلى بين يديه فسألهم عن من يصلح للقضاء بمصر فوقع الاختيار على القاضى عز الدين ابن جماعة ، فولاه فى الساعة الراهنة ، وولى قضاء الحنفية لحسام الدين حسن بن محمد الغورى قاضى بغداد ، وخرجا من بين يديه إلى المدرسة الصالحية ، وعليهما الخلع ، ونزل عز الدين بن جماعة عن دار الحديث الكاملية لصاحبه الشيخ عماد الدين الدمياطى ، فدرس فيها وأورد حديث « إنما الاعمال بالنيات » . بسنده ، وتكلم عليه . وعزل أكثر نواب الحكم واستمر بعضهم ، واستمر بالمنادى الذى أشار بتوليته . ولما كان يوم خامس عشرين منه ولى قضاء الحنابلة الامام العالم موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسى عوضا عن المعزول ، ولم يبق من القضاة سوى الاخنائى المالكى .

وفى رمضان فتحت الصبابية التى أنشأها شمس الدين بن تقى الدين ابن الصباب التاجر دار قرآن ودار حديث ، وقد كانت خربة شنيعة قبل ذلك . وفى رمضان باشر علاء الدين على ابن القاضى محيي الدين بن فضل الله كتابة السر بمصر بعد وفاة أبيه كما سيأتى ترجمته ، وخلع عليه وعلى أخيه بدر الدين ، ورسم لهما أن يحضرا مجلس السلطان ، وذهب أخوه شهاب الدين إلى الحج .

وفى هذا الشهر سقط بالجانب الغربى من مصر بردكا لبيض وكالرمان ، فأتلف شيئا كثيراً ، ذكر ذلك البرزالى ونقله من كتاب الشهاب الدمياطى . وفى ثالث عشرين رمضان درس بالقبة المنصورية بمشيخة الحديث شهاب الدين المسجدى عوضا عن زين الدين الكنانى توفى ، فأورد حديثا من مسند الشافعى بروايته عن الجاولى بسنده ، ثم صرف عنها بالحجة بالشيخ أثيرالدين أبى حيان ، فساق حديثا عن شيخه ابن الزبير ودعا للسلطان وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكان مجلساً حافلا . وفى ذى القعدة حضر تدريس الشامية البرانية قاضى القضاة شمس الدين ابن النقيب عوضاً عن القاضى جمال الدين ابن جملة توفى ، وحضر خلق كثير من الفقهاء والأعيان ، وكان مجلسا حافلا . وفى ثانى ذى الحجة درس بالعادلية الصغيرة تاج الدين عبد الرحيم ابن قاضى القضاة جلال الدين القزوينى عوضا عن الشيخ شمس الدين بن النقيب بحكم ولايته الشامية البرانية ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفى هذا الشهر درس القاضى صدر الدين بن القاضى جلال الدين بالاتابكية ، وأخوه الخطيب بدر الدين بالغزالية والعادلية نيابة عن أبيه . انتهى والله أعلم .

وممن توفى فيها من الأعيان :

﴿ الأمير الكبير بدر الدين محمد بن فخر الدين عيسى ابن التركمانى ﴾

بانى جامع المقياس بديار مصر فى أيام وزارته بها ، ثم عزل أميرا إلى الشام ، ثم رجع إلى مصر إلى أن توفى بها فى خامس ربيع الآخر ، وتوفى بالحسينية ، وكان مشكورا رحمه الله ، انتهى .

﴿ قاضى القضاة شهاب الدين ﴾

محمد بن المجد بن عبد الله بن الحسين بن على الرازى الاربلى الأصل ، ثم الدمشقى الشافعى ، قاضى الشافعية بدمشق ، ولد سنة ثنتين وستين وستمائة ، واشتغل وبرع وحصل وأفتى سنة ثلاث وتسعين ، ودرس بالاقبالية ثم الرواحية وتربة أم الصالح ، وولى وكالة بيت المال ، ثم صارقاضى قضاة الشام إلى أن توفى بمستهل جمادى الأولى بالمدرسة العادلية ، ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام العالم ﴾

زين الدين محمد بن عبد الله ابن الشيخ زين الدين عمر بن مكى بن عبد الصمد بن المرحل مدرس الشامية البرانية والعذراوية بدمشق ، وكان قبل ذلك بمشهد الحسين ، وكان فاضلا بارعا فقيها

أصوليا مناظرا ، حسن الشكل طيب الأخلاق ، دينا صينا ، وناب فى وقت بدمشق عن علم الدين الأخنائى فحمدت سيرته ، وكانت وفاته ليلة الأربعاء تاسع عشر رجب ، ودفن من الغد عند مسجد الديان فى تربة لهم هناك ، وحضر جنازته القاضى جلال الدين ، وكان قد قدم من الديار المصرية له يومان فقط ، وقدم بعده القاضى برهان الدين عبد الحق بخمسة أيام ، هو وأهله وأولاده أيضا ، وباشر بعده تدريس الشامية البرانية قاضى القضاة جمال الدين ابن جملة ، ثم كانت وفاته بعده بشهور ، وذلك يوم الخميس رابع عشر ذى القعدة . وهذه ترجمته فى تاريخ الشيخ علم الدين البرزالى :

﴿ الشيخ الامام العالم قاضى القضاة ﴾

جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن إبراهيم بن جملة بن مسلم بن همام بن حسين بن يوسف الصالحى الشافعى المحجى والده ، بالمدرسة السرورية وصلى عليه عقيب الظهر يوم الخميس رابع عشر ذى الحجة ، ودفن بسفح قاسيون ، ومولده فى أوائل سنة ثنتين وثمانين وستمائة ، وسمع من ابن البخارى وغيره ، وحدث وكان رجلا فاضلا فى فنون ، اشتغل وحصل وأفتى وأعاد ودرس ، وله فضائل جمة ومباحث وفوائد وهمة عالية وحرمة وافرة ، وفيه تودد وإحسان وقضاء للحقوق ، وولى القضاء بدمشق نيابة واستقلالا ، ودرس بمدارس كبار ، ومات وهو مدرس الشامية البرانية ، وحضر جنازته خلق كثير من الأعيان رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام قاضى القضاة ﴾

شرف الدين أبو القاسم هبة الله ابن قاضى القضاة نجم الدين عبد الرحيم بن القاضى شمس الدين أبى الطاهر إبراهيم بن هبة الله بن مسلم بن هبة الله الجهينى الحموى ، المعروف بابن البارزى قاضى القضاة بحماة ، صاحب التصانيف الكثيرة المفيدة فى الفنون العديدة ، ولد فى خامس رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير وحصل فنونا كثيرة ، وصنف كتبا جما كثيرة ، وكان حسن الأخلاق كثير المحاضرة حسن الاعتقاد فى الصالحين ، وكان معظما عند الناس ، وأذن لجماعة من البلد فى الافتاء ، وعمى فى آخر عمره وهو يحكم مع ذلك مدة ، ثم نزل عن المنصب لحفيده نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم ، وهو فى ذلك لايقطع نظره عن المنصب ، وكانت وفاته ليلة الأربعاء العشرين من ذى القعدة بعد أن صلى العشاء والوتر ، فلم تفته فريضة ولا نافلة ، وصلى عليه من الغد ودفن بعقبة نقيرين ، وله من العمر ثلاث وتسعون سنة .

﴿ الشيخ الامام العالم ﴾

شهاب الدين أحمد بن البرهان شيخ الحنفية بحلب ، شارح الجامع الكبير ، وكان رجلا صالحا منقطعا عن الناس ، وانتفع الناس به ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الثامن والعشرين من رجب ، وكانت

له معرفة بالعربية والقراءات ، ومشاركات فى علوم أخر رحمه الله ، والله أعلم .

﴿ القاضى محيي الدين بن فضل الله كاتب السر ﴾

هو أبو المعالى يحيى بن فضل الله بن المحلى بن دعجان بن خلف العدوى العمرى ، ولد فى حادى عشر شوال سنة خمس وأربعين وستمائة بالكرك ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكان صدرا كبيرا معظما فى الدولة فى حياة أخيه شرف الدين و بعده ، وكتب السر بالشام و بالديار المصرية ، وكانت وفاته ليلة الأربعاء تاسع رمضان بديار مصر ، ودفن من الغد بالقرافة وتولى المنصب بعده ولده علاء الدين ، وهو أصغر أولاده الثلاثة المعينين لهذا المنصب .

﴿ الشيخ الامام العلامة ﴾

زين الدين ابن الكتانى ، شيخ الشافعية بديار مصر ، وهو أبو حفص عمر بن أبى الحزم بن عبد الرحمن بن يونس الدمشقى الأصل ، ولدبالقاهرةفىحدودسنةثلاث خمسين وستمائة، واشتغل بدمشق ثم رحل إلى مصر واستوطنها وتولى بها بعض الأقضية بالحكر ، ثم ناب عن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد فحمدت سيرته ، ودرس بمدارس كبار ، ولى مشيخة دار الحديث بالقبة المنصورية ، وكان بارعا فاضلا ، عنده فوائد كثيرة جدا ، غير أنه كان سىء الأخلاق منقبضا عن الناس ، لم يتزوج قط ، وكان حسن الشكل بهى المنظر ، يأكل الطيبات و يلبس اللين من الثياب ، وله فوائد وفرائدوزوائد على الروضة وغيرها ، وكان فيه استهتار لبعض العلماء فالله يسامحه ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء المنتصف من رمضان ، ودفن بالقرافة رحمه الله انتهى.

﴿ الشيخ الامام العلامة ﴾

ركن الدين بن القويع ، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبدالجليل الوسى الهاشمى الجعفرى التونسى المالكى ، المعروف بابن القويع ، كان من أعيان الفضلاء وسادة الأذكياء ، ممن جمع الفنون الكثيرة والعلوم الأخروية الدينية الشرعية الطيبة ، وكان مدرسا بالمنكودمرية ، وله وظيفة فى المارستان المنصورى ، وبها توفى فى بكرة السابع عشر من ذى الحجة ، وترك مالا وأثاثا ورثه بيت المال *

وهذا آخر ما أرخه شيخنا الحافظ علم الدين البرزالى فى كتابه الذى ذيل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبى شامة المقدسى ، وقد ذيلت على تاريخه إلى زماننا هذا ، وكان فراغى من الانتقاء من تاريخه فى يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، أحسن الله خاتمتها آمين . وإلى هنا انتهى ما كتبته من لدن خلق آدم إلى زماننا هذا ولله الحمد والمنة . وما أحسن ما قال الحريرى :

و إن تجد عيبا فسد الخللا * فجل من لا عيب فيه وعلا

كتبه إسماعيل بن كثير بن صنو القرشي الشافعي عفا الله تعالى عنه آمين . (١)

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت وسلطان الاسلام والمسلمين بالديار المصرية وما والاها والديار الشامية وما والاها والحرمين الشريفين الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، ولا نائب له ولا وزير أيضا بمصر ، وقضاة مصر ، أما الشافعي فقاضي القضاة عز الدين ابن قاضي القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة ، وأما الحنفي فقاضي القضاة حسام الدين الغوري ، حسن بن محمد ، وأما المالكي فتقي الدين الأخنائي ، وأما الحنبلي فموفق الدين بن نجا المقدسي ، ونائب الشام الأمير سيف الدين تنكز وقضاته جلال الدين القزويني الشافعي المعزول عن الديار المصرية ، والحنفي عماد الدين الطرسوسي ، والمالكي شرف الدين الهمداني ، والحنبلي علاء الدين بن المنجا التنوخي .

ومما حدث في هذه السنة إكمال دار الحديث السكرية وباشر مشيخة الحديث بها الشيخ الامام الحافظ مؤرخ الاسلام محمد بن شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، وقرر فيها ثلاثون محدثا لكل منهم جراية وجامكية كل شهر سبعة دراهم ونصف رطل خبز ، وقرر للشيخ ثلاثون ورطل خبز ، وقرر فيها ثلاثون نفراً يقرؤن القرآن لكل عشرة شيخ ، ولكل واحد من القراء نظير ما للمحدثين ، ورتب لها إمام وقارئ حديث ونواب ، ولقارئ الحديث عشرون درهما وثمان أواق خبز ، وجاءت في غاية الحسن في شكالاتها وبنائها ، وهي تجاه دار الذهب التي أنشأها الواقف الأمير تنكز ، ووقف عليها عدة أماكن : منها سوق القشاشيين بباب الفرج ، طوله عشرون ذراعا شرقا وغربا ، سماه في كتاب الوقف ، وبندر زيدين ، ، وحمام بحمص وهو الحمام القديم ، ووقف عليها حصصا في قرايا أخر ، ولكنه تغلب على ماعدا القشاشيين ، وبندر زيدين ، وحمام حمص .

وفيها قدم القاضي تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي من الديار المصرية حاكما على دمشق وأعمالها ، وفرح الناس به ، ودخل الناس يسلمون عليه لعلمه وديانته وأمانته ، ونزل بالعادلية الكبيرة على عادة من تقدمه ، ودرس بالغزالية والاتابكية ، واستناب ابن عمه القاضي بهاء الدين أبو البقاء ، ثم استناب ابن عمه أبا الفتح ، وكانت ولايته الشام بعد وفاة قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحيم القزويني الشافعي ، على ما سيأتي بيانه في الوفيات من هذه السنة .

وممن توفي فيها من الأعيان في المحرم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

﴿ العلامة قاضي القضاة فخر الدين ﴾

عثمان بن الزين علي بن عثمان الحلبي ، ابن خطيب جسرين الشافعي ، ولي قضاء حلب وكان

---

(١) كذا بسائر الأصول .

إماما صنف شرح مختصر ابن الحاجب فى الفقه ، وشرح البديع لابن الساعاتى ، وله فوائد غزيرة ومصنفات جليلة ، تولى حلب بعد عزل الشيخ ابن النقيب ، ثم طلبه السلطان فمات هو وولده الكمال وله بضع وسبعون سنة . وممن توفى فيها

﴿ قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ﴾

القزوينى الشافعى ، قدم هو وأخوه أيام التتر من بلادهم إلى دمشق ، وهما فاضلان ، بعد التسعين وستمائة فدرس إمام الدين فى تربة أم الصالح وأعاد جلال الدين بالبادرائية عند الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين شيخ الشافعية ، ثم تقلبت بهم الأحوال إلى أن ولى إمام الدين قضاء الشافعية بدمشق ، انتزع له من يد القاضى بدر الدين ابن جماعة ، ثم هرب سنة قازان إلى الديار المصرية مع الناس فمات هنالك ، وأعيد ابن جماعة إلى القضاء ، وخلت خطابة البلد سنة ثلاث وسبعمائة ، فوليها جلال الدين المذكور ، ثم ولى القضاء بدمشق سنة خمس وعشرين مع الخطابة ، ثم انتقل إلى الديار المصرية سنة سبع وعشرين بعد أن عجز قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة بسبب الضرر فى عينيه فلما كان فى سنة ثمان وثلاثين تعصب عليه السلطان الملك الناصر بسبب أمور يطول شرحها ، ونفاه إلى الشام ، واتفق موت قاضى القضاة شهاب الدين بن المجد عبد الله كما تقدم ، فولاه السلطان قضاء الشام عوداً على بدء ، فاستناب ولده بدر الدين على نيابة القضاء الذى هو خطيب دمشق ، كانت وفاته فى أواخر هذه السنة ، ودفن بالصوفية ، وكانت له يد طولى فى المعانى والبيان ، ويفتى كثيرا ، وله مصنفات فى المعانى مصنف مشهور [اسمه التلخيص] اختصر فيه المفتاح للسكاكى ، وكان مجموع الفضائل ، مات وكان عمره قريباً من السبعين أو جاوزها . وممن توفى فيها رابع الحجة يوم الأحد :

﴿ الشيخ الامام العالم الحافظ ﴾

علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن البرزالى مؤرخ الشام الشافعى ، ولد سنة وفاة الشيخ ابن أبى شامة سنة خمس وستين وستمائة ، وقد كتب تاريخاً ذيل به على الشيخ شهاب الدين ، من حين وفاته ومولد البرزالى إلى أن توفى فى هذه السنة ، وهو محرم ، فغسل وكفن ولم يستر رأسه ، وحمله الناس على نعشه وهم يبكون حوله ، وكان يوماً مشهودا ، وسمع الكثير أزيد من ألف شيخ ، وخرج له المحدث شمس الدين ابن سعد مشيخة لم يكملها ، وقرأ شيئا كثيراً ، وأسمع شيئا كثيرا ، وكان له خط حسن ، وخلق حسن ، وهو مشكور عند القضاة ومشايخه أهل العلم ، سمعت العلامة ابن تيمية يقول : نقل البرزالى نقر فى حجر . وكان أصحابه من كل الطوائف يحبونه ويكرمونه ، وكان له أولاد ماتوا قبله ، وكتبت ابنته فاطمة البخارى فى ثلاثة عشر مجلدا فقابله لها ، وكان يقرأ فيه على الحافظ المزى تحت القبة ، حتى صارت نسختها أصلا معتمدا يكتب منها الناس ، وكان شيخ حديث بالنورية

وفيها وقف كتبه بدار الحديث السنية ، و بدار الحديث القوصية و فى الجامع وغيره وعلى كراسى الحديث ، وكان متواضعا محببا إلى الناس ، متوددا إليهم ، توفى عن أربع وسبعين سنة رحمه الله .

﴿ المؤرخ شمس الدين ﴾

محمد بن إبراهيم الجوزى ، جمع تاريخا حافلا ، كتب فيـه أشياء يستفيد منهـا الحافظ كالمزى والذهبي والبرزالى يكتبون عنه و يعتمدون على نقله ، وكان شيخا قد جاوز الثمانين ، ، وثقـل سمعه وضعف خطه ، وهو والد الشيخ ناصر الدين محمد وأخوه مجد الدين .

﴿ ثم دخلت سنة أربعين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان المسلمين الملك الناصر ، و ولاته وقضاته المـذكورن فى التى قبلها إلا الشافعى بالشام فتوفى القزوينى وتولى العلامة السبكى . ومما وقع من الحوادث العظيمة الهائلة أن جماعة من رؤس النصارى اجتمعوا فى كنيستهم وجمعوا من بينهم مالا جزيلا فدفعوه إلى راهبين قدما عليهما من بلاد الروم ، يحسنان صنعة النفط ، اسم أحدهما ملانى والآخر عازر ، فعملا كحطا من نفط ، وتلطفا حتى عمـلاه لا يظهر تأثيره إلا بعـد أربع ساعات وأكثر من ذلك ، فوضعا فى شقوق دكاكين التجار فى سوق الرجال عند الدهشة فى عدة دكاكين من آخر النهار ، بحيث لا يشعر أحد بهما ، وهما فى زى المسلمين ، فلما كان فى أثناء الليل لم يشعر الناس إلا والنار قد عملت فى تلك الدكاكين حتى تعلقت فى درابزينات المأذنة الشرقيـة المتجهة للسوق المذكور ، وأحرقت الدرابزينات ، وجاء نائب السلطنة تنكز والأمراء أمراء الألوف ، وصعدوا المنارة وهى تشعل ناراً ، واحترسوا عن الجامع فلم ينله شئ من الحريق ولله الحمد والمنة ، وأما المأذنة فانهـا تفجرت أحجارها واحترقت السقالات التى تدل السلالم فهدمت وأعيد بناؤها بحجارة جدد ، وهى المنارة الشرقية التى جاء فى الحديث أنه ينزل عليها عيسى ابن مريم كما سيأتى الكلام عليه فى نزول عيسى عليه السلام والبلد محاصر بالدجال .

والمقصود أن النصارى بعد ليال عمدوا إلى ناحية الجـامع من المغرب إلى القيسارية بكمالها ، و بما فيها من الأقواس والعدد ، فانا لله و إنا إليه راجعون ، وتطاير شرر النار إلى ما حول القيسارية من الدور والمساكن والمدارس ، واحترق جانب من المدرسة الأمينية إلى جانب المدرسة المذكورة وما كان مقصودهم الا وصول النار إلى معبد المسلمين ، فحال الله بينهم و بين ما يرومون ، وجاء نائب السلطنة والامراء وحالوا بين الحريق والمسجد ، جزاهم الله خيراً . ولما تحقق نائب السلطنة أن هذا من فعلهم أمر بمسك رؤس النصارى فأمسك منهم نحوا من ستين رجلا ، فأخذوا بالمصادرات والضرب والعقوبات وأنواع المثلات ، ثم بعد ذلك صلب منهم أزيد من عشرة عـلى الجمال ، وطاف بهم فى أرجاء البلاد وجعلوا يتماوتون واحدا بعد واحد ، ثم أحرقوا بالنار حتى صاروا رماداً لعنهم الله ، انتهى

والله أعلم .

﴿ سبب مسك تنكز ﴾

لما كان يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذى الحجة جاء الأمير طشتمر من صغد مسرعا وركب جيش دمشق ملبساً ، ودخل نائب السلطنة من قصره مسرعا إلى دار السعادة ، وجاء الجيش فوقفوا على باب النصر ، وكان أراد أن يلبس ويقابل فعذلوه فى ذلك ، وقالوا : المصلحة الخروج إلى السلطان سامعا مطيعا ، فخرج بلا سلاح ، فلما برز إلى ظاهر البلد التف عليه الفخرى وغيره ، وأخذوه وذهبوا به إلى ناحية الكسوة ، فلما كان عند قبة يلبغا نزلوا وقيدوه وخصاياه من قصره ، ثم ركب البريد وهو مقيد وساروا به إلى السلطان ، فلما وصل أمر بمسيره إلى الاسكندرية ، وسألوا عن ودائعه فأقر ببعض ، ثم عوقب حتى أقر بالباقى ، ثم قتلوه ودفنوه بالاسكندرية ، ثم نقلوه إلى تربته بدمشق رحمه الله ، وقد جاوز الستين ، وكان عادلا مهيباً عفيف الفرج واليد ، والناس فى أيامه فى غاية الرخص والأمن والصيانة فرحمه الله ، وبل بالرحمة ثراه .

وله أوقاف كثيرة من ذلك مرستان بصغد ، وجامع بنابلس وعجلون ، وجامع بدمشق ، ودار حديث بالقدس ودمشق ، ومدرسة وخانقاه بالقدس ، ورباط وسوق موقوف على المسجد الأقصى ، وفتح شبا كا فى المسجد . انتهى والله تعالى أعلم .

وممن توفى فيها من الأعيان : ﴿ أمير المؤمنين المستكفى بالله ﴾

أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله بن العباس أحمد بن أبى على الحسن بن أبى بكر بن على ابن أمير المؤمنين المسترشد بالله الهاشمى العباسى ، البغدادى الأصل والمولد ، مولده سنة ثلاث وثمانين وستمائة أو فى التى قبلها ، وقرأ واشتغل قليلا ، وعهد إليه أبوه بالأمر وخطب له عند وفاة والده سنة إحدى وسبعمائة ، وفوض جميع ما يتعلق به من الحل والعقد إلى السلطان الملك الناصر ، وسار إلى غزو التتر فشهد مصاف شقحب ، ودخل دمشق فى شعبان سنة اثنتين وسبعمائة وهو راكب مع السلطان ، وجميع كبراء الجيش مشاة ، ولما أعرض السلطان عن الأمر وانعزل بالكرك التمس الأمراء من المستكفى أن يسلطن من ينهض بالملك ، فقلد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وعقد له اللواء وألبسه خلعة السلطنة ، ثم عاد الناصر إلى مصر وعذر الخليفة فى فعله ، ثم غضب عليه وسيره إلى قوص فتوفى فى هذه السنة فى قوص فى مستهل شعبان .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ﴾

استهلت يوم الأربعاء وسلطان المسلمين الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وقضاته بمصر هم المذكورون فى التى قبلها ، وليس فى دمشق نائب سلطنة ، وإنما الذى يسد الأمور الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحمص الأخضر ، الذى جاء بالقبض على الأمير سيف الدين تنكز ،

ثم جاء المرسوم بالرجوع إلى صفد فركب من آخر النهار وتوجه إلى بلده ، وحواصل الأمير تنكز تحت الحوطة كما هي .

وفى صبيحة يوم السبت رابع المحرم من السنة المذكورة قدم من الديار المصرية خمسة أمراء الأمير سيف الدين بشتك الناصرى ومعه برصبغا الحاجب ، وطاشار الدويدار و بنعراو بطا ، فنزل بشتاك بالقصر الأبلق والميادين ، وليس معه من مماليكه إلا القليل ، و إنما جاء لتجديد البيعة إلى السلطان لما توهموا من ممالأة بعض الأمراء لنائب الشام المنفصل ، وللحوطة على حواصل الأمير سيف الدين تنكز المنفصل عن نيابة الشام وتجهيزها للديار المصرية . و فى صبيحة يوم الاثنين سادسه دخل الأمير علاء الدين الطنبغا إلى دمشق نائباً ، وتلقاه الناس و بشتك والأمراء المصريون ، ونزلوا إلى عتبته فقبلوا العتبة الشريفة ، و رجعوا معه إلى دار السعادة ، وقرئ تقليده . وفى يوم الاثنين ثالث عشره مسك من الأمراء المقدمين أميران كبيران الجى بغا العادلى ، وطنبغا الحجى ، و رفعا إلى القلعة المنصورة واحتيط على حواصلهما . وفى يوم الثلاثاء تحملوا بيت ملك الأمراء سيف الدين تنكز وأهله وأولاده إلى الديار المصرية . وفى يوم الأربعاء خامس عشره ركب نائب السلطنة الأمير علاء الدين طنبغا ومعه الأمير سيف الدين بشتك الناصرى والحاجة رقطية وسيف الدين قطلو بغا الفخرى وجماعة من الأمراء المقدمين واجتمعوا بسوق الخيل واستدعوا بمملوكى الأمير سيف الدين تنكز وهما جغاى وطغاى . فأمر بتوسيطهما فوسطا وعلقا على الخشب ونودى عليهما : هذا جزاء من تجاسر على السلطان الناصر .

وفى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من هذا الشهر كانت وفاة الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام بقلعة اسكندرية ، قيل مخنوقا وقيل مسموماً وهو الأصح ، وقيل غير ذلك ، وتأسف الناس عليه كثيراً ، وطال حزنهم عليه ، وفى كل وقت يتذكرون ما كان منه من الهيبة والصيانة والغيرة على حريم المسلمين ومحارم الاسلام ، ومن إقامته على ذوى الحاجات وغيرهم ، و يشتد تأسفهم عليه رحمه الله . وقد أخبر القاضى أمين الدين ابن القلانسى رحمه الله شيخنا الحافظ العلامة عماد الدين ابن كثير رحمه الله أن الأمير سيف الدين تنكز مسك يوم الثلاثاء ودخل مصر يوم الثلاثاء ودخل الاسكندرية يوم الثلاثاء وتوفى يوم الثلاثاء وصلى عليه بالاسكندرية ودفن بمقبرتها فى الثالث والعشرين من المحرم بالقرب من قبر القبارى ، وكانت له جنازة جيدة .

وفى يوم الخميس سابع شهر صفر قدم الأمير سيف الدين طشتمر الذى مسك تنكز إلى دمشق فنزل بوطأة برزة بجيشه ومن معه ثم توجه إلى حلب المحروسة نائبا بها عوضاً عن الطنبغا المنفصل عنها وفى صبيحة يوم الخميس ثالث عشر ربيع الأول نودى فى البلد بجنازة الشيخ الصالح العابد

الناسك القدوة الشيخ محمد بن تمام توفى بالصالحية ، فذهب الناس إلى جنازته إلى الجامع المظفرى ، واجتمع الناس على صلاة الظهر فضاق الجامع المذكور عن أن يسعهم ، وصلى الناس فى الطرقات وأرجاء الصالحية ، وكان الجمع كثيرا جدا لم يشهد الناس جنازة بعد جنازة الشيخ تقى الدين بن تيمية مثلها ، لكثرة من حضرها من الناس رجالا ونساء ، وفيهم القضاة والأعيان والأمراء وجمهور الناس يقاربون عشرين ألفا ، وانتظر الناس نائب السلطنة فاشتغل بكتاب ورد عليه من الديار المصرية ، فصلى عليه الشيخ بعد صلاة الظهر بالجامع المظفرى ، ودفن عند أخيه فى تربة بين تربة الموفق و بين تربة الشيخ أبى عمر رحمهم الله و إيانا .

وفى أول شهر جمادى الأولى توفيت الشيخة العابدة الصالحة العالمة قارئة القرآن أم فاطمة عائشة بنت إبراهيم بن صديق زوجة شيخنا الحافظ جمال الدين المزى عشية يوم الثلاثاء مستهل هذا الشهر وصلى عليها بالجامع صبيحة يوم الأربعاء ودفنت بمقابر الصوفية غربى قبر الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمهم الله . كانت عديمة النظير فى نساء زمانها لكثرة عبادتها وتلاوتها و إقرائها القرآن العظيم بفصاحة و بلاغة وأداء صحيح ، يعجز كثير من الرجال عن تجويده ، وختمت نساء كثيرا ، وقرأ عليها من النساء خلق وانتفعن بها و بصلاحها ودينها و زهدها فى الدنيا ، وتقللها منها ، مع طول العمر بلغت ثمانين سنة أنفقتها فى طاعة الله صلاة وتلاوة ، وكان الشيخ محسنا إليها مطيعا ، لا يكاد يخالفها لحبه لها طبعا وشرعا فرحمها الله وقدس روحها ، ونور مضجعها بالرحمة آمين .

وفى يوم الأربعاء الحادى والعشرين منه درس بمدرسة الشيخ أبى عمر بسفح قاسيون الشيخ الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادى المقدسى الحنبلى ، فى التدريس البكتمرى عوضا عن القاضى برهان الدين الزرعى ، وحضر عنده المقادسة وكبار الحنابلة ، ولم يتمكن أهل المدينة من الحضور لكثرة المطر والوحل يومئذ . وتكامل عمارة المنارة الشرقية فى الجامع الأموى فى العشر الأخير من رمضان ، واستحسن الناس بناءها و إتقانها ، وذكر بعضهم أنه لم يبن فى الاسلام منارة مثلها ولله الحمد . ووقع لكثير من الناس فى غالب ظنونهم أنها المنارة البيضاء الشرقية التى ذكرت فى حديث النواس بن سمعان فى نزول عيسى ابن مريم على المنارة البيضاء فى شرقى دمشق ، فلعل لفظ الحديث انقلب على بعض الرواة ، و إنما كان على المنارة الشرقية بدمشق ، وهذه المنارة مشهورة بالشرقية لمقابلتها أختها الغربية ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفى يوم الثلاثاء سلخ شهر شوال عقد مجلس فى دار العدل بدار السعادة وحضرته يومئذ واجتمع القضاة والأعيان على العادة وأحضر يومئذ عثمان الدكاكى قبحه الله تعالى ، وادعى عليه بعظائم من القول لم يؤثر مثلها عن الحلاج ولا عن ابن أبى الغدافر السلقمانى ، وقامت عليه البينة بدعوى الآلهية

لعنه الله ، وأشياء أخر من التنقيص بالأنبياء ومخالطته أرباب الريب من الباجر يقية وغيرهم من الاتحادية عليهم لعائن الله ، ووقع منه فى المجلس من إساءة الأدب على القاضى الحنبلى وتضمن ذلك تكفيره من المالكية أيضاً ، فادعى أن له دوافع وقوادح فى بعض الشهود ، فرد إلى السجن مقيداً مغلولا مقبوحاً ، أمكن الله منه بقوته وتأييده ، ثم لما كان يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من ذى القعدة أحضر عثمان الدكاكى المذكور إلى دار السعادة وأقيم إلى بين يدى الأمراء والقضاة وسئل عن القوادح فى الشهود فعجز فلم يقدر ، وعجز عن ذلك فتوجه عليه الحكم ، فسئل القاضى المالكى الحكم عليه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم حكم باراقة دمه و إن تاب ، فأخذ المذكور فضربت رقبته بدمشق بسوق الخيل ، ونودى عليه : هذا جزاء من يكون على مذهب الاتحادية ، وكان يوماً مشهوداً بدار السعادة ، حضر خلق من الأعيان والمشايخ ، وحضر شيخنا جمال الدين المزى الحافظ ، وشيخنا الحافظ شمس الدين الذهبى ، وتكلما وحرضا فى القضية جداً ، وشهدا بزندقة المذكور بالاستفاضة ، وكذا الشيخ زين الدين أخو الشيخ تقى الدين بن تيمية ، وخرج القضاة الثلاثة المالكى والحنفى والحنبلى ، وهم نفذوا حكمه فى المجلس فحضروا قتل المذكور وكنت مباشراً لجميع ذلك من أوله إلى آخره .

وفى يوم الجمعة الثامن والعشرين من ذى القعدة أفرج عن الأميرين العقيلين بالقلعة وهما طنبغا حجا والجبى بغا ، وكذلك أفرج عن خزاندارية تنكز الذين تأخروا بالقلعة ، وفرح الناس بذلك .

﴿ ذكر وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون ﴾

فى صبيحة يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذى الحجة قدم إلى دمشق الأمير سيف الدين قطلو بغا الفخرى فخرج نائب السلطنة وعامة الأمراء لتلقيه ، وكان قدومه على خيل البريد ، فأخبر بوفاة السلطان الملك الناصر ، كانت وفاته يوم الأربعاء آخره . وأنه صلى عليه ليلة الجمعة بعد العشاء ودفن مع أبيه الملك المنصور على ولده أنوك ، وكان قبل موته أخذ العهد لابنه سيف الدين أبى بكر ولقبه بالملك المنصور ، فلما دفن السلطان ليلة الجمعة حضره من الأمراء قليل ، وكان قد ولى عليه الأمير علم الدين الجاولى ، ورجل آخر منسوب إلى الصلاح يقال له الشيخ عمر بن محمد بن إبراهيم الجعبرى ، وشخص آخر من الجبابرية ، ودفن كما ذكرنا ، ولم يحضر ولده ولى عهده دفنه ، ولم يخرج من القلعة ليلتئذ عن مشورة الأمراء لئلا يتخبط الناس ، وصلى عليه القاضى عز الدين بن جماعة إماما ، والجاولى وايدغمش وأمير آخر والقاضى بهاء الدين بن حامد بن قاضى دمشق السبكى ، وجلس الملك المنصور سيف الدنيا والدين أبو المعالى أبو بكر على سرير المملكة .

وفى صبيحة يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، بايعه

الجيش المصرى ، وقدم الفخرى لأخذ البيعة من الشاميين . ... بالقصر الأبلق وبايع الناس للملك المنصور بن الناصر بن المنصور ، ودقت البشائر بالقلعة المنصورة بدمشق صبيحة يوم الخميس الثامن والعشرين منه ، وفرح الناس بالملك الجديد ، وترحموا على الملك ... وتأسفوا عليه رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ﴾

استهلت بيوم الأحد وسلطان الاسلام بالديار المصرية والبلاد الشامية وما والاها الملك المنصور سيف الدين أبو بكر بن الملك السلطان الناصر ناصر الدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى ، ونائب الشام الأمير علاء الدين طنبغا وقضاة الشام ومصرهم المذكورون فى التى قبلها ، وكذا المباشرون سوى الولاة شهر الله المحرم ﴿ ولاية الخليفة الحاكم بأمر الله ﴾

وفى هذا اليوم بويع بالخلافة أمير المؤمنين أبو القاسم أحمد بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان العباسى ولبس السواد وجلس مع الملك المنصور على سرير المملكة ، وألبسه خلعة سوداء أيضاً ، فجلسا وعليهما السواد ، وخطب الخليفة يومئذ خطبة بليغة فصيحة مشتملة على أشياء من المواعظ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وخلع يومئذ على جماعة من الأمراء والأعيان ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان أبو القاسم هذا قد عهد إليه أبوه بالخلافة ، ولكن لم يمكنه الناصر من ذلك ، وولى أبا إسحاق إبراهيم ابن أخى أبى الربيع ، ولقبه الواثق بالله ، وخطب له بالقاهرة جمعة واحدة فعزله المنصور وقرر أبا القاسم هذا ، وأمضى العهد ولقبه المستنصر بالله كما ذكرنا .

وفى يوم الأحد ثامن المحرم مسك الأمير سيف الدين بشتك الناصرى آخر النهار ، وكان قد كتب تقليده بنيابة الشام وخلع عليه بذلك وبرز ثقله ثم دخل على الملك المنصور ليودعه فرحب به وأجلسه وأحضر طعاماً وأكلا ، وتأسف الملك على فراقه ، وقال : تذهب وتتركنى وحدى ، ثم قام لتوديعه وذهب بشتك من بين يديه ثمانى خطوات أو نحوها ، ثم تقدم إليه ثلاثة نفر فقطع أحدهم سيفه من وسطه بسكين ، ووضع الآخر يده على فمه وكتفه الآخر ، وقيدوه وذلك كله بحضرة السلطان ، ثم غيب ولم يدر أحد إلى أين صار ، ثم قالوا لمماليكه : اذهبوا أنتم فائتوا بمركوب الأمير غداً ، فهو بائت عند السلطان . وأصبح السلطان وجلس على سرير المملكة وأمر بمسك جماعة من الأمراء وتسعة من الكبار ، واحتاطوا على حواصله وأمواله وأملاكه ، فيقال إنه وجد عنده من الذهب ألف ألف دينار ، وسبعمائة ألف دينار .

﴿ وفاة شيخنا الحافظ أبى الحجاج المزى ﴾

تمرض أياماً يسيرة مرضا لا يشغله عن شهود الجماعة ، وحضور الدروس ، وإسماع الحديث ، فلما كان يوم الجمعة حادى عشر صفر أسمع الحديث إلى قريب وقت الصلاة ، ثم دخل منزله ليتوضأ

و يذهب للصلاة فاعترضه فى باطنه مغص عظيم، ظن أنه قولنج ، وما كان الإطاعون ، فلم يقدر على حضور الصلاة ، فلما فرغنا من الصلاة أخبرت بأنه منقطع، فذهبت إليه فدخلت عليه فاذا هو يرتعد رعدة شديدة من قوة الألم الذى هو فيه ، فسألته عن حاله فجعل يكرر الحمد لله ، ثم أخبرنى بما حصل له من المرض الشديد ، وصلى الظهر بنفسه ، ودخل إلى الطهارة وتوضأ على البركة ، وهو فى قوة الوجع ثم اتصل به هذا الحال إلى الغد من يوم السبت ، فلما كان وقت الظهر لم أكن حاضره إذ ذاك ، لكن أخبرتنا بنته زينب زوجتى أنه لما أذن الظهر تغير ذهنه قليلا ، فقالت : ياأبة أذن الظهر ، فذكر الله وقال : أريد أن أصلى فتيمم وصلى ثم اضطجع فجعل يقرأ آية الكرسى حتى جعل لا يفيض بها لسانه ثم قبضت روحه بين الصلاتين ، رحمه الله يوم السبت ثانى عشر صفر ، فلم يمكن تجهيزه تلك الليلة ، فلما كان من الغد يوم الأحد ثالث عشر صفر صبيحة ذلك اليوم ، غسل وكفن وصلى عليه بالجامع الأموى ، وحضر القضاة والأعيان وخلائق لا يحصون كثرة ، وخرج بجنازته من باب النصر ، وخرج نائب السلطنة الأمير علاء الدين طنبغا ومعه ديوان السلطان ، والصاحب وكاتب السر وغيرهم من الامراء ، فصلوا عليه خارج باب النصر ، أمهم عليه القاضى تقى الدين السبكى الشافعى ، وهو الذى صلى عليه بالجامع الأموى ، ثم ذهب به إلى مقابر الصوفية فدفن هناك إلى جانب زوجته المرأة الصالحة الحافظة لكتاب الله ، عائشة بنت إبراهيم بن صديق ، غربى قبر الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمهم الله أجمعين .

﴿ كائنة غريبة جداً ﴾

قدم يوم الأربعاء الثلاثين من صفر أمير من الديار المصرية ومعه البيعة للملك الأشرف علاء الدين كحك بن الملك الناصر ، وذلك بعد عزل أخيه المنصور ، لما صدر عنه من الأفعال التى ذكر أنه تعاطاها من شرب المسكر وغشيان المنكرات ، وتعاطى ما لا يليق به ، ومعاشرة الخاصكية من المردان وغيرهم ، فتمالأ على خلعه كبار الأمراء لما رأوا الأمر تفاقم إلى الفساد العريض فأحضروا الخليفة الحاكم بأمر الله أبى الربيع سليمان فأثبت بين يديه ما نسب إلى الملك المنصور المذكور من الامور فحينئذ خلعه وخلعه الأمراء الكبار وغيرهم ، واستبدلوا مكانه أخاه هذا المذكور ، وسيروه إذ ذاك إلى قوص مضيقا عليه ومعه إخوة له ثلاثة ، وقيل أكثر ، وأجلسوا الملك الأشرف هذا على السرير ، وناب له الأمير سيف الدين قوصون الناصرى ، واستمرت الامور على السداد وجاءت إلى الشام فبايعه الامراء يوم الأربعاء المذكور ، وضربت البشائر عشية الخميس مستهل ربيع الاول وخطب له بدمشق يوم الجمعة بحضرة نائب السلطنة والقضاة والامراء .

وفى يوم الاربعاء سابع عشر ربيع الأول حضر بدار الحديث الاشرفية قاضى القضاة تقى الدين السبكى عوضا عن شيخنا الحافظ جمال الدين المزى ، ومشيخة دار الحديث النورية عوضا عن

ابنه رحمه الله . وفى شهر جمادى الأولى اشتهر أن نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحمص الأخضر قائم فى نصرة ابن السلطان الأمير أحمد الذى بالكرك ، وأنه يستخدم لذلك و يجمع الجموع فالله أعلم . وفى العشر الثانى منه وصلت الجيوش صحبة الأمير سيف الدين قطلو بغا الفخرى إلى الكرك فى طلب ابن السلطان الأمير أحمد . وفى هذا الشهر كثر الكلام فى أمر الأمير أحمد بن الناصر الذى بالكرك ، بسبب محاصرة الجيش الذى صحبة الفخرى له ، واشتهر أن نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحمص الأخضر قائم بجنب أولاد السلطان الذين أخرجوا من الديار المصرية إلى الصعيد ، وفى القيام بالمدافعة عن الأمير أحمد ، ليصرف عنه الجيش ، وترك حصاره وعزم بالذهاب إلى الكرك لنصرة أحمد ابن أستاذه ، وتهيأ له نائب الشام بدمشق ، ونادى فى الجيش لملتقاه ومدافعته عما يريد من إقامة الفتنة وشق العصا ، واهتم الجند لذلك ، وتأهبوا واستعدوا ، ولحقهم فى ذلك كلفة كثيرة ، وانزعج الناس بسبب ذلك وتخوفوا أن تكون فتنة ، وحسبوا إن وقع قتال بينهم أن تقوم العشيرات فى الجبال وحوران ، وتتعطل مصالح الزراعات وغير ذلك ، ثم قدم من حلب صاحب السلطان فى الرسلية إلى نائب دمشق الأمير علاء الدين الطنبغا ومعه مشافهة ، فاستمع لها فبعث معه صاحب الميسرة أمان الساقى ، فذهبا إلى حلب ثم رجعا فى أواخر جمادى الآخرة وتوجها إلى الديار المصرية ، واشتهر أن الأمر على ما هو عليه حتى توافق على ما ذكر من رجوع أولاد الملك الناصر إلى مصر ، ما عدا المنصور ، وأن يخلى عن محاصرة الكرك.

وفى العشر الأخير من جمادى الأولى توفى مظفر الدين موسى بن مهنا ملك العرب ودفن بتدمر وفى صبيحة يوم الثلاثاء ثانى جمادى الآخرة عند طلوع الشمس توفى الخطيب بدر الدين محمد بن القاضى جلال الدين القزوينى بدار الخطابة بعد رجوعه من الديار المصرية كما قدمنا ، فخطب جمعة واحدة وصلى بالناس إلى ليلة الجمعة الأخرى ثم مرض فخطب عنه أخوه تاج الدين عبد الرحيم على العادة ثلاثة جمع ، وهو مريض إلى أن توفى يومئذ ، وتأسف الناس عليه لحسن شكله وصباحة وجهه وحسن ملتقاه وتواضعه ، واجتمع الناس للصلاة عليه للظهر فتأخر تجهيزه إلى العصر فصلى عليه بالجامع قاضى القضاة تقى الدين السبكى ، وخرج به الناس إلى الصوفية ، وكانت جنازته حافلة جداً ، فدفن عند أبيه بالتربة التى أنشأها الخطيب بدر الدين هناك رحمه الله .

وفى يوم الجمعة خامس الشهر بعد الصلاة خرج نائب السلطنة الأمير علاء الدين الطنبغا وجميع الجيش قاصدين للبلاد الحلبية للقبض على نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر ، لأجل ما أظهر من القيام مع ابن السلطان الأمير أحمد الذى فى الكرك ، وخرج الناس فى يوم شديد المطر كثير الوحل ، وكان يوما مشهوداً عصيبا ، أحسن الله العاقبة . وأمر القاضى تقى الدين السبكى الخطيب

المؤذنين بزيادة أذكار على الذى كان سنه فيهم الخطيب بدر الدين من التسبيح والتحميد والتهليل الكثير ثلاثا وثلاثين ، فزادهم السبكى قبل ذلك : أستغفر الله العظيم ثلاثا ، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام ، ثم أثبت ما فى صحيح مسلم بعد صلاتى الصبح والمغرب : اللهم أجرنا من النار سبعا ، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثا ، وكانوا قبل تلك السنوات قد زادوا بعد التأذين الآية ليلة الجمعة والتسليم على رسول الله ﷺ ، يبتدئ الرئيس منفرداً ثم يعيد عليه الجماعة بطريقة حسنة ، وصار ذلك سببا لاجتماع الناس فى صحن الجامع لاستماع ذلك ، وكلما كان المبتدئ حسن الصوت كانت الجماعة أكثر اجتماعا ، ولكن طال بسبب ذلك الفصل ، وتأخرت الصلاة عن أول وقتها . انتهى .

﴿ كائنة غريبة جداً ﴾

وفى ليلة الأحد عشية السبت نزل الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى بظاهر دمشق بين الجسورة وميدان الحصى بالاطلاب الذين جاءوا معه من البلاد المصرية لمحاصرة الكرك للقبض على ابن السلطان الأمير أحمد بن الناصر ، فمكثوا على الثنية محاصرين مضيقين عليه إلى أن توجه نائب الشام إلى حلب ، ومضت هذه الأيام المذكورة ، فما درى الناس إلا وقد جاء الفخرى وجموعه ، وقد بايعوا الأمير أحمد وسموه الناصر بن الناصر ، وخلعوا بيعة أخيه الملك الأشرف علاء الدين كجك واعتلوا بصغره ، وذكروا إن أتابكة الأمير سيف الدين قوصون الناصرى قد عدى على ابنى السلطان فقتلهما خنقا ببلاد الصعيد : جهز إليهما من تولى ذلك، وهما الملك المنصور أبو بكر ورمضان ، فتنكر الأمير بسبب ذلك ، وقالوا هذا يريد أن يجتاح هذا البيت ليتمكن هو من أخذ المملكة ، فحموا لذلك وبايعوا ابن أستاذهم وجاءوا فى الذهاب خلف الجيش ليكونوا عونا للأمير سيف الدين طشتمر نائب حلب ومن معه ، وقد كتبوا إلى الأمراء يستميلونهم إلى هذا ، ولما نزلوا بظاهر دمشق خرج إليهم من بدمشق من الأكابر والقضاة والمباشرين ، مثل والى البر ووالى المدينة وابن سمندار وغيرهم ، فلما كان الصباح خرج أهالى دمشق عن بكرة أبيهم ، على عادتهم فى قدوم السلاطين ، ودخول الحجاج ، بل أكثر من ذلك من بعض الوجوه ، وخرج القضاة والصاحب والأعيان والولاة وغيرهم ، ودخل الأمير سيف الدين قطلوبغا فى دست نيابة السلطنة التى فوضها إليه الملك الناصر الجديد وعن يمينه الشافعى ، وعن شماله الحنفى على العادة ، والجيش كله محدق به فى الحديد ، والعقارات والبوقات والنشابة السلطانية والسناجق الخليفية والسلطانية تخفق ، والناس فى الدعاء والثناء للفخرى ، وهم فى غاية الاستبشار والفرح ، وربما نال بعض جهلة الناس من النائب الآخر الذى ذهب إلى حلب ، ودخلت الأطلاب بعده على ترتيبهم، وكان يوما مشهوداً ، فنزل شرقى دمشق

قريباً من خان لاجين ، و بعث فى هذا اليوم فرسم على القضاة والصاحب ، وأخذ من أموال الأيتام وغيرها خمسمائة ألف ، وعوضهم عن ذلك بقرية من بيت المال ، وكتب بذلك سجلات ،واستخدم جيداً ، وانضاف إليه من الأمراء الذين كانوا قد تخلفوا بدمشق جماعة منهم تمر الساقى مقدم ،وابن قراسنقر وابن الكامل وابن المعظم وابن البلدى وغيرهم ، وبايع هؤلاء كلهم مع مباشرى دمشق للملك الناصر بن الناصر ، وأقام الفخرى على خان لاجين ، وخرج المتعيشون بالصنائع إلى عندهم وضربت البشائر بالقلعة صبيحة يوم الثلاثاء سادس عشر الشهر ، ونودى بالبلد إن سلطانكم الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون ، ونائبكم سيف الدين قطلو بغا الفخرى ، وفرح كثير من الناس بذلك ، وانضاف إليه نائب صفد وبايعه نائب بعلبك ، واستخدموا له رجالا وجنداً ، ورجع إليه الأمير سيف الدين سنجر الجقدار رأس الميمنة بدمشق ، وكان قد تأخر فى السفر عن نائب دمشق علاء الدين الطنبغا ، بسبب مرض عرض له ، فلما قدم الفخرى رجع إليه وبايع الناصر ابن الناصر ، ثم كاتب نائب حماة تغردمر الذى ناب بمصر للملك المنصور ، فأجابه إلى ذلك وقدم على العسكر يوم السبت السابع والعشرين من الشهر المذكور ، فى تجمل عظيم وخزائن كثيرة ،وثقل هائل .

وفى صبيحة يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر المذكور كسفت الشمس قبل الظهر ، وفى صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من جمادى الآخرة ، قدم نائب غزة الأمير آق سنقر فى جيش غزة ،وهو قريب من ألفين ، فدخلوا دمشق وقت الفجر وغدوا إلى معسكر الفخرى ،فانضافوا إليهم ففرحوا بهم كثيراً ، وصار فى قريب من خمسة آلاف مقاتل أو يزيدون .

استهل شهر رجب الفرد والجماعة من أكابر التجار مطلوبون بسبب أموال طلبها منهم الفخرى، يقوى بها جيشه الذى معه ، ومبلغ ذلك الذى أراده منهم ألف ألف درهم ، ومعه مرسوم الناصر بن الناصر ببيع أملاك الأمير سيف الدين قوصون ، إتابك الملك الأشرف علاء الدين كجك ، ابن الناصر التى بالشام ، بسبب إبائه عن مبايعة أحمد بن الناصر ، فأشار على الفخرى من أشار بأن يباع للتجار من أملاك الخاص ، ويجعل مال قوصون من الخاص ، فرسم بذلك ، وأن يباع للتجار قرية دويه قومت بألف ألف وخمسمائة ألف ، ثم لطف الله وأفرج عنهم بعد ليلتين أو ثلاث ، وتعوضوا عن ذلك بحواصل قوصون ، واستمر الفخرى بمن معه ومن أضيف إليه من الأمراء والاجناد مقيمين بثنية العقاب ، واستخدم من رجال البقاع جماعة كثيرة أكثر من ألف رام ، وأميرهم يحفظ أفواه الطرق ، وأزف قدوم الأمير علاء الدين طنبغا بمن معه من عساكر دمشق ، وجمهور الحلبيين وطائفة الطرابلسيين ، وتأهب هؤلاء لهم . فلما كان الحادى من الشهر اشتهر أن الطنبغا وصل إلى القسطل وبعث طلائعه فالتقت بطلائع الفخرى ، ولم يكن بينهم قتال ولله الحمد والمنة وأرسل الفخرى إلى

القضاة ونوابهم وجماعة من الفقهاء فخرجوا ورجع الشافعى من أثناء الطريق ، فلما وصلوا أمرهم بالسعى بينه و بين الطنبغا فى الصلح ، وأن يوافق الفخرى فى أمره ، وأن يبايع الناصر بن الناصر ، فأبى فردهم إليه غير مرة ، وكل ذلك يمتنع عليهم ، فلما كان يوم الاثنين رابع عشره عند العصر جاء بريد إلى متولى البلد عند العصر من جهة الفخرى يأمره بغلق أبواب البلد ، فغلقت الأبواب ، وذلك لان العساكر توجهوا وتواقفوا للقتال ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

وذلك أن الطنبغا لما علم أن جماعة قطلو بغا على ثنية العقاب دار الذروة من ناحية الميسرة ، وجاء بالجيوش من هناك ، فاستدار له الأمير سيف الدين قطلو بغا الفخرى بجماعته إلى ناحيته ، ووقف له فى طريقه، وحال بينه و بين الوصول إلى البلد ، وانزعج الناس انزعاجا عظيما ، وغلقت القياسر والأسواق وخاف الناس بعضهم من بعض أن يكون نهب ، فركب متولى البلد الأمير ناصر الدين بن بكباشى ومعه أولاده ونوابه والرجالة ، فسار فى البلد وسكن الناس ودعوا له ، فلما كان قريب المغرب فتح لهم باب الجابية ليدخل من هو من أهل البلد ، فجرت فى الباب على ما قيل زحمة عظيمة ، وتسخط الجند على الناس فى هذه الليلة ، واتفق أنها ليلة الميلاد ، وبات المسلمون مهمومون بسبب العسكر واختلافهم فأصبحت أبواب البلد مغلقة فى يوم الثلاثاء سوى باب الجابية ، والأمر على ما هو عليه ، فلما كان عشية هذا اليوم تقارب الجيشان واجتمع الطنبغا وأمراؤه ، واتفق أمراء دمشق وجمهورهم الذين هم معه على أن لا يقاتلوا مسلما ولا يسلوا فى وجه الفخرى وأصحابه سيفا ، وكان قضاة الشام قد ذهبوا إليه مراراً للصلح ، فيأبى عليهم إلا الاستمرار على ما هو عليه ، وقويت نفسه عليه انتهى . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

﴿ عجيبة من عجائب الدهر ﴾

فبات الناس متقابلين فى هذه الليلة وليس بين الجيشين إلا مقدار ميلين أو ثلاثة ، وكانت ليلة مطيرة ، فما أصبح الصبح إلا وقد ذهب من جماعة الطنبغا إلى الفخرى خلق كثير من أجناد الحلقاء ومن الأمراء والأعيان ، وطلعت الشمس وارتفعت قليلا فنفذ الطنبغا القضاة و بعض الأمراء إلى الفخرى يتهدده و يتوعده و يقوى نفسه عليه . فما ساروا عنه قليلا إلا ساقت العساكر من الميمنة والميسرة ومن القلب ، ومن كل جانب مقفرين إلى الفخرى ، وذلك لما هم فيه من ضيق العيش وقلة ما بأيديهم من الأطعمة وعلف الدواب ، وكثرة ما معهم من الكلف ، فرأوا أن هذا حال يطول عليهم ، ومقتوا أمرهم غاية المقت ، وتطايبت قلوبهم وقلوب أولئك مع أهل البلد على كراهته لقوة نفسه فيما لا يجدى عليه ولا عليهم شيئا ، فبايعوا على المخامرة عليه ، فلم يبق معه سوى حاشيته فى أقل من ساعة واحدة ، فلما رأى الحال على هذه الصفة كر راجعاً هاربا من حيث جاء وصحبته

الأمير سيف الدين رقطبة نائب طرابلس ، وأميران آخران ، والتقت العساكر والأمراء ، وجاءت البشارة إلى دمشق قبل الظهر ففرح الناس فرحا شديدا جداء الرجال والنساء والولدان ، حتى من لا نوبة له ، ودقت البشائر بالقلعة المنصورة ، فأرسلوا فى طلب من هرب ، وجلس الفخرى هنالك بقية اليوم يحلف الأمراء على أمره الذى جاء له ، فحلفوا له ، ودخل دمشق عشية يوم الخميس فى أبهة عظيمة ، وحرمة وافرة ، فنزل القصر الأبلق ونزل الأمير تغردمر بالميدان الكبير ، ونزل عمارى بدار السعادة وأخرجوا الموساوى الذى كان معتقلا بالقلعة ، وجعلوه مشدا على حوطات حواصل الطنبغا وكان قد تغضب الفخرى على جماعة من الأمراء منهم الأمير حسام الدين السمقدار ، أمير حاجب بسبب أنه صاحب لعلاء الدين الطنبغا ، فلما وقع ما وقع هرب فيمن هرب ، ولكن لم يأت الفخرى ، بل دخل البلد فتوسط فى الأمر : لم يذهب مع ذاك ولا جاء مع هذا ، ثم إنه استدرك ما فاته فرجع من البار إلى الفخرى ، وقيل بل رسم عليه حين جاء وهو مهموم جداً ، ثم إنه أعطى منديل الأمان ، وكان معهم كاتب السر القاضى شهاب الدين بن فضل الله ، ثم أفرج عنهم ، ومنهم الأمير سيف الدين حفطية وكان شديد الحنق عليه ، فأطلقه من يومه وأعاده إلى الحجوبية ، وأظهر مكارم أخلاق عظيمة ، ورياسة كبيرة ، وكان للقاضى علاء الدين بن المنجا قاضى قضاة الحنابلة فى هذه الكائنة سعى مشكور ، ومراجعة كبيرة للأمير علاء الدين الطنبغا ، حتى خيف عليه منه ، وخاطر بنفسه معه ، فأنجح الله مقصده وسلمه منه ، وكبت عدوه ولله الحمد والمنة .

وفى يوم السبت السادس والعشرين منه قلد قضاء العساكر المنصورة الشيخ فخر الدين بن الصائغ عوضا عن القاضى الحنفى ، الذى كان مع النائب المنفصل ، وذلك أنهم نقموا عليه إفتاءه الطنبغا بقتال الفخرى ، وفرح بولايته أصحاب الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله ، وذلك لأنه من أخص من صحبه قديما ، وأخذ عنه فوائد كثيرة وعلوما .

وفى يوم الأربعاء سلخ رجب آخر النهار قدم الأمير قارى من عند الملك الناصر بن الناصر من الكرك وأخبره بما جرى من أمرهم وأمر الطنبغا ، ففرح بذلك وأخبر قارى بقدوم السلطان ففرح الناس بذلك واستعدوا له بآلات المملكة وكثرت مطالبته أرباب الأموال والذمة بالجزية .

وفى مستهل رجب من هذه السنة ركب الفخرى فى دست النيابة بالموكب المنصور ، وهو أول ركوبه فيه ، وإلى جانبه قارى وعلى قارى خلعة هائلة ، وكثر دعاء الناس للفخرى يومئذ ، وكان يوما مشهودا . وفى هذا اليوم خرج جماعة من المقدمين الألوف إلى الكرك بأخبار ابن السلطان بما جرى : منهم تغردمر وإقبغا عبد الواحد وهو الساقى ، وميكلى بغا وغيرهم . وفى يوم السبت ثالثه استدعى الفخرى القاضى الشافعى وألح عليه فى احضار الكتب فى سلة الحكم التى كانت أخذت من

عند الشيخ تقى الدين ابن تيمية رحمه الله من القلعة المنصورة فى أيام جلال الدين القزوينى ، فأحضرها القاضى بعد جهد ومدافعة ، وخاف على نفسه منه ، فقبضها منه الفخرى بالقصر وأذن له فى الانصراف من عنده ، وهو متغضب عليه ، وربما هم بعزله لممانعته إياها ، وربما قال قائل هذه فيها كلام يتعلق بمسألة الزيارة ، فقال الفخرى : كان الشيخ أعلم بالله وبرسوله منكم . واستبشر الفخرى باحضارها إليه واستدعى بأخى الشيخ زين الدين عبد الرحمن ، وبالشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن قيم الجوزية وكان له سعى مشكور فيها ، فهنأهما باحضاره الكتب ، وبيت الكتب تلك الليلة فى خزانته للتبرك وصلى به الشيخ زين الدين أخو الشيخ صلاة المغرب بالقصر ، وأكرمه الفخرى إكراما زائدا لمحبته الشيخ رحمه الله .

وفى يوم الأحد رابعه دقت البشائر بالقلعة وفى باب الميدان لقدوم بشير بالقبض على قوصون بالديار المصرية ، واجتمع الناس لذلك واستبشر كثير منهم بذلك ، وأقبل جماعة من الأمراء إلى الكرك لطاعة الناصر بن الناصر ، واجتمعوا مع الأمراء الشاميين عند الكرك ، وطلبوا منه أن ينزل إليهم فأبى وتوهم أن هذه الأمور كلها مكيدة ليقبضوه ويسلموه إلى قوصون ، وطلب منهم أن ينظر فى أمره وردهم إلى دمشق . وفى هذه الأيام وما قبلها وما بعدها أخذ الفخرى من جماعة التجار بالأسواق وغيرها زكاة أموالهم سنة ، فتحصل من ذلك زيادة على مائة ألف وسبعة آلاف ، وصودر أهل الذمة بقريب من ذلك زيادة على الجزية التى أخذت منهم عن ثلاث سنين سلفا وتعجيلا ، ثم نودى فى البلد يوم الاثنين الحادى والعشرين من الشهر مناداة صادرة من الفخرى برفع الظلامات والطلبات وإسقاط ما تبقى من الزكاة والمصادرة ، غير أنهم احتاطوا على جماعة من المشاة المكثرين ليشتروا منهم بعض أملاك الخاص ، والبرهان بن بشارة الحنفى تحت المصادرة والعقوبة على طلب المال الذى وجده فى طميرة وجدها فيما ذكر عنه والله أعلم .

وفى يوم الجمعة الرابع والعشرين منه بعد الصلاة دخل الأمراء الستة الذين توجهوا نحو الكرك لطلب السلطان أن يقدم إلى دمشق فأبى عليهم فى هذا الشهر ، ووعدهم وقتا آخر فرجعوا ، وخرج الفخرى لتلقيهم ، فاجتمعوا قبلى جامع القبيبات الكريمى ، ودخلوا كلهم إلى دمشق فى جمع كثير من الأتراك الأمراء والجند ، وعليهم خمدة لعدم قدوم السلطان أيده الله . وفى يوم الأحد قدم البريد خلف قمارى وغيره من الأمراء يطلبهم إلى الكرك ، واشتهر أن السلطان رأى النبى ﷺ فى المنام وهو يأمره بالنزول من الكرك وقبول المملكة ، فانشرح الناس لذلك .

وتوفى الشيخ عمر بن أبى بكر بن اليثمى البسطى يوم الأربعاء التاسع والعشرين ، وكان رجلا صالحا كثير التلاوة والصلاة والصدقة ، وحضور مجالس الذكر والحديث ، له همة وصولة على الفقراء

المتشبهين بالصالحين وليسوا منهم ، سمع الحديث من الشيخ فخر الدين بن البخارى وغيره وقرأت عليه عن ابن البخارى مختصر المشيخة ، ولازم مجالس الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله ، وانتفع به ، ودفن بمقابر باب الصغير .

وفى شهر رمضان المعظم أوله يوم الجمعة ، كان قد نودى فى الجيش : آن الرحيل لملتقى السلطان فى سابع الشهر ، ثم تأخر ذلك إلى بعد العشر ، ثم جاء كتاب من السلطان بتأخر ذلك إلى بعد العيد وقدم فى عاشر الشهر علاء الدين بن تقى الدين الحنفى ، ومعه ولاية من السلطان الناصر بنظر البيمارستان النورى ، ومشيخة الربوة ومرتب على الجهات السلطانية ، وكان قد قدم قبله القاضى شهاب الدين بن البارزى بقضاء حمص من السلطان أيده الله تعالى ، ففرح الناس بذلك حيث تكلم السلطان فى المملكة وباشر وأمر وولى ووقع ولله الحمد . وفى يوم الأربعاء ثالث عشره دخل الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحمص الأخضر من البلاد الحلبية إلى دمشق المحروسة ، وتلقاه الفخرى والأمراء والجيش بكماله ، ودخل فى أبهة حسنة ودعا له الناس وفرحوا بقدومه بعد شتاته فى البلاد وهربه من بين يدى الطنبغا حين قصده إلى حلب كما تقدم ذكره .

وفى يوم الخميس رابع عشره خرجت الجيوش من دمشق قاصدين إلى غزة لنظرة السلطان حين يخرج من الكرك السعيد ، فخرج يومئذ مقدمان : تغردمر واقبغا عبد الواحد فبرزا إلى الكسوة ، فلما كان يوم السبت خرج الفخرى ومعه طشتمر وجمهور الأمراء ، ولم يقم بعده بدمشق إلا من احتيج لمقامهم لمهمات المملكة ، وخرج معه القضاة الأربعة ، وقاضى العساكر والموقعين والمصاحب وكاتب الجيش وخلق كثير .

وتوفى الشيخ الصالح العابد الناسك أحمد بن .. الملقب بالقصيدة ليلة الأحد الرابع والعشرين من رمضان ، وصلى عليه بجامع شكر ، ودفن بالصوفية قريبا من قبر الشيخ جمال الدين المزى، تغمدهما الله برحمته ، وكان فيه صلاح كثير ، ومواظبة على الصلاة فى جماعة ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر مشكوراً عند الناس بالخير ، وكان يكثر من خدمة المرضى بالمارستان وغيره ، وفيه إيثار وقناعة وتزهد كثير ، وله أحوال مشهورة رحمه الله وإيانا .

واشتهر فى أواخر الشهر المذكور أن السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد خرج من الكرك المحروس صحبة جماعة من العرب والأتراك قاصداً إلى الديار المصرية ، ثم تحرر خروجه منها فى يوم الاثنين ثامن عشر الشهر المذكور فدخل الديار المصرية بعد أيام . هذا والجيش صامدون إليه ، فلما تحقق دخوله مصر حثوا فى السير إلى الديار المصرية ، وبعث يستحثهم أيضا ، واشتهر أنه لم يجلس على سرير الملك حتى يقدم الأمراء الشاميون صحبة نائبه الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى ، ولهذا لم تدق

البشائر بالقلاع الشامية ولا غيرها فيما بلغنا . وجاءت الكتب والأخبار من الديار المصرية بأن يوم الاثنين عاشر شوال كان إجلاس السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد على سرير المملكة ، صعد هو والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المستكفي فوق المنبر ، وهما لابسان السواد ، والقضاة تحتهما على درج المنبر بحسب منازلهم ، فخطب الخليفة ، وخلع الأشرف كجك و ولى هذا الناصر ، وكان يوما مشهودا ، وأظهر ولايته لطشتمر نيابة مصر ، والفخرى دمشق ، وأيد غمش حلب فالله أعلم ، ودقت البشائر بدمشق ليلة الجمعة الحادى والعشرين من الشهر المذكور ، واستمرت إلى يوم الاثنين مستهل ذى القعدة ، و زينت البلد يوم الأحد ثالث عشرين منه ، واحتفل الناس بالزينة.

وفى يوم الخميس المذكور دخل الأمير سيف الدين الملك أحد الرؤس المشهورة بمصر إلى دمشق فى طلب نيابة حماة حرسها الله تعالى ، فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة ورد البريد من الديار المصرية فأخبر أن طشتمر الحمص الأخضر مسك ، فتعجب الناس من هذه الكائنة كثيرا ، فخرج من بدمشق من أعيان الأمراء أمير الحج وغيره وخيم بوطأة برزة وخرج إلى الحج أمير فأخبره بذلك وأمروه عن مرسوم السلطان أن ينوب بدمشق حتى يأتى المرسوم بما يعتمد أمير الحج فأجاب إلى ذلك ، و ركب فى الموكب يوم السبت السادس منه ، وأما الفخرى فانه لما تنسم هذا الخبر وتحققه وهو بالزعقة فرفى طائفة من مماليكه قريب من ستين أو أكثر ، فاحترق وساق سوقا حثيثا وجاءه الطلب من ورائه من الديار المصرية فى نحو من ألف فارس ، صحبة الأميرين : الطنبغا الماردانى ، و يبلغا التحناوى ، ففاتهما وسبق واعترض له نائب غزة فى جنده فلم يقدر عليه ، فسلطوا عليه العشيرات ينهبوه فلم يقدروا عليه إلا فى شيء يسير ، وقتل منهم خلقا ، وقصد نحو صاحبه فيما يزعم الأمير سيف الدين إيدغمش نائب حلب راجيا منه أن ينصره وأن يوافقه على ما قام بنفسه ، فلما وصل أكرمه وأنزله ، وبات عنده ، فلما أصبح قبض عليه وقيده ورده على البريد إلى الديار المصرية ، ومعه التراسيم من الأمراء وغيرهم .

ولما كان يوم الاثنين سلخ ذى القعدة خرج السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن المنصور من الديار المصرية فى طائفة من الجيش قاصداً إلى الكرك المحروس ، ومعه أموال جزيلة ، وحواصل وأشياء كثيرة ، فدخلها يوم الثلاثاء من ذى الحجة وصحبته طشتمر فى محفة ممرضا ، والفخرى مقيداً ، فاعتقلا بالكرك المحروس ، وطلب السلطان آلات من أخشاب ونحوها وحدادين وصناع ونحوها لاصلاح مهمات بالكرك ، وطلب أشياء كثيرة من دمشق ، فحملت إليه ، ولما كان يوم الأحد السابع والعشرين من ذى الحجة ورد الخبر بأن الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدى النائب بصفد ركب فى مماليكه وخدمه ومن أطاعه ، وخرج منها فاراً بنفسه من القبض

عليه ، وذكر أن نائب غزة قصده ليقبض عليه بمرسوم السلطان ورد عليه من الكرك ، فهرب الأحمدى بسبب ذلك ، ولما وصل الخبر إلى دمشق وليس بها نائب انزعج الامراء لذلك، واجتمعوا بدار السعادة ، وضربوا فى ذلك مشورة ثم جردوا إلى ناحية بعلبك أميرا ليصدوه عن الذهاب إلى البرية . فلما أصبح الصباح من يوم الأثنين جاء الخبر بأنه فى نواحى الكسوة ، ولا مانع من خلاصه ، فركبوا كلهم ونادى المنادى : من تأخر من الجند عن هذا النفير شنق ، واستوثقوا فى الخروج وقصدوا ناحية الكسوة و بعثوا الرسل إليه ، فذكر اعتذاراً فى خروجه وتخلص منهم ، وذهب يوم ذلك ، و رجعوا وقد كانوا ملبسين فى يوم حار ، وليس معهم من الازواد مايكفيهم سوى يومهم ذلك ، فلما كانت ليلة الثلاثاء ركب الأمراء فى طلبه من ناحية ثنية العقاب ، فرجعوا فى اليوم الثانى وهو فى صحبتهم ، ونزل فى القصور التى بناها تنكز رحمه الله ، فى طريق داريا ، فأقام بها ، وأجروا عليه مرتباً كاملا من الشعير والغنم وما يحتاج إليه مثله ، ومعه مماليكه وخدمه ، فلما كان يوم الثلاثاء سادس المحرم ورد كتاب من جهة السلطان فقرىء على الأمراء بدار السعادة يتضمن إكرامه واحترامه والصفح عنه لتقدم خدمه على السلطان الملك الناصر وابنه الملك المنصور . ولما كان يوم الأربعاء سابع المحرم [جاء كتاب] إلى الأمير ركن الدين بيبرس نائب الغيبة ابن الحاجب ألْمَش بالقبض على الأحمدى ، فركب الجيش ملبسين يوم الخميس وأوكبوا بسوق الخيل وراسلوه ـ وقد ركب فى مماليكه بالعدد وأظهر الامتناع ـ فكان جوابه أن لا أسمع ولا أطيع إلا لمن هو ملك الديار المصرية ، فأما من هو مقيم بالكرك ويصدر عنه مايقال عنه من الأفاعيل التى قد سارت بها الركبان ، فلا . فلما بلغ الأمراء هذا توقفوا فى أمره وسكنوا ورجعوا إلى منازلهم ، ورجع هو إلى قصره .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة المباركة وسلطان المسلمين الملك الناصر ناصر الدين محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وهو مقيم بالكرك ، قد حاز الحواصل السلطانية من قلعة الجبل إلى قلعة الكرك ، ونائبه الديار المصرية الأمير سيف الدين آقسنقر السلارى ، الذى كان نائبا بغزة ، وقضاة الديار المصرية هم المذكورون فى السنة الماضية ، سوى القاضى الحنفى . وأما دمشق فليس لها نائب إلى حينئذ غير أن الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب كان استنابه الفخرى بدمشق نائب غيبته ،فهو الذى يسد الأمور مع الحاجب ألمش ، وتمر المهمندار ، والأمير سيف الدين الملقب بحلاوة ، والى البر ، والأمير ناصر الدين ابن ركباس متولى البلد ، هؤلاء الذين يسدون الأشغال والأمور السلطانية ، والقضاة هم الذين ذكرناهم فى السنة الخالية ، وخطيب البلد تاج الدين عبد الرحيم بن القاضى جلال الدين القزوينى ، وكاتب السر القاضى شهاب الدين بن فضل الله .

واستهلت هذه السنة والأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي نازل بقصر تنكز بطريق داريا ، وكتب السلطان واردة في كل وقت بالاحتياط عليه والقبض ، وأن يمسك ويرسل إلى الكرك ، هذا والأمراء يتوانون في أمره ويسوفون المراسيم ، وقتاً بعد وقت ، وحينا بعد حين ، ويحملهم على ذلك أن الأحمدي لاذنب له ، ومتى مسكه تطرف إلى غيره ، مع أن السلطان يبلغهم عنه أحوال لاترضيهم من اللعب والاجتماع مع الاراذل والأطراف ببلد الكرك ، مع قتله الفخري وطشتمر قتلا فظيعا ، وسلبه أهلهما وسلبه لما على الحريم من الثياب والحلى ، وإخراجهم في أسو إحال من الكرك ، وتقريبه النصارى وحضورهم عنده . فحمل الأمراء هذه الصفات على أن بعثوا أحدهم يكشف أمره ، فلم يصل إليه ، ورجع هاربا خائفاً ، فلما رجع وأخبر الأمراء انزعجوا وتشوشوا كثيراً ، واجتمعوا بسوق الخيل مراراً وضربوا مشورة بينهم ، فاتفقوا على أن يخلعوه ، فكتبوا إلى المصريين بذلك ، وأعلموا نائب حلب أيدغمش ونواب البلاد ، وبقوا متوهمين من هذا الحال كثيراً ومترددين ، ومنهم من يصانع في الظاهر وليس معهم في الباطن ، وقالوا لاسمع له ولا طاعة حتى يرجع إلى الديار المصرية ، ويجلس على سرير المملكة ، وجاء كتابه إليهم يعيبهم ويعنفهم في ذلك ، فلم يفد ، وركب الأحمدي في الموكب وركبوا عن يمينه وشماله وراحوا إليه إلى القصر ، فسلموا عليه وخدموه ، وتفاقم الأمر وعظم الخطب ، وحملوا هموما عظيمة خوفا من أن يذهب إلى الديار المصرية فيلف عليه المصريون فيتلف الشاميين ، فحمل الناس همهم فالله هو المسئول أن يحسن العاقبة . فلما كان يوم الاحد السادس والعشرين من المحرم ورد مقدم البريدية ومعه كتب المصريين بأنه لما بلغهم خبر الشاميين كان عندهم من أمر السلطان أضعاف ماحصل عند الشاميين ، فبادروا إلى ما كانوا عزموا عليه ، ولكن ترددوا خوفا من الشاميين أن يخالفوهم فيه ويتقدموا في صحبة السلطان لقتالهم ، فلما اطمأنوا من جهة الشاميين صمموا على عزمهم فخلعوا الناصر أحمد وملكوا عليهم أخاه الملك الصالح إسماعيل ابن الناصر محمد بن المنصور ، جعله الله مباركا على المسلمين ، وأجلسوه على السرير يوم الثلاثاء العشرين من المحرم المذكور ، وجاء كتابه مسلما على أمراء الشام ومقدميه ، وجاءت كتب الأمراء على الأمراء بالسلام والأخبار بذلك ففرح المسلمون وأمراء الشام والخاصة والعامة بذلك فرحا شديداً ، ودقت البشائر بالقلعة المنصورة يومئذ ، ورسم بتزيين البلد فزين الناس صبيحة الثلاثاء السابع والعشرين منه ، ولما كان يوم الجمعة سلخ المحرم خطب بدمشق للملك الصالح عماد الدنيا والدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور .

وفي يوم الخميس سادس صفر درس بالصدرية صاحبنا الامام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الذرعي إمام الجوزية ، وحضر عنده الشيخ عز الدين بن المنجا الذي نزل له عنها ، وجماعة من الفضلاء . وفي يوم الاثنين سادس عشر صفر دخل الأمير سيف الدين تقردمر من الديار

المصرية ، إلى دمشق ذاهبا إلى نيابة حلب المحروسة ، فنزل بالقابون .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشر صفر توفى الشيخ الامام العالم العامل الزاهد عبد الله بن أبى الوليد المقرى المالكى ، إمام المالكية ، هو وأخوه أبو عمرو ، بالجامع الأموى بمحراب الصحابة . توفى ببستان بقية السحف ، وصلى عليه بالمصلى ودفن عند أبيه رحمهما الله بمقابر باب الصغير ، وحضر جنازته الأعيان والفقهاء والقضاة ، وكان رجلا صالحا مجمعا على ديانته وجلالته رحمه الله .

وفى يوم الخميس العشرين من صفر دخل الأمير ايدغمش نائب السلطنة بدمشق ودخل إليها من ناحية القابون قادما من حلب ، وتلقاه الجيش بكماله ، وعليه خلعة النيابة ، واحتفل الناس له وأشعلوا الشموع ، وخرج أهل الذمة من اليهود والنصارى يدعون له ومعهم الشموع ، وكان يوما مشهوداً ، وصلى يوم الجمعة بالمقصورة ، من الجامع الأموى ، ومعه الأمراء والقضاة ، وقرىء تقليده هناك على السدة وعليه خلعته ، ومعه الأمير سيف الدين ملكتمر الرحولى ، وعليه خلعة أيضا .

وفى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر دخل الأمير علم الدين الجاولى دمشق المحروسة ذاهبا إلى نيابة حماة المحروسة ، وتلقاه نائب السلطنة والأمراء إلى مسجد القدم ، وراح فنزل بالقابون ، وخرج القضاة والأعيان إليه ، وسمع عليه من مسند الشافعى فانه يرويه ، وله فيه عمل ، ورتبه ترتيبا حسنا ورأيته ، وشرحه أيضا ، وله أوقاف على الشافعية وغيرهم .

وفى يوم الجمعة الثامن والعشرين منه عقد مجلس بعد الصلاة بالشباك الكمالى من مشهد عثمان بسبب القاضى فخر الدين المصرى ، وصدر الدين عبد الكريم ابن القاضى جلال الدين القزوينى ، بسبب العادلية الصغيرة ، فاتفق الحال على أن نزل صدر الدين عن تدريسها ، ونزل فخر الدين عن مائة وخمسين على الجامع . وفى يوم الأحد سلخ الشهر المذكور حضر القاضى فخر الدين المصرى ودرس بالعادلية الصغيرة وحضر الناس عنده على العادة ، وأخذ فى قوله تعالى (هذه بضاعتنا ردت إلينا)

وفى آخر شهر ربيع الأول جاء المرسوم من الديار المصرية بأن يخرج تجريدة من دمشق بصحبة الامير حسام الدين السمقدار لحصار الكرك الذى تحصن فيه ابن السلطان أحمد ، واستحوذ على ماعنده من الأموال التى أخذها من الخزائن من ديار مصر ، وبرز المنجنيق من القلعة إلى قبل جامع القبيبات ، فنصب هناك وخرج الناس للتفرج عليه ورمى به ومن نيتهم أن يستصحبوه معهم للحصار .

وفى يوم الأربعاء ثانى ربيع الآخر قدم الامير علاء الدين الطنبغا الماردانى من الديار المصرية على قاعدته وعادته . وفى يوم الخميس عاشره دخل إلى دمشق الأميران الكبيران ركن الدين بيبرس الأحمدى من طرابلس ، وعلم الدين الجاولى من حماة سحرا ، وحضرا الموكب ووقفا مكتنفين لنائب السلطنة : الاحمدى عن يمينه والجاولى عن يساره ، ونزلا ظاهر البلد ، ثم بعد أيام يسيرة توجه

الاحمدى إلى الديار المصرية على عادته وقاعدته رأس مشورة ، وتوجه الجاولى إلى غزة المحروسة نائبا عليها ، وكان الامير بدر الدين مسعود بن الخطير على إمرة الطبلخانات بدمشق . وفى يوم الخميس رابع عشره خرجت التجريدة من دمشق سحراً إلى مدينة الكرك ، والأمير شهاب الدين بن صبح والى الولاة بحوران مشد المجانيق ، وخرج الامير سيف الدين بهادر الشمس الملقب بحلاوة والى البر بدمشق إلى ولاية الولاة بحوران . وفى يوم الجمعة ثامن عشره وقع بين النائب والقاضى الشافعى بسبب كتاب ورد من الديار المصرية فيه الوصاة بالقاضى السبكى المذكور ومعه التوقيع بالخطابة له مضافا إلى القضاء وخلعة من الديار المصرية ، فتغيظ عليه النائب لأجل أولاد الجلال ، لأنهم عندهم عائلة كثيرة وهم فقراء ، وقد نهاه عن السعى فى ذلك ، فتقدم إليه يومئذ أن لا يصلى عنده فى الشباك الكمالى ، فنهض من هناك وصلى فى الغزالية .

وفى يوم الأحد العشرين منه دخل دمشق الأمير سيف الدين اريغا زوج ابنة السلطان الملك الناصر مجتازاً ذاهبا إلى طرابلس نائبا بها ، فى تجمل وأبهة ونجائب وجنائب ، وعدة وسرك كامل . وفى يوم الخميس الرابع والعشرين منه دخل الأمير بدر الدين ابن الخطيرى معزولا عن نيابة غزة المحروسة فأصبح يوم الخميس فركب فى الموكب وسير مع نائب السلطنة ، ونزل فى داره وراح الناس للسلام عليه . وفى يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر زينت البلد لعافية السلطان الملك الصالح لمرض أصابه ، ثم شفى منه . وفى يوم الجمعة السادس عشرينه قبل العصر ورد البريد من الديار المصرية بطلب قاضى القضاة تقى الدين السبكى إليها حاكما بها ، فذهب الناس للسلام عليه ولتوديعه ، وذلك بعد ما أرجف الناس به كثيراً ، واشتهر أنه سينعقد له مجلس للدعوى عليه بما دفعه من مال الايتام إلى الطنبغا وإلى الفخرى ، وكتبت فتوى عليه بذلك فى تغريمه ، وداروا بها على المفتيين فلم يكتب لهم أحد فيها غير القاضى جلال الدين بن حسام الدين الحنفى ، رأيت خطه عليها وحده بعد الصلاة ، وسئلت فى الافتاء عليها فامتنعت ، لما فيها من التشويش على الحكام ، وفى أول مرسوم نائب السلطان أن يتأمل المفتون هذا السؤال ويفتوا بما يقتضيه حكم الشرع الشريف ، وكانوا له فى نية عجيبة ففرج الله عنه بطلبه إلى الديار المصرية ، فسار إليها صحبة البريد ليلة الأحد ، وخرج الكبراء والأعيان لتوديعه ، وفى خدمته .

استهل جمادى الآخرة والتجريدة عمالة إلى الكرك والجيش المجردون من الحلقة قريب من ألف ويزيدون ، ولما كان يوم الثلاثاء رابعه بعد الظهر مات الأمير علاء الدين أيدغمش نائب السلطنة بالشام المحروس فى دار وحده فى دار السعادة ، فدخلوا عليه وكشفوا أمره وأحصروا وخشوا أن يكون اعتراه سكتة ، ويقال إنه شفى فالله أعلم ، فانتظروا به إلى الغد احتياطاً ، فلما أصبح الناس اجتمعوا

للصلاة عليه فصلى عليه خارج باب النصر حيث يصلى على الجنائز، وذهبوا به إلى نحو القبلة ، ورام بعض أهله أن يدفن فى تربة غبريال إلى جانب جامع القبيبات ، فلم يمكن ذلك ، فدفن قبلى الجامع على حافة الطريق ، ولم يتهيأ دفنه إلا إلى بعد الظهر من يومئذ ، وعملوا عنده ختمة ليلة الجمعة رحمه الله وسامحه .

واشتهر فى أوائل هذا الشهر أن الحصار عمال على الكرك ، وأن أهل الكرك خرجت طائفة منهم فقتل منهم خلق كثير ، وقتل من الجيش واحد فى الحصار ، فنزل القاضى وجماعة ومعهم شيء من الجوهر ، وتراضوا على أن يسلموا البلد ، فلما أصبح أهل الحصن تحصنوا ونصبوا المجانيق واستعدوا فلما كان بعد أيام رموا منجنيق الجيش فكسروا السهم الذى له ، وعجزوا عن نقله فحرقوه برأى أمراء المقدمين ، وجرت أمور فظيعة ، فالله يحسن العاقبة .

ثم وقعت فى أواخر هذا الشهر بين الجيش وأهل الكرك وقعة أخرى ، وذلك أن جماعة من رجال الكرك خرجوا إلى الجيش ورموهم بالنشاب فخرج الجيش لهم من الخيام ورجعوا مشاة ملبسين بالسلاح فقتلوا من أهل الكرك جماعة من النصارى وغيرهم ، وجرح من العسكر خلق ، وقتل واحد أو اثنان وأسر الأمير سيف الدين أبو بكر بن بهادر آص ، وقتل أمير العرب ، وأسر آخرون فاعتقلوا بالكرك ، وجرت أمور منكرة ، ثم بعدها تعرض العسكر راجعين إلى بلادهم لم ينالوا مرادهم منها ، وذلك أنهم رقهم البرد الشديد وقلة الزاد ، وحاصروا أولئك شديداً بلا فائدة فان البلد بريد متطاولة ومجانيق ، ويشق على الجيش الاقامة هناك فى كوانين ، والمنجنيق الذى حملوه معهم كسر ، فرجعوا ليتأهبوا لذلك .

ولما كان فى يوم الأربعاء الخامس والعشرين منه قدم من الديار المصرية على البريد القاضى بدر الدين بن فضل الله كاتباً على السر عوضاً عن أخيه القاضى شهاب الدين ، ومعه كتاب بالاحتياط على حواصل أخيه شهاب الدين ، وعلى حواصل القاضى عماد الدين ابن الشيرازى المحتسب ، فاحتيط على أموالهما وأخرج من فى ديارهما من الحرم ، وضربت الأخشاب على الابواب ، ورسم على المحتسب بالعذراوية ، فسأل أن يحول إلى دار الحديث الأشرفية فحول إليها . وأما القاضى شهاب الدين ، فكان قد خرج ليلتقى الأمير سيف الدين تغردمر الحموى ، الذى جاء تقليده بنيابة الشام بدمشق وكان بحلب ، وجاء هذا الأمر وهو فى أثناء الطريق ، فرسم برجعته ليصادر هو والمحتسب ، ولم يدر الناس ما ذنبهما .

وفى يوم الأحد ثامن شهر رجب آخر النهار رجع قاضى القضاء تقى الدين السبكى إلى دمشق على القضاء ، ومعه تقليد بالخطابة أيضا ، وذهب الناس اليه للسلام عليه ، ودخل نائب السلطنة

الأمير سيف الدين تغردمر الحموى بعد العصر الخامس عشرينه من حلب ، فتلقاه الأمراء إلى طريق القابون ، ودعا له الناس دعاء كثيراً ، وأحبوه لبغضهم النائب الذى كان قبله ، وهو علاء الدين أيدغمش سامحه الله تعالى ، فنزل بدار السعادة وحضر الموكب صبيحة يوم الاثنين ، واجتمع طائفة من العامة وسألوه أن لا يغير عليهم خطيبهم تاج الدين عبد الرحيم ابن جلال الدين ، فلم يلتفت إليهم ، بل عمل على تقليد القاضى تقى الدين السبكى الخطابة ولبس الخلعة ، وأكثر العوام لما سمعوا بذلك الغوغاء ، وصاروا يجتمعون حلقا حلقا بعد الصلوات ويكثرون الفرحة فى ذلك ، لما منع ابن الجلال ، ولكن بقى هذا لم يباشر السبكى فى المحراب ، واشتهر عن العوام كلام كثير ، وتوعدوا السبكى بالسفاهة عليه إن خطب ، وضاق بذلك ذرعا ، ونهوا عن ذلك فلم ينتهوا ، وقيل لهم ولكثير منهم : الواجب عليكم السمع والطاعة لأولى الأمر ، ولو أمر عليكم عبد حبشى . فلم يرعووا ، فلما كان يوم الجمعة العشرين منه اشتهر بين العامة بأن القاضى نزل عن الخطابة لابن الجلال ، ففرح العوام بذلك وحشدوا فى الجامع ، وجاء نائب السلطنة إلى المقصورة والأمراء معه ، وخطب ابن الجلال على العادة ، وفرح الناس بذلك وأكثروا من الكلام والهرج ، ولما سلم عليهم الخطيب حين صعد ردوا عليه رداً بليغاً ، وتكافوا فى ذلك وأظهروا بغضة القاضى السبكى ، وتجاهروا بذلك ، وأسمعوه كلاماً كثيراً ، ولما قضيت الصلاة قرىء تقليد النيابة على السدة ، وخرج الناس فرحى بخطيبهم ، لكونه استمر عليهم ، واجتمعوا عليه يسلمون ويدعون له .

وفى يوم الأربعاء ثالث شعبان درس القاضى برهان الدين بن عبد الحق بالمدرسة العذراوية بمرسوم سلطانى بتوليته وعزل القفجارى ، وعقد لهما مجلس يوم الثلاثاء بدار العدل ، فرجح جانب القاضى برهان الدين لحاجته وكونه لا وظيفة له .

وفى يوم الجمعة خامسه توفى الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد ابن الجزرى أحد المسندين المكثرين الصالحين ، مات عن خمس وتسعين سنة رحمه الله ، وصلى عليه يوم الجمعة بالجامع المظفرى ودفن بالرواحية . وفى يوم الاربعاء السابع عشر منه توفى الشيخ الامام العالم العابد الناسك الصالح الشيخ شمس الدين محمد بن الزرير خطيب الجامع الكريمى بالقبيبات ، وصلى عليه بعد الظهر يومئذ بالجامع المذكور ، ودفن قبلى الجامع المذكور ، إلى جانب الطريق من الشرق رحمه الله .

واشتهر فى أوائل رمضان أن مولوداً ولد له رأسان وأربع أيد ، وأحضر إلى بين يدى نائب السلطنة ، وذهب الناس للنظر إليه فى محلة ظاهر باب الفراديس ، يقال لها حكى الوزير ، وكنت فيمن ذهب إليه فى جماعة من الفقهاء يوم الخميس ثالث الشهر المذكور بعد العصر ، فأحضره أبوه ـ واسم أبيه سعادة ـ وهو رجل من أهل الجبل ، فنظرت إليه فاذا هما ولدان مستقلان ، فكل قد اشتبكت

أفخاذهما بعضهما ببعض ، وركب كل واحد منهما ودخل فى الآخر والتحمت فصارت جثة واحدة وهما ميتان ، فقالوا أحدهما ذكر و الآخر أنثى ، وهما ميتان حال رؤيتى إليهما . وقالوا إنه تأخر موت أحدهما عن الآخر بيومين أو نحوهما ، وكتب بذلك محضر جماعة من الشهود .

وفى هذا اليوم احتيط على أربعة من الأمراء وهم أبناء الكامل صلاح الدين محمد ، أمير طبلخانات ، وغياث الدين محمد أمير عشرة ، وعلاء الدين على، وابن أيبك الطويل طبلخانات أيضا ، وصلاح الدين خليل بن بلبان طرنا طبلخانات أيضا . وذلك بسبب أنهم اتهموا على ممالأة الملك أحمد بن الناصر الذى فى الكرك ، ومكاتبته ، والله أعلم بحالهم ، فقيدوا وحملوا إلى القلعة المنصورة من باب اليسر مقابل باب دار السعادة الثلاث الطبلخانات والغياث من بابها الكبير وفرق بينهم فى الاماكن . وخرج المحمل يوم الخميس خامس عشره ولبس الخطيب ابن الجلال خلعة استقرار الخطابة فى هذا اليوم ، وركب بها مع القضاة على عادة الخطباء .

وفى هذا الشهر نصب المنجنيق الكبير على باب الميدان الأخضر وطول أكتافه ثمانية عشر ذراعا ، وطول سهمه سبعة وعشرون ذراعا ، وخرج الناس للفرجة عليه ، ورمى به فى يوم السبت حجراً زنته ستين رطلا ، فبلغ إلى مقابلة القصر من الميدان الكبير ، وذكر معلم المجانيق أنه ليس فى حصون الاسلام مثله ، وأنه عمله الحاج محمد الصالحى ليكون بالكرك ، فقدر الله أنه خرج ليحاصر به الكرك ، فالله يحسن العاقبة . وفى أواخره أيضا مسك أربعة أمراء ، وهم أقبغا عبد الواحد الذى كان مباشراً الاستدارية للملك الناصر الكبير ، فصودر فى أيام ابنه المنصور ، وأخرج إلى الشام فناب بحمص فسار سيرة غير مرضية ، وذمه الناس وعزل عنها وأعطى تقدمة ألف بدمشق ، وجعل رأس الميمنة ، فلما كان فى هذه الأيام اتهم بممالأة السلطان أحمد بن الناصر الذى بالكرك ، فمسك وحمل إلى القلعة ومعه الأمير سيف الدين بلو ، والأمير سيف الدين سلامش ، وكلهم بطبلخانات فرفعوا إلى القلعة المنصورة ، فالله يحسن العاقبة .

وفى هذا الشهر خرج قضاء حمص عن نيابة دمشق بمرسوم سلطانى مجدد للقاضى شهاب الدين البارزى ، وذلك بعد مناقشة كثيرة وقعت بينه وبين قاضى القضاة تقى الدين السبكى ، وانتصر له بعض الدولة ، واستخرج له المرسوم المذكور . وفيه أيضا أفرد قضاء القدس الشريف أيضا باسم القاضى شمس الدين بن سالم الذى كان مباشرها مدة طويلة قبل ذلك نيابة ، ثم عزل عنها وبقى مقيما ببلده غزة ، ثم أعيد إليها مستقلا بها فى هذا الوقت . وفى هذا الشهر رجع القاضى شهاب الدين ابن فضل الله من الديار المصرية ومعه توقيع بالمرتب الذى كان له أولا كل شهر ألف درهم ، وأقام بعمارته التى أنشأها بسفح قاسيون شرقى الصالحية بقرب حمام النحاس .

وفى ضبيحة مستهل ذى القعدة خرج المنجنيق قاصدا إلى الكرك على الجمال والعجل ، وصحبته الأمير صارم الدين إبراهيم المسبقى ، أميرحاجب ، كان فى الدولة السكرية ، وهو المقدم عليه يحوطه ويحفظه ويتولى تسييره بطلبه وأصحابه ، وتجهز الجيش للذهاب إلى الكرك ، وتأهبوا أتم الجهاز ، وبرزت أثقالهم إلى ظاهر البلد وضربت الخيام فالله يحسن العاقبة .

وفى يوم الاثنين رابعه توفى الطواشى شبل الدولة كافور السكرى ، ودفن صبيحة يوم الثلاثاء خامسه فى تربته التى أنشأها قديما ظاهر باب الجابية تجاه تربة الطواشى ظهير الدين الخازن بالقلعة ، كان قبيل مسجد الدبان رحمه الله ، وكان قديما للصاحب تقى الدين توبة التكريتى ، ثم اشتراه تنكز بعد مدة طويلة من ابنى أخيه صلاح الدين وشرف الدين بمبلغ جيد وعوضهما إقطاعا بزيادة على ما كان بأيديهما ، وذلك رغبة فى أمواله التى حصلها من أبواب السلطنة ، وقد تعصب عليه أستاذه تنكز رحمه الله فى وقت وصودر وجرت عليه فصول ، ثم سلم بعد ذلك ، ولما مات ترك أموالا جزيلة وأوقافا رحمه الله . وخرجت التجريدة يوم الأربعاء سادسه والمقدم عليها الأمير بدر الدين بن الخطير ومعه مقدم آخر وهو الأمير علاء الدين بن قراسنقر .

وفى يوم السبت سلخ هذا الشهر توفى الشاب الحسن شهاب الدين أحمد بن فرج المؤذن بمأذنة العروس ، وكان شهيراً بحسن الصوت ذا حظوة عظيمة عند أهل البلد ، وكان رحمه الله كافى النفس وزيادة فى حسن الصوت الرخيم المطرب ، وليس فى القراء ولا فى المؤذنين قريب منه ولا من يدانيه فى وقته ، وكان فى آخر وقته على طريقة حسنة ، وعمل صالح ، وانقطاع عن الناس ، وإقبال على شأن نفسه فرحمه الله ، وأكرم مثواه ، وصلى عليه بعد الظهر يومئذ ودفن عند أخيه بمقبرة الصوفية .

وفى يوم الخميس خامس ذى الحجة توفى الشيخ بدر الدين بن نصحان شيخ القراء السبع فى البلد الشهير بذلك ، وصلى عليه بالجامع بعد الظهر يومئذ ، ودفن بباب الفراديس رحمه الله .

وفى يوم الأحد تاسعه وهو يوم عرفة حضر الاقراء بتربة أم الصالح عوضا عن الشيخ بدر الدين ابن نصحان القاضى شهاب الدين أحمد بن النقيب البعلبكى ، وحضر عنده جماعة من الفضلاء ، وبعض القضاة ، وكان حضوره بغتة ، وكان متمرضا ، فألقى شيئامن القراءات والاعراب عند قوله تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم) وفى أواخر هذا الشهر غلا السعر جدا وقل الخبز وازدحم الناس على الافران زحمة عظيمة ، وبيع خبز الشعير المخلوط بالزيوان والنقارة ، وبلغت الغرارة بمائة وستة وثمانين درهما ، وتقلص السعر جداً حتى بيع الخبز كل رطل بدرهم ، وفوق ذلك بيسير ، ودونه بحسب طيبه ورداءته ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وكثر السؤال وجاع العيال ، وضعف كثير من الأسباب والأحوال ، ولكن لطف الله عظيم فان الناس مترقبون مغلا

هائلا لم يسمع بمثله من مدة سنين عديدة ، وقد اقترب أوانه ، وشرع كثير من البلاد فى حصاد الشعير و بعض القمح مع كثرة الفول وبوادر التوت ، فلولا ذلك لكان غير ذلك ، ولكن لطف الله بعباده ، وهو الحاكم المتصرف الفعال لما يريد لا إله إلا هو .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان المسلمين الملك الناصر عماد الدنيا والدين إسماعيل ابن الملك الناصر ناصر الدين محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين آقسنقر السلارى ، وقضاته هم المتقدم ذكرهم فى العام الماضى ، ونائبه بدمشق الأمير سيف الدين تغردمر الحموى ، وقضاته هم المتقدم ذكرهم ، وكذلك الصاحب والخطيب وناظر الجامع والخزانة . ومشد الأوقاف وولاية المدينة .

استهلت والجيوش المصرية والشامية محيطة بحصن الكرك محاصرون ويبالغون فى أمره ، والمنجنيق منصوب وأنواع آلات الحصار كثيرة ، وقد رسم بتجريدة من مصر والشام أيضاً تخرج إليها . وفى يوم الخميس عاشر صفر دخلت التجريدة من الكرك إلى دمشق واستمرت التجريدة الجديدة على الكرك ألفان من مصر وألفان من الشام ، والمنجنيق منقوض موضوع عند الجيش خارج الكرك ، والأمور متوقفة على وبرد [1] الحصار بعد رجوع الأحمدى إلى مصر .

وفى يوم السبت ثانى ربيع الأول توفى السيد الشريف عماد الدين الخشاب بالكوشك فى درب السيرجى جوار المدرسة العزية ، وصلى عليه ضحى بالجامع الأموى ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وكان رجلا شهماً كثير العبادة والمحبة للسنة وأهلها ، ممن واظب الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله وانتفع به ، وكان من جملة أنصاره وأعوانه على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو الذى بعثه إلى صيدنا يامع بعض القسيسين فلوث يده بالعذرة وضرب اللحمة التى يعظمونها هنالك ، وأهانها غاية الاهانة لقوة إيمانه وشجاعته رحمه الله و إيانا .

وفى يوم الخميس سابعه اجتمع الصاحب ومشد الدواوين ووكيل بيت المال ، ومشد الأوقاف ومباشرو الجامع ومعهم العمالين بالقول والمعاول ، يحفرون إلى جانب السارية عند باب مشهد على تحت تلك الصخرة التى كانت هناك ، وذلك عن قول رجل جاهل ، زعم أن هناك مالا مدفوناً فشاوروا نائب السلطنة فأمرهم بالحفر ، واجتمع الناس والعامة فأمرهم فأخرجوا وأغلقت أبواب الجامع كلها ليتمكنوا من الحفر ، ثم حفروا ثانياً وثالثاً فلم يجدوا شيئاً إلا التراب المحض ، واشتهر هذا الحفير فى البلد وقصده الناس للنظر إليه والتعجب من أمره ، وانفصل الحال على أن حبس هذا الزاعم لهذا المحال ، وطم الحفير كما كان .

---

(١) كذا فى الاصل . فليحرر .

وفى يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول قدم قاضى حلب ناصر الدين بن الخشاب على البريد مجتازاً إلى دمشق فنزل بالعادلية الكبيرة ، وأخبر أنه صلى على المحدث البارع الفاضل الحافظ شمس الدين محمد بن على بن أيبك السروجى المصرى يوم الجمعة ثامن هذا الشهر بحلب رحمه الله ومولده سنة خمس عشرة وسبعمائة ، وكان قد أتقن طرفا جيداً فى علم الحديث ، وحفظ أسماء الرجال، وجمع وخرج .

وفى مستهل ربيع الآخر وقع حريق عظيم بسفح قاسيون احترق به سوق الصالحية الذى بالقرب من جامع المظفرى ، وكانت جملة الدكاكين التى احترقت قريبا من مائة وعشرين دكاناً ، ولم ير حريق من زمان أكبر منه ولا أعظم ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفى يوم الجمعة سادسه رسم بأن يذكر بالصلاة يوم الجمعة فى سائر مواذن البلد كما يذكر فى مواذن الجامع ، ففعل ذلك . وفى يوم الثلاثاء عاشره طلب من القاضى تقى الدين السبكى قاضى قضاة الشافعية أن يقرض ديوان السلطان شيئاً من أموال الغياب التى تحت يده ، فامتنع من ذلك امتناعا كثيراً ، فجاء شاد الدواوين وبعض حاشية نائب السلطنة ففتحوا مخزن الأيتام وأخذوا منه خمسين ألف درهم قهراً ، ودفعوها إلى بعض العرب عما كان تأخر له فى الديوان السلطانى ، ووقع أمر كثير لم يعهد مثله .

وفى يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى توفى صاحبنا الشيخ الامام العالم العلامة الناقد البارع فى فنون العلوم شمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين أحمد بن عبد الهادى المقدسى الحنبلى، تغمده الله برحمته ، وأسكنه بحبوحة جنته ، مرض قريباً من ثلاثة أشهر بقرحة وحمى سل ، ثم تفاقم أمره وأفرط به إسهال ، وتزايد ضعفه إلى أن توفى يومئذ قبل أذان العصر ، فأخبرنى والده أن آخر كلامه أن قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين . فصلى عليه يوم الخميس بالجامع المظفرى وحضر جنازته قضاة البلد وأعيان الناس من العلماء والأمراء والتجار والعامة ، وكانت جنازته حافلة مليحة ، عليها ضوء ونور ، ودفن بالروضة إلى جانب قبر السيف ابن المجد رحمهما الله تعالى ، وكان مولده فى رجب سنة خمس وسبعمائة فلم يبلغ الأربعين ، وحصل من العلوم مالا يبلغه الشيوخ الكبار ، وتفنن فى الحديث والنحو والتصريف والفقه والتفسير والأصلين والتاريخ والقراءات وله مجاميع وتعاليق مفيدة كثيرة ، وكان حافظا جيداً لأسماء الرجال ، وطرق الحديث ، عارفا بالجرح والتعديل ، بصيراً بعلل الحديث ، حسن الفهم له ، جيد المذاكرة صحيح الذهن مستقيما على طريقة السلف ، واتباع الكتاب والسنة ، مثابرا على فعل الخيرات .

وفى يوم الثلاثاء سالخه درس بمحراب الحنابلة صاحبنا الشيخ الامام العلامة شرف الدين بن

القاضي شرف الدين الحنبلي في حلقة الثلثاء عوضا عن القاضي تقي الدين بن الحافظ رحمه الله ، وحضر عنده القضاء والفضلاء ، وكان درسا حسنا أخـذ في قوله تعالى . (إن الله يأمر بالعدل والاحسان) وخرج إلى مسألة تفضيل بعض الأولاد . و في يوم الخميس ثاني شهر جمادى الأولى خرجت التجريدة إلى الكرك مقدمان من الأمراء ، وهما الامير شهاب الدين بن صبح ، والامير سيف الدين قلاوون ، في أبهة عظيمة وتجمل وجيوش و بقارات ، و إزعاج كثيرة .

و في صبيحة يوم الاثنين الحادي والعشرين منه قتل بسوق الخيل حسن بن الشيخ السكاكيني على ما ظهر منه من الرفض الدال على الكفر المحض ، شهد عليه عند القاضي شرف الدين المالكي بشهادات كثيرة تدل على كفره ، وأنه رافضي جلد ، فمن ذلك تكفير الشيخين رضى الله عنهما ، وقذفه أمي المؤمنين عائشة وحفصة رضى الله عنهما ، و زعم أن جبريل غلط فأوحى إلى محمد ، و إنما كان مرسلا إلى علي ، وغير ذلك من الأقوال الباطلة القبيحة قبحه الله ، وقد فعل . وكان والده الشيخ محمد السكاكيني يعرف مذهب الرافضة والشيعة جيداً ، وكانت له أسئلة على مذهب أهل الخير ، ونظم في ذلك قصيدة أجابه فيها شيخنا الامام العلامة شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله ، وذكر غير واحد من أصحاب الشيخ أن السكاكيني مامات حتى رجع عن مذهبه ، وصار إلى قول أهل السنة فالله أعلم . وأخبرت أن ولده حسنا هذا القبيح كان قد أراد قتل أبيه لما أظهر السنة .

و في ليلة الاثنين خامس شهر رجب وصل بدن الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام كان إلى تربته التي إلى جانب جامعه الذي أنشأه ظاهر باب النصر بدمشق ، نقل من الاسكندرية بعد ثلاث سنين ونصف أو أكثر ، بشفاعة ابنته زوجة الناصر عند ولده السلطان الملك الصالح ، فأذن في ذلك وأرادوا أن يدفن بمدرسته بالقدس الشريف ، فلم يمكن ، فجيء به إلى تربته بدمشق وعملت له الختم وحضر القضاة والأعيان رحمه الله .

و في يوم الثلاثاء حادي عشر شعبان المبارك توفي صاحبنا الأمير صلاح الدين يوسف التكريتي ابن أخي الصاحب تقي الدين بن توبة الوزير ، بمنزله بالقصاعين ، وكان شابا من أبناء الأربعين ، ذا ذكاء وفطنة وكلام و بصيرة جيدة ، وكان كثير المحبة إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، ولأصحابه خصوصا ، ولكل من يراه من أهل العلم عموما ، وكان فيه إيثار و إحسان ومحبة الفقراء والصالحين ، ودفن بتربتهم بسفح قاسيون رحمه الله ، وفي يوم السبت الخامس عشر منه جاءت زلزلة بدمشق لم يشعر بها كثير من الناس لخفتها ولله الحمد والمنة ، ثم تواترت الأخبار بأنها شعثت في بلاد حلب شيئا كثيراً من العمران حتى سقط بعض الابراج بقلعة حلب ، وكثير من دورها ومساجدها ومشاهدها وجدرانها ، وأما في القلاع حولها فكثير جداً ، وذكروا أن مدينة منبج

لم يبق منها إلا القليل ، وأن عامة الساكنين بها هلكوا تحت الردم رحمهم الله :

وفى أواخر شهر شوال خرجت التجاريد إلى الكرك وهما أميران مقدمان الأمير علاء الدين قراسنقر ، والأمير الحاج بيد مر ، واشتهر فى هذه الأيام أن أمر الكرك قد ضعف وتفاقم عليهم الأمر وضاقت الارزاق عندهم جداً ، ونزل منها جماعات من رؤسائها وخاصكية الأمير أحمد بن الناصر مخامرين عليه ، فسيروا من الصبح إلى قلاوون وصحبتهم مقدمون من الحلقة إلى الديار المصرية ، وأخبروا أن الحواصل عند أحمد قد قلت جداً فالله المسئول أن يحسن العاقبة .

وفى ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من شهر ذى الحجة توفى القاضى الامام العلامة برهان الدين ابن عبد الحق شيخ الحنفية وقاضى القضاة بالديار المصرية مدة طويلة ، بعد ابن الحريرى ، ثم عزل وأقام بدمشق ودرس فى أيام تغردمر بالعذراوية لولده القاضى أمين الدين ، فذكر بها الدرس يوم الأحد قبل وفاة والده بثلاثة أيام ، وكان موت برهان الدين رحمه الله ببستانه من أراضى الارزة بطريق الصالحية ، ودفن من الغد بسفح قاسيون بمقبرة الشيخ أبى عمر رحمه الله ، وصلى عليه بالجامع المظفرى ، وحضر جنازته القضاة والأعيان والأكابر رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والديار الشامية وما يتعلق بذلك الملك الصالح بن إسماعيل بن السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وقضاته بالديار المصرية والشامية هم المذكورون فى السنة المتقدمة ، ونائبه بمصر الحاج سيف الدين ووزيره المتقدم ذكره ، وناظر الخاص القاضى مكين الدين ، وناظر الجيوش القاضى علم الدين ابن القطب ، والمحتسب المتقدم ، وشاد الدواوين علم الدين الناصرى ، وشاد الأوقاف الأمير حسام الدين النجيبى ، ووكيل بيت المال القاضى علاء الدين شرنوخ ، وناظر الخزانة القاضى تقى الدين بن أبى الطيب ، وبقية المباشرين والنظار هم المتقدم ذكرهم ، وكاتب الدست القاضى بدر الدين بن فضل الله كاتب السر ، والقاضى أمين الدين ابن القلانسى والقاضى شهاب الدين بن القيسرانى ، والقاضى شرف الدين بن شمس الدين بن الشهاب محمود ، والقاضى علاء الدين شرنوخ .

شهر المحرم أوله السبت استهل والحصار واقع بقلعة الكرك ، وأما البلد فأخذو استنيب فيه الأمير سيف الدين قبليه ، قدم إليها من الديار المصرية ، والتجاريد من الديار المصرية ومن دمشق محيطون بالقلعة ، والناصر أحمد بن الناصر ممتنع من التسليم ، ومن الاجابة إلى الانابة . ومن الدخول فى طاعة أخيه ، وقد تفاقمت الأمور وطالت الحروب ، وقتل خلق كثير بسبب ذلك ، من الجيوش ومن أهل الكرك ، وقد توجهت القضية إلى خير إن شاء الله . وقبل ذلك بأيام يسيرة هرب من قلعة

الكرك الأمير سيف الدين أبو بكر بن بهادرآص الذى كان أسر فى أوائل حصار الكرك ، وجماعة من مماليك الناصر أحمد ، كان اتهمهم بقتل الشهيب أحمد ، الذى كان يعتنى به ويحبه ، واستبشر الجيوش بنزول أبى بكر من عنده وسلامته من يده ، وجهز إلى الديار المصرية معظما ، وهذاوالمجانيق الثلاثة مسلطة على القلعة من البلد تضرب عليها ليلا ونهارا ، وتدمر فى بنائها من داخل ، فان سوُرها لا يؤثر فيه شيء بالكلية ، ثم ذكر أن الحصار فتر ولكن مع الاحتياط على أن لا يدخل إلى القلعة ميرة ولا شيء مما يستعينون به على المقام فيها ، فالله المسؤل أن يحسن العاقبة . وفى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من صفر قدم البريد مسرعا من الكرك فأخبر بفتح القلعة ، وأن بابها أحرق ، وأن جماعة الأمير أحمد بن الناصر استغاثوا بالأمان ، وخرج أحمد مقيداً وسير على البريد إلى الديار المصرية ، وذلك يوم الاثنين بعدالظهر الثالث والعشرين من هذا الشهر ، ولله عاقبة الأمور وفى صبيحة يوم الجمعة رابع ربيع الأول دقت البشائر بالقلعة ، وزينت البلد عن مرسوم السلطان الملك الصالح سرورا بفتح البلد ، واجتماع الكلمة عليه ، واستمرت الزينة إلى يوم الاثنين سابعه ، فرسم برفعها بعد الظهر فتشوش كثير من العوام ، وأرجف بعض الناس بأن أحمد قد ظهر أمره وبايعه الأمراء الذين هم عنده ، وليس لذلك حقيقة ، ودخلت الأطلاب من الكرك صبيحة يوم الأحد ثالث عشر ربيع الأول بالطبلخانات والجيوش ، واشتهر إعدام أحمد بن الناصر .

وفى يوم الجمعة حادى عشر ربيع الأول صلى بالجامع الأموى على الشيخ أمين الدين أبى حيان النحوى ، شيخ البلاد المصرية من مدة طويلة ، وكانت وفاته بمصرعن تسعين سنة وخمسة أشهر . ثم اشتهر فى ربيع الآخر قتل السلطان أحمد وحز رأسه وقطع يديه ، ودفن جثته بالكرك ، وحمل رأسه إلى أخيه الملك الصالح إسماعيل ، وحضر بين يديه فى الرابع والعشرين من هذا الشهر ، ففرح الناس بذلك ، ودخل الشيخ أحمد الزرعى على السلطان الملك الصالح فطلب منه أشياء كثيرة من تبطيل المظالم ومكوسات وإطلاق طبلخانات للامير ناصر الدين بن بكتاش ، وإطلاق أمراء محبوسين بقلعة دمشق وغير ذلك ، فأجابه إلى جميع ذلك ، وكان جملة المراسيم التى أجيب فيها بضع وثلاثين مرسوماً ، فلما كان آخر شهر ربيع الآخر قدمت المراسيم التى سألها الشيخ أحمد من الملك الصالح ، فأمضيت كلها ، أوكثير منها ، وأفرج عن صلاح الدين بن الملك الكامل ، والأمير سيف الدين بلو ، فى يوم الخميس سلخ هذا الشهر ، ثم روجع فى كثير منها وتوقف حالها .

وفى هذا الشهر عملت منارة خارج باب الفرج وفتحت مدرسة كانت داراً قديمة فجعلت مدرسة للحنفية ومسجداً ، وعملت طهارة عامة ، ومصلى للناس ، وكل ذلك منسوب إلى الأمير سيف الدين تقطم الخليلى أمير حاجب كان ، وهو الذى جدد الدار المعروفة به اليوم بالقصاعين .

وفى ليلة الاثنين عاشر جمادى الآخرة توفى صاحبنا المحدث تقى الدين محمد بن صدر الدين سليمان الجعبرى زوج بنت الشيخ جمال الدين المزى ، والد شرف الدين عبد الله ، وجمال الدين إبراهيم وغيرهم ، وكان فقيها بالمدارس ، وشاهداً تحت الساعات وغيرها ، وعنده فضيلة جيدة فى قراءة الحديث وشىء من العربية ، وله نظم مستحسن ، انقطع يومين وبعض الثالث وتوفى فى الليلة المذكورة فى وسط الليل ، وكنت عنده وقت العشاء الآخرة ليلتئذ ، وحدثنى وضاحكنى ، وكان خفيف الروح رحمه الله ، ثم توفى فى بقية ليلته رحمه الله ، وكان أشهدنى عليه بالتوبة من جميع ما يسخط الله عز وجل ، وأنه عازم على ترك الشهود أيضاً رحمه الله ، صلى عليه ظهر يوم الاثنين ، ودفن بمقابر باب الصغير عند أبويه رحمهم الله .

وفى يوم الجمعة ثانى عشرين شهر رجب خطب القاضى عماد الدين بن العز الحنفى بجامع تنكز خارج باب النصر عن نزول الشيخ نجم الدين على بن داود القفجارى له عن ذلك ، وأيضا نائب السلطنة الأمير سيف الدين تغردمر وحضوره عنده فى الجامع المذكور يومئذ .

وفى يوم الجمعة تاسع عشرين رجب توفى القاضى الامام العالم جلال الدين أبو العباس أحمد ابن قاضى القضاة حسام الدين الرومى الحنفى ، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة بمسجد دمشق ، وحضره القضاة والأعيان ودفن بالمدرسة التى أنشأها إلى جانب الزردكاش قريبا من الخاتونية الجوانية ، وكان قد ولى قضاء قضاة الحنفية فى أيام ولاية أبيه الديار المصرية ، وكان مولده سنة إحدى وخمسين وستمائة ، وقدم الشام مع أبيه فأقاموا بها ، ثم لما ولى الملك المنصور لاجين ولى أباه قضاء الديار المصرية ، وولده هذا قضاء الشام ، ثم إنه عزل بعد ذلك واستمر على ثلاث مدارس من خيار مدارس الحنفية ثم حصل له صمم فى آخر عمره ، وكان ممتعا بحواسه سواه وقواه ، وكان يذاكر فى العلم وغير ذلك .

وفى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان توفى الشيخ نجم الدين على بن داود القفجارى خطيب جامع تنكز ، ومدرس الظاهرية ، وقد نزل عنها قبل وفاته بقليل للقاضى عماد الدين بن العز الحنفى ، وصلى عليه بالجامع المذكور بعد صلاة الظهر يومئذ ، وعند باب النصر وعند جامع جراح ودفن بمقبرة ابن الشيرجى عند والده ، وحضره القضاة والاعيان ، وكان أستاذا فى النحو وله علوم أخر ، لكن كان نهاية فى النحو والتصريف .

وفى هذا اليوم توفى الشيخ الصالح العابد الناسك الشيخ عبد الله الضرير الزرعى ، وصلى عليه بعد الظهر بالجامع الأموى وبباب النصر وعند مقابر الصوفية ، ودفن بها قريبا من الشيخ تقى الدين ابن تيمية رحمه الله ، وكان كثير التلاوة حسنها وصحيحها ، كثير العبادة ، يقرىء الناس من دهر طويل ويقوم بهم العشر الأخير من رمضان ، فى محراب الحنابلة بالجامع الأموى رحمه الله .

وفى يوم الجمعة ثانى شهر رمضان المعظم توفى الشيخ الامام العالم العامل العابد الزاهد الورع أبو عمر بن أبي الوليد المالكى إمام محراب الصحابة الذى للمالكية ، وصلى عليه بعد الصلاة ، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير ، وتأسف الناس عليه وعلى صلاحه وفتاويه النافعة الكثيرة ، ودفن إلى جانب قبر أبيه وأخيه ، إلى جانب قبر أبي الفندلاوى المالكى قريبا من مسجد التاريخ رحمه الله ، وولى مكانه فى المحراب ولده ، وهو طفل صغير ، فاستنيب له إلى حين صلاحيته ، جبره الله ورحم أباه .

وفى صبيحة ليلة الثلاثاء سادس رمضان وقع ثلج عظيم لم ير مثله بدمشق من مدة طويلة ، وكان الناس محتاجين إلى مطر ، فلله الحمد والمنة ، وتكاثف الثلج على الأسطحة ، وتراكم حتى أعيى الناس أمره ونقلوه عن الأسطحة إلى الأزقة يحمل ، ثم نودى بالأمر بازالته من الطرقات فانه سدها وتعطلت معايش كثير من الناس ، فعوض الله الضعفاء بعملهم فى الثلج ، ولحق الناس كافة كبيرة وغرامة كثيرة ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفى يوم الجمعة الثالث والعشرين من رمضان صلى بالجامع الأموى على نائب وهو الأمير علاء الدين الجاولى ، وقد تقدم شيء من ترجمته رحمه الله .

وفى أول شوال يوم عيد الفطر وقع فيه ثلج عظيم بحيث لم يتمكن الخطيب من الوصول إلى المصلى ، ولا خرج نائب السلطنة ، بل اجتمع الأمراء والقضاة بدار السعادة ، وحضر الخطيب فصلى بهم العيد بها ، وكثير من الناس صلوا العيد فى البيوت .

وفى يوم الأحد الحادى والعشرين من ذى الحجة درس قاضى القضاة تقى الدين السبكى الشافعى بالشامية البرانية عن الشيخ شمس الدين ابن النقيب رحمه الله ، وحضر عنده القضاة والأعيان والأمراء وخلق من الفضلاء ، وأخذ فى قوله تعالى (قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب) وما بعدها . وفى ذى الحجة استفتى فى قتل كلاب البلد فكتب جماعة من أهل البلد فى ذلك ، فرسم باخراجهم يوم الجمعة من البلد الخامس والعشرين منه ، لكن إلى الخندق ظاهر باب الصغير ، وكان الأولى قتلهم بالكلية وإحراقهم لئلا تنتن الناس بريحهم على ما أفتى به الامام مالك بن أنس من جواز قتل الكلاب ببلدة معينة للمصلحة ، إذا رأى الامام ذلك ، ولا يعارض ذلك النهى عن قتل الكلاب ، ولهذا كان عثمان بن عفان يأمر فى خطبته بقتل الكلاب وذبح الحمام .

﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان المسلمين بالديار المصرية والشامية والحرمين والبلاد الحلبية وأعمال ذلك الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور ، وقضاته بالديار المصرية والشامية هم

المذكورون أيضا . وفى يوم الجمعة سادس عشر محرم كملت عمارة الجامع الذى بالمزة الفوقانية الذى جدده وأنشأه الأمير بهاء الدين المرجانى ، الذى بنى والده مسجد الخيف بمنى وهو جامع حسن متسع فيه روح وانشراح ، تقبل الله من بانيه ، وعقدت فيه الجمعة بجمع كثير وجم غفير من أهل المزة ، ومن حضر من أهل البلد ، وكنت أنا الخطيب ـ يعنى الشيخ عماد الدين المصنف تغمده الله برحمته ـ ولله الحمد والمنة . ووقع كلام وبحث فى اشتراط المحلل فى المسابقة ، وكان سببه أن الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صنف فيه مصنفا من قبل ذلك ، ونصر فيه ما ذهب إليه الشيخ تقى الدين بن تيمية فى ذلك ، ثم صار يفتى به جماعة من الترك ولا يعزوه إلى الشيخ تقى الدين بن تيمية ، فاعتقد من اعتقد أنه قوله وهو مخالف للأئمة الأربعة ، فحصل عليه إنكار فى ذلك ، وطلبه القاضى الشافعى ، وحصل كلام فى ذلك ، وانفصل الحال على أن أظهر الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية الموافقة للجمهور .

﴿ وفاة الملك الصالح إسماعيل ﴾

فى يوم الاربعاء ثالث شهر ربيع الآخر من هذه السنة أظهر موت السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن الناصر بن المنصور آخر النهار ، وكان قد عهد بالأمر إلى أخيه لأبويه الملك الكامل سيف الدين أبى الفتوح شعبان ، فجلس على سرير المملكة يوم الخميس رابعه ، وكان يوما مشهوداً ، ثم قدم الخبر إلى دمشق عشية الخميس ليلة الجمعة الثانى عشر منه ، وكان البريد قد انقطع عن الشام نحو عشرين يوما للشغل بمرض السلطان ، فقدم الامير سيف الدين معزا للبيعة للملك الكامل ، فركب عليه الجيش لتلقيه ، فلما كان صبيحة الجمعة أخذت البيعة من النائب والمقدمين وبقية الأمراء والجند للسلطان الملك الكامل بدار السعادة ، ودقت البشائر وزين البلد وخطب الخطباء يومئذ للملك الكامل ، جعله الله وجها مباركا على المسلمين .

وفى صبيحة يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الآخر درس القاضى جمال الدين حسين ابن قاضى القضاة تقى الدين السبكى الشافعى بالمدرسة الشامية البرانية ، نزل له أبوه عنها ، واستخرج له مرسوما سلطانيا بذلك ، فحضر عنده القضاة والأعيان وجماعة من الأمراء والفقهاء ، وجلس بين أبيه والقاضى الحنفى ، وأخذ فى الدرس فى قوله تعالى . (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) الآيات . وتكلم الشريف مجد الدين المتكلم فى الدرس بكلام فيه نكارة وبشاعة ، فشنع عليه الحاضرون ، فاستتيب بعد انقضاء الدرس وحكم باسلامه ، وقد طلب إلى الديار المصرية نائب دمشق الأمير سيف الدين تغردمر وهو متمرض ، انقطع عن الجمعة بسبب المرض مرات ، والبريد يذهب إلى حلب لمجئ نائبها الامير سيف الدين يلبغا لنيابة دمشق ، وذكر أن الحاج أرقطيه تعين لنيابة حلب . وفى يوم الجمعة رابع جمادى الاولى

خرجت أثقـال الأمير سيف الدين تغرد مر النائب وخيوله وهجنـه ومواليه وحواصـله وطبلخاناته وأولاده فى تجمل عظيم ، وأبهة هائلة جداً ، وخرجت المحافل والـكحارات والمحفات لنسـائه و بناته وأهله فى هيبة عجيبة ، هذا كله وهو بدار السعادة ، فلما كان من وقت السـحر فى يوم السبت خامسه خرج الأمير سيف الدين تغرد مر بنفسه إلى الـكسوة فى محفة لمرضه مصحوباً بالسلامة ، فلما طلعت الشمس من يومئذ قدم من حلب أستاذ دار الأمير سيف الدين يلبغا البحناوى فتسلم دار السعادة ، وفرح الناس بهم ، وذهب الناس للتهنئة والتودد إليهم .

ولمـا كان يوم السبت الثانى عشر من جمادى الأولى خرج الجيش بكماله لتلقى نائب السلطنة الأمير سيف الدين يلبغا فدخل فى تجمل عظيم ،ثم جاء فنزل عند باب السر، وقبل العتبة على العادة ثم مشى إلى دار السعادة .

وفى عشية يوم الاثنين رابع عشره قطع نائب السلطنة ممن وجب قطعه فى الحبس ثلاثة عشر رجلا وأضاف إلى قطع اليد قطع الرجل من كل منهم ، لما بلغه أنه تكرر من جناياتهم ، وصلب ثلاثة بالمسامير ممن وجب قتله ، ففرح الناس بذلك لقمعه المفسدين وأهل الشرور ، والعيث والفساد .

واشتهر فى العشر الأوسط من جمادى الآخرة وفاة الأمير سيف الدين تغرد مر بعد وصوله إلى الديار المصرية بأيام ، وكان ذلك ليلة الخميس مستهل هذا الشهر ، وذكر أنه رسم عـلى ولده وأسـتاذ داره ، وطلب منهم مال جزيل ، فالله أعلم .

وفى يوم الاثنين ثانى عشره توفى القاضى عـلاء الدين بن العز الحنفى نائب الحـكم ببستانه بالصالحية ودفن بها ، وذلك بعد عود المدرسة الظاهرية إليه ، وأخذه إياها من عمه القاضى عماد الدين إسماعيل ، كما قدمنا ، ولم يدرس فيها إلا يوما واحـداً ، وهو متمرض ، ثم عاد إلى الصالحية فتمادى به مرضه إلى أن مات رحمه الله .

وخرج الركب إلى الحجاز الشريف يوم السـبت حادى عشر شـوال ، وخرج ناس كثير من البلد ، ووقع مطر عظيم جداً ، ففرح الناس به من جهة أن المطر كان قليلا جدا فى شهر رمضان ، وهو كانون الأصم ، فلما وقع هذا اسـتبشروا به وخافوا على الحجاج ضرره ، ثم تداول المطر وتتابع ولله الحمـد والمنة ، لـكن ترحل الحجاج فى أوحال كثيرة وزلق كثير ، والله المسلم والمعين والحـامى . ولما استقل الحجيج ذاهبين وقع عليهـم مطر شديد بين الصمين فعوقهم أياما بها ، ثم تحـاملوا إلى زرع فلم يصلوها إلا بعـد جهد جهيد وأمر شـديد ، ورجع كثير منهم وأكثرهم ، وذكروا أشياء عظيمة حصلت لهم من الشدة وقوة الأمطار وكثرة الأوحال ، ومنهم من كان تقدم إلى أرض بصرى، فحصل لهم رفق بذلك والله المستعان . وقيل إن نساء كثيرة من المخدرات مشين حفاة فيما بين زرع والصميين

و بعد ذلك ، وكان أمير الحاج سيف الدين ملك آص وقاضيه شهاب الدين بن الشجرة الحاكم بمدينة بعلبك يومئذ والله المستعان ، انتهى .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد بالديار المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وليس له بمصر نائب ، وقضاة مصرهم المذكورون في التي قبلها ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين يلبغا اليحياوي ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها ، إلا أن قاضي القضاة عماد الدين بن إسماعيل الحنفي نزل عن القضاء لولده قاضي القضاة نجم الدين ، واستقل بالولاية وتدريس النورية ، و بقي والده على تدريس الريحانية.

وفي يوم الجمعة السادس عشر من المحرم من هذه السنة توفي الشيخ تقي الدين الشيخ الصالح محمد ابن الشيخ محمد بن قوام بزاويتهم بالسفح ، وصلي عليه الجمعة بجامع الأفرم ، ثم دفن بالزاوية وحضره القضاة والأعيان وخلق كثير ، وكان بينه و بين أخيه ستة أشهر وعشرون يوماً ،وهذا أشد من ذلك.

وفتحت في أول السنة القيسارية التي أنشأها الأمير سيف الدين يلبغا نائب السلطنة ظاهر باب الفرج وضمنت ضماناً باهراً بنحو من سبعة آلاف كل شهر ، وداخلها قيسارية تجارة في وسطها بركة ومسجد ، وظاهرها دكاكين وأعاليها بيوت للسكن .

وفي صبيحة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول عقد مجلس بمشهد عثمان للنور الخراساني ، وكان يقرأ القرآن في جامع تنكز ، و يعلم الناس أشياء من فرائض الوضوء والصلاة ، ادعى عليه فيه أنه تكلم في بعض الأئمة الأربعة ، وأنه تكلم في شيء من العقائد و يطلق عبارات زائدة على ما ورد به الحديث ، وشهد عليه ببعض أشياء متعددة ، فاقتضى الحال أن عزر في هذا اليوم ، وطيف به في البلد ، ثم رد إلى السجن معتقلا . فلما كان يوم الخميس الثاني عشرين منه شفع فيه الأمير أحمد بن مهنا ملك العرب عند نائب السلطنة فاستحضره بين يديه وأطلقه إلى أهله وعياله ، ولما كان تاريخ يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى صلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين يلبغا اليحياوي الناصري بجامع تنكز ظاهر دمشق برا باب النصر ، وصلى عنده القاضي الشافعي والمالكي وكبار الأمراء ، ولما أقيمت الصلاة صلى وقعد بعض مماليكه عن الصلاة ومعه السلاح حراسة له ، ثم لما انصرف من الصلاة اجتمع بالأمراء المذكورين وتشاوروا طويلا ، ثم نهض النائب إلى دار السعادة فلما كان آخر النهار برز بخدمه ومماليكه وحشمه و وطاقه وسلاحه وحواصله ، ونزل قبلي مسجد القدم وخرج الجند والأمراء في آخر النهار وانزعج الناس ، واتفق طلوع القمر خاسفا ، ثم خرج الجيش ملبسا تحت الثياب وعليه التراكيس بالنشاب والخيول والجنابات ، ولا يدري الناس ما الخبر ، وكان

سبب ذلك أن نائب السلطنة بلغه أن نائب صفد قد ركب إليه ليقبض عليه ، فانزعج لذلك وقال : لا أموت إلا على ظهر أفراسى ، لا على فراشى ، وخرج الجند والأمراء خوفا من أن يفوتهم بالفرار ، فنزلوا يمنة و يسرة ، فلم يذهب من تلك المنزلة بل استمر بها يعمل النيابة و يجتمع بالأمراء جماعة وفرادى ، و يستميلهم إلى ما هو فيه من الرأى ،وهو خلع الملك الكامل شعبان لأنه يكثر من مسك الأمراء بغير سبب ، و يفعل أفعالا لا تليق بمثله ، وذكروا أموراً كثيرة ، وأن يولوا أخاه أمير حاجى بن الناصر لحسن شكالته وجميل فعله ، ولم يزل يفتلهم فى الذروة والغارب حتى أجابوه إلى ذلك ، ووافقوه عليه ، وسلموا له ما يدعيه ، وتابعوا على ما أشار إليه و بايعوه ، ثم شرع فى البعث إلى نواب البلاد يستميلهم إلى ما مالأ عليه الدمشقيون وكثير من المصريين ، وشرع أيضا فى التصرف فى الأمور العامة الكلية ، وأخرج بعض من كان الملك الكامل اعتقله بالقلعة المنصورة ، ورد إليه إقطاعه بعد ما بعث الملك الكامل إلى من أقلعه [1] منشوره ، وعزل وولى وأخذ وأعطى ، وطلب التجار يوم الأربعاء ثامن عشره ليباع عليهم غلال الحواصل السلطانية فيدفعوا أثمانها فى الحال ، ثم يذهبوا فيتسلموها من البلاد البرانية ، وحضر عنده القضاة على العادة والأمراء والسادة ، وهذا كله وهو مخيم بالمكان المذكور ، لا يحصره بلد ولا يحويه سور .

وفى يوم الخميس رابع جمادى الآخرة خرجت تجريدة نحو عشرة طليعة لتلقى من يقدم من الديار المصرية من الأمراء وغيرهم ، ببقاء الأمر على ما كان عليه ، فلم يصدقهم النائب ، وربما عاقب بعضهم ، ثم رفعهم إلى القلعة ، وأهل دمشق ما بين مصدق باختلاف المصريين وما بين قائل السلطان الكامل قائم الصورة مستمر على ما كان عليه ، والتجاريد المصرية واصلة قريبا ، ولا بد من وقوع خبطة عظيمة . وتشوشت أذهان الناس وأحوالهم بسبب ذلك ، والله المسئول أن يحسن العاقبة

وحاصل القضية أن العامة ما بين تصديق وتكذيب ، ونائب السلطنة وخواصه من كبار الامراء على ثقة من أنفسهم ، وأن الأمراء على خلف شديد فى الديار المصرية بين السلطان الكامل شعبان و بين أخيه أمير حاجى ، والجمهور مع أخيه أمير حاجى ، ثم جاءت الأخبار إلى النائب بأن التجاريد المصرية خرجت تقصد الشام ومن فيه من الجند لتوطد الأمر ، ثم إنه تراجعت رؤس الأمراء فى الليل إلى مصر واجتمعوا إلى إخوانهم ممن هو ممالئ لهم على السلطان ، فاجتمعوا ودعوا إلى سلطنة أمير حاجى وضربت الطبلخانات وصارت باقى النفوس متجاهرة على نية تأييده ، ونابذوا السلطان الكامل ، وعدوا عليه مساويه ، وقتل بعض الامراء ، وفر الكامل وأنصاره فاحتيط عليه . وخرج أرغون العلائى زوج ابنته واستظهر أيضا أمير حاجى فأجلسوه على السرير ولقبوه بالملك المظفر ، وجاءت الأخبار إلى النائب بذلك ، فضربت البشائر عنده ، و بعث إلى نائب القلعة فامتنع من ضربها ، وكان قد

---

(١) كذا بالاصول التى بأيدينا .

طلب إلى الوطاق فامتنع من الحضور، وأغلق باب القلعة، فانزعج النـاس واختبط البلد، وتقلص وجود الخير، وحصنت القلعة ودعوا للكامل بكرة وعشية على العادة، وأرجف العامة بالجيش عـلى عادتهم فى كثرة فصولهم، فحصل لبعضهم أذية . فلما كان يوم الاثنين ثامن الشهر قدم نائب حماة إلى دمشق مطيعا لنائب السلطنة فى تجمل وأبهة، ثم أجريت له عادة أمثاله .

وفى هذا اليوم وقعت بطاقة بقدوم الأمير سـيف الدين بيغرا حاجب الحجاب بالديار المصرية لاجل البيعة للسلطان الملك المظفر، فدقت البشائر بالوطاق، وأمر بتزيين البلد، فزين الناس وليسوا منشرحين، وأكثرهم يظن أن هذا مكر وخديعة، وأن التجاريد المصرية واصلة قريبا . وامتنع نائب القلعة من دق البشائر وبالغ فى تحصين القلعة، وغلق بابها، فلا يفتح إلا الخوخة البرانية والجوانية، وهـذا الصنيع هو الذى يشوش خواطر العامة، يقولون : لو كان ثم شىء له صحة كان نائب القلعة يطلع على هذا قبل الوطاق . فلما كان يوم الثلاثاء بعد الزوال قدم الامير سـيف الدين بيغرا إلى الوطاق، وقد تلقوه وعظموه، ومعه تقليد النيابة من المظفر إلى الامير سـيف الدين يلبغا نائب السلطنة، وكتاب إلى الامراء بالسلام . ففرحوا بذلك وبايعوه وانضمت الـكلمة ولله الحمد . وركب بيغرا إلى القلعة فترجل وسـل سيفه ودخـل إلى نائب القلعة فبايعه سريعـا ودقت البشائر فى القلعة بعـد المغرب، حين بلغه الخبر، وطابت أنفس الناس ثم أصبحت القلعة فى الزينة وزادت الزينة فى البلد وفرح النـاس، فلما كان يوم الخميس حادى عشر الشهر دخل نائب السلطنة من الوطاق إلى البلد والأطلاب بين يديه فى تجمل وطبلخانات على عادة العرض، وقـد خرج أهل البلد إلى الفرجة، وخرج أهل الذمة بالتوارة، وأشعلت الشموع، وكان يوماً مشهوداً .

وقد صلى فى شهر رمضان من هذه السنة بالشامية البرانيـة صبى عمره ست سنين، وقـد رأيته وامتحنته فاذا هو يجيد الحفظ والأداء، وهذا من أغرب ما يكون . وفى العشر الاول من هذا الشهر فرغ من بناء الحمامين الذى بناهما نائب السلطنة بالقرب من الشابقية فى خان السلطان العتيق، وما حولها من الرباع والقرب وغير ذلك . وفى يوم الاحد حادى عشره اجتمع نائب السلطنة والقضاة الاربعة ووكيل بيت المال والدولة عند تل المستقين، من أجل أن نائب السلطنة قد عزم على بناء هذه البقعة جامعا بقدر جامع تنكز، فاشتوروا هنالك، ثم انفصل الحال على أن يعمل، والله ولى التوفيق .

وفى يوم الخميس ثالث ذى القعدة صلى على الشيخ زين الدين عبـد الرحمن بن تيمية، أخو الشيخ تقى الدين رحمهما الله تعالى . وفى يوم السبت ثانى عشره توفى الشيخ على القطنانى بقطنا، وكان قد اشتهر أمره فى هذه السنين، واتبعه جماعة من الفلاحين والشباب المنتمين إلى طريقة أحمد ابن الرفاعى، وعظم أمره وسار ذكره، وقصده الأكابر للزيارة مرات، وكان يقيم السماعات على عادة

أمثاله ، وله أصحاب يظهرون إشارة باطلة ، وأحوالا مفتعلة ، وهذا مما كان ينقم عليه بسببه ، فانه إن لم يكن يعلم بحالهم فجاهل ، و إن كان يقرهم على ذلك فهو مثلهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفى أواخر هذا الشهر ـ أعنى ذى الحجة من العيد وما بعده ـ اهتم ملك الأمراء فى بناء الجامع الذى بناه تحت القلعة وكان تل المستقين ، وهدم ما كان هناك من أبنية ، وعملت العجل وأخذت أحجار كثيرة من أرجاء البلد ، وأكثر ما أخذت الاحجار من الرحبة التى للمصريين ، من تحت المأذنة التى فى رأس عقبة الكتاب ، وتيسر منها أحجار كثيرة ، والأحجار أيضا من جبل قاسيون وحمل على الجمال وغيرها ، وكان سلخ هذه السنة ـ أعنى سنة سبع وأربعين وسبعمائة ـ قد بلغت غرارة القمح إلى مائتين فما دونها ، وربما بيعت بأكثر من ذلك ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك المظفر أميرحاجى ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين أرقطيه ، وقضاة مصر هم الذين كانوا فى الماضية بأعيانهم ، ونائبه بالشام المحروسة سيف الدين يلبغا الناصرى ، وقضاة الشام هم المذكورون فى التى قبلها بأعيانهم ، غير أن القاضى عماد الدين الحنفى نزل لولده قاضى القضاة نجم الدين ، فباشر فى حياة أبيه ، وحاجب الحجاب فخر الدين إياس .

واستهلت هذه السنة ونائب السلطنة فى همة عالية فى عمارة الجامع الذى قد شرع فى بنائه غربى سوق الخيل ، بالمكان الذى كان يعرف بالتل المستقين .

وفى ثالث المحرم توفى قاضى القضاة شرف الدين محمد بن أبى بكر الهمدانى المالكى ، وصلى عليه بالجامع ، ودفن بتربته بميدان الحصا ، وتأسف الناس عليه لرياسته وديانته وأخلاقه و إحسانه إلى كثير من الناس رحمه الله .

وفى يوم الأحد الرابع والعشرين من المحرم وصل تقليد قضاء المالكية للقاضى جمال الدين المسلاتى الذى كان نائبا للقاضى شرف الدين قبله ، وخلع عليه من آخر النهار . وفى شهر ربيع الأول أخذوا لبناء الجامع المجدد بسوق الخيل ، أعمدة كثيرة من البلد ، فظاهر البلد يعلقون مافوقه من البناء ثم يأخذونه ويقيمون بدله دعامة وأخذوا من درب الصيقل وأخذوا العمود الذى كان بسوق العلبيين الذى فى تلك الدخلة على رأسه مثل الكرة فيها حديد، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر أنه كان فيه طلسم لعسر بول الحيوان إذا داروا بالدابة ينحل أراقيها ، فلما كان يوم الأحد السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة قلعوه من موضعه بعد ما كان له فى هذا الموضع نحواً من أربعة آلاف سنة والله أعلم . وقد رأيته فى هذا اليوم وهو ممدود فى سوق العلبيين على الأخشاب

ليجروه إلى الجامع المذكور من السوق الكبير ، ويخرجوا به من باب الجابية الكبير فلا إله إلا الله .
وفى أواخر شهر ربيع الآخر ارتفع بناء الجامع الذى أنشأه النائب وجفت العين التى كانت تحت جداره حين أسسوه ولله الحمد .

وفى سلخ ربيع الآخر وردت الأخبار من الديار المصرية بمسك جماعة من أعيان الأمراء كالحجازى وآقسنقر الناصرى ، ومن لف لفهما ، فتحرك الجند بالشام ووقعت خبطة، ثم استهل شهر جمادى الأولى والجند فى حركة شديدة ، ونائب السلطنة يستدعى الأمراء إلى دار السعادة بسبب ماوقع بالديار المصرية ، وتعاهد هؤلاء على أن لا يؤذى أحد، وأن يكونوا يداً واحدة، وفى هذا [اليوم] تحول ملك الأمراء من دار السعادة إلى القصر الأبلق واحترز لنفسه ، وكذلك حاشيته . وفى يوم الأربعاء الرابع عشر منه قدم أمير من الديار المصرية على البريد ومعه كتاب من السلطان فيه التصريح بعزل ملك الأمراء يلبغا نائب الشام ، فقرىء عليه بحضرة الأمراء بالقصر الأبلق ، فتغمم لذلك وساءه، وفيه طلبه إلى الديار المصرية على البريد ليولى نيابة الديار المصرية ، والظاهر أن ذلك خديعة له ، فأظهر الامتناع ، وأنه لا يذهب إلى الديار المصرية أبدا ، وقال : إن كان السلطان قد استكثر على ولاية دمشق فيولينى أى البلاد شاء ، فأنا راض بها . ورد الجواب بذلك ، ولما أصبح من الغد وهو يوم الخميس وهو خامس عشره ، ركب فخيم قريبا من الجسورة فى الموضع الذى خيم فيه عام أول، وفى الشهر أيضا كما تقدم ، فبات ليلة الجمعة وأمر الأمراء بنصب الخيام هنالك على عادتهم عام أول .

فلما كان يوم الجمعة سادس عشره بعد الصلاة ما شعر الناس إلا والأمراء قد اجتمعوا تحت القلعة وأحضروا من القلعة سنجقين سلطانيين أصفرين ، وضربوا الطبول حربياً ، فاجتمعوا كلهم تحت السنجق السلطانى ، ولم يتأخر منهم سوى النائب وذويه كابنيه وإخوته وحاشيته ، والأمير سيف الدين قلاوون أحد مقدمى الألوف وخبره أكبر أخبار الأمراء بعد النيابة ، فبعث إليه الأمراء أن هلم إلى السمع والطاعة للسلطان ، فامتنع من ذلك وتكررت الرسل بينهم وبينه فلم يقبل ، فساروا إليه فى الطبلخانات والبوقات ملبسين لأمة الحرب ، فلما انتهوا إليه وجدوه قد ركب خيوله ملبساً واستعد للهرب، فلما واجههم هرب هو ومن معه وفروا فرار رجل واحد ، وساق الجند وراءه فلم يكتنفوا له غبارا ، وأقبل العامة وتركمان القبيبات ، فانتهبوا ما بقى فى معسكره من الشعير والأغنام والخيام ، حتى جعلوا يقطعون الخيام والأطناب قطعاً قطعاً، فعدم له ولأصحابه من الأمتعة مايساوى ألف ألف درهم ، وانتدب لطلبه والمسير وراءه الحاجب الكبير الذى قدم من الديار المصرية قريبا شهاب الدين بن صبيح ، أحد مقدمى الألوف، فسار على طريق الأشرفية ثم عدل إلى ناحية القريتين .

ولما كان يوم الأحد قدم الأمير فخر الدين إياس نائب صفد فيها فتلقاه الأمراء والمقدمون ، ثم

جاء فنزل القصر وركب من آخر النهار فى الجحافل ، ولم يترك أحدا من الجند بدمشق إلا ركب معه وساق وراء يلبغا فانبرا نحو البرية ، فجعلت الأعراب يعترضونه من كل جانب ، وما زالوا يكفونه حتى سار نحو حماة ، فخرج نائبها وقد ضعف أمره جداً ، وكل هو ومن معه من كثرة السوق ومصاولة الأعداء من كل جانب ، فألقى بيده وأخذ سيفه وسيوف من معه واعتقلوا بحماة ، و بعث بالسيوف إلى الديار المصرية، وجاء الخبر إلى دمشق صبيحة يوم الأربعاء رابع عشر هـذا الشهر ، فضربت البشائر بالقلعـة وعلى باب الميادين على العادة ، وأحـدقت العساكر بحماة من كل جانب ينتظرون ما رسم به السـلطان من شأنه ، وقام إياس بجيش دمشق على حمص ، وكذلك جيش طرابلس ، ثم دخلت العساكر راجعـة إلى دمشق يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر ، وقدم يلبغا وهو مقيد على كديش هو وأبوه وحوله الأمراء الموكلون به ومن معه من الجنود ، فدخلوا به بعد عشاء الآخرة فاجتازوا به فم السبعة بعد ما غلقت الأسواق ، وطفئت السرج ، وغلقت الطاقات ، ثم مروا على الشيخ رسلان والباب الشرقى على باب الصغير ، ثم من عنـد مسجد الديان على المصلى ، واستمروا ذاهبين نحو الديار المصرية،وتواترت البريدية من السلطان بما رسم به فى أمره وأصحابه الذين خرجوا معه من الاحتياط على حواصلهم وأموالهـم وأملاكهم وغـير ذلك ، وقدم البريد من الديار المصرية يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة فأخبر بقتل يلبغا فيما بين قاقون وغبرة ،وأخذت رؤسهما إلى السلطان وكذلك قتـل بغبرة الأمراء الثلاثة الذين خرجوا من مصر وحاكم الوزير ابن سرد ابن البغدادى ، والدوادار طغيتمر و بيدمر البدرى ، أحد المقدمين ، كان قد نقم عليه السلطان مما لأة يلبغا ،فأخرجهم من مصر مسلوبين جميع أموالهم وسيرهم إلى الشام ، فلما كانوا بغزة لحقهم البريد بقتلهم حيث وجدهم وكذلك رسم بقتل يلبغا حيث التقاه من الطريق ، فلما انفصل البريد من غزة التقى يلبغا فى طريق وادى فحمة فخنقه ثم احتز رأسه وذهب به إلى السلطان ، وقدم أميران من الديار المصرية بالحوطة على حواصل يلبغا وطواشى من بيت المملـكة ، فتسلم مصاغا وجواهر نفيسة جداً ، ورسم ببيع أمـلاكه وما كان وقفـه على الجامع الذى كان قد شرع بعمارته بسوق الخيـل ، وكان قد اشتهر أنه وقف عليه القيسارية التى كان أنشأها ظاهر باب الفرج ، والحمامين المتجاورين ظاهر باب الجابيـة غربى خان السلطان العتيق ، وخصصا فى قرايا أخرى كان قد استشهد على نفسه بذلك قبل ذلك فالله أعلم . ثم طلب بقية أصحابه من حماة فحملوا إلى الديار المصرية وعدم خبرهم ، فلا يدرى على أى صفة هلكوا .

وفى صبيحة يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة دخل الأمير سيف الدين أرغون شاه دمشق المحروسة نائبا عليها ،وكان قدومه من حلب ، انفصل عنها وتوجه إليها الأمير فخر الدين إياس الحاجب ، فدخلها أرغون شاه فى أبهة وعليه خلعة وعمامة بطرفين ، وهو قريب الشكل

من تنكز رحمه الله فنزل دار السعادة وحكم بها ، وفيه صرامة وشهامة .

وفى يوم الخميس الثالث والعشرين منه صلى على الأمير قراسنقر بالجامع الأموى وظاهر باب النصر ، وحضر القضاة والأعيان والأمراء ، ودفن بتربته بميدان الحصا بالقرب من جامع الكريمى وعملت ليلة النصف على العادة من إشعال القناديل ولم يشعل الناس لما هم فيه من الغلاء وتأخر المطر وقلة الغلة ، كل رطل إلا وقيـة بدرهم ، وهو متغير ، وسائر الأشياء غاليـة ، والزيت كل رطل بأربعة ونصف ، ومثله الشيرج والصابون والأرز والعنبريس كل رطل بثلاثة ، وسائر الأطعمات على هذا النحو ، وليس شيء قريب الحال سـوى اللحم بدرهمين وربع ، ونحو ذلك ، وغالب أهـل حوران يردون من الأماكن البعيدة ويجلبون القمح للمؤنة والبدار من دمشق، وبيع عندهم القمح المغربل كل مد بأربعة دراهم ، وهم فى جهد شديد ، والله هو المأمول المسئول. وإذا سافر أحد يشق عليه تحصيل الماء لنفسه ولفرسه ودابته ، لأن المياه التى فى الدرب كلها نفدت ،وأما القدس فأشد حالا وأبلغ فى ذلك.

ولما كان العشر الأخـير من شعبان من هذه السنة من الله سبحانه وتعالى وله الحمـد والمنة على عباده بارسال الغيث المتدارك الذى أحيى العباد والبلاد ، وتراجع الناس إلى أوطانهم لوجود الماء فى الأودية والغدران ، وامتلأت بركة زرع بعد أن لم يكن فيها قطرة ، وجاءت بذلك البشائر إلى نائب السلطنة ، وذكر أن الماء عم البلاد كلها ، وأن الثلج على جبل بنى هـلال كثير ، وأما الجبال التى حول دمشق فعليها ثلوج كثيرة جداً ، واطمأنت القلوب وحصل فرج شديد ولله الحمد والمنة ، وذلك فى آخر يوم بقى من تشرين الثانى .

وفى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من رمضان توفى الشيخ عز الدين محمـد الحنبلى بالصالحية وهو خطيب الجامع المظفرى ،وكان من الصالحين المشهورين رحمه الله، وكان كثيراً ما يلقن الأموات بعد دفنهم ، فلقنه الله حجته وثبته بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

﴿ مقتل المظفر وتولية الناصر حسن بن الناصر ﴾

وفى العشر الأخير من رمضان جاء البريد من نائب غزة إلى نائب دمشق بقتل السلطان الملك المظفر حاجى بن الناصر محمد ، وقع بينه وبين الأمراء فتحيزوا عنه إلى قبة النصر فخرج إليهم فى طائفة قليلة فقتل فى الحال وسحب إلى مقبرة هناك ، ويقال قطع قطعا ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ولما كان يوم الجمعة آخر النهار ورد من الديار المصرية أمير للبيعة لأخيه السلطان الناصر حسن ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فدقت البشائر فى القلعـة المنصورة ، وزين البلد بكماله ولله الحمد فى الساعة الراهنة من أمكن من الناس ، وما أصبح صباح يوم السبت إلا زين البلد بكماله ولله الحمد على انتظام الكلمة ، واجتماع الألفة . وفى يوم الثلاثاء العشرين من شوال قدم الأمير فخر الدين

إياس نائب حاب محتاطا عليه ، فاجتمع بالنائب فى دار السعادة ، ثم أدخل القلعة مضيقا عليه ، ويقال إنه قد فوض أمره إلى نائب دمشق ، فمهما فعل فيه فقد أمضى له ، فأقام بالقلعة المنصورة نحوا من جمعة ، ثم أركب على البريد ليسار به إلى الديار المصرية ، فلم يدر ما فعل به .

وفى ليلة الاثنين ثالث شهر ذى القعدة توفى الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الاسلام وشيخ المحدثين شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبى بتربة أم الصالح وصلى عليه يوم الاثنين صلاة الظهر فى جامع دمشق ودفن بباب الصغير ، وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه رحمه الله .

وفى يوم الأحد سادس عشر ذى القعدة حضرت تربة أم الصالح رحم الله واقفها عوضاً عن الشيخ شمس الدين الذهبى ، وحضر جماعة من أعيان الفقهاء و بعض القضاة ، وكان درسا مشهودا ولله الحمد والمنة ، أوردت فيه حديث أحمد عن الشافعى عن مالك عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « إنما نسمة المؤمن طائر معلق فى شجر الجنة حتى يرجعه إلى جسده يوم يبعثه » وفى يوم الأربعاء تاسع عشره أمر نائب السلطنة بجماعة انتهبوا شيئا من الباعة فقطعوا إحدى عشر منهم ، وسمر عشر تسميرا تعزيراً وتأديبا انتهى والله أعلم .

﴿ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبعمائة﴾

استهلت وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر ناصر الدين حسن بن الملك المنصور ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين يلبغا ، ووزيره منجك ، وقضاته عز الدين بن جماعة الشافعى وتقى الدين الاخنائى المالكى ، وعلاء الدين بن التركمانى الحنفى ، وموفق الدين المقدسى الحنبلى ، وكاتب سره القاضى علاء الدين بن محيي الدين بن فضل الله العمرى ، ونائب الشام المحروس بدمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصرى ، وحاجب الحجاب الأمير طيردمر الاسماعيلى ، والقضاة بدمشق قاضى القضاة تقى الدين السبكى الشافعى ، وقاضى القضاة نجم الدين الحنفى ، وقاضى القضاة جلال الدين المسلاتى المالكى ، وقاضى القضاة علاء الدين بن منجا الحنبلى ، وكاتب سره القاضى ناصر الدين الحلبى الشافعى ، وهو قاضى العساكر بحلب ، ومدرس الأسدية بها أيضا ، مع إقامته بدمشق المحروسة ، وتواترت الأخبار بوقوع البلاء فى أطراف البلاد ، فذكر عن بلاد القرم أمر هائل وموتان فيهم كثير ، ثم ذكر أنه انتقل إلى بلاد الفرنج حتى قيل إن أهل قبرص مات أكثرهم أو يقارب ذلك ، وكذلك وقع بغزة أمر عظيم ، وقد جاءت مطالعة نائب غزة إلى نائب دمشق أنه مات من يوم عاشوراء إلى مثله من شهر صفر نحو من بضعة عشر ألفا ، وقرىء البخارى فى يوم الجمعة بعد الصلاة سابع ربيع الأول فى هذه السنة ، وحضر القضاة وجماعة من الناس ، وقرأ بعة بعد ذلك المقرؤن ، ودعا الناس برفع الوباء عن البلاد ، وذلك أن الناس لما بلغهم من حلول هذا المرض

في السواحل وغيرها من أرجاء البلاد يتوهمون ويخافون وقوعه بمدينة دمشق ، حماها الله وسلمها ، مع أنه قد مات جماعة من أهلها بهذا الداء . وفي صبيحة يوم تاسعه اجتمع الناس بمحراب الصحابة وقرأوا متوزعين سورة نوح ثلاثة آلاف مرة وثلثمائة وثلاثة وستين مرة ، عن رؤيا رجل أنه رأى رسول الله ﷺ أرشده إلى قراءة ذلك كذلك . وفي هذا الشهر أيضاً كثر الموت في الناس بأمراض الطواعين وزاد الأموات كل يوم على المائة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وإذا وقع في أهل بيت لا يكاد يخرج منه حتى يموت أكثرهم ، ولكنه بالنظر إلى كثرة أهل البلد قليل ، وقد توفي في هذه الأيام من هذا الشهر خلق كثير وجم غفير ، ولا سيما من النساء ، فان الموت فيهن أكثر من الرجال بكثير كثير ، وشرع الخطيب في القنوت بسائر الصلوات والدعاء برفع الوباء من المغرب ليلة الجمعة سادس شهر ربيع الآخر من هـذه السنة ، وحصل للناس بذلك خضوع وخشوع وتضرع وإنابة ، وكثرت الأموات في هذا الشهر جدا ، وزادوا على المائتين في كل يوم ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وتضاعف عدد الموتى منهم ، وتعطلت مصالح الناس ، وتأخرت الموتى عن إخراجهـم ، وزاد ضمان الموتى جدا فتضرر الناس ولا سيما الصعاليك ، فانه يؤخذ على الميت شيء كثير جدا ، فرسم نائب السلطنة بابطال ضمان النعوش والمغسلين والحمالين ، ونودي بابطال ذلك في يوم الاثنين سادس عشر ربيع الآخر ، ووقف نعوش كثيرة في أرجاء البـلد واتسـع الناس بذلك ، ولـكن كثرت الموتى فالله المستعان .

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين منه نودي في البلد أن يصوم الناس ثلاثة أيام وأن يخرجوا في اليوم الرابع وهو يوم الجمعة إلى عند مسجد القدم يتضرعون إلى الله ويسألونه في رفع الوباء عنهم، فصام أكثر الناس ونام الناس في الجامع وأحيوا الليل كما يفعلون في شهر رمضان ، فلما أصبح الناس يوم الجمعة السابع والعشرين منـه خرج الناس يوم الجمعـة من كل فج عميـق ، واليهود والنصارى والسامرة ، والشيوخ والعجائز والصبيان ، والفقراء والأمراء والكبراء والقضاة من بعد صلاة الصبح فما زالوا هنالك يدعون الله تعالى حتى تعالى النهار جدا ، وكان يوما مشهودا .

وفي يوم الخميس عاشر جمادى الأولى صـلى الخطيب بعد صلاة الظهر على ستة عشر ميتا جملة واحدة ، فتهول الناس من ذلك واندعروا ، وكان الوباء يومئذ كثيرا ربما يقارب الثلثمائة بالبلد وحواضره فانا لله وإنا إليـه راجعون . وصلى بعد صلاة على خمسة عشر ميتا بجامع دمشق ، وصلى على إحدى عشر نفسا رحمهم الله .

وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين منه رسم نائب السلطنة بقتل الكلاب من البلد ، وقد كانت كثيرة بأرجاء البلد وربما ضرت الناس وقطعت عليهم الطرقات في أثناء الليل أما تنجيسها الأماكن

فكثير قد عم الابتلاء به وشق الاحتراز منه ، وقد جمعت جزءاً فى الأحاديث الواردة فى قتلهم ، واختلاف الأئمة فى نسخ ذلك ، وقد كان عمر رضى الله عنه يأمر فى خطبته بذبح الحمام وقتل الكلاب ونص مالك فى رواية ابن وهب على جواز قتل كلاب بلدة بعينها ، إذا أذن الامام فى ذلك المصلحة .

وفى يوم الاثنين الثامن والعشرين منه توفى زين الدين عبد الرحمن بن شيخنا الحافظ المزى ، بدار الحديث النورية وهو شيخها ، ودفن بمقابر الصوفية على والده . وفى منتصف شهر جمادى الآخرة قوى الموت وتزايد والله المستعان ، ومات خلائق من الخاصة والعامة ممن نعرفهم وغيرهم رحمهم الله وأدخلهم جنته ، والله المستعان . وكان يصلى فى أكثر الأيام فى الجامع على أزيد من مائة ميت فانا لله وإنا إليه راجعون ، وبعض الموتى لا يؤتى بهم إلى الجامع ، وأما حول البلد وأرجائها فلا يعلم عدد من يموت بها إلا الله عز وجل رحمهم الله آمين .

وفى يوم الاثنين السابع والعشرين منه توفى الصدر شمس الدين بن الصباب التاجر السفار بانى المدرسة الصبابية ، التى هى دار قرآن بالقرب من الظاهرية ، وهى قبلى العادلية الكبيرة ، وكانت هذه البقعة برهة من الزمان خربة شنيعة ، فعمرها هذا الرجل وجعلها دار قرآن ودار حديث للحنابلة ، ووقف هو وغيره عليها أوقافا جيدة رحمه الله تعالى .

وفى يوم الجمعة ثامن شهر رجب صلى بعد الجمعة بالجامع الأموى على غائب : على القاضى علاء الدين بن قاضى شهبة ، ثم صلى على إحدى وأربعين نفسا جملة واحدة ، فلم يتسع داخل الجامع لصفهم بل خرجوا ببعض الموتى إلى ظاهر باب السر ، وخرج الخطيب والنقيب فصلى عليهم كلهم هناك ، وكان وقتا مشهودا ، وعبرة عظيمة ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفى هذا اليوم توفى التاجر المسمى بافريدون الذى بنى المدرسة التى بظاهر باب الجابية تجاه تربة بهادرآص ، حائطها من حجارة ملونة ، وجعلها داراً للقرآن العظيم ووقف عليها أوقافا جيدة ، وكان مشهورا مشكورا رحمه الله وأكرم مثواه .

وفى يوم السبت ثالث رجب صلى على الشيخ على المغربى أحد أصحاب الشيخ تقى الدين بن تيمية بالجامع الافرمى بسفح قاسيون ، ودفن بالسفح رحمه الله ، وكانت له عبادة وزهادة وتقشف وورع ولم يتول فى هذه الدنيا وظيفة بالكلية ، ولم يكن له مال بل كان يأتى بشىء من الفتوح يستنفقه قليلا قليلا ، وكان يعانى التصوف ، وترك زوجة وثلاثة أولاد رحمه الله .

وفى صبيحة يوم الأربعاء سابع رجب صلى على القاضى زين الدين بن النجيح نائب القاضى الحنبلى ، بالجامع المظفرى ، ودفن بسفح قاسيون ، وكان مشكورا فى القضاء ، لديه فضائل كثيرة ، وديانة وعبادة ، وكان من أصحاب الشيخ تقى الدين بن تيمية ، وكان قد وقع بينه وبين القاضى

الشافعي مشاجرات بسبب أمور ، ثم اصطلحا فيما بعد ذلك.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره بعد أذان الظهر حصل بدمشق وما حولها ريح شديدة أثارت غبارا شديدا اصفر الجو منه ثم اسود حتى أظلمت الدنيا ، وبقي الناس في ذلك نحوا من ربع ساعة يستجيرون الله ويستغفرون ويبكون ، مع ماهم فيه من شدة الموت الذريع ، ورجا الناس أن هذا الحال يكون ختام ماهم فيه من الطاعون ، فلم يزدد الأمر إلا شدة ، وبالله المستعان . وبلغ المصلى عليهم في الجامع الأموي إلى نحو المائة وخمسين ، وأكثر من ذلك ، خارجاً عمن لا يؤتى بهم إليه من أرجاء البلد وممن يموت من أهل الذمة ، وأما حواضر البلد وما حولها فأمر كثير ، يقال إنه بلغ ألفا في كثير من الأيام ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وصلى بعد الظهر من هذا اليوم بالجامع المظفري على الشيخ إبراهيم بن المحب ، الذي كان يحدث في الجامع الأموي وجامع تنكز ، وكان مجلسه كثير الجمع لصلاحه وحسن ما كان يؤديه من المواعيد النافعة ، ودفن بسفح قاسيون ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله . وعملت المواعيد بالجامع الأموي ليلة سبع وعشرين من رجب ، يقولون ليلة المعراج ، ولم يجتمع الناس فيه على العادة لكثرة من مات منهم ، ولشغل كثير من الناس بمرضاهم وموتاهم . واتفق في هذه الليلة أنه تأخر جماعة من الناس في الخيم ظاهر البلد ، فجاؤا ليدخلوا من باب النصر على عادتهم في ذلك ، فكأنه اجتمع خلق منهم بين البابين فهلك كثير منهم كنحو ما يهلك الناس في هذا الحين على الجنائز ، فانزعج نائب السلطنة فخرج فوجدهم فأمر بجمعهم ، فلما أصبح الناس أمر بتسميرهم ثم عفا عنهم وضرب متولي البلد ضربا شديداً ، وسمر نائبه في الليل ، وسمر البواب بباب النصر ، وأمر أن لا يمشي أحد بعد عشاء الآخرة ، ثم تسمح لهم في ذلك .

واستهل شهر شعبان والفناء في الناس كثير جداً ، وربما أنتنت البلد ، فانا لله وإنا إليه راجعون. وتوفي الشيخ شمس الدين بن الصلاح مدرس القيمرية الكبيرة بالمطرزيين ، يوم الخميس ثالث عشر شعبان وفي يوم الجمعة رابع عشر شعبان صلى بعد الصلاة على جماعة كثيرة ، منهم القاضي عماد الدين ابن الشيرازي ، محتسب البلد ، وكان من أكابر رؤساء دمشق ، وولي نظر الجامع مدة ، وفي بعض الأوقات نظر الأوقاف ، وجمع له في وقت بينهما ودفن بسفح قاسيون .

وفي العشر الأخير من شهر شوال توفي الأمير قرابغا دويدار النائب ، بداره غربي حكر السماق ، وقد أنشأ له إلى جانبها تربة ومسجداً ، وهو الذي أنشأ السويقة المجددة عند داره ، وعمل لها بابين شرقياً وغربياً ، وضمنت بقيمة كثيرة بسبب جاهه ، ، ثم بارت وهجرت لقلة الحاجة إليها ، وحضر الأمراء والقضاة والأكابر جنازته ، ودفن بتربته هناك ، وترك أموالا جزيلة وحواصل كثيرة جداً ، أخذه مخدومه نائب السلطنة .

وفى يوم الثلاثاء سابع شهر ذى القعدة توفى خطيب الجامع ، الخطيب تاج الدين عبد الرحيم ابن القاضى جلال الدين محمد بن عبدالرحيم القزوينى ، بدار الخطابة ، مرض يومين وأصابه ما أصاب الناس من الطاعون ، وكذلك عامة أهل بيته من جواريه وأولاده ، وتبعه أخوه بعد يومين صدرالدين عبدالكريم ، وصلى على الخطيب تاج الدين بعد الظهر يومئذ عند باب الخطابة ودفن بتربتهم بالصوفية عند أبيه وأخويه بدر الدين محمد ، وجمال الدين عبد الله رحمهم الله .

وفى يوم الخميس تاسعه اجتمع القضاة وكثير من الفقهاء المفتيين عند نائب السلطنة بسبب الخطابة ، فطلب إلى المجلس الشيخ جمال الدين بن محمود بن جملة فولاه إياها نائب السلطنة ، وانتزعت من يده وظائف كان يباشرها ، ففرقت على الناس ، فولى القاضى بهاء الدين أبو البقاء تدريس الظاهرية البرانية ، وتوزع الناس بقية جهاته ، ولم يبق بيده سوى الخطابة ، وصلى بالناس يومئذ الظهر ، ثم خلع عليه فى بكرة نهار الجمعة ، وصلى بالناس يومئذ وخطبهم على قاعدة الخطباء .

وفى يوم عرفة ، وكان يوم السبت ، توفى القاضى شهاب الدين بن فضل الله كاتب الأسرار الشريفة بالديار المصرية ، والبلاد الشامية ، ثم عزل عن ذلك ومات وليس يباشر شيئا من ذلك من رياسة وسعادة وأموال جزيلة ، وأملاك ومرتبات كثيرة ، وعمر داراً هائلة بسفح قاسيون بالقرب من الركنية شرقيها ليس بالسفح مثلها ، وقد انتهت إليه رياسة الانشاء ، وكان يشبه بالقاضى الفاضل فى زمانه ، وله مصنفات عديدة بعبارات سعيدة ، وكان حسن المذاكرة سريع الاستحضار جيد الحفظ فصيح اللسان جميل الأخلاق ، يحب العلماء والفقراء ، ولم يجاوز الخمسين ، توفى بدارهم داخل باب الفراديس ، وصلى عليه بالجامع الأموى ، ودفن بالسفح مع أبيه وأخيه بالقرب من اليغمورية سامحه الله وغفر له .

وفى هذا اليوم توفى الشيخ عبد الله بن رشيق المغربى ، كاتب مصنفات شيخنا العلامة ابن تيمية ، كان أبصر بخط الشيخ منه ، إذا عزب شىء منه على الشيخ استخرجه أبو عبد الله هذا ، وكان سريع الكتابة لا بأس به ، دينا عابداً كثير التلاوة حسن الصلاة ، له عيال وعليه ديون رحمه الله وغفر له آمين .

﴿ ثم دخلت سنة خمسين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك من البلاد الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، ونائب الديار المصرية ومدير ممالكه والاتابك سيف الدين يلبغا ، وقضاة الديار المصرية هم المذكورون فى التى قبلها ، ونائب الشام الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصرى ، وقضاة دمشق هم المذكورون فى التى قبلها ، وكذلك أرباب الوظائف سوى الخطيب وسوى المحتسب .

وفى هذه السنة ولله الحمد تقاصر أمر الطاعون جـدا ونزل ديوان المواريث إلى العشرين وما حولها بعد أن بلغ الخمسمائة فى أثناء سنة تسع وأربعين ، ثم تقدم ولكن لم يرتفع بالكلية ، فان فى يوم الأربعاء رابع شهر المحرم توفى الفقيه شهاب الدين أحمـد بن الثقة هو وابنه وأخوه فى ساعة واحدة بهذا المرض ، وصلى عليهم جميعاً ، ودفنوا فى قبر واحد رحمهم الله تعالى .

وفى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من المحرم توفى صاحبنا الشيخ الامام العالم العابد الزاهد الناسك الخاشع ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن الصائغ الشافعى ، مدرس العمادية كان رحمـه الله لديه فضائل كثيرة على طريقة السلف الصالح ، وفيه عبادة كثيرة وتلاوة وقيام ليل وسكون حسن ، وخلق حسن ، جاوز الأربعين بنحو من ثلاث سنين ، رحمه الله وأكرم مثواه .

وفى يوم الأربعاء ثالث صفر باشر تقى الدين بن رافع المحدث مشيخة دار الحديث النورية ، وحضر عنده جماعة من الفضلاء والقضاة والأعيان ، انتهى والله تعالى أعلم .

﴿ مسك نائب السلطنة أرغون شاه ﴾

وفى ليلة الخميس الثالث والعشرين من ربيع الأول مسك نائب السلطنة بدمشق الأمـير سيف الدين أرغون شاه ، وكان قد انتقل إلى القصر الأبلق بأهله ، فما شعر بوسط الليل إلا ونائب طرابلس الأمير سيف الدين ألجى بغا المظفرى الناصرى ، ركب إليه فى طائفة من الأمراء الألوف وغيرهم ، فأحاطوا به ودخل عليه من دخل وهو مع جواريه نائم ، فخرج إليهم فقبضوا عليه وقيدوه ورسموا عليـه ، وأصبح الناس أكثرهم لا يشعر بشىء مما وقع ، فتحـدث الناس بذلك واجتمعت الأتراك إلى الأميرسيف الدين ألجى بغا المذكور ، ونزل بظاهر البلد ، واحتيط على حواصل أرغون شاه ، فبات عزيزاً وأصبح ذليلا ، وأمسى علينا نائب السلطنة فأصبح وقد أحاط به الفقر والمسكنة فسبحان من بيـده الأمر مالك الملك (يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء) وهذا كما قال الله تعالى (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسـنا ضحى وهم يلعبون . أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) ثم لما كان ليلة الجمعة الرابع والعشرين من ربيع الأول أصبح مذبوحاً فأثبت محضر بأنه ذبح نفسه فالله تعالى أعلم .

﴿ كائنة عجيبة غريبة جداً ﴾

ثم لما كان يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة خمسين وسبعمائة وقع اختلاف بين جيش دمشق وبين الأمير سيف الدين ألجى بغا ، نائب طرابلس ، الذى جاء فأمسك نائب دمشق الأمـير سيف الدين أرغون شاه الناصرى ، ليلة الخميس وقتله ليلة الجمعة كما تقدم ، وأقام بالميـدان

الأخضر يستخاص أمواله وحواصله ، ويجمعها عنده ، فأنكر عليه الأمراء الكبار ، وأمروه أن يحمل الأموال إلى قلعة السلطان فلم يقبل منهم ، فاتهموه فى أمره ، وشكوا فى الكتاب على يده من الأمر بمسكه وقتله ، وركبوا ملبسين تحت القلعة وأبواب الميادين ، وركب هو فى أصحابه وهم فى دون المائة ، وقائل يقول هم ما بين السبعين إلى الثمانين والتسعين ، جعلوا يحملون على الجيش حمل المستقتلين ، إنما يدافعهم مدافعة المتبرئين ، وليس معهم مرسوم بقتلهم ولا قتالهم ، فلهذا ولى أكثرهم منهزمين ، فخرج جماعة من الجيش حتى بعض الأمراء المقدمين ، وهو الأمير الكبير سيف الدين ألجى بغا العادلى ، فقطعت يده اليمنى ، وقد قارب التسعين ، وقتل آخرون من أجناد الحلقة والمستخدمين ، ثم انفصل الحال على أن أخذ ألجى بغا المظفرى من خيول أرغون شاه المرتبطة فى اسطبله ما أراد ، ثم انصرف من ناحية المزة صاغراً على عقبيه ، ومعه الأموال التى جمعها من حواصل أرغون شاه ، واستمر ذاهباً ، ولم يتبعه أحد من الجيش ، وصحبته الأمير فخر الدين إياس ، الذى كان حاجباً ، وناب فى حلب فى العام الماضى ، فذهبا بمن معهما إلى طرابلس ، وكتب أمراء الشام إلى السلطان يعلمونه بما وقع ، فجاء البريد بأنه ليس عند السلطان علم بما وقع بالكلية ، وأن الكتاب الذى جاء على يديه مفتعل ، وجاء الأمر لأربعة آلاف من الجيش الشامى أن يسيروا وراءه ليمسكوه ثم أضيف نائب صفد مقدماً على الجميع ، فخرجوا فى العشر الأول من ربيع الآخر . وفى يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر خرجت العساكر فى طلب سيف الدين ألجى بغا العادلى فى المعركة وهو أحد أمراء الألوف المقدمين ، ولما كانت ليلة الخميس سابعه نودى بالبلد على من يقربها من الاجناد أن لا يتأخر أحد عن الخروج بالغد ، فأصبحوا فى سرعة عظيمة واستنيب فى البلد نيابة عن النائب الراتب الأمير بدر الدين الخطير ، فحكم بدار السعادة على عادة النواب . وفى ليلة السبت بين العشاءين سادس عشره دخل الجيش الذين خرجوا فى طلب ألجى بغا المظفرى ، وهو معهم أسير ذليل حقير ، وكذلك الفخر إياس الحاجب مأسور معهم ، فأودعا فى القلعة مهانين من جسر باب النصر الذى تجاه دار السعادة ، وذلك بحضور الأمير بدر الدين الخطير نائب الغيبة ، ففرح الناس بذلك فرحاً شديدا ، ولله الحمد والمنة . فلما كان يوم الاثنين الثامن عشر منه خرجا من القلعة إلى سوق الخيل فوسطا بحضرة الجيش ، وعلقت جثتهما على الخشب ليراهما الناس ، فمكثا أياما ثم أنزلا فدفنا بمقابر المسلمين .

وفى أوائل شهر جمادى الآخرة جاء الخبر بموت نائب حلب سيف الدين قطلبشاه ففرح كثير من الناس بموته وذلك لسوء أعماله فى مدينة حماة فى زمن الطاعون ، وذكر أنه كان يحتاط على التركة وإن كان فيها ولد ذكر أو غيره ، ويأخذ من أموال الناس جهرة ، حتى حصل له منها شىء كثير ، ثم

نقل إلى حلب بعد نائبها الأمير سيف الدين أرقطيه الذى كان عين لنيابة دمشق بعد موت أرغون شاه ، وخرج الناس لتلقيه فما هو إلا أن برز منزلة واحدة من حلب فمات بتلك المنزلة ، فلما صار قطلبشاه إلى حلب لم يقم بها إلا يسيراً حتى مات ، ولم ينتفع بتلك الأموال التى جمعها لا فى دنياه ولا فى أخراه .

ولما كان يوم الخميس الحادى عشر من جمادى الآخرة دخل الأمير سيف الدين أيتمش الناصرى من الديار المصرية إلى دمشق نائبا عليها ، وبين يديه الجيش على العادة ، فقبل العتبة ولبس الحياصة والسيف ، وأعطى تقليده ومنشوره هنالك ، ثم وقف فى الموكب على عادة النواب ، ورجع إلى دار السعادة وحكم ، وفرح الناس به ، وهوحسن الشكل تام الخلقة ، وكان الشام بلا نائب مستقل قريبا من شهرين ونصف . وفى يوم دخوله حبس أربعة أمراء من الطبلخانات ، وهم القاسمى وأولاد آل أبو بكر اعتقلهم فى القلعة لمالأتهم ألجى بغا المظفرى ، على أرغون شاه نائب الشام .

وفى يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة حكم القاضى نجم الدين بن القاضى عماد الدين الطرسوسى الحنفى ، وذلك بتوقيع سلطانى وخلعة من الديار المصرية . وفى يوم الثلاثاء سادس عشر جمادى الآخرة حصل الصلح بين قاضى القضاة تقى الدين السبكى وبين الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية ، على يدى الأمير سيف الدين بن فضل ملك العرب ، فى بستان قاضى القضاة ، وكان قد نقم عليه إكثاره من الفتيا بمسألة الطلاق .

وفى يوم الجمعة السادس والعشرين منه نقلت جثة الأمير سيف الدين أرغون شاه من مقابر الصوفية إلى تربته التى أنشأها تحت الطارمة ، وشرع فى تكميل التربة والمسجد الذى قبلها ، وذلك أنه عاجلته المنية على يد ألجى بغا المظفرى قبل إتمامهما ، وحين قتلوه ذبحا ودفنوه ليلا فى مقابر الصوفية ، قريبا من قبر الشيخ تقى الدين ابن الصلاح ، ثم حول إلى تربته فى الليلة المذكورة ، وفى يوم السبت تاسع عشر رجب أذن المؤذنون للفجر قبل الوقت بقريب من ساعة ، فصلى الناس فى الجامع الأموى على عادتهم فى ترتيب الأئمة ، ثم رأوا الوقت باقيا فأعاد الخطيب الفجر بعد صلاة الأئمة كلهم ، وأقيمت الصلاة ثانيا ، وهذا شىء لم يتفق مثله .

وفى يوم الخميس ثامن شهر شعبان توفى قاضى القضاة علاء الدين بن منجا الحنبلى بالمسمارية ، وصلى عليه الظهر بالجامع الأموى ، ثم بظاهر باب النصر ، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .

وفى يوم الاثنين رمضان بكرة النهار استدعى الشيخ جمال الدين المرداوى من الصالحية إلى دار السعادة ، وكان تقليد القضاء لمذهبه قد وصل إليه قبل ذلك بأيام ، فأحضرت الخلعة بين يدى النائب والقضاة الباقين ، وأريد على لبسها وقبول الولاية فامتنع ، فألحوا عليه فصمم وبالغ فى الامتناع

وخرج وهو مغضب فراح إلى الصالحيـة فبالغ الناس فى تعظيمـه ، وبقى القضـاة يوم ذلك فى دار السعادة ، ثم بعثوا إليه بعد الظهر فحضر من الصالحية فلم يزالوا به حتى قبل ولبس الخلعة وخرج إلى الجامع ، فقرىء تقليده بعد العصر ، واجتمع معـه القضاة وهنأه الناس ، وفرحوا به لديانته وصيانته وفضيلته وأمانته . و بعد هذا اليوم بأيام حكم الفقيه شمس الدين محمد بن مفلح الحنبلى نيابة عن قاضى القضاة جمال الدين المرداوى المقدسى ، وابن مفلح زوج ابنته . و فى العشر الأخير من ذى القعدة حضر الفقيه الامام المحدث المفيد أمين الدين الايجى المالكى مشيخة دار الحديث بالمدرسة الناصرية الجوانية ، نزل له عنها الصدر أمين الدين ابن القـلانسى ، وكيل بيت المال ، وحضر عنده الأكابر والأعيان . و فى أواخر هذه السنة تكامل بناء التربة التى تحت الطارمة المنسوبة إلى الأمير سيف الدين أرغون شاه ، الذى كان نائب السلطنة بدمشق ، وكذلك القبلى منها ، وصلى فيها الناس ، وكان قبل ذلك مسجدا صغيرا فعمره وكبره ، وجاء كأنه جامع تقبل الله منه انتهى .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ﴾

استهلت وسلطان الشام ومصر الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، ونائبه بمصر الأمير سيف الدين يلبغا وأخوه سيف الدين منجك الوزير ، والمشاورون جماعة من المقدمين بديار مصر ، وقضاة مصر وكاتب السرهم الذين كانوا فى السنة الماضية ، ونائب الشام الأمير سيف الدين ارتيمش الناصرى ، والقضاة هم القضاة سـوى الحنبلى فانه الشيخ جمـال الدين يوسـف المرداوى ، وكاتب السر ، وشيخ الشيوخ تاج الدين ، وكاتب الدست هم المتقـدمون ، وأضيف إليهـم شرف الدين عبد الوهاب بن القاضى عـلاء الدين بن شمرنوخ ، والمحتسب القـاضى عماد الدين بن العزفور ، وشاد الأوقاف الشريف ، وناظر الجامع فخر الدين بن العفيف ، وخطيب البلد جمال الدين محمود ابن جملة رحمه الله .

و فى يوم السبت عاشر المحرم نودى بالبـلد من جهة نائب السلطان عن كتاب جاءه من الديار المصرية أن لا تلبس النسـاء الاكمام الطوال العراض ، ولا البرد الحرير ، ولا شـيئا من اللباسات والثياب الثمينة ، ولا الأقمشة القصار ، و بلغنا أنهـم بالديار المصرية شددوا فى ذلك جدا ، حتى قيل إنهم غرقوا بعض النساء بسبب ذلك فالله أعلم .

وجددت وأكملت فى أول هذه السنة دار قرآن قبلى تربة امرأة تنكز ، بمحلة باب الخواصين حولها ، وكانت قاعة صورة مدرسة الطواشى صـفى الدين عنبر ، مولى ابن حمزة ، وهو أحد الـكبار الأجواد ، تقبل الله منه . و فى يوم الأحد خامس شهر جمادى الأولى فتحت المدرسة الطيبانية التى كانت دارا للأميرسيف الدين طيبان بالقرب من الشامية الجوانية ، بينها و بين أم الصالح ، اشتريت

من ثلثه الذى وصى به ، وفتحت مدرسة وحول لها شباك إلى الطريق فى ضفتها القبلية منها ، وحضر الدرس بها فى هذا اليوم الشيخ عماد الدين بن شرف الدين بن عم الشيخ كمال الدين بن الزملكانى بوصية الواقف له بذلك ، وحضر عنده قاضى القضاة السبكى والمالكى وجماعة من الأعيان ، وأخذ فى قوله تعالى (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) الآية . واتفق فى ليلة الأحد السادس والعشرين من جمادى الأولى أنه لم يحضر أحد من المؤذنين على السدة فى جامع دمشق وقت إقامة الصلاة للمغرب سوى مؤذن واحد ، فانتظر من يقيم معه الصلاة فلم يجىء أحد غيره مقدار درجة أو أزيد منها ، فأقام هو الصلاة وحده ، فلما أحرم الامام بالصلاة تلاحق المؤذنون فى أثناء الصلاة حتى بلغوا دون العشرة ، وهذا أمر غريب من عدة ثلاثين مؤذن أو أكثر ، لم يحضر سوى مؤذن واحد ، وقد أخبر خلق من المشايخ أنهم لم يروا نظير هذه الكائنة .

وفى يوم الاثنين سابع عشر جمادى الآخرة اجتمع القضاة بمشهد عثمان ، وكان الفاضل الحنبلى قد حكم فى دار المعتمد الملاصقة لمدرسة الشيخ أبى عمر يلبغا ، وكانت وقفا ، لتضاف إلى دار القرآن ، ووقف عليها أوقاف للفقراء ، فمنعه الشافعى من ذلك ، من أجل أنه يؤول أمرها أن تكون دار حديث ثم فتحوا بابا آخر وقالوا : هذه الدار لم يستهدم جميعها ، وما صادف الحكم محلا ، لأن مذهب الامام أحمد أن الوقف يباع إذا استهدم بالكلية ، ولم يبق ما ينتفع به ، فحكم القاضى الحنفى باثباتها وقفا كما كانت ، ونفذه الشافعى والمالكى ، وانفصل الحال على ذلك ، وجرت أمور طويلة ، وأشياء عجيبة .

وفى يوم الأربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة أصبح بواب المدرسة المستجدة التى يقال لها الطيبانية إلى جانب أم الصالح مقتولا مذبوحا ، وقد أخذت من عنده أموال من المدرسة المذكورة ولم يطلع على فاعل ذلك ، وكان البواب رجلا صالحا مشكوراً رحمه الله .

﴿ ترجمة الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية ﴾

وفى ليلة الخميس ثالث عشر رجب وقت أذان العشاء توفى صاحبنا الشيخ الامام العلامة شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى ، إمام الجوزية ، وابن قيمها ، وصلى عليه بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الأموى ، ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغير رحمه الله . ولد فى سنة إحدى وتسعين وستمائة وسمع الحديث واشتغل بالعلم ، وبرع فى علوم متعددة ، لا سيما علم التفسير والحديث والأصلين ، ولما عاد الشيخ تقى الدين ابن تيمية من الديار المصرية فى سنة ثنتى عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ فأخذ عنه علما جما ، مع ما سلف له من الاشتغال ، فصار فريداً فى بابه فى فنون كثيرة ، مع كثرة الطلب ليلا ونهاراً ، وكثرة الابتهال . وكان حسن القراءة والخلق ، كثير التودد لايحسد أحداً ولا يؤذيه ، ولايستعيبه ولا يحقد على أحد ، وكنت من أصحب الناس له وأحب

الناس إليه ، ولا أعرف فى هذا العالم فى زماننا أكثر عبادة منه ، وكانت له طريقة فى الصلاة يطيلها جدا ويمد ركوعها وسجودها ، ويلومه كثير من أصحابه فى بعض الأحيان ، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله ، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير ، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيراً ، وحصل من الكتب مالا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف ، وبالجملة كان قليل النظير فى مجموعه وأموره وأحواله ، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة ، سامحه الله ورحمه ، وقد كان متصديا للافتاء بمسألة الطلاق التى اختارها الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضى القضاة تقى الدين السبكى وغيره ، وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله ، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة ، وتزاحم الناس على حمل نعشه ، وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله .

وفى يوم الاثنين ثانى عشر شهر شعبان ذكر الدرس بالصدرية شرف الدين عبد الله بن الشيخ الامام العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية عوضا عن أبيه رحمه الله فأفاد وأجاد ، وسرد طرفا صالحا فى فضل العلم وأهله ، انتهى والله تعالى أعلم .

ومن العجائب والغرائب التى لم يتفق مثلها ولم يقع من نحو مائتى سنة وأكثر ، أنه بطل الوقيد بجامع دمشق فى ليلة النصف من شعبان ، فلم يزد فى وقيده قنديل واحد على عادة لياليه فى سائر السنة ولله الحمد والمنة . وفرح أهل العلم بذلك ، وأهل الديانة ، وشكروا الله تعالى على تبطيل هذه البدعة الشنعاء ، التى كان يتولد بسببها شرور كثيرة بالبلد ، والاستيجار بالجامع الأموى ، وكان ذلك بمرسوم السلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون خلد الله ملكه ، وشيد أركانه وكان الساعى لذلك بالديار المصرية الأمير حسام الدين أبو بكر بن النجيبى بيض الله وجهه ، وقد كان مقيما فى هذا الحين بالديار المصرية ، وقد كنت رأيت عنده فتيا عليها خط الشيخ تقى الدين بن تيمية ، والشيخ كمال الدين بن الزملكانى ، وغيرهما فى إبطال هذه البدعة ، فأنفذ الله ذلك ولله الحمد والمنة . وقد كانت هذه البدعة قد استقرت بين أظهر الناس من نحو سنة خمسين وأربعمائة وإلى زماننا هذا ، وكم سعى فيها من فقيه وقاض ومفت وعالم وعابد وأمير وزاهد ونائب سلطنة وغيرهم ولم ييسر الله ذلك إلا فى عامنا هذا ، والمسؤل من الله إطالة عمر هذا السلطان ، ليعلم الجهلة الذين استقر فى أذهانهم إذا أبطل هذا الوقيد فى عام يموت سلطان الوقت ، وكان هذا لا حقيقة له ولا دليل عليه إلا مجرد الوهم والخيال .

وفى مستهل شهر رمضان اتفق أمر غريب لم يتفق مثله من مدة متطاولة ، فيما يتعلق بالفقهاء والمدارس ، وهو أنه كان قد توفى ابن الناصح الحنبلى بالصالحية ، وكان بيده نصف تدريس الضاحية

التى للحنابلة بالصالحية ، والنصف الآخر للشيخ شرف الدين ابن القاضى شرف الدين الحنبلى شيخ الحنابلة بدمشق ، فاستنجز مرسوماً بالنصف الآخر ، وكانت بيده ولاية متقدمة من القاضى علاء الدين ابن المنجا الحنبلى ، فعارضه فى ذلك قاضى القضاة جمال الدين المرداوى الحنبلى ، وولى فيها نائبه شمس الدين بن مفلح ، ودرس بها قاضى القضاة فى صدر هذا اليوم ، فدخل القضاة الثلاثة الباقون ومعهم الشيخ شرف الدين المذكور إلى نائب السلطنة ، وأنهوا إليه صورة الحال ، فرسم له بالتدريس ، فركب القضاة المذكورون و بعض الحجاب فى خدمته إلى المدرسة المذكورة ، واجتمع الفضلاء والأعيان ، ودرس الشيخ شرف الدين المذكور ، و بث فضائل كثيرة ، وفرح الناس .

وفى شوال كان فى جملة من توجه إلى الحج فى هذا العام نائب الديار المصرية ومدبر ممالكها الأمير سيف الدين يلبغا الناصرى ، ومعه جماعة من الأمراء ، فلما استقل الناس ذاهبين نهض جماعة من الأمراء على أخيه الأمير سيف الدين منجك ، وهو وزير المملكة ، وأستاذ دار الاستادارية ، وهو باب الحوائج فى دولتهم ، و إليه يرحل ذوو الحاجات بالذهب والهدايا ، فأمسكوه وجاءت البريدية إلى الشام فى أواخر هذا الشهر بذلك ، و بعد أيام يسيرة وصل الأمير سيف الدين شيخون ، وهو من أكابر الدولة المصرية تحت الترسيم ، فأدخل إلى قلعة دمشق ، ثم أخذ منها بعد ليلة فذهب به إلى الاسكندرية فالله أعلم . وجاء البريد بالاحتياط على ديوانه وديوان منجك بالشام وأيس من سلامتهما ، وكذلك وردت الأخبار بمسك يلبغا فى أثناء الطريق ، وأرسل سيفه إلى السلطان ، وقدم أمير من الديار المصرية فحلف الأمراء بالطاعة إلى السلطان ، وكذلك سار إلى حلب فحلف من بها من الأمراء ثم عاد إلى دمشق ثم عاد راجعاً إلى الديار المصرية ، وحصل له من الاموال شىء كثير من النواب والأمراء .

و فى يوم الخميس العشرين من ذى القعدة مسك الأميران الكبيران الشاميان المقدمان شهاب الدين أحمد بن صبيح ، وملك آص ، من دار السعادة بحضرة نائب السلطنة والأمراء و رفعا إلى القلعة المنصورة ، سير بهما ماشيين من دار السعادة إلى باب القلعة من ناحية دار الحديث ، وقيدا وسجنا بها ، وجاء الخبر بأن السلطان استوزر بالديار المصرية القاضى علم الدين زنبور ، وخلع عليه خلعة سنية ، لم يسمع بمثلها من أعصار متقادمة ، و باشر وخلع على الأمراء والمقدمين ، وكذلك خلع على الأمير سيف الدين طسبغا وأعيد إلى مباشرة الدويدارية بالديار المصرية ، وجعل مقدما .

وفى أوائل شهر ذى الحجة اشتهر أن نائب صفد شهاب الدين أحمد بن مشد الشربخانات طلب إلى الديار المصرية فامتنع من إجابة الداعى ، ونقض العهد ، وحصن قلعتها ، وحصل فيها عدداً ومددا وادخر أشياء كثيرة بسبب الاقامة بها والامتناع فيها ، فجاءت البريدية إلى نائب دمشق بأن يركب هو

وجميع جيش دمشق إليه ، فتجهز الجيش لذلك وتأهبوا ، ثم خرجت الأطلاب على راياتها ، فلما برز منها بعض بدا لنائب السلطنة فردهم وكان له خبرة عظيمة ، ثم استقر الحال على تجريد أربعة مقدمين بأربعة آلاف إليه .

وفى يوم الخميس ثانى عشره وقعت كائنة غريبة بمنى وذلك أنه اختلف الأمراء المصريون والشاميون مع صاحب اليمن الملك المجاهد ، فاقتتلوا قتالا شديدا قريباً من وادى محسر ، ثم انجلت الوقعة عن أسر صاحب اليمن الملك المجاهد فحمل مقيدا إلى مصر ، كذلك جاءت بها كتب الحجاج وهم أخبروا بذلك . واشتهر فى أواخر ذى الحجة أن نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون الكاملى قد خرج عنها بمماليكه وأصحابه فرام الجيش الحلبى رده فلم يستطيعوا ذلك ، وجرح منهم جراحات كثيرة ، وقتل جماعة فانا لله و إنا إليه راجعون ، واستمر ذاهبا وكان فى أمله فيما ذكر أن يتلقى سيف الدين يلبغا فى أثناء طريق الحجاز فيتقدم معه إلى دمشق ، و إن كان نائب دمشق قد اشتغل فى حصار صفد أن يهجم عليها بغتة فيأخذها ، فلما سار بمن معه وأخذته القطاع من كل جانب ونهبت حواصله و بقى تجريدة فى نفر يسير من مماليكه ، فاجتاز بحماة ليهرب به نائبها فأبى عليه ، فلما اجتاز بحمص وطن نفسه على المسير إلى السلطان بنفسه ، فقدم به نائب حمص وتلقاه بعض الحجاب و بعض مقدمين الألوف ودخل يوم الجمعة بعد الصلاة سابع عشرين الشهر ، وهو فى أبهة ، فنزل بدار السعادة فى بعض قاعات الدويدارية انتهى .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد الشامية والديار المصرية والحرمين الشريفين وما يلحق بذلك من الأقاليم والبلدان ، الملك الناصر حسن بن السلطان الملك محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين يلبغا الملقب بحارس الطير ، وهو عوضا عن الأمير سيف الدين يلبغا أروش الذى راح إلى بلاد الحجاز ، ومعه جماعة من الأمراء بقصد الحج الشريف ، فعزله السلطان فى غيبته وأمسك على شيخون واعتقله ، وأخذ منجك الوزير ، وهو أستاذ دار ومقدم ألف ، واصطفى أمواله ، واعتاض عنه و ولى مكانه فى الوزارة القاضى علم الدين ابن زينور ، واسترجع إلى وظيفة الدويدارية الأمير سيف الدين طسبغا الناصرى ، وكان أميراً بالشام مقيما منذ عزل إلى أن أعيد فى أواخر السنة كما تقدم . وأما كاتب السر بمصر وقضاتها فهم المذكورون فى التى قبلها .

واستهلت هذه السنة ونائب صفد قد حصن القلعة وأعد فيها عدتها وما ينبغى لها من الأطعمات والذخائر والعدد والرجال ، وقد نابذ المملكة وحارب ، وقد قصدته العساكر من كل جانب من الديار

المصرية ودمشق وطرابلس وغيرها ، والأخبار قد ضمنت عن يلبغا ومن معه ببلاد الحجاز ما يكون من أمره ، ونائب دمشق فى احتراز وخوف من أن يأتى إلى بلاد الشام فيدهمها بمن معه ، والقلوب وجلة من ذلك ، فانا لله و إنا إليه راجعون . وفيها ورد الخبر أن صاحب اليمن حج فى هذه السنة فوقع بينه و بين صاحب مكة عجلان بسبب أنه أراد أن يولى عليها أخاه بعيثة ، فاشتكى عجلان ذلك إلى أمراء المصريين وكبيرهم إذ ذاك الأمير سيف الدين بزلار ومعهم طائفة كثيرة ، وقد أمسكوا أخاهم يلبغا وقيدوه ، فقوى رأسه عليهم واستخف بهم ، فصبروا حتى قضى الحج وفرغ الناس من المناسك ، فلما كان يوم النفر الأول يوم الخميس تواقفوا هم وهو فقتل من الفريقين خلق كثير ، والأكثر من اليمنيين ، وكانت الوقعة قريبة من وادى محسر ، و بقى الحجيج خائفين أن تكون الدائرة على الأتراك فتنهب الأعراب أموالهم و ربما قتلوهم ، ففرج الله ونصر الأتراك على أهل اليمن ولجأ الملك المجاهد إلى جبل فلم يعصمه من الأتراك ، بل أسروه ذليلا حقيرا ، وأخذوه مقيدا أسيرا ، وجاءت عوام الناس إلى اليمنيين فنهبوا شيئا كثيرا ، ولم يتركوا لهم جليلا ولا حقيرا ، ولا قليلا ولا كثيرا ، واحتاط الأمراء على حواصل الملك وأمواله وأمتعته وأثقاله ، وساروا بخيله وجماله ، وأدلوا على صنديد من رحله و رجاله ، واستحضروا معهم طفيلا الذى كان حاصر المدينة النبوية فى العام الماضى وقيدوه أيضاً ، وجعلوا الغل فى عنقه ، واستاقوه كما يستاق الأسير فى وثاقه مصحوبا بهمه وحتفه ، وانشمروا عن تلك البلاد إلى ديارهم راجعين ، وقد فعلوا فعلة تذكر بعدهم إلى حين .

ودخل الركب الشامى إلى دمشق يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من المحرم على العادة المستمرة والقاعدة المستقرة . و فى هذا اليوم قدمت البريدية من تلقاء مدينة صفد مخبرة بأن الأمير شهاب الدين أحمد ابن مشد الشرنجاناه ، الذى كان قد تمرد بها وطغى و بغى حتى استحوز عليها وقطع سبيها وقتل الفرسان والرجالة ، وملأها أطعمة وأسلحة ، ومماليكه و رجاله ، فعند ما تحقق مسك يلبغا أروش خضعت تلك النفوس ، وخمدت ناره وسكن شراره وحار بشاره ، ووضح قراره ، وأناب إلى التوبة والاقلاع ، و رغب إلى السلامة والخلاص ، وخشع ولات حين مناص ، وأرسل سيفه إلى السلطان ، ثم توجه بنفسه على البريد إلى حضرة الملك الناصر والله المسؤل أن يحسن عليه وأن يقبل بقلبه إليه .

و فى يوم الأحد خامس صفر قدم من الديار المصرية الأمير سيف الدين أرغون الكاملى معاداً إلى نيابة حلب ، و فى صحبته الأمير سيف الدين طشبغا الدوادار بالديار المصرية ، وهو زوج ابنة نائب الشام ، فتلقاه نائب الشام وأعيان الأمراء ، ونزل طشبغا الدوادار عند زوجته بدار منجى فى محلة مسجد القصب التى كانت تعرف بدار حنين بن حندر ، وقد جددت فى السنة الماضية ، وتوجها فى الليلة الثانية من قدومهما إلى حلب . و فى يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الاول اجتمع

القضاة الثلاثة وطلبوا الحنبلي ليتكلموا معه فيما يتعلق بدار المعتمد التي بجوار مدرسة الشيخ أبي عمر، التي حكم بنقض وقفها وهدم بابها و إضافتها إلى دار القرآن المذكورة ، وجاء مرسوم السلطان بوفق ذلك ، وكان القاضي الشافعي قد أراد منعه من ذلك ، فلما جاء مرسوم السلطان اجتمعوا لذلك ، فلم يحضر القاضي الحنبلي ، قال حتى يجيء نائب السلطنة .

ولما كان يوم الخميس خامس عشر ربيع الأول حضر القاضي حسين ولد قاضي القضاة تقي الدين السبكي عن أبيه مشيخة دار الحديث الأشرفية وقرىء عليه شيء كان قد خرجه له بعض المحدثين، وشاع في البلد أنه نزل له عنها ، وتكلموا في ذلك كلاماً كثيراً ، وانتشر القول في ذلك ، وذكر بعضهم أنه نزل له عن الغزالية والعادلية ، واستخلفه في ذلك فالله أعلم .

وفي سحر ليلة الخميس خامس شهر جمادى الآخرة وقع حريق عظيم بالجوانيين في السوق الكبير واحترقت دكاكين الفواخرة والمناجليين ، وفرجة الغرابيل ، و إلى درب القلي ، ثم إلى قريب درب العميد ، وصارت تلك الناحية دكا بلقعا ، فانا لله و إنا إليه راجعون . وجاء نائب السلطنة بعد الاذان إلى هناك و رسم بطفي النار ، وجاء المتولي والقاضي الشافعي والحجاب ، وشرع الناس في طفي النار، ولو تركوها لأحرقت شيئاً كثيراً ، ولم يفقد فيما بلغنا أحد من الناس ، ولكن هلك للناس شيء كثير من المتاع والأثاث والأملاك وغير ذلك ، واحترق للجامع من الرباع في هذا الحريق ما يساوي مائة ألف درهم . انتهى والله أعلم .

﴿ كائنة غريبة جداً ﴾

وفي يوم الأحد خامس عشر جمادى الأولى استسلم القاضي الحنبلي جماعة من اليهود كان قد صدر منهم نوع استهزاء بالاسلام وأهله ، فانهم حملوا رجلا منهم صفة ميت على نعش ويهللون كتهليل المسلمين أمام الميت و يقرأون (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فسمع بهم من بحارتهم من المسلمين ، فأخذوهم إلى ولي الامر نائب السلطنة فدفعهم إلى الحنبلي ، فاقتضى الحال استسلامهم فأسلم يومئذ منهم ثلاثة وتبع أحدهم ثلاثة أطفال ، وأسلم في اليوم الثاني ثمانية آخرون فأخذهم المسلمون وطافوا بهم في الأسواق يهللون و يكبرون ، وأعطاهم أهل الأسواق شيئاً كثيراً و راحوا بهم إلى الجامع فصلوا ثم أخذوهم إلى دار السعادة فاستطلقوا لهم شيئا ، ورجعوا وهم في ضجيج وتهليل وتقديس ، وكان يوماً مشهوداً ولله الحمد والمنة . انتهى والله أعلم

﴿ مملكة السلطان الملك الصالح ﴾

« صلاح الدين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي »

في العشر الأوسط من شهر رجب الفرد وردت البريدية من الديار المصرية بعزل السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر بن قلاوون لاختلاف الأمراء عليه ، واجتماعهم على أخيه الملك

الصالح ، وأمه صالحة بنت ملك الامراء تنكز الذى كان نائب الشام مـدة طويلة ، وهو ابن أربع عشرة سـنة ، وجاءت الأمراء للحلف ، فدقت البشائر و زين البـلد على العادة ، وقيل إن الملك الناصر حسن خنق و رجعت الامراء الذين كانوا باسكندرية مثل شيخون ومنجك وغيرهما ، وأرسلوا إلى يلبغا فجىء به من الـكرك ، وكان مسجونا بها من مرجعه من الحج ، فلما عاد إلى الديار المصرية شفع فى صاحب اليمن الملك المجاهد الذى كان مسجونا فى الـكرك فأخرج وعاد إلى الديار الحجازية .

وأما الأمراء الذين كانوا من ناحية السلطان حين مسك معارضة أمير أخور وميكلى بغـا الفخرى وغيرهما ، فاحتيط عليهم وأرسلوا إلى الاسـكندرية ، وخطب للملك الصالح بجامع دمشق يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب وحضر نائب السلطنة والأمراء والقضاة للدعاء له بالمقصورة على العادة .

وفى أثناء العشر الأخير من رجب عزل نائب السلطنة سيف الدين أيتمش عن دمشق مطلوبا إلى الديار المصرية فسار إليها يوم الخميس . وفى يوم الاثنين حادى عشر شعبان قدم الأمير سيف الدين أرغون الـكاملى الذى كان نائبا على الديار الحلبية من هناك ، فدخـل دمشق فى هذا اليوم فى أبهة عظيمة ، وخرج الأمراء والمقدمون وأرباب الوظائف لتلقيه إلى أثناء الطريق ، منهم من وصل إلى حلب وحماة وحمص ، وجرى فى هذا اليوم عجائب لم تر من دهور ، واستبشر الناس به لصرامته وشهامته وحدته ، وما كان من لين الذى قبله و رخاوته ، فنزل دار السعادة على العادة . وفى يوم السبت وقف فى موكب هائل قيل إنه لم ير مثله من مدة طويلة ، ولما سير إلى ناحية باب الفرج اشتكى إليه ثلاث نسوة عـلى أمير كبير يقال له الطرخاين ، فأمر بانزاله عن فرسه فأنزل وأوقف معهن فى الحـكومة ، واستمر بطلان الوقيـد فى الجامع الأموى فى هذا العام أيضا كالذى قبله ، حسب مرسوم السلطان الناصر حسن رحمه الله ، ففرح أهـل الخير بذلك فرحا شـديداً ، وهذا شىء لم يعهد مثله من نحو ثلثمائة سنة ولله الحمد والمنة ، ونودى فى البلد فى هذا اليوم والذى بعده عن النائب : من وجد جنديا سكرانا فلينزله عن فرسه وليأخذ ثيابه ، ومن أحضره من الجند إلى دار السعادة فله خبزه ، ففرح الناس بذلك واحتجر على الخمارين والعصارين ، و رخصت الأعناب وجادت الأخباز واللحم بعد أن كان بلغ كل رطل أربعـة ونصفاً ، فصار بدرهمين ونصف ، وأقل ، وأصلحت المعايش من هيبة النائب ، وصار له صيت حسن ، وذكر جميل فى الناس بالعـدل وجودة القصد وصحة الفهـم وقوة العدل والادراك .

وفى يوم الاثنين ثامن عشر شعبان وصل الامير أحمد بن شاد الشر بخاناه الذى كان قد عصى فى صفد ، وكان من أمره ما كان ، فاعتقل بالاسكندرية ثم أخرج فى هذه الدولة وأعطى نيابة حماة فدخل دمشق فى هذا اليوم سائراً إلى حماة ، فركب مع النائب مع الموكب وسير عن يمينه ونزل فى خدمته

إلى دار السعادة ، و رحل بين يديه . وفى يوم الخميس الحادى والعشرين منه دخل الامير سيف الدين يلبغا الذى كان نائبا بالديار المصرية ، ثم مسك بالحجاز وأودع الكرك ، ثم أخرج فى هذه الدولة وأعطى نيابة حلب، فتلقاه نائب السلطنة وأنزل دار السعادة حين أضافه . ونزل وطاقه بوطأة برزة وضربت له خيمة بالميدان الأخضر .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك الملك الصالح صلاح الدين ،صالح بن السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، والخليفة الذى يدعى له المعتضد بأمر الله ، ونائب الديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاى ، وقضاة مصرهم المذكورون فى التى قبلها ، والوزير القاضى ابن زنبور ، وأولو الأمر الذين يدبرون المملكة فلا تصدر الأمور إلا عن آرائهم لصغر السلطان المذكور جماعة من أعيانهم ثلاثة سيف الدين شيخون ،وطار وحر عيمش ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين أرغون الكاملى ، وقضاتها هم المذكورون فى التى قبلها ، ونائب البلاد الحلبية الأمير سيف الدين يلبغا أروش ، ونائب طرابلس الأمير سيف الدين بكلمش ، ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد بن مشد الشربخانة ، ووصل بعض الحجاج إلى دمشق فى تاسع الشهر ـ وهذا نادر ـ وأخبروا بموت المؤذن شمس الدين بن سعيد بعد منزلة العلا فى المدايغ .

وفى ليلة الاثنين سادس عشر صفر فى هذه السنة وقع حريق عظيم عند باب جيرون شرقيه فاحترق به دكان القفاعى الكبيرة المزخرفة وما حولها ، واتسع اتساعا فظيعاً ، واتصل الحريق بالباب الأصفر من النحاس ، فبادر ديوان الجامع إليه فكشطوا ما عليه من النحاس ونقلوه من يومه إلى خزانة الحاصل ، بمقصورة الحلبية ، بمشهد على ، ثم عدوا عليه يكسرون خشبه بالفؤس الحداد ، والسواعد الشداد ، وإذا هو من خشب الصنوبر الذى فى غاية ما يكون من القوة والثبات ، وتأسف الناس عليه لكونه كان من محاسن البلد ومعالمه . وله فى الوجود ما ينيف عن أربعة آلاف سنة . انتهى والله أعلم .

﴿ ترجمة باب جيرون المشهور بدمشق ﴾

الذى كان هلاكه وذهابه وكسره فى هذه السنة ، وهو باب سر فى جامع دمشق لم ير باب أوسع ولا أعلى منه ، فيما يعرف من الابنية فى الدنيا ، وله علمان من نحاس أصفر بمسامير نحاس أصفر أيضا بارزة ، من عجائب الدنيا ، ومحاسن دمشق ومعالمها ، وقد تم بناؤها . وقد ذكرته العرب فى أشعارها والناس وهو منسوب إلى ملك يقال له جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن أدم بن سام بن نوح ، وهو الذى بناه ، وكان بناؤه له قبل الخليل عليه السلام ، بل قبل ثمود وهود أيضا ، على ما ذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخه وغيره ، وكان فوقه حصن عظيم ، وقصر منيف ،ويقال بل هو منسوب إلى اسم المارد الذى بناه لسليمان عليه السلام ، وكان اسم ذلك المارد جيرون ، والأول أظهر

وأشهر ، فعلى الأول يكون لهذا الباب من المدد المتطاولة ما يقارب خمسة آلاف سنة ، ثم كان انجعاف هذا الباب لا من تلقاء نفسه بل بالأيدى العادية عليه ، بسبب ما ناله من شوط حريق اتصل إليه حريق وقع من جانبه فى صبيحة ليلة الاثنين السادس عشر من صفر ، سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة فتبادر ديوان الجامعية ففرقوا شمله وقضعوا شمله ، وعروا جلده النحاس عن بدنه الذى هو من خشب الصنوبر ، الذى كأن الصانع قد فرغ منه يومئذ ، وقد شاهدت الفؤس تعمل فيه ولا تكاد تحيل فيه إلا بمشقة ، فسبحان الذى خلق الذين بنوه أولا ، ثم قدر أهل هذا الزمان على أن هدموه بعد هذه المدد المتطاولة ، والأمم المتداولة ، ولكن لكل أجل كتاب ، ولا إله إلا رب العباد .

﴿ بيان تقدم مدة هذا الباب وزيادتها على مدة أربعة آلاف سنة بل يقارب الخمسة ﴾

ذكر الحافظ ابن عساكر فى أول تاريخه باب بناء دمشق بسنده عن القاضى يحيى بن حمزة التبلهى الحاكم بها فى الزمن المتقدم ، وقد كان هذا القاضى من تلاميذ ابن عمر والأوزاعى ، قال . لما فتح عبد الله بن على دمشق بعد حصارها ـ يعنى وانتزعها من أيدى بنى أمية وسلبهم ملكهم ـ هدموا سور دمشق فوجدوا حجراً مكتوباً عليه باليونانية ، فجاء راهب فقرأه لهم ، فاذا هو مكتوب عليه : ويك أرم الجبابرة من رامك بسوء قصمه الله ، إذا وهى منك جيرون الغربى من باب البريد وتلك من خمسة أعين ينقض سورك على يديه ، بعد أربعة آلاف سنة تعيشين رغداً ، فاذا وهى منك جيرون الشرقى أؤمل لك ممن يعوض لك ، قال : فوجدنا الخمسة أعين عبد الله بن على بن عبدالله ابن عباس بن عبد المطلب ، عين بن عين بن عين بن عين بن عين ،فهذا يقتضى أنه كان بسورها سنينا إلى حين إخرابه على يد عبد الله بن على أربعة آلاف سنة ، وقد كان إخرابه له فى سنة ثنتين وثلاثين ومائة كما ذكرنا فى التاريخ الكبير ، فعلى هذا يكون لهذا البـاب إلى يوم خرب من هذه السنة ـ أعنى سنة ثنتين وثلاثين ومائة ـ أربعة آلاف وستمائة و إحدى وعشرين سنة ، والله أعلم .

وقد ذكر ابن عساكر عن بعضهم أن نوحاً عليه السلام هو الذى أسس دمشق بعد حران وذلك بعد مضى الطوفان ، وقيل بناها دمسقس غلام ذى القرنين عن إشارته ، وقيل عاد الملقب بدمشيق وهو غلام الخليل ، وقيل غير ذلك من الأقوال ، وأظهرها أنها من بناء اليونان ،لأن محاريب معابدها كانت موجهة إلى القطب الشمالى ، ثم كان بعدهم النصارى فصلوا فيها إلى الشرق ، ثم كان فيها بعدهم أجمعين أمة المسلمين فصلوا إلى الكعبة المشرفة . وذكر ابن عساكر وغيره أن أبوابها كانت سبعة كل منها يتخذ عنده عيد لهيكل من الهياكل السبعة ، فباب القمر باب السلامة ، وكانوا يسمونه باب الفراديس الصغير ، ولعطارد باب الفراديس الكبير ، والزهرة باب توما ، وللشمس الباب الشرقى ، وللمريخ باب الجابية ، وللمشترى باب الجابية الصغير ، ولزحل باب كيسان .

وفى أوائل شهر رجب الفرد اشتهر أن نائب حلب يلبغا أروش اتفق مع نائب طرابلس بكلمش ، ونائب حلب أمير أحمد بن مشد الشر بخانة على الخروج عن طاعة السلطان حتى يمسك شيخون وطاز ، وهما عضدا الدولة بالديار المصرية ، وبعثوا إلى نائب دمشق وهو الأمير سيف الدين أرغون الكاملى فأبى عليهم ذلك ، وكاتب إلى الديار المصرية بما وقع من الأمر ، وانزعج الناس لذلك ، وخافوا من غائلة هذا الأمر وبالله المستعان . ولما كان يوم الاثنين ثامن الشهر جمع نائب السلطنة الأمراء عنده بالقصر الأبلق واستحلفهم بيعة أخرى لنائب السلطنة الملك الصالح ، فحلفوا واتفقوا على السمع والطاعة والاستمرار على ذلك . وفى ليلة الاربعاء سابع عشر رجب جاءت الجبلية الذين جمعوهم من البقاع لأجل حفظ ثنية العقاب من قدوم العساكر الحلبية ، ومن معهم من أهل طرابلس وحماة ، وكان هؤلاء الجبلية قريبا من أربعة آلاف ، فحصل بسببهم ضرر كثير على أهل برزة وما جاورهم من الثمار وغيرها .

وفى يوم السبت العشرين منه ركب نائب السلطنة سيف الدين أرغون ومعه الجيوش الدمشقية قاصدين ناحية الكسوة ليلا يقاتلون المسلمين ولم يبق فى البلد من الجند أحد ، وأصبح الناس وليس لهم نائب ولا عسكر ، وخلت الديار منهم ، ونائب الغيبة الأمير سيف الدين الجى بغا العادلى ، وانتقل الناس من البساتين ومن طرف العقيبة وغيرها إلى المدينة ، وأكثر الأمراء نقلت حواصلهم وأهاليهم إلى القلعة المنصورة ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولما اقترب دخول الأمير يلبغا بمن معه انزعج الناس وانتقل أهل القرى الذين فى طريقه ، وسرى ذلك إلى أطراف الصالحية والبساتين وحواضر البلد ، وغلقت أبواب البلد إلى ما يلى القلعة ، كباب النصر وباب الفرج ، وكذا باب الفراديس ، وخلت أكثر المحال من أهاليهم ، ونقلوا حوائجهم وحواصلهم وأنعامهم إلى البلد على الدواب والحمالين ، وبلغهم أن أطراف الجيش انتهبوا ما فى القرايا فى طريقهم من الشعير والتبن وبعض الانعام الأكل ، وربما وقع فساد غير هذا من بعض الجهلة ، فخاف الناس كثيراً وتشوشت خواطرهم انتهى .

﴿ دخول يلبغا أروش إلى دمشق ﴾

ولما كان يوم الاربعاء الرابع والعشرين من رجب دخل الأمير سيف الدين يلبغا أروش نائب حلب إلى دمشق المحروسة بمن معه من العساكر الحلبية وغيرهم وفى صحبته نائب طرابلس الأمير سيف الدين بكلمش ، ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد ، ونائب صفد الأمير علاء الدين طيبغا ، ملقب برناق ، وكان قد توجه قبله ، قبل بيوم ، ومعه نواب قلاع كثيرة من بلاد حلب وغيرها ، فى عدد كثير من الأتراك والتركمان ، فوقف فى سوق الخيل مكان نواب السلطان تحت القلعة ، واستعرض الجيوش الذين وفدوا معه هنالك ، فدخلوا فى تجمل كثير ، ملبسين ، وكان عدة

من كان معه من أمراء الطبلخانات قريبا من ستين أمير أو يزيدون أو ينقصون ، على ما استفاض عن غير واحد ممن شاهد ذلك ، ثم سار قريباً من الزوال للمخيم الذى ضرب له قبل مسجد القدم عند قبة يلبغا ، عند الجدول الذى هنالك ، وكان يوما مشهوداً هائلا ، لما عاين الناس من كثرة الجيوش والعدد ، وعذر كثير من الناس صاحب دمشق فى ذهابه بمن معه لئلا يقابل هؤلاء . فنسأل الله أن يجمع قلوبهم على ما فيه صلاح المسلمين . وقد أرسل إلى نائب القلعة وهو الامير سيف الدين إباجى يطلب منه حواصل أرغون التى عنده ، فامتنع عليه أيضا ، وقد حصن القلعة وسترها وأرصد فيها الرجال والرماة والعدد ، وهيأنها بعض المجانيق ليبعد بها فوق الابرجة، وأمر أهل البلد أن لا يفتحوا الدكاكين و يغلقوا الأسواق ، وجعل يغلق أبواب البلد إلا بابا أو بابين منها ، واشتد حنق العسكر عليه ، وهموا بأشياء كثيرة من الشر ، ثم يرعوون عن الناس والله المسلم ، غير أن إقبال العسكر وأطرافه قد عاثوا فيما جاوروه من القرايا والبساتين والكروم والزروع فيأخذون ما يأكلون وتأكل دوابهم ، وأكثر من ذلك فانا لله و إنا إليه راجعون . ونهبت قرايا كثيرة وفجروا بنساء و بنات ، وعظم الخطب ، وأما التجار ومن يذكر بكثرة مال فأكثرهم مختف لا يظهر لما يخشى من المصادرة ، نسأل الله أن يحسن عاقبتهم .

واستهل شهر شعبان وأهل البلد فى خوف شديد ، وأهل القرايا والحواضر فى نقلة أثاثهم و بقارهم ودوابهم وأبنائهم ونسائهم ، وأكثر أبواب البلد مغلقة سوى بابى الفراديس والجابية ، وفى كل يوم نسمع بأمور كثيرة من النهب للقرايا والحواضر ، حتى انتقل كثير من أهل الصالحية أو أكثرهم ، وكذلك من أهل العقيبة وسائر حواضر البلد ، فنزلوا عند معارفهم وأصحابهم ، ومنهم من نزل على قارعة الطريق بنسائهم وأولادهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وقال كثير من المشايخ الذين أدركوا زمن قازان : إن هذا الوقت كان أصعب من ذلك لما ترك الناس من ورائهم من الغلات والثمار التى هى عمدة قوتهم فى سنتهم ، وأما أهل البلد ففى قلق شديد أيضاً لما يبلغهم عنهم من الفجور بالنساء ، و يجعلون يدعون عقيب الصلوات عليهم يصرحون بأسمائهم و يعنون بأسماء أمرائهم وأتباعهم ونائب القلعة الأمير سيف الدين إباجى فى كل وقت يسكن جأش الناس و يقوى عزمهم و يبشرهم بخروج العساكر المنصورة من الديار المصرية صحبة السلطان إلى بلاد غزة حيث الجيش الدمشقى ، ليجيئوا كلهم فى خدمته و بين يديه ، وتدق البشائر فيفرح الناس ثم تسكن الأخبار وتبطل الروايات فتقلق ويخرجون فى كل يوم وساعة فى تجمل عظيم ووعد وهيآت حسنة ، ثم جاء السلطان أيده الله تعالى وقد ترجل الأمراء بين يديه من حين بسط له عند مسجد الذبان إلى داخل القلعة المنصورة ، وهو لابس قباء أحمر له قيمته على فرس أصيلة مؤدبة معلمة المشى على القوس لا تحيد عنه ، وهو حسن

الصورة مقبول الطلعة ، عليه بهاء المملكة والرياسة ، والخزفوق رأسه يحمله بعض الأمراء الأكابر ، وكلما عاينه من عاينه من الناس يبتهلون بالدعاء بأصوات عالية ، والنساء بالزغرطة ، وفرح الناس فرحا شديدا ، وكان يوماً مشهودا ، وأمرا حميداً ، جعله الله مباركا على المسلمين . فنزل بالقلعة المنصورة ، وقد قدم معه الخليفة المعتضد أبو الفتح بن أبي بكر المستكفى بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، وكان راكباً إلى جانبه من ناحية اليسار ، ونزل بالمدرسة الدماغية فى أواخر هذا اليوم سائر الأمراء مع نائب الشام ، ومقدمهم طار وشيخون فى طلب يلبغا ومن معه من البغاة المفسدين .

و فى يوم الجمعة ثانيه حضر السلطان أيده الله إلى الجامع الأموى وصلى فيه الجمعة بالمشهد الذى يصلى فيه نواب السلطان أيده الله ، فكثر الدعاء والمحبة له ذاهباً وآيبا تقبل الله منه ، وكذلك فعل الجمعة الأخرى وهى تاسع الشهر . وفى يوم السبت عاشره اجتمعنا ـ يقول الشيخ عماد الدين بن كثير المصنف رحمه الله ـ بالخليفة المعتضد بالله أبي الفتح بن أبي بكر بن المستكفى بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، وسلمنا عليه وهو نازل بالمدرسة الدماغية ، داخل باب الفرج وقرأت عنده جزءاً فيه ما رواه أحمد بن حنبل عن محمد بن إدريس الشافعى فى مسنده ، وذلك عن الشيخ عز الدين بن الضيا الحموى بسماعه من ابن البخارى ، وزينب بنت مكى عن أحمد بن الحصين عن ابن المذهب عن أبى بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد عن أبيه فذكرها ، والمقصود أنه شاب حسن الشكل مليح الكلام متواضع جيد الفهم حلو العبارة رحم الله سلفه .

و فى رابع عشره قدم البريد من بلاد حلب بسيوف الأمراء الممسوكين من أصحاب يلبغا .

و فى يوم الخميس خامس عشره نزل السلطان الملك الصالح من الطارمة إلى القصر الأبلق فى أبهة المملكة ، ولم يحضر يوم الجمعة إلى الصلاة ، بل اقتصر على الصلاة بالقصر المذكور . وفى يوم الجمعة باكر النهار دخل الأمير سيف الدين شيخون وطار بمن معهما من العساكر من بلاد حلب ، وقد فات تدارك يلبغا وأصحابه لدخولهم بلاد زلغادر التركمانى بمن بقى معهم ، وهم القليل ، وقد أسر جماعة من الأمراء الذين كانوا معه ، وهم فى القيود والسلاسل صحبة الأميرين المذكورين ، فدخلا على السلطان وهو بالقصر الأبلق فسلما عليه وقبلا الأرض وهنآه بالعيد ، ونزل طار بدار أيتمش بالشرق الشمالى ، ونزل شيخون بدار إياس الحاجب بالقرب من الظاهرية البرانية ، ونزل بقية الجيش فى أرجاء البلد ، وأما الأمير سيف الدين أرغون فأقام بحلب نائبا عن سؤاله إلى ماذكر ، وخوطب فى تقليده بألقاب هائلة ، ولبس خلعة سنية ، وعظم تعظيما زائدا ، ليكون هناك إلبا على يلبغا وأصحابه لشدة مابينهما من العداوة . ثم صلى السلطان بمن معه من المصريين ومن انضاف إليهم من الشاميين صلاة عيد الفطر

بالميدان الأخضر ، وخطب بهم القاضي تاج الدين المناوى المصرى . قاضى العسكر المصرى بمرسوم السلطان وذويه ، وخلع عليه . انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ قتل الأمراء السبعة من أصحاب يلبغا ﴾

وفى يوم الاثنين ثالث شوال قبل العصر ركب السلطان من القصر إلى الطارمة وعلى رأسه القبة والطير يحملهما الأمير بدر الدين بن الخطير ، فجلس فى الطارمة ووقف الجيش بين يديه تحت القلعة وأحضروا الأمراء الذين قدموا بهم من بلاد حلب ، فجعلوا يوقفون الأمير منهم ثم يشاورون عليه فنهم من يشفع فيه ومنهم من يؤمر بتوسيطه ، فوسط سبعة : خمس طبلخانات ومقدما ألف ، منهم نائب صفد برناق وشفع فى الباقين فردوا إلى السجن ، وكانوا خمسة آخرين وفى يوم الأربعاء خامسه مسك جماعة من أمراء دمشق سبعة وتحولت دول كثيرة ، وتأمر جماعة من الأجناد وغيرهم انتهى

﴿ خروج السلطان من دمشق متوجها إلى بلاد مصر ﴾

وفى يوم الجمعة سابع شوال ركب السلطان فى جيشه من القصر الأبلق قاصداً لصلاة الجمعة بالجامع الأموى ، فلما انتهى إلى باب النصر ترجل الجيش بكماله بين يديه مشاة ، وذلك فى يوم شات كثير الوحل فصلى بالمقصورة إلى جانب المصحف العثمانى ، وليس معه فى الصف الأول أحد ، بل بقية الأمراء خلفه صفوف ، فسمع خطبة الخطيب ، ولما فرغ من الصلاة قرىء كتاب باطلاق أعشار الأوقاف ، وخرج السلطان بمن معه من باب النصر ، فركب الجيش واستقل ذاهبا نحو الكسوة بمن معه من العساكر المنصورة ، مصحوبين بالسلامة والعافية المستمرة ، وخرج السلطان وليس بدمشق نائب سلطنة ، وبها الأمير بدر الدين بن الخطير هو الذى يتكلم فى الأمور نائب غيبة ، حتى يقدم إليها نائبها ويتعين لها ، وجاءت الأخبار بوصول السلطان إلى الديار المصرية سالما ، ودخلها فى أبهة عظيمة فى أواخر ذى القعدة ، وكان يوما مشهوداً ، وخلع على الأمراء كلهم ولبس خلعة نيابة الشام الأمير علاء الدين المارداني ، ومسك الأمير علم الدين بن زنبور وتولية الوزارة الصاحب موفق الدين . وفى صبيحة يوم السبت خامس الحجة دخل الأمير علاء الدين على الجدار من الديار المصرية إلى دمشق المحروسة فى أبهة هائلة ، وموكب حافل مستوليا نيابة بها ، وبين يديه الأمراء على العادة ، فوقف عند تربة بهادر آص حتى استعرض عليه الجيش فالحقهم ، فدخل دار السعادة فنزلها على عادة النواب قبله ، جعله الله وجها مباركا على المسلمين . وفى يوم السبت ثالث عشره قدم دوادار السلطان الأمير عز الدين مغلطاى من الديار المصرية فنزل القصر الأبلق ، ومن عزمه الذهاب إلى البلاد الحلبية ليجهز الجيوش نحو يلبغا وأصحابه انتهى والله تعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الاسلام بالديار المصرية والبلاد الشامية والمملكة الحلبية وما والاها والحرمين الشريفين الملك الصالح صلاح الدين صالح بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاى ، والمشار إليهم فى تدبير المملكة الأمراء سيف الدين شيخون ، وسيف الدين طار ، وسيف الدين صرغتمش الناصرى ، وقضاة القضاة وكاتب السر هناك هم المذكورون فى السنة الماضية ، ونائب حلب الأمير سيف الدين أرغون الكاملى ، لأجل مقاتلة أولئك الأمراء الثلاثة يلبغا وأمير أحمد و بكلمش الذين فعلوا ما ذكرنا فى رجب من السنة الماضية ، ثم لجأوا إلى بلاد البلبيسين فى خفارة زلغادر التركمانى، ثم إنه احتال عليهم من خوفه من صاحب مصر وأسلمهم إلى قبضة نائب حلب المذكور ، ففرح المسلمون بذلك فرحا شديداً ، ولله الحمد والمنة ، ونائب طرابلس الأمير سيف الدين أيتمش الذى كان نائب دمشق كما ذكرنا ، تقلبت به الأحوال حتى استنيب فى طرابلس حين كان السلطان بدمشق كما تقدم ،

واستهلت هذه السنة وقد تواترت الأخبار بأن الأمراء الثلاثة يلبغا و بكلمش وأمير أحمد قد حصلوا فى قبضة نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون ، وهم مسجونون بالقلعة بها ، ينتظر ما رسم به فيهم ، وقد فرح المسلمون بذلك فرحا شديدا . وفى يوم السبت سابع عشر المحرم وصل إلى دمشق الأمير عز الدين مغلطاى الدويدار عائداً من البلاد الحلبية ، وفى صحبته رأس يلبغا الباغى أمكن الله منه بعد وصول صاحبيه بكلمش الذى كان نائبا بطرابلس، وأمير أحمد الذى كان نائب حماة فقطعت رؤسهما بحلب بين يدى نائبها سيف الدين أرغون الكاملى ، وسيرت إلى مصر ، ولما وصل يلبغا بعدهما فعل به كفعلهما جهرة بعد العصر بسوق الخيل بين يدى نائب السلطنة والجيش برمته والعامة على الأحاجير يتفرجون و يفرحون بمصرعه ، وسر المسلمون كلهم ولله الحمد والمنة .

وفى يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول أقيمت جمعة جديدة بمحلة الشاغور بمسجد هناك يقال له مسجد المزار ، وخطب فيه جمال الدين عبد الله بن الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية ، ثم وقع فى ذلك كلام فأفضى الحال أن أهل المحلة ذهبوا إلى سوق الخيل يوم موكبه ، وحملوا سناجق خليفتين من جامعهم ومصاحف واشتملوا إلى نائب السلطنة وسألوا منه أن تستمر الخطبة عندهم ، فأجابهم إلى ذلك فى الساعة الراهنة ، ثم وقع نزاع فى جواز ذلك ، ثم حكم القاضى الحنبلى لهم بالاستمرار ، وجرت خطوب طويلة بعد ذلك .

وفى يوم الأحد سابع ربيع الآخر توفى الأمير الكبير سيف الدين ألجى بغا العادلى ، ودفن بتربته التى كان أنشأها قديما ظاهر باب الجابية ، وهى مشهورة تعرف به ، وكان له فى الامرة قريبا

من ستين سنة ، وقد كان أصابه فى نوبة أرغون شاه وقضيته ضربة أصابت يده اليمنى ، واستمر مع ذلك على إمرته وتقدمته محترما معظما إلى أن توفى رحمة الله تعالى عليه .

﴿ ذكر أمر غريب جدا ﴾

لما ذهبت لتهنئة الأمير ناصر الدين ابن الأقوس بنيابة بعلبك وجدت هنالك شابا فذكر لى من حضر أن هذا هو الذى كان أنثى ثم ظهر له ذكر ، وقد كان أمره اشتهر ببلاد طرابلس ، وشاع بين الناس بدمشق وغيرذلك ، وتحدث الناس به ، فلما رأيته وعليه قبعة تركية استدعيته إلى وسالته بحضرة من حضر ، فقلت له : كيف كان أمرك ؟ فاستحيى وعلاه خجل يشبه النساء ، فقال : كنت امرأة مدة خمس عشرة سنة ، وزوجونى بثلاثة أزواج لا يقدرون على ، وكلهم يطلق ثم اعترضنى حال غريب فغارت ثدياى وصغرت ، وجعل النوم يعترينى ليلا ونهاراً ، ثم جعل يخرج من محل الفرج شىء قليل قليلا ، ويتزايد حتى برز شبه ذكر وأنثيان ، فسألته أهو كبير أم صغير ؟ فاستحيى ثم ذكر أنه صغير بقدر الأصبع ، فسألته هل احتلم ؟ فقال احتلم مرتين منذ حصل له ذلك ، وكان له قريبا من ستة أشهر إلى حين أخبرنى ، وذكر أنه يحسن صنعة النساء كلها من الغزل والتطريز والزركاش وغيرذلك ، فقلت له ما كان اسمك وأنت على صفة النساء ؟ فقال : نفيسة ، فقلت : واليوم ؟ فقال عبد الله ، وذكر أنه لما حصل له هذا الحال كتمه عن أهله حتى عن أبيه ، ثم عزموا على تزويجه على رابع فقال لأمه إن الأمر ما صفته كيت وكيت ، فلما اطلع أهله على ذلك أعلموا به نائب السلطنة هناك ، وكتب بذلك محضرا واشتهر أمره ، فقدم دمشق ووقف بين يدى نائب السلطنة بدمشق ، فسأله فأخبره كما أخبرنى ، فأخذه الحاجب سيف الدين كجلن ابن الأقوس عنده وألبسه ثياب الاجناد ، وهو شاب حسن ، على وجهه وسمته ومشيته وحديثه أنوثة النساء ، فسبحان الفعال لما يشاء ، فهذا أمر لم يقع مثله فى العالم إلا قليلا جدا ، وعندى أن ذكره كان غائراً فى جوزة طير فافرخا (١) ثم لما بلغ ظهر قليلا قليلا ، حتى تكامل ظهوره فتبينوا أنه كان ذكراً ، وذكر لى أن ذكره برز مختونا فسمى ختان القمر ، فهذا يوجد كثيراً والله أعلم .

وفى يوم الثلاثاء خامس شهر رجب قدم الامير عز الدين بقطية الدويدار من الديار الحلبية وخبر عما اتفق عليه العساكر الحلبية من ذهابهم مع نائبهم ونواب تلك الحصون وعساكر خلف بن زلغادر التركمانى ، الذى كان أعان يلبغا وذويه على خروجه على السلطان ، وقدم معه إلى دمشق وكان من أمره ما تقدم بسطه فى السنة الماضية ، وأنهم نهبوا أمواله وحواصله ، وأسروا خلقا من بنيه وذويه وحريمه ، وأن الجيش أخذ شيئا كثيراً من الأغنام والأبقار والرقيق والدواب والامتعة وغير ذلك ، وأنه لجأ إلى ابن أرطنا فاحتاط عليه واعتقله عنده ، وراسل السلطان بأمره ففرح الناس

---

(١) كذا بالأصل .

براحة الجيش الحلبي وسلامته بعدما قاسوا شديداً وتعباً كثيراً . وفى يوم الأربعاء ثالث عشره كان قدوم الأمراء الذين كانوامسجونين بالاسكندرية من لدن عودالسلطان إلى الديار المصرية ، ممن كان اتهم بممالأة يلبغا أوخدمته، كالأمير سيف الدين ملك أجى ،وعلاء الدين على السيمقدار ، وساطلمس الجلالى ومن معهم .

وفى أول شهر رمضان اتفق أن جماعة من المفتيين أفتوا بأحد قولى العلماء ، وهما وجهان لأصحابنا الشافعية وهو جواز استعادة ما استهدم من الكنائس، فتعصب عليهم قاضى القضاة تقى الدين السبكى فقرعهم فى ذلك ومنعهم من الافتاء ، وصنف فى ذلك مصنفا يتضمن المنع من ذلك سماه « الدسائس فى الكنائس » وفى خامس شهر رمضان قدم بالأمير أبو الغادر التركمانى الذى كان مؤازراً ليلبغا فى العام الماضى على تلك الأفاعيل القبيحة ، وهو مضيق عليه ، فأحضر بين يدى النائب ثم أودع القلعة المنصورة فى هذا اليوم . ﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية وما يتبع ذلك والحرمين الشريفين وماوالاهما من بلاد الحجاز وغيرها الملك الصالح صلاح الدين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى،وهو ابن بنت تنكز نائب الشام ، وكان فى الدولة الناصرية ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاى الناصرى ، ووزيره القاضى موفق الدين ، وقضاة مصرهم المذكورون فى العام الماضى ، ومنهم قاضى القضاة عز الدين بن جماعة الشافعى ، وقد جاور فى هذه السنة فى الحجاز الشريف ، والقاضى تاج الدين المناوى يسد المنصب عنه ، وكاتب السر القاضى علاء الدين ابن فضل الله العدوى،ومدبروا المملكة الأمراء الثلاثة سيف الدين شيخون ،وصرغتمش الناصرى والأمير الكبير الدوادار عز الدين مغلطاى الناصرى . ودخلت هذه السنة والأمير سيف الدين شيخون فى الاحداث من مدة شهر أو قريب ونائب دمشق الأمير علاء الدين أمير على الماردانى ، وقضاة دمشق هم المذكورون فى التى قبلها ، وناظر الدواوين الصاحب شمس الدين موسى بن التاج إسحاق وكاتب السر القاضى ناصر الدين بن الشرف يعقوب ، وخطيب البلد جمال الدين محمود بن جملة ، ومحتسبه الشيخ علاء الدين الانصارى ، قريب الشيخ بهاء الدين بن إمام المشهد ، وهو مدرس الأمينية مكانه أيضا .

وفى شهر ربيع الآخر قدم الأمير علاء الدين مغلطاى الذى كان مسجونا بالاسكندرية ثم أفرج عنه ، وقد كان قبل ذلك هو الدولة ، وأمر بالمسير إلى الشام ليكون عند حمزة أيتمش نائب طرابلس ، وأما منجك الذى كان وزيره بالديار المصرية وكان معتقلا بالاسكندرية مع مغلطاى ، فانه صار إلى صفد مقيما بها بطالا ، كما أن مغلطاى أمر بالمقام بطرابلس بطالا إلى حين يحكم الله عزوجل

انتهى والله أعلم .

﴿ نادرة من الغرائب ﴾

فى يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى اجتاز رجل من الروافض من أهل الحلة بجامع دمشق وهو يسب أول من ظلم آل محمد ، ويكرر ذلك لايفتر ، ولم يصل مع الناس ولا صلى على الجنازة الحاضرة ، على أن الناس فى الصلاة ، وهو يكرر ذلك ويرفع صوته به ، فلما فرغنا من الصلاة نبهت عليه الناس فأخذوه وإذا قاضى القضاة الشافعى فى تلك الجنازة حاضر مع الناس . فجئت إليه واستنطقته من الذى ظلم آل محمد ؟ فقال : أبو بكر الصديق ، ثم قال جهرة والناس يسمعون : لعن الله أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد ، فأعاد ذلك مرتين ، فأمر به الحاكم إلى السجن ، ثم استحضره المالكى وجلده بالسياط ، وهو مع ذلك يصرخ بالسب واللعن والكلام الذى لايصدر إلا عن شقى ، واسم هذا اللعين على بن أبى الفضل بن محمد بن حسين بن كثير قبحه الله وأخزاه ، ثم لما كان يوم الخميس سابع عشره عقد له مجلس بدار السعادة وحضر القضاة الأربعة وطلب إلى هنالك فقدر الله أن حكم نائب المالكى بقتله ، فأخذ سريعا فضرب عنقه تحت القلعة وحرقه العامة وطافوا برأسه البلد ونادوا عليه هذا جزاء من سب أصحاب رسول الله ﷺ، وقد ناظرت هذا الجاهل بدار القاضى المالكى وإذا عنده شىء مما يقوله الرافضة الغلاة ، وقد تلقى عن أصحاب ابن مطهر أشياء فى الكفر والزندقة ،قبحه الله وإياهم .وورد الكتاب بالزام أهل الذمة بالشروط العمرية .

وفى يوم الجمعة ثامن عشر رجب الفرد قرئ بجامع دمشق بالمقصورة بحضرة نائب السلطنة وأمراء الأعراب ، وكبار الأمراء ، وأهل الحل والعقد والعامة كتاب السلطان بالزام أهل الذمة بالشروط العمرية وزيادات أخر : منها أن لا يستخدموا فى شىء من الدواوين السلطانية والأمراء ولا فى شىء من الأشياء ، وأن لا تزيد عمامة أحدهم عن عشرة أذرع ولا يركبوا الخيل ولا البغال ولكن الحمير بالاكف عرضا ، وأن لا يدخلوا إلا بالعلامات من جرس أو بخاتم نحاس أصفر ، أو رصاص ، ولا تدخل نساؤهم مع المسلمات الحمامات ، وليكن لهن حمامات تختص بهن ، وأن يكون إزار النصرانية من كتان أزرق ، واليهودية من كتان أصفر ، وأن يكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض ، وأن يحكم حكم مواريثهم على الأحكام الشرعية .

واحترقت باسورة باب الجابية فى ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة ، وعدم المسلمون تلك الاطامات والحواصل النافعة من الباب الجوانى إلى الباب البرانى . وفى مستهل شهر رمضان عمل الشيخ الامام العالم البارع شمس الدين ـ بن النقاش المصرى الشافعى ـ ورد دمشق بالجامع الاموى تجاه محراب الصحابة ، ميعاداً للوعظ واجتمع عنده خلق من الأعيان والفضلاء والعامة ، وشكروا كلامه وطلاقة عبارته ، من غير تلعثم ولا تخليط ولا توقف ، وطال ذلك إلى قريب العصر .

وفى صبيحة يوم الأحد ثالثه صلى بجامع دمشق بالصحن تحت النسر على القاضى كمال الدين حسين ابن قاضى القضاة تقى الدين السبكى الشافعى، ونائبه ، وحضر نائب السلطنة الامير علاء الدين على ، وقضاة البلد والأعيان والدولة وكثير من العامة ، وكانت جنازته محسودة ، وحضر والده قاضى القضاة وهو يهادى بين رجلين ، فظهر عليه الحزن والكآبة ، فصلى عليه إماما ، وتأسف الناس عليه لسماحة أخلاقه وانجماعه على نفسه لا يتعدى شره إلى غيره ، وكان يحكم جيداً نظيف العرض فى ذلك ، وكان قد درس فى عدة مدارس ، منها الشامية البرانية والعذراوية ، وأفتى وتصدر ، وكانت لديه فضيلة جيدة بالنحو والفقه والفرائض وغير ذلك ، ودفن بسفح قاسيون فى تربة معروفة لهم رحمهم الله .

﴿ عودة الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ﴾

وذلك يوم الاثنين ثانى شهر شوال اتفق جمهور الأمراء مع الامير شيخون وصرغتمش فى غيبة طاز فى الصيد على خلع الملك الصالح صالح بن الناصر ، وأمه بنت تنكز ، وإعادة أخيه الملك الناصر حسن ، وكان ذلك يومئذ وألزم الصالح بيته مضيقا عليه ، وسلم إلى أمه خوندة بنت الامير سيف الدين تنكز نائب الشام كان ، وقطلبوطار ، وأمسك أخوه سنتم وأخو السلطان الصالح لأمه عمر بن أحمد بن بكتمر الساقى ، ووقعت خبطة عظيمة بالديار المصرية ، ومع هذا فلم يقبل البريد إلى الشام وخبر البيعة إلا يوم الخميس الثالث عشر من هذا الشهر ، قدم بسببها الامير عز الدين أيدمر الشمسى وبايع النائب بعد ما خلع عليه خلعة سنية ، والامراء بدار السعادة على العادة ، ودقت البشائر وزين البلد وخطب له الخطيب يوم الجمعة على المنبر بحضرة نائب السلطنة والقضاة والدولة وفى صبيحة يوم الخميس تاسع عشر شوال دخل دمشق الأمير سيف الدين منجك على نيابة طرابلس ونزل القصر الأبلق مع الامير عز الدين أيدمر فأقام أياما عديدة ثم سار إلى بلده بعد أيام . وفى صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين منه دخل الامير سيف الدين طاز من الديار المصرية فى جماعة من أصحابه مجتازاً إلى نيابة حلب المحروسة ، فتلقاه نائب السلطنة إلى قريب من جامع كريم الدين بالقبيبات ، وشيعه إلى قريب من باب الفراديس فسار ونزل بوطأة برزة فبات هنالك ، ثم أصبح غاديا وقد كان نظير الامير شيخون ولكن قوى عليه فسيره إلى بلاد حلب ، وهو محبب إلى العامة لماله من السعى المشكور فى أمور كبار كما تقدم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الاسلام والمسلمين السلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى، وليس بالديار المصرية نائب ولا وزير ، وقضاتها هم المذكورون فى التى قبلها ، ونائب دمشق الأمير على الماردانى ، والقضاة والحاجب والخطيب وكاتب السرهم

المذكورين فى التى قبلها ، ونائب حلب الأمير سيف الدين طاز ، ونائب طرابلس منجك ، ونائب حماة استدمر العمرى ، ونائب صفد الأمير شهاب الدين بن صبح ، ونائب حمص الأمير ناصر الدين ابن الاقوس ، ونائب بعلبك الحاج كامل .

وفى يوم الاثنين تاسع صفر مسك الأمير أرغون الكاملى الذى ناب بدمشق مدة ثم بعدها بحلب ثم طلب إلى الديار المصرية حين وليها طاز ، فقبض عليه وأرسل إلى الاسكندرية معتقلا. وفى يوم السبت من شهر صفر قدم تقليد قضاء الشافعية بدمشق وأعمالها لقاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن قاضى القضاة تقى الدين السبكى ، على قاعدة والده ، وذلك فى حياة أبيه ، وذهبت الناس للسلام عليه .

وفى صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين من ربيع الآخر توجه قاضى القضاة تقى الدين السبكى بعد استقلال ولده تاج الدين عبد الوهاب فى قضاء القضاة ومشيخة دار الحديث الاشرفية مسافراً نحو الديار المصرية فى محفة ، ومعه جماعة من أهله وذويه ، منهم سبطه القاضى بدر الدين بن أبى الفتح وآخرون ، وقد كان الناس ودعوه قبل ذلك وعنده ضعف ، ومن الناس من يخاف عليه وعثاء السفر مع الكبر والضعف .

ولما كان يوم الجمعة سادس شهر جمادى الآخرة صلى بعد الظهر على قاضى القضاة تقى الدين ابن على بن عبد الكافى بن تمام السبكى المصرى الشافعى ، توفى بمصر ليلة الاثنين ثالثه ودفن من صبيحة ذلك اليوم وقد أكمل ثلاثا وتسعين سنة ، ودخل فى الرابعة أشهرا ، وولى الحكم بدمشق نحواً من سبع عشرة سنة ، ثم نزل عن ذلك لولده قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ، ثم رحل فى محفة إلى الديار المصرية كما ذكرنا ، ولما وصل مصر أقام دون الشهر ثم توفى كما ذكرنا ، وجاءت التعزية ومرسوم باستقرار ولده فى مدرسته اليعقوبية والقيمرية ، وبتشريف تطييبا لقلبه ، وذهب الناس إلى تعزيته على العادة ، وقد سمع قاضى القضاة السبكى الحديث فى شبيبته بديار مصر ، ورحل إلى الشام وقرأ بنفسه وكتب وخرج ، وله تصانيف كثيرة منتشرة كثيرة الفائدة ، وما زال فى مدة القضاء يصنف ويكتب إلى حين وفاته ، وكان كثير التلاوة ، وذكر لى أنه كان يقوم من الليل رحمه الله

وفى شهر جمادى الأولى من هذه السنة اشتهر أخذ الفرنج المخذولين لمدينة طرابلس المغرب ، وقرأت من كتاب لقاضى قضاة المالكية أن أخذهم إياها كان ليلة الجمعة مستهل ربيع الاول من هذه السنة ، ثم بعد خمسة عشر يوما استعادها المسلمون وقتلوا منهم أضعاف ماقتلوا أولا من المسلمين ولله الحمد والمنة . وأرسل الدولة إلى الشام يطلبون من أموال أوقاف الأسارى ما يستنقذون به من بقى فى أيديهم من المسلمين. وفى يوم الاربعاء حادى عشر رجب الفرد من هذه السنة حكم القاضى المالكى

وهوقاضى القضاة جمال الدين المسلاتى بقتل نصرانى من قرية الرأس من معاملة بعلبك ، اسمه داود بن سالم ، ثبت عليه بمجلس الحكم فى بعلبك أنه اعترف بما شهد عليه أحمد بن نور الدين على بن غازى من قرية اللبوة من الكلام السيء الذى نال به من رسول الله ﷺ ، وسبه وقذفه بكلام لا يليق ذكره ، فقتل لعنه الله يومئذ بعد أذان العصر بسوق الخيل وحرقه الناس وشفى الله صدور قوم مؤمنين ولله الحمد والمنة

وفى صبيحة يوم الأحد رابع عشر شعبان درس القاضى بهاء الدين أبو البقاء السبكى بالمدرسة القيمرية نزل له عنها ابن عمه قاضى القضاة تاج الدين عبدالوهاب ابن قاضي القضاة تقى الدين السبكى وحضر عنده القضاة والأعيان ، وأخذ فى قوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وصلى فى هـذا اليوم بعد الظهر على الشيخ الشاب الفاضل المحصل جمال الدين عبـد الله بن العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية الحنبـلى ، ودفن عند أبيه بمقابر باب الصغير ، وكانت جنازته حافـلة ، وكانت لديه علوم جيدة ، وذهنه حاضر خارق ، أفتى ودرس وأعاد وناظر وحج مرات عديدة رحمه الله وبل بالرحمة ثراه .

وفى يوم الاثنين تاسع عشر شوال وقع حريق هائل فى سوق القطانين بالنهار ، وذهب إليه نائب السلطنة والحجبة والقضاة حتى اجتهد الفعول والمتبرعون فى إخماده وطفيه ، حتى سكن شره وذهب بسببه دكاكين ودور كثيرة جداً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد رأيته من الغد والنار كما هى عمالة والدخان صاعد والناس يطفونه بالماء الكثير الغمر والنار لا تخمد ، لكن هدمت الجدران وخربت المساكن وانتقل السكان انتهى والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد بالديار المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ولا نائب ولا وزير بمصر ، وإنما يرجع تدبير المملكة إلى الأمير سيف الدين شيخون ، ثم الأمير سيف الدين صرغتمش ، ثم الأمير عز الدين مغلطاى الدوايدار ، وقضاة مصرهم المذكورون فى التى قبلها سوى الشافعى فانه ابن المتوفى قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى ، ونائب حلب الأمير سيف الدين طاز ، وطرابلس الأمير سيف الدين منجك ، وبصفد الأمير شهاب الدين بن صبح ، وبحماة أيدمر العمرى ، وبحمص علاء الدين بن المعظم ، وببعلبك الأمير ناصر الدين الأقوس .

وفى العشر الأول من ربيع الأول تكامل إصلاح بلاط الجامع الأموى وغسـل فصوص المقصورة والقبـة ، وبسط بسطا حسنا ، وبيضت أطباق القناديل ، وأضاء حاله جـداً ، وكان

المستحث على ذلك الأمير علاء الدين أيدغمش أحد أمراء الطبلخانات ، بمرسوم نائب السلطنة له فى ذلك .

وفى يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة صلى على الأمير سيف الدين براق أمير أرجو بجامع تنكز ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكان مشكور السيرة كثير الصلاة والصدقة محباً للخير وأهله ، من أكبر أصحاب الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله تعالى . وقد رسم لولديه ناصرالدين محمد وسيف الدين أبى بكر كل منهما بعشرة أرماح ، ولناصر الدين بمكان أبيه فى الوظيفة باصطبل السلطان . وفى يوم الخميس رابع شهر جمادى الأولى خلع على الأميرين الأخوين ناصر الدين محمد وسيف الدين أبى بكر ولدى الأمير سيف الدين براق رحمه الله تعالى ، بأميرين عشرتين

ووقع فى هذا الشهر نزاع بين الحنابلة فى مسألة المناقلة ، وكان ابن قاضى الجبل الحنبلى يحكم بالمناقلة فى قرار دار الأمير سيف الدين طيدمر الاسماعيلى حاجب الحجاب إلى أرض أخرى يجعلها وقفا على ما كانت قرار داره عليه ، ففعل ذلك بطريقه ونفذه القضاة الثلاثة الشافعى والحنفى والمالكى ، فغضب القاضى الحنبلى وهوقاضى القضاة جمال الدين المرداوى المقدسى من ذلك ، وعقد بسبب ذلك مجالس ، وتطاول الكلام فيه ، وادعى كثير منهم أن مذهب الامام أحمد فى المناقلة إنما هو فى حال الضرورة ، وحيث لا يمكن الانتفاع بالموقوف ، فاما المناقلة لمجرد المصلحة والمنفعة الراجحة فلا ، وامتنعوا من قبول ما قرره الشيخ تقى الدين ابن تيمية فى ذلك ، ونقله عن الامام أحمد من وجوه كثيرة من طريق ابنيه صالح وحرب وأبى داود وغيرهم ، أنها تجوز للمصلحة الراجحة ، وصنف فى ذلك مسألة مفردة وقفت عليها - يعنى الشيخ عماد الدين ابن كثير - فرأيتها فى غاية الحسن والافادة ، بحيث لا يتخالج من اطلع عليها ممن يذوق طعم الفقه أنها مذهب الامام أحمد رحمه الله ، فقد احتج أحمد فى ذلك فى رواية ابنه صالح بما رواه عن يزيد بن عوف عن المسعودى عن القاسم بن محمد أن عمر كتب إلى ابن مسعود أن يحول المسجد الجامع بالكوفة إلى موضع سوق التمارين ، ويجعل السوق فى مكان المسجد الجامع العتيق ، ففعل ذلك ، فهذا فيه أوضح دلالة على ما استدل به فيها من النقل بمجرد المصلحة فانه لا ضرورة إلى جعل المسجد العتيق سوقا ، على أن الاسناد فيه انقطاع بين القاسم وبين عمر وبين القاسم وابن مسعود ، ولكن قد جزم به صاحب المذهب ، واحتج به ، وهو ظاهر واضح فى ذلك ، فعقد المجلس فى يوم الاثنين الثامن والعشرين من الشهر .

وفى ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى وقع حريق عظيم ظاهر باب الفرج احترق فيه بسببه قياسير كثيرة لطاز ويلبغا ، وقيسرية الطواشى لبنت تنكز ، وأخر كثيرة ودور ودكاكين ، وذهب للناس شىء كثير من الأمتعة والنحاس والبضائع وغير ذلك ، مما يقاوم ألف

ألف وأكثر خارجاً عن الأموال ، فانا لله و إنا إليه راجعون . وقد ذكر كثير من الناس أنه كان فى هذه القياسير شر كثير من الفسق والربا والزغل وغير ذلك .

وفى السابع والعشرين من جمادى الأولى ورد الخبر بأن الفرنج لعنهم الله استحوذوا على مدينة صغد : قدموا فى سبعة مراكب وقتلوا طائفة من أهلها ونهبوا شيئاً كثيرا وأسروا أيضاً ، وهجموا على الناس وقت الفجر يوم الجمعة ، وقد قتل منهم المسلمون خلقا كثيرا وكسروا مركبا من مراكبهم ، وجاء الفرنج فى عشية السبت قبل العصر وقدم الوالى وهو جريح مثقل ، وأمر نائب السلطنة عند ذلك بتجهيز الجيش إلى تلك الناحية فساروا تلك الليلة ولله الحمد ، وتقدمهم حاجب الحجاب وتحدر إليهم نائب صغد الأمير شهاب الدين بن صبح ، فسبق الجيش الدمشقى ، ووجد الفرنج قد برزوا بما غنموا من الأمتعة والأسارى إلى جزيرة تلقاء صيدا فى البحر ، وقد أسر المسلمون منهم فى المعركة شيخاً وشابا من أبناء أشرافهم ، وهو الذى عاقهم عن الذهاب ، فراسلهم الجيش فى انفكاك الاسارى من أيديهم فبادرهم عن كل رأس بخمسمائة فأخذوا من ديوان الأسارى مبلغ ثلاثين ألفا ، ولم يبق معهم ولله الحمد أحد . واستمر الصبى من الفرنج مع المسلمين ، وأسلم ودفع إليهم الشيخ الجريح ، وعطش الفرنج عطشاً شديدا ، وأرادوا أن يرووا من نهر هناك فبادرهم الجيش إليه فمنعوهم أن ينالوا منه قطرة واحدة ، فرحلوا ليلة الثلاثاء منشمرين بما معهم من الغنائم ، و بعثت رؤس جماعة من الفرنج ممن قتل فى المعركة فنصبت على القلعة بدمشق ، وجاء الخبر فى هذا الوقت بأن إيناس قد أحاط بها الفرنج ، وقد أخذوا الربيض وهم محاصرون القلعة ، وفيها نائب البلد ، وذكروا أنهم قتلوا خلقا كثيراً من أهلها فانا لله و إنا إليه راجعون ، وذهب صاحب حلب فى جيش كثيف نحوهم والله المسئول أن يظفرهم بهم بحوله وقوته ، وشاع بين العامة أيضاً أن الاسكندرية محاصرة ولم يتحقق ذلك إلى الآن ، و بالله المستعان . وفى يوم السبت رابع جمادى الآخرة قدم رؤس من قتلى الفرنج على صيدا ، وهى بضع وثلاثون رأسا ، فنصبت على شرافات القلعة ففرح المسلمون بذلك ولله الحمد

وفى ليلة الأربعاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة وقع حريق عظيم داخل باب الصغير من مطبخ السكر الذى عند السويقة الملاصقة لمسجد الشناشين ، فاحترق المطبخ وما حوله إلى حمام أبى نصر ، واتصل بالسويقة المذكورة وماهنالك من الأماكن ، فكان قريبا أو أكثر من الحريق ظاهر باب الفرج فانا لله و إنا إليه راجعون ، وحضر نائب السلطنة ، وذلك أنه كان وقت صلاة العشاء ، ولكن كان الريح قويا ، وذلك بتقدير العزيز العليم .

وتوفى الشيخ عز الدين محمد بن إسماعيل بن عمر الحموى أحد مشايخ الرواة فى ليلة الثلاثاء الثامن والعشرين من جمادى الآخرة ، وصلى عليه من الغد بالجامع الأموى بعد الظهر ، ودفن بمقابر

باب الصغير ، وكان مولده فى ثانى ربيع الأول سنة ثمانين وستمائة ، فجمع الكثير وتفرد بالرواية عن جماعة فى آخر عمره ، وانقطع بموته سماع السنن الكبير للبيهقى ، رحمه الله .

ووقع حريق عظيم ليلة الجمعة خامس عشر رجب بمحلة الصالحية من سفح قاسيون ، فاحترق السوق القبلى من جامع الحنابلة بكماله شرقا وغربا ، وجنوبا وشمالا ؛ فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفى يوم الجمعة خامس شهر رمضان خطب بالجامع الذى أنشأه سيف الدين يلبغا الناصرى غربى سوق الخيل وفتح فى هذا اليوم وجاء فى غاية الحسن والبهاء ، وخطب الشيخ ناصر الدين بن الربوة الحنفى ، وكان قد نازعه فيه الشيخ شمس الدين الشافعى الموصلى ، وأظهر ولاية من واقفه يلبغا المذكور ، ومراسيم شريفة سلطانية ، ولكن قد قوى عليه ابن الربوة بسبب أنه نائب عن الشيخ قوام الدين الاتقانى الحنفى ، وهو مقيم بمصر ، ومعه ولاية من السلطان متأخرة عن ولاية الموصلى ، فرسم لابن الربوة ، فلبس يومئذ الخلعة السوداء من دار السعادة وجاؤا بين يديه بالسناجق السود الخليفية ، والمؤذنون يكبرون على العادة ، وخطب يومئذ خطبة حسنة أكثرها فى فضائل القرآن ، وقرأ فى المحراب بأول سورة طه ، وحضر كثير من الأمراء والعامة والخاصة ، وبعض القضاة ، وكان يوما مشهودا ، وكنت ممن حضر قريبا منه . والعجب أنى وقفت فى شهر ذى القعدة على كتاب أرسله بعض الناس إلى صاحب له من بلاد طرابلس وفيه : والمخدوم يعرف الشيخ عماد الدين بما جرى فى بلاد السواحل من الحريق من بلاد طرابلس إلى آخر معاملة بيروت إلى جميع كسروان ، أحرق الجبال كلها ومات الوحوش كلها مثل النمور والدب والثعلب والخنزير من الحريق ، ما بقى للوحوش موضع يهربون فيه ، وبقى الحريق عليه أياما وهرب الناس إلى جانب البحر من خوف النار واحترق زيتون كثير ، فلما نزل المطر أطفأه باذن الله تعالى - يعنى الذى وقع فى تشرين وذلك فى ذى القعدة من هذه السنة - قال ومن العجب أن ورقة من شجرة وقعت فى بيت من مدخننه فأحرقت جميع ما فيه من الأثاث والثياب وغير ذلك ومن حلية حرير كثير ، وغالب هذه البلاد للدرزية والرافضة . نقلته من خط كاتبه محمد بن يلبان إلى صاحبه ، وهما عندى بقبان فيالله العجب .

وفى هذا الشهر - يعنى ذى القعدة - وقع بين الشيخ إسماعيل بن العز الحنفى وبين أصحابه من الحنفية مناقشة بسبب اعتدائه على بعض الناس فى محاكمة ، فاقتضى ذلك إحضاره إلى مجلس الحكم ثلاثة أيام كمثل المتمرد عندهم ، فلما لم يحضر فيها حكم عليه القاضى شهاب الدين الكفرى نائب الحنفى باسقاط عدالته ، ثم ظهر خبره بأنه قصد بلاد مصر ، فأرسل النائب فى أثره من برده فعنفه ، ثم أطلقه إلى منزله ، وشنع فيه قاضى القضاة الحنفى فاستحسن ذلك ولله الحمد والمنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة والخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع

سليمان العباسى ، وسلطان الاسلام بالديار المصرية وما يتبعها و بالبلاد الشامية وماوالاها والحرمين الشريفين وغير ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى وليس له بمصر نائب ولا وزير ، و إنما ترجع الأمور إصدارا و إيراداً إلى الأميرين الكبيرين سيف الدين شيخون وصرغتمش الناصريين ، وقضاة مصرهم المذكورون فى التى قبلها ، ونائب الشام بدمشق الأمير علاء الدين أمير على المارداني ، وقضاة دمشق هم المذكورون فى التى قبلها انتهى .

﴿ كائنة غريبة جداً ﴾

لما كان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة نهدت جماعة من مجاورى الجامع بدمشق من مشهد على وغيره ، واتبعهم جماعة من الفقراء والمغاربة ، وجاؤا إلى أماكن متهمة بالخمر و بيع الحشيش فكسروا أشياء كثيرة من أوانى الخمر ، وأراقوا مافيها وأتلفوا شيئا كثيراً من الحشيش وغيره ، ثم انتقلوا إلى حكر السماق وغيرهم فثار عليهم من البارذارية والكلابرية وغيرهم من الرعاع فتناوشوا ، وضربت عليهم ضرابات بالأيدى وغيرهم ، وربما سل بعض الفساق السيوف عليهم كما ذكر ، وقد رسم ملك الأمراء لوالى المدينة ووالى البر أن يكونوا عضداً لهم وعوناً على الخمارين والحشاشة ، فنصروهم عليهم ، غير أنه كثر معهم الضجيج ونصبوا راية واجتمع عليهم خلق كثير ، ولما كان فى أواخر النهار تقدم جماعة من النقباء والخزاندارية ومعهم جنازير فأخذوا جماعة من مجاورى الجامع وضربوا بالمقارع وطيف بهم فى البلد ونادوا عليهم : هذا جزاء من يتعرض لما لا يعنيه تحت علم السلطان ، فتعجب الناس من ذلك وأنكروه حتى أنه أنكر اثنان من العامة على المنادية فضرب بعض الجند أحدهم بدبوس فقتله ، وضرب الآخر فيقال إنه مات أيضاً فانا لله و إنا إليه راجعون .

وفى شعبان من هذه السنة حكى عن جارية من عتيقات الامير سيف الدين تمر المهمندار أنها حملت قريبا من سبعين يوما ، ثم شرعت تطرح مافى بطنهافوضعت فى قرب من أربعين يوما فى أيام متتالية ومتفرقة أربع عشرة بنتا وصبياً بعدهن قل من يعرف شكل الذكر من الأنثى .

وجاء الخبر بأن الأمير سيف الدين شيخون مدبر الممالك بالديار المصرية والشامية ظفر عليه مملوك من مماليك السلطان فضربه بالسيف ضربات فجرحه فى أماكن فى جسده ، منها ما هو فى وجهه ومنها ماهو فى يده ، فحمل إلى منزله صريعاً طريحا جريحا ، وغضب لذلك طوائف من الامراء حتى قيل إنهم ركبوا ودعوا إلى المبارزة فلم يجى إليهم وعظم الخطب بذلك جدا واتهموا به الأمير سيف الدين صرغتمش وغيره ، وأن هذا إنما فعل عن ممالأة منهم فالله أعلم .

﴿ وفاة أرغون الكاملى بانى البيمارستان بحلب ﴾

كانت وفاته بالقدس الشريف فى يوم الخميس السادس والعشرين من شوال من هذه السنة ، ودفن بتربة أنشأها غربى المسجد بشماله ، وقد ناب بدمشق مدة بعد حلب ، ثم جرت الكائنة التى أصلها يلبغا قبحه الله فى أيامه ، ثم صار إلى نيابة حلب ثم سجن بالاسكندرية مدة ، ثم أفرج عنه وأقام بالقدس الشريف إلى أن كانت وفاته كما ذكرنا فى التاريخ المذكور عزره الشريف ابن زريك والله أعلم .

﴿ وفاة الأمير شيخون ﴾

ورد الخبر من الديار المصرية بوفاة الأمير شيخون ليلة الجمعة السادس والعشرين من ذى القعدة ودفن من الغد بتربته ، وقد ابتنى مدرسة هائلة وجعل فيها المذاهب الأربعة ودار للحديث وخانقاه للصوفية ، ووقف عليها شيئا كثيراً ، وقرر فيها معاليم وقراءة دارة ، وترك أموالا جزيلة وحواصل كثيرة ودواوين فى سائر البلاد المصرية والشامية ، وخلف بنات وزوجة ، وورث البقية أولاد السلطان المذكور بالولاء ، ومسك بعد وفاته أمراء كثيرون بمصر كانوا من حزبه ، من أشهرهم عز الدين بقطاى والدوادار وابن قوصون وأمه أخت السلطان خلف عليها شيخون بعد قوصون انتهى والله أعلم.

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الاسلام بالبلاد المصرية والشامية والحرمين الشريفين ومايتبع ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالحى ، وقد قوى جانبه وحاشيته بموت الأمير شيخون كما ذكرنا فى سادس عشرين ذى القعدة من السنة الماضية ، وصار إليه من ميراثه من زهرة الحياة شئ كثير من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، وكذلك من المماليك والأسلحة والعدة والبرك والمتاجر مايشق حصره ويتعذر إحصاؤه هاهنا ، وليس فى الديار المصرية فيما بلغنا إلى الآن نائب ولا وزير ، والقضاة هم المذكورون فى التى قبلها ، وأما دمشق فنائبها وقضاتها هم المذكورون فى التى قبلها سوى الحنفى فانه قاضى القضاة شرف الدين الكفرى ، عوضا عن نجم الدين الطوسى . توفى فى شعبان من السنة الماضية ، ونائب حلب سيف الدين طاز ، وطرابلس منجك ، وحماة استدمر العمرى ، وصفد شهاب الدين بن صبح ، وبحمص صلاح الدين خليل بن خاص برك ، وببعلبك ناصر الدين الأقوس .

وفى صبيحة يوم الاثنين رابع عشر المحرم خرجت أربعة آلاف مع أربع مقدمين إلى ناحية حلب نصرة لجيش حلب على مسك طاز إن امتنع من السلطنة كما أمر ، ولما كان يوم الحادى والعشرين من المحرم نادى المنادى من جهة نائب السلطنة أن يركب من بقى من الجند فى الحديد ويوافوه إلى سوق الخيل ، فركب معهم قاصداً ناحية ثنية العقاب ليمنع الأمير طاز من دخول البلد ، لما تحقق

مجيئه فى جيشه قاصداً إلى الديار المصرية ، فانزعج الناس لذلك وأخليت دار السعادة من الحواصل والحريم إلى القلعة ، وتحصن كثير من الأمراء بدورهم داخل البلد ، وأغلق باب النصر ، فاستوحش الناس من ذلك بعض الشىء ، ثم غلقت أبواب البلد كلها إلا بابى الفراديس والفرج ، وباب الجابية أيضا لأجل دخول الحجاج ودخل المحمل صبيحة يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم ولم يشعر به كثير من الناس لشغلهم بما هم فيه من أمر طاز ، وأمر العشير بحوران ، وجاء الخبر بمسك الأمير سيف الدين طيدمر الحاجب الكبير بأرض حوران وسجنه بقلعة صرخد ، وجاء سيفه صحبة الأمير جمال الدين الحاجب ، فذهب به إلى الوطاق عند الثنية ، وقد وصل طاز بجنوده إلى باب القطيفة وتلاقى شاليشه بشاليش نائب الشام ، ولم يكن منهم قتال ولله الحمد، ثم تراسل هو والنائب فى الصلح على أن يسلم طاز نفسه ويركب فى عشرة سروج إلى السلطان وينسلخ مما هو فيه ، ويكاتب فيه النائب وتلطفوا بأمره عند السلطان وبكل مايقدر عليه ، فأجاب إلى ذلك وأرسل يطلب من يشهده على وصيته ، فأرسل إليه نائب السلطنة القاضى شهاب الدين قاضى العسكر ،فذهب إليه فأوصى لولده وأم ولده ولوالده نفسه ، وجعل الناظر على وصيته الأمير علاء الدين أمير على المارداني نائب السلطنة ، وللأمير صرغتمش ، ورجع النائب من الثنية عشية يوم السبت بين العشاءين الرابع والعشرين منه وتضاعفت الأدعية له وفرح الناس بذلك فرحا شديداً ، ودعوا إلى الأمير طاز بسبب إجابته إلى السمع والطاعة ، وعدم مقاتلته مع كثرة من كان معه من الجيوش ، وقوة من كان يحرضه على ذلك من أخويه وذويه ، وقد اجتمعت بنائب السلطنة الأمير علاء الدين أمير على المارداني فأخبرنى بملخص ماوقع منذ خرج إلى أن رجع ، ومضمون كلامه أن الله لطف بالمسلمين لطفا عظيما ، إذ لم يقع بينهم قتال ، فانه قال : لما وصل طاز إلى القطيفة وقد نزلنا نحن بالقرب من خان لاجين أرسلت إليه مملوكا من مماليكى أقول له : إن المرسوم الشريف قد ورد بذهابك إلى الديار المصرية فى عشرة سروج فقط ، فاذا جئت هكذا فأهلا وسهلا ، وإن لم تفعل فأنت أصل الفتنة . وركبت ليلة الجمعة طول الليل فى الجيش وهو ملبس،فرجع مملوكى ومعه مملوكه سريعا يقول : إنه يسأل أن يدخل بطلبه كما خرج يطلبه من مصر، فقلت لاسبيل إلى ذلك إلا فى عشرة سروج كما رسم السلطان ، فرجع وجاءنى الأمير الذى جاء من مصر بطلبه فقال : إنه يطلب منك أن يدخل فى مماليكه فاذا جاوز دمشق إلى الكسوة نزل جيشه هناك وركب هو فى عشرة سروج كما رسم . فقلت : لاسبيل إلى أن يدخل دمشق ويتجاوز بطلبه أصلا ، وإن كان عنده خيل ورجال وعدة فعندى أضعاف ذلك ، فقال لى الأمير : ياخوند لايكون تنسى قيمته ، فقلت لايقع إلا ماتسمع ، فرجع فما هو إلا أن ساق مقدار رمية سهم وجاء بعض الجواسيس الذين لنا عندهم فقال ياخوندها قد وصل جيش حماة وطرابلس ، ومن معهم من جيش دمشق

الذين كانوا قد خرجوا بسببه ، وقد اتفقوا هم وهو . قال فحينئذ ركبت فى الجيش وأرسلت طليعتين أمامى وقلت تراءوا للجيوش الذين جاؤا حتى يروكم فيعلموا أنا قد أحطنا بهم من كل جانب . فحينئذ جاءت البرد من جهته بطلب الامان ويجهرون بالاجابة إلى أن يركب فى عشرة سروج ، ويترك طلبه بالقطيفة ، وذلك يوم الجمعة ، فلما كان الليل ركبت أنا والجيش فى السلاح طول الليل وخشيت أن تكون مكيدة وخديعة ، فجاءتنا الجواسيس فأخبرونا أنهم قد أوقدوا نشابهم ورماحهم وكثيراً من سلاحهم ، فتحققنا عندذلك طاعته وإجابته ، لكل مارسم به ، فلما أصبح يوم السبت وصى وركب فى عشرة سروج وسار نحو الديار المصرية ولله الحمد والمنة .

وفى يوم الاثنين الرابع والعشرين من صفر دخل حاجب الحجاب الذى كان سجن فى قلعة صرخد مع البريدى الذى قدم بسببه من الديار المصرية ، وتلقاه جماعة من الأمراء والكبراء ، وتصدق بصدقات كثيرة فى داره ، وفرحوا به فرحا شديداً ، وهو والناس يقولون إنه ذاهب إلى الديار المصرية معظما مكرما على تقدمة ألف ووظائف هناك ، فلما كان يوم الخميس السابع والعشرين منه لم يفجأ الناس إلا وقد دخل القلعة المنصورة معتقلا بها مضيقا عليه ، فتعجب الناس من هذه الترحة من تلك الفرحة فما شاء الله كان .

وفى يوم الأربعاء رابع ربيع الأول عقد مجلس بسبب الحاجب بالمشهد من الجامع . وفى يوم الخميس أحضر الحاجب من القلعة إلى دار الحديث ، واجتمع القضاة هناك بسبب دعاوى يطلبون منه حق بعضهم ، ثم لما كان يوم الاثنين تاسعه قدم من الديار المصرية مقدم البريدية بطلب الحاجب المذكور ، فأخرج من القلعة السلطانية وجاء إلى نائب السلطنة فقبل قدمه، ثم خرج إلى منزله وركب من يومه قاصداً إلى الديار المصرية مكرما ، وخرج بين يديه خلق من العوام والحرافيش يدعون له ، وهذا أغرب ما أرخ ، فهذا الرجل نالته شدة عظيمة بسبب سجنه بصرخد ، ثم أفرج عنه ، ثم حبس فى قلعة دمشق ثم أفرج عنه ، وذلك كله فى نحو شهر .

ثم جاءت الأخبار فى يوم الأحد ثانى عشر جمادى الأولى بعزل نائب السلطنة عن دمشق فلم يركب فى الموكب يوم الاثنين ، ولا حضر فى دار العدل ، ثم تحققت الاخبار بذلك وبذهابه إلى نيابة حلب ، ومجئ نائب حلب إلى دمشق ، فتأسف كثير من الناس عليه لديانته وجوده وحسن معاملته لأهل العلم ، ولكن حاشيته لاينفذون أوامره ، فتولد بسبب ذلك فساد عريض وحموا كثيرا من البلاد ، فوقعت الحروب بين أهلها بسبب ذلك ، وهاجت المشيرات فانا لله وإنا إليه راجعون وفى صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين خرج الأمير على المارداني من دمشق فى طلبه مستعجلا فى أبهة النيابة ، قاصدا إلى حلب المحروسة ، وقد ضرب وطاقه بوطأة برزة ، فخرج الناس للتفرج

على طابه . و فى هذا اليوم بعد خروج النائب بقليل دخل الأمير سيف الدين طيدمر الحاجب من الديار المصرية عائداً إلى وظيفة الحجوبيـة فى أبهة عظيمة ، وتلقاه الناس بالشموع ، ودعوا له ، ثم ركب من يومه إلى خدمة ملك الأمراء إلى وطأة برزة ، فقبل يده وخلع عليه الأمراء ، واصطلحا ، انتهى والله أعلم

﴿ دخول نائب السلطنة منجك إلى دمشق المحروسة ﴾

كان ذلك فى صبيحة يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من ناحية حلب و بين يديه الأمراء والجيش على العادة ، وأوقدت الشموع وخرج الناس ومنهم من بات على الأسطحة وكان يوما هائلا .

و فى أواخر شهر رجب برز نائب السلطنة إلى الربوة وأحضر القضاة و ولاة الأمور و رسم باحضار المفتيين ـ وكنت فيمن طلب يومئذ إلى الربوة فركبت إليها ـ وكان نائب السلطنة عزم يومئذ على تخريب المنازل المبنية بالربوة وغلق الحمام من أجل هذه فيما ذكر أنها بنيت ليقضى فيها ، وهذا الحمام أوساخه صائرة إلى النهر الذى يشرب منه النـاس ، فاتفق الحال فى آخر الأمر على إبقاء المساكن و رد المرتفقات المسلطة عـلى نوره وناس ، و يترك ما هو مسلط على بردى ، فانـكف الناس عن الذهاب إلى الربوة بالـكلية ، و رسم يومئذ بتضييق أكمام النساء وأن تزال الاجراس والركب عن الحمير التى للمكارية .

و فى أوائل شهر شعبان ركب نائب السلطنة يوم الجمعة بعد العصر ليقف عـلى الحائط الرومى الذى بالرحبية ، فخاف أهل الأسواق وغلقوا دكاكينهم عن آخرهم ، واعتقدوا أن نائب السلطنة أمر بذلك ، فغضب من ذلك وتنصل منه ، ثم إنه أمر بهدم الحائط المـذكور ، وأن ينقل إلى العمارة التى استجدها خارج باب النصر فى دار الصناعـة التى إلى جانب دار العدل ، أمر ببنائها خاناً ونقلت تلك الأحجار إليها ، انتهى والله أعلم .

﴿ عزل القضاة الثلاثة بدمشق المحروسة ﴾

ولما كان يوم الثلاثاء تاسع شعبان قـدم من الديار المصرية بريدى ومعـه تذكرة ـ و رقة ـ فيها السلام على القضاة المستجدين ، وأخـبر بعزل القـاضى الشافعى والحنفى والمالـكى ، وأنه ولى قضاة الشافعية القاضى بهاء الدين أبو البقا السبكى ، وقضاء الحنفية الشيخ جمال الدين بن السراج الحنفى وذهب الناس إلى السلام عليهم والتهنئة لهم واحتفلوا بذلك ، وأخبروا أن القاضى المالـكى سيقدم من الديار المصرية، ولما كان يوم السبت السابع والعشرين من شعبان وصل البريد من الديار المصرية ومعه تقليدان وخلعتان للقاضى الشافعى والقاضى الحنفى ، فلبسا الخلعتين وجاءا من دار السعادة إلى الجامع الأموى ، وجلسـا فى محراب المقصورة ، وقرأ تقليـد قاضى القضاة بهـاء الدين أبى البقاء

الشافعى ، الشيخ نور الدين بن الصارم المحدث على السدة تجاه المحراب ، وقرأ تقليد قاضى القضاة جمال الدين بن السراج الحنفى الشيخ عماد الدين بن السراج المحدث أيضا على السدة ، ثم حكما هنالك ، ثم جاء أيضا إلى الغزالية فدرس بها قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء ، وجلس الحنفى إلى جانبه عن يمينه ، وحضرت عنده فأخذ فى صيام يوم الشك ، ثم جاءمعه إلى المدرسة النورية فدرس بها قاضى القضاة جمال الدين المذكور ، وحضر عنده قاضى القضاة بهاء الدين ، وذكروا أنه أخذ فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) الآية . ثم انصرف بهاء الدين إلى المدرسة العادلية الكبيرة فدرس بها قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) الآية . وفى صبيحة يوم الأربعاء ثامن شهر رمضان دخل القاضى المالكى من الديار المصرية فلبس الخلعة يومئذ ودخل المقصورة من الجامع الأموى وقرىء تقليده هنالك بحضرة القضاة والأعيان ، قرأه الشيخ نور الدين بن الصارم المحدث ، وهو قاضى القضاة شرف الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن الشيخ شمس الدين محمد بن عسكر العراقى البغدادى ، قدم الشام مراراً ثم استوطن الديار المصرية بعد ما حكم ببغداد نيابة عن قطب الدين الاخوى ، ودرس بالمستنصرية بعد أبيه ، وحكم بدمياط أيضا ثم نقل إلى قضاء المالكية بدمشق وهو شيخ حسن كثير التودد ومسدد العبارة حسن البشر عند اللقاء ، مشكور فى مباشرته عفة ونزاهة وكرم ، الله يوفقه ويسدده .

﴿ مسك الأمير صرغتمش أتابك الأمراء بالديار المصرية ﴾

ورد الخبر إلينا بمسكه يوم السبت الخامس والعشرين من رمضان هذا ، وأنه قبض عليه بحضرة السلطان يوم الاثنين العشرين منه ، ثم اختلفت الرواية عن قتله غير أنه احتيط على حواصله وأمواله ، وصودر أصحابه وأتباعه ، فكان فيمن ضرب وعصر تحت المصادرة القاضى ضياء الدين ابن خطيب بيت الابار ، واشتهر أنه مات تحت العقوبة ، وقد كان مقصداً للواردين إلى الديار المصرية ، لاسيما أهل بلدة دمشق ، وقد باشر عدة وظائف ، وكان فى آخر عمره قد فوض إليه نظر جميع الأوقاف ببلاد السلطان ، وتكلم فى أمر الجامع الأموى وغيره ، فحصل بسبب ذلك قطع أرزاق جماعات من الكتبة وغيرهم ، ومالأ الأمير صرغتمش فى أمور كثيرة خاصة وعامة ، فهلك بسببه ، وقد قارب الثمانين ، انتهى .

﴿ إعادة القضاة ﴾

وقد كان صرغتمش عزل القضاة الثلاثة بدمشق ، وهم الشافعى والحنفى والمالكى كما تقدم ، وعزل قبلهم ابن جماعة وولى ابن عقيل ، فلما مسك صرغتمش رسم السلطان باعادة القضاة على ما كانوا عليه ، ولما ورد الخبر بذلك إلى دمشق امتنع القضاة الثلاثة من الحكم ، غير أنهم حضروا ليلة العيد لرؤية

الهلال بالجامع الأموى ، وركبوا مع النائب صبيحة العيد إلى المصلى على عادة القضاة ، وهم على وجل ، وقد انتقلوا من مدارس الحكم فرجع قاضى القضاة أبو البقاء الشافعى إلى بستانه بالزعيفرية ، ورجع قاضى القضاة ابن السراج إلى داره بالتعديل ، وارتحل قاضى القضاة شرف الدين المالكى إلى الصالحية داخل الصمصامية ، وتألم كثير من الناس بسببه ، لأنه قد قدم غريبا من الديار المصرية وهو فقير ومتدين ، وقد باشر الحكم جيداً ، ثم تبين بآخرة أنه لم يعزل وأنه مستمر كما سنذكره ، ففرح أصحابه وأحبابه ، وكثير من الناس بذلك . فلما كان يوم الأحد رابع شوال قدم البريد وصحبته تقليد الشافعى قاضى القضاة تاج الدين ابن السبكى ، وتقليد الحنفى قاضى القضاة شرف الدين الكفرى واستمر قاضى القضاة شرف الدين المالكى العراقى على قضاء المالكية ، لأن السلطان تذكر أنه كان شافهه بولاية القضاء بالشام ، وسيره بين يديه إلى دمشق ، فحمدت سيرته كما حسنت سريرته . إن شاء الله ، وفرح الناس له بذلك .

وفى ذى القعدة توفى المحدث شمس الدين محمد بن سعد الحنبلى يوم الاثنين ثالثه ، ودفن من الغد بالسفح ، وقد قارب الستين ، وكتب كثيرا وخرج ، وكانت له معرفة جيدة بأسماء الأحرار ورواتها من الشيوخ المتأخرين ، وقد كتب للحافظ البرزالى قطعة كبيرة من مشايخه ، وخرج له عن كل حديثا أو أكثر ، وأثبت له ما سمعه عن كل منهم ، ولم يتم حتى توفى البرزالى رحمه الله .

وتوفى بهاء الدين ابن المرجانى بانى جامع الفوقانى ، وكان مسجدا فى الأصل فبناه جامعا ، وجعل فيه خطبة ، وكنت أول من خطب فيه سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وسمع شيئا من الحديث .

وبلغنا مقتل الأمير سيف الدين بن فضل بن عيسى بن مهنا أحد أمراء الاعراب الأجواد الأنجاد وقد ولى إمرة آل مهنا غير مرة كما وليها أبوه من قبله : عدا عليه بعض بنى عمه فقتله عن غير قصد بقتله ، كما ذكر ، لكن لما حمل عليه السيف أراد أن يدفع عن نفسه وبنفسه فضربه بالسيف برأسه ففلقه فلم يعش بعده إلا أياما قلائل ومات رحمه الله انتهى .

﴿ عزل منجك عن دمشق ﴾

ولما كان يوم الأحد ثانى ذى الحجة قدم أمير من الديار المصرية ومعه تقليد نائب دمشق ، وهو الأمير سيف الدين منجك بنيابة صفد المحروسة ، فأصبح من الغد ـ وهو يوم عرفة ـ وقد انتقل من دار السعادة إلى سطح المزة قاصداً إلى صفد المحروسة فعمل العيد بسطح المزة ، ثم ترحل نحو صفد ، وطمع كثير من المفسدين والخمارين وغيرهم وفرحوا بزواله عنهم . وفى يوم العيد قرىء كتاب السلطان بدار السعادة على الأمراء وفيه التصريح باستنابة أميره على الماردانى عليهم ، وعوده إليهم والامر بطاعته وتعظيمه واحترامه والشكر له والثناء عليه ، وقدم الامير شهاب الدين بن صبح من

نيابة صفد ونزل بداره بظاهر البلد بالقرب من الشامية البرانية . ووصل البريد يوم السبت الحادى والعشرين من ذى الحجة بنفى صاحب الحجاب طيدمر الاسماعيلى إلى مدينة حماة بطالا فى سرجين لاغير والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ستين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وملك الديار المصرية والشامية وما يتبع ذلك من الممالك الاسلامية الملك الناصر حسن بن السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى ، وقضاته بمصرهم المذكورون فى السنة التى قبلها ، ونائبه بدمشق الامير علاء الدين أمير على الماردانى ، وقضاة الشام هم المذكورون فى التى قبلها غير المالكى ، فانه عزل جمال الدين المسلاتى بشرف الدين العراقى ، وحاجب الحجاب الأمير شهاب الدين بن صبح ، وخطباء البلد كانت أكثرها المذكورون . وفى صبيحة يوم الأربعاء ثالث المحرم دخل الأمير علاء الدين أمير على نائب السلطنة إلى دمشق من نيابة حلب ، ففرح الناس به وتلقوه إلى أثناء الطريق ، وحملت له العمامة الشجوع فى طرقات البلد ، ولبس الأمير شهاب الدين بن صبح خلعة الحجابة الكبيرة بدمشق عوضاً عن نيابة صفد .

ووردت كتب الحجاج يوم السبت الثالث عشر منه مؤرخة سابع عشرين ذى الحجة من العلا وذكروا أن صاحب المدينة النبوية عدا عليه فداويان عند لبسه خلعة السلطان ، وقت دخول المحمل إلى المدينة الشريفة فقتلاه ، فعدت عبيده على الحجيج الذين هم داخل المدينة فنهبوا من أموالهم وقتلوا بعضهم وخرجوا ، وكانوا قد أغلقوا أبواب المدينة دون الجيش فاحرق بعضها ، ودخل الجيش السلطانى فاستنقذوا الناس من أيدى الظالمين . ودخل المحمل السلطانى إلى دمشق يوم السبت العشرين من هذا الشهر على عادته ، وبين يدى المحمل الفداويان اللذان قتلا صاحب المدينة ، وقد ذكرت عنه أمور شنيعة بشعة من غلوه فى الرفض المفرط ، ومن قوله إنه لو تمكن لاخرج الشيخين من الحجرة ، وغير ذلك من عبارات مؤدية لعدم إيمانه إن صح عنه والله أعلم

وفى صبيحة يوم الثلاثاء سادس صفر مسك الامير شهاب الدين بن صبح حاجب الحجاب وولداه الأميران وحبسوا فى القلعة المنصورة ، ثم سافر به الامير ناصر الدين بن خاربك بعد أيام إلى الديار المصرية ، وفى رجل ابن صبح قيد ، وذكر أنه فك من رجله فى أثناء الطريق . وفى يوم الاثنين ثالث عشر صفر قدم نائب طرابلس الأمير سيف الدين عبد الغنى فأدخل القلعة ثم سافر به الأمير علاء الدين بن أبى بكر إلى الديار المصرية محتفظا به مضيقا عليه ، وجاء الخبر بأن منجك سافر من صفد على البريد مطلوبا إلى السلطان ، فلما كان بينه وبين غزة بريد واحد دخل بمن معه من خدمه التيه فارا من السلطان ، وحين وصل الخبر إلى نائب غزة اجتهد فى طلبه فأعجزه وتفارط الامر ، انتهى والله أعلم .

﴿ مسك الأمير على الماردانى نائب الشام ﴾

وأصل ذلك أنه فى صبيحة يوم الأربعاء الثانى والعشرين من رجب ، ركب الجيش إلى تحت القلعة ملبسين وضربت البشائر فى القلعة فى ناحية الطارمة ، وجاء الأمراء بالطبلخانات من كل جانب والقائم بأعباء الأمر الأمير سيف الدين بيدمر الحاجب ، ونائب السلطنة داخل دار السعادة والرسل مرددة بينه وبين الجيش ، ثم خرج فحمل على سروج يسيرة محتاطا عليه إلى ناحية الديار المصرية ، واستوحش من أهل الشام عند باب النصر ، فتباكى الناس رحمة له وأسفة عليه ، لديانته وقلة أذيته وأذية الرعية وإحسانه إلى العلماء والفقراء والقضاة .

ثم فى صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين منه احتيط على الأمراء الثلاثة ، وهم الأمير سيف الدين طيبغاحجى أحد مقدمى الألوف ، والأمير سيف الدين فطليخا الدوادار أحد المقدمين أيضا والأمير علاء الدين أيدغمش الماردانى أحد أمراء الطبلخانات ، وكان هؤلاء ممن حضر نائب السلطنة المذكورهم جلساؤه وسماره ، والذين بسفارته أعطوا الأجناد والطبلخانات والتقادم ، فرفعوا إلى القلعة المنصورة معتقلين بها مع من بها من الأمراء ، ثم ورد الخبر بأن الأمير على رد من الطريق بعد مجاوزته غزة وأرسل إليه بتقليد نيابة صفد المحروسة ، فتماثل الحال وفرح بذلك أصحابه وأحبابه ، وقدم متسلم دمشق الذى خلع عليه بنيابتها بالديار المصرية فى يوم الخميس سادس عشر شهر رجب بعد أن استعفى من ذلك مراراً ، وباس الأرض مراراً فلم يعفه السلطان ، وهو الأمير سيف الدين استدمر اخو يلبغا اليحناوى ، الذى كان نائب الشام ، وبنته اليوم زوجة السلطان ، قدم متسلمه إلى دمشق يوم الخميس سلخ الشهر فنزل فى دار السعادة ، وراح القضاة والأعيان للسلام عليه والتودد إليه ، وحملت إليه الضيافات والتقادم ، انتهى والله أعلم .

﴿ كائنة وقعت بقرية حوران ﴾

« فأوقع الله بهم بأساً شديداً فى هذا الشهر الشريف »

وذلك أنهم أشهر أهل قرية بحوران وهى خاص لنائب الشام وهم حلبية يمن ويقال لهم بنو لبسه وبنى ناشى وهى حصينة منيعة يضوى إليها كل مفسد وقاطع ومارق ولجأ إليهم أحد شياطين رويمن العشير وهو عمر المعروف بالدنيط ، فأعدوا عددا كثيرة ونهبوا ليغنموا العشير ، وفى هذا الحين بدرهم والى الولاة المعروف بشنكل منكل ، فجاء إليهم ليردهم ويهديهم ، وطلب منهم عمر الدنيط فأبوا عليه وراموا مقاتلته ، وهم جمع كثير وجم غفير ، فتأخر عنهم وكتب إلى نائب السلطنة ليمده بجيش عونا له عليهم وعلى أمثالهم ، فجهز له جماعة من أمراء الطبلخانات والعشراوات ومائة من جند الحلقة الرماة ، فلما بغتهم فى بلدهم تجمعوا لقتال العسكر ورموه بالحجارة والمقاليع ، وحجزوا بينهم وبين البلد ،

فعند ذلك رمتهم الاتراك بالنبال من كل جانب ، فقتلوا منهم فوق المائة ، ففروا على أعقابهم ، وأسر منهم والى الولاة نحواً من ستين رجلا ، وأمر بقطع رءوس القتلى وتعليقها فى أعناق هؤلاء الأسرى ، ونهبت بيوت الفلاحين كلهم ، وسلمت إلى مماليك نائب السلطنة لم يفقد منها ما يساوى ثلاثمائة درهم ، وكر راجعا إلى بصرى وشيوخ العشيرات معه ، فأخبر ابن الأمير صلاح الدين ابن خاص ترك ، وكان من جملة أمراء الطبلخانات الذين قاتلوهم بمبسوط ما يخصه وأنه كان إذا أعيا بعض تلك الأسرى من الجرحى أمر المشاعلى بذبحه وتعليق رأسه على بقية الأسرى ، وفعل هذا بهم غير مرة حتى أنه قطع رأس شاب منهم وعلق رأسه على أبيه ، شيخ كبير ، فانا لله و إنا إليه راجعون ، حتى قدم بهم بصرى فشنكل طائفة من أولئك المأسورين وشنكل آخرين ووسط الآخرين وحبس بعضهم فى القلعة ، وعلق الرءوس على أخشاب نصبها حول قلعة بصرى ، فحصل بذلك تنكيل شديد لم يقع مثله فى هذا الأوان بأهل حوران ، وهذا كله سلط عليهم بما كسبت أيديهم وما ربك بظلام للعبيد ، وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ، فانا لله و إنا إليه راجعون . انتهى .

﴿ دخول نائب السلطنة الامير سيف الدين استدمر البحناوى ﴾

فى صبيحة يوم الاثنين حادى عشر شعبان من هذه السنة كان دخول الامير سيف الدين استدمر البحناوى نائبا على دمشق من جهة الديار المصرية ، وتلقاه الناس واحتفلوا له احتفالا زائدا وشاهدته حين ترجل لتقبيل العتبة ، و بعضده الأمير سيف الدين بيدمر الذى كان حاجب الحجاب وعين لنيابة حلب المحروسة ، فاستقبل القبلة وسجد عند القبلة ، وقد بسط له عندها مفارش وصمدة هائلة ، ثم إنه ركب فتعضده بيدمر أيضا وسار نحو الموكب فأركب ثم عاد إلى دار السعادة على عادة من تقدمه من النواب . وجاء تقليد الامير سيف الدين بيدمر من آخر النهار لنيابة حلب المحروسة . وفى آخر نهار الثلاثاء بعد العصر ورد البريد البشيرى وعلى يده مرسوم شريف بنفى القاضي بهاء الدين أبو البقاء وأولاده وأهله إلى طرابلس بلا وظيفة ، فشق ذلك عليه وعلى أهليه ومن يليه ، وتغمم له كثير من الناس ، وسافر ليلة الجمعة وقد أذن له فى الاستنابة فى جهاته ، فاستناب ولده الكبير عز الدين ، واشتهر فى شوال أن الامير سيف الدين منجك الذى كان نائب السلطنة بالشام وهرب ولم يطلع له خبر ، فلما كان فى هذا الوقت ذكر أنه مسك ببلد بحران من مقاطعة ماردين فى زى فقير ، وأنه احتفظ عليه وأرسل السلطان قراره ، وعجب كثير من الناس من ذلك ، ثم لم يظهر لذلك حقيقة وكان الذين رأوه ظنوا أنه هو ، فاذا هو فقير من جملة الفقراء يشبهه من بعض الوجوه . واشتهر فى ذى القعدة أن الأمير عز الدين فياض بن مهنا ملك العرب ، خرج عن طاعة السلطان وتوجه نحو العراق فوردت المراسيم السلطانية لمن بأرض الرحبة من العساكر الدمشقية وهم أربعة مقدمين فى

أربعة آلاف ، وكذلك جيش حلب وغيره بتطلبه وإحضاره إلى بين يدى السلطان ، فسعوا فى ذلك بكل مايقدرون عليـه فعجزوا عن لحاقه والدخول وراءه إلى البرارى ، وتفارط الحال وخلص إلى أرض العراق فضاق النطاق وتعذر اللحاق .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستين وسبعمائة ﴾

استهلت وسلطان المسلمين الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وقضاة مصر والشام هم المذكورون فى التى قبلها ، ونائب الشام الامير سيف الدين استدمر أخو يلبغا اليحناوى ، وكاتب السر القاضى أمين الدين بن القلانسى .

وفى مستهل المحرم جاء الخبر بموت الشيخ صلاح الدين العلائى بالقدس الشريف ليلة الاثنين ثالث المحرم ، وصلى عليه من الغد بالمسجد الاقصى بعد صلاة الظهر ، ودفن بمقبرة نائب الرحبـة ، وله من العمر ست وستون سنة ، وكان مدة مقامه بالقدس مدرسـا بالمدرسة الصلاحية وشـيخا بدار الحـديث السكرية ثلاثين سـنة ، وقد صنف وألف وجمع وخرج ، وكانت له يد طولى بمعرفة العالى والنازل ، وتخريج الاجزاء والفوائد ، وله مشاركة قوية فى الفقه واللغة والعربية والادب وفى كتابته ضعف لـكن مع صحة وضبط لما يشـكل ، وله عـدة مصنفات ، وبلغنى أنه وقفهـا عـلى الخانقاه السمساطية بدمشق ، وقد ولى بعده التدريس بالصرخصية الخطيب برهان الدين ابن جماعة والنظر بها ، وكان معه تفويض منه متقدم التاريخ .

وفى يوم الخميس السادس من محرم احتيط عـلى متولى البر ابن بهادر الشيرجى ورسم عليه بالعذراوية بسبب أنه اتهم بأخـذ مطلب من نعمان البلقاء هو وكحلن الحاجب ، وقاضى حسان ، والظاهر أن هذه مرافعة من خصم عدو لهم ، وأنه لم يكن من هذا شىء والله أعلم. ثم ظهر على رجل يزور المراسيم الشريفة وأخـذ بسببه مدرس الصارمية لأنه كان عنده فى المدرسة المذكورة ، وضرب بين يدى ملك الأمراء ، وكذلك على الشيخ زين الدين زيد المغربى الشافعى ، وذكر عنه أنه يطلب مرسوماً لمدرسة الاكرية ، وضرب أيضاً ورسم عليه فى حبس السد ، وكذلك حبس الأمير شهاب الدين الذى كان متولى البلد ، لأنه كان قـد كتب له مرسوما شريفاً بالولاية ، فلما فهم ذلك كاتب السر أطلع عليه نائب السلطنة فانفتح عليه الباب وحبسوا كلهم بالسد ، وجاءت كتب الحجاج ليلة السبت الخامس عشر من المحرم وأخبرت بالخصب والرخص والأمن ولله الحمد والمنة . ودخل المحمل بعد المغرب ليلة السبت الحادى والعشرين منه ، ثم دخـل الحجيج بعده فى الطين والرمض وقد لقوا من ذلك من بـلاد حوران عناء وشـدة ، ووقعت جمالات كثيرة وسبيت نساء كثيرة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وحصل للناس تعب شـديد . ولما كان يوم الاثنين الرابع والعشرين قطعت يد

الذى زوّر المراسيم واسمه السراج عمر القفطى المصرى ، وهو شاب كاتب مطيق على ماذكر، وحمل في قفص على جمل وهو مقطوع اليد ،ولم يحسم بعدو الدم ينصب منها ، وأركب معه الشيخ زين الدين زيد على جمل وهو منكوس وجهه إلى ناحية دبر الجمل ، وهو عريان مكشوف الرأس ، وكذلك البدر الحمصى على جمل آخر ، وأركب الوالى شهاب الدين على جمل آخر وعليه تخفيفة صغيرة ، وخف وقباء ،وطيف بهم فى محال البلد، ونودى عليهم :هذا جزاء من يزور على السلطان،ثم أودعوا حبس الباب الصغير وكانوا قبل هذا التعزير فى حبس السد ، ومنه أخذوا وأشهروا ،فانا لله و إنا إليه راجعون انتهى﴿ مسك منجك وصفة الظهور عليه وقد كان مختفياً بدمشق فى بعض دورها قريباً من سنة﴾

لما كان يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم جاء ناصح إلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين استدمر فأخبره بأن منجك فى دار الشرف الأعلى ، فأرسل من فوره إلى ذلك المنزل الذى هو فيه بعض الحجبة ومن عنده من خواصه، فأحضر إلى بين يديه محتفظا عليه جداً ، بحيث إن بعضهم رزفه من ورائه واحتضنه ، فلما واجهه نائب السلطنة أكرمه وتلقاه وأجلسه معه على مقعدته،وتلطف به وسقاه وأضافه ، وقد قيل إنه كان صائما فأفطر عنده ،وأعطاه من ملابسه وقيده وأرسله إلى السلطان فى ليلته - ليلة الجمعة - مع جماعة من الجند و بعض الأمراء ، منهم حسام الدين أمير حاجب ، وقد كان أرسل نائب السلطنة ولده بسيف منجك من أوائل النهار ، وتعجب الناس من هذه القضية جداً ، وما كان يظن كثير من الناس إلا أنه قد عدم باعتبار أنه فى بعض البلاد النائية ، ولم يشعر الناس أنه فى وسط دمشق وأنه يمشى بينهم متنكراً ، وقد ذكر أنه كان يحضر الجمعات بجامع دمشق ويمشى بين الناس متنكراً فى لبسه وهيئته ، ومع هذا لن يغنى حذر من قدر ، ولكل أجل كتاب ،وأرسل ملك الأمراء بالسيف وبملابسه التى كان يتنكر بها ، و بعث هو مع جماعة من الأمراء الحجبة وغيرهم وجيش كثيف إلى الديار المصرية مقيداً محتفظا عليه ، ورجع ابن ملك الأمراء بالتحف والهدايا والخلع والانعام لوالده ، ولحاجب الحجاب ، ولبس ذلك الأمراء يوم الجمعة واحتفل الناس بالشموع وغيرها ، ثم تواترت الأخبار بدخول منجك إلى السلطان وعفوه عنه وخلعته الكاملة عليه و إطلاقه له الحسام والخيول المسومة والألبسة المفتخرة، والأموال والأمان ، وتقديم الأمراء والأكابر له من سائر صنوف التحف ، وقدوم الأمير على من صفد قاصدا إلى حماة لنيابتها ، فنزل القصر الأبلق ليلة الخميس رابع صفر وتوجه ليلة الاحد سابعه .

وفى يوم الخميس الثامن عشر من صفر قدم القاضى بهاء الدين أبو البقاء من طرابلس بمرسوم شريف أن يعود إلى دمشق على وظائفه المبقاة عليه ، وقد كان ولده ولى الدين ينوب عنه فيها ، فتلقاه كثير من الناس إلى أثناء الطريق،وبرز إليه قاضى القضاة تاج الدين إلى حرستا،وراح الناس إلى

تهنئته إلى داره ، وفرحوا برجوعه إلى وطنه . ووقع مطر عظيم فى أول هذا الشهر ، وهو أثناء شهر شباط ، وثلج عظيم ، فرويت البساتين التى كانت لها عن الماء عدة شهور ، ولا يحصل لأحد من الناس سقى إلا بكلفة عظيمة ومشقة ، ومبلغ كثير ، حتى كاد الناس يقتتلون عليه بالأيدى والدبابيس وغير ذلك من البذل الكثير ، وذلك فى شهور كانون الأول والثانى ، وأول شباط ، وذلك لقلة مياه الأنهار وضعفها ، وكذلك بلاد حوران أكثرهم يروون من أماكن بعيدة فى هذه الشهور ، ثم من الله تعالى فجرت الأودية وكثرت الامطار والثلوج ، وغزرت الانهار ولله الحمد والمنة . وتوالت الأمطار ، فكأنه حصل السيل فى هذه السنة من كانون إلى شباط فكان شباط هو كانون وكانون لم يسل فيه ميزاب واحد . ووصل فى هذا الشهر الأمير سيف الدين منجك إلى القدس الشريف ليبتنى للسلطان مدرسة وخانقاه غربى المسجد الشريف ، وأحضر الفرمان الذى كتب له بماء الذهب إلى دمشق وشاهده الناس ووقعت على نسخته وفيها تعظيم زائد ومدح وثناء له ، وشكر على متقدم خدمه لهذه الدولة ، والعفو عما مضى من زلاته ، وذكر سيرته بعبارة حسنة .

وفى أوائل شهر ربيع الآخر رسم على المعلم سنجر مملوك ابن هلال صاحب الاموال الجزيلة بمرسوم شريف قدم مع البريد وطلب منه ستمائة ألف درهم ، واحتيط على العمارة التى أنشأها عند باب النطافيين ليجعلها مدرسة ، ورسم بأن يعمر مكانها مكتب للأيتام ، وأن يوقف عليهم كتابتهم جارية عليهم ، وكذلك رسم بأن يجعل فى كل مدرسة من مدارس المملكة الكبار ، وهذا مقصد جيد . وسلم المعلم سنجر إلى شاد الدواوين يستخلص منه المبلغ المذكور سريعا ، فعاجل بحمل مائتى ألف ، وسيرت مع أمير عشرة إلى الديار المصرية .

﴿ الاحتياط على الكتبة والدواوين ﴾

وفى يوم الاربعاء خامس عشر ربيع الآخر ورد من الديار المصرية أمير معه مرسوم بالاحتياط على دواوين السلطان ، بسبب ما أكلوا من الأموال المرتبة للناس من الصدقات السلطانية وغير ذلك فرسم عليهم بدار العدل البرانية وألزموا بأموال جزيلة كثيرة ، بحيث احتاجوا إلى بيع أثاثهم وأقمشتهم وفرشهم وأمتعتهم وغيرها ، حتى ذكر أن منهم من لم يكن له شىء يعطيه فأحضر بناته الى الدكة ليبيعهن فتباكى الناس وانتحبوا رحمة ورقة لأبيهن ، ثم أطلق بعضهم وهم الضعفاء منهم والفقراء الذين لاشىء معهم ، وبقيت الغرامة على الكبراء منهم ، كالصاحب والمستوفيين ، ثم شددت عليهم المطالبة وضربوا ضربا مبرحا ، وألزموا الصاحب بمال كثير بحيث إنه احتاج إلى أن سأل من الامراء والأكابر والتجار بنفسه وبأوراقه ، فأسعفوه بمبلغ كثير يقارب ما ألزم به ، بعد أن عرى ليضرب ، ولكن ترك واشتهر أنه قد عين عوضه من الديار المصرية ، انتهى .

﴿ موت فياض بن مهنا ﴾

ورد الخبر بذلك يوم السبت الثامن عشر منه ، فاستبشر بذلك كثير من الناس ، وأرسل إلى السلطان مبشرين بذلك ، لأنه كان قد خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ، فمات موتة جاهلية بأرض الشقاق والنفاق ، وقد ذكرت عن هذا أشياء صدرت عنه من ظلم الناس ، والافطار فى شهر رمضان بلا عـذر وأمره أصحابه وذويه بذلك فى هذا الشهر المـاضى ، فانا لله وانا إليه راجعون ، جاوز السبعين انتهى . والله أعلم .

﴿ كائنة غريبة عجيبة جداً وهى هذه المعلم سنجر مملوك بن هلال ﴾

فى اليوم الرابع والعشرين من ربيع الآخر أطلق المعلم الهلالى بعد أن استوفوا منه تـكميل ستمائة ألف درهم ، فبات فى منزله عنـد باب النطافيين سرورا بالخلاص ، ولمـا أصبح ذهب إلى الحمام وقد ورد البريد من جهة السلطان من الديار المصرية بالاحتياط على أمواله وحواصله ، فأقبلت الحجبة ونقباء النقبة والأعوان من كل مكان ، فقصـدوا داره فاحتاطوا بها وعليها بما فيها ، ورسم عليه وعلى ولديه ، وأخرجت نساؤه من المنزل فى حالة صعبة ، وفتشوا النساء وانتزعوا عنهن الحلى والجواهر والنفائس ، واجتمعت العامة والغوغاء ، وحضر بعض القضاة ومعه الشهود بضبط الاموال والحجج والرهون ، وأحضروا المعلم ليستعلموا منه جلية ذلك ، فوجـدوا من حاصل الفضة أول يوم ثلثمائة ألف وسبعين ألفا ، ثم صناديق أخرى لم تفتح ، وحواصل لم يصلوا اليها لضيق الوقت ثم أصبحوا يوم الاحد فى مثل ذلك ، وقد بات الحرس على الابواب والاسطحة لئلا يعدى عليها فى الليل وبات هو وأولاده بالقلعة المنصورة محتفظا عليهم ، وقد رق له كثير من الناس لما أصابه من المصيبة العظيمة بعد التى قبلها سريعا .

وفى أواخر هذا الشهر توفى الأمير ناصر الدين محمد بن الدوادار السكرى ، كان ذا مكانة عنـد أستاذه ، ومنزلة عالية ، ونال من السعادة فى وظيفته أقصاها ، ثم قلب الله قلب أستاذه عليه فضربه وصادره وعزله وسجنه ، ونزل قدره عند الناس ، وآل به الحال إلى أن كان يقف على أتباعه بفرسـه ويشترى منهـم ويحاككهم ، ويحمل حاجته معه فى سرجه ، وصار مثلة بين النـاس ، بعد أن كان فى غاية مايكون فيه الدويدارية من العز والجاه والمال والرفعة فى الدنيا ، وحق على الله تعالى أن لا يرفع شيئاً من أمر الدنيا الا وضعه .

وفى صبيحة يوم الاحد سابع عشره أفرج عن المعلم الهلالى وعن ولديه ، وكانوا معتقلين بالقلعة المنصورة ، وسلمت اليهم دورهم وحواصلهم ، ولكن أخـذ ما كان حاصلا فى داره ، وهو ثلاثمائة ألف وعشرون ألفا ، وختم على حججه ليعقد لذلك مجلس ليرجع رأس ماله منها عمـلا بقوله تعالى (وإن

تبدتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) ونودى عليه فى البلد إنما فعل به ذلك لأنه لا يؤدى الزكاة و يعامل بالربا ، وحاجب السلطان ومتولى البلد ، و بقية المتعممين والمشاعلية تنادى عليه فى أسواق البلد وأرجائها .

و فى اليوم الثامن والعشرين منه و رد المرسوم السلطانى الشريف باطلاق الدواوين إلى ديارهم وأهاليهم ، ففرح الناس بسبب ذلك لخلاصهم مما كانوا فيه من العقوبة والمصادرة البليغة ، ولكن لم يستمر بهم فى مباشراتهم .

و فى أواخر الشهر تكلم الشيخ شهاب الدين المقدسى الواعظ ، قدم من الديار المصرية تجاه محراب الصحابة ، واجتمع الناس إليه وحضر من قضاة القضاة الشافعى والمالكى ، فتكلم على تفسير آيات من القرآن ، وأشار إلى أشياء من إشارات الصوفية بعبارات طلقة معربة حلوة صادعة للقلوب فأفاد وأجاد ، و ودع الناس بعوده إلى بلده ، ولما دعا استنهض الناس للقيام ، فقاموا فى حال الدعاء ، وقد اجتمعت به بالمجلس فرأيته حسن الهيئة والكلام والتأدب ، فالله يصلحه و إيانا آمين .

و فى مستهل جمادى الآخرة ركب الأمير سيف الدين بيدمر نائب حلب لقصد غزو بلاد سيس فى جيش ، لقاه الله النصر والتأييد . و فى مستهل هذا الشهر أصبح أهل القلعة وقدنزل جماعة من أمراء الأعراب من أعالى مجلسهم فى عمائم وحبال إلى الخندق وخاضوه وخرجوا من عند جسر الزلابية فانطلق اثنان وأمسك الثالث الذى تبقى فى السجن ، وكأنه كان يمسك لهم الحبال حتى تدلوا فيها ، فاشتد نكير نائب السلطنة على نائب القلعة ، وضرب ابنيه النقيب وأخاه وسجنهما ، وكاتب فى هذه الكائنة إلى السلطان ، فورد المرسوم بعزل نائب القلعة و إخراجه منها ، وطلبه لمحاسبة ما قبض من الاموال السلطانية فى مدة ست سنى مباشرته ، وعزل ابنه عن النقابة وابنه الآخر عن استدرائه السلطان ، فنزلوا من عزهم إلى عزلهم .

وفى يوم الاثنين سابع عشره جاء الأمير تاج الدين جبريل من عند الأمير سيف الدين بيدمر نائب حلب ، وقد فتح بلدين من بلاد سيس ، وهما طرسوس وأذنة ، وأرسل مفاتيحهما صحبة جبريل المذكور إلى السلطان أيده الله ، ثم افتتح حصوناً أخر كثيرة فى أسرع مدة ، وأيسر كلفة ، وخطب القاضى ناصر الدين كاتب السر خطبة بليغةحسنة ، و بلغنى فى كتاب أن أبواب كنيسة أذنة حملت إلى الديار المصرية فى المراكب . قلت : وهذه هى أبواب الناصرية التى بالسفح ، أخذها سيس عام قازان ، وذلك فى سنة تسع وتسعين وستمائة ، فاستنفذت ولله الحمد فى هذه السنة .

وفى أواخر هذا الشهر بلغنا أن الشيخ قطب الدين هرماس الذى كان شيخ السلطان طرد عن جناب مخدومه ، وضرب وصودر ، وخربت داره إلى الاساس ، ونفى إلى مصياف ، فاجتاز بدمشق

ونزل بالمدرسة الجليلة ظاهر باب الفرج ، وزرته فيمن سلم عليه ، فاذا هو شيخ حسن عنده مايقال ويتلفظ معربا جيداً ، ولديه فضيلة ، وعنده تواضع وتصوف، فالله يحسن عاقبته. ثم تحول إلى العذراوية

وفى صبيحة يوم السبت سابع شهر رجب توجه الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن بن قاضى الجبل الحنبلى إلى الديار المصرية مطلوبا على البريد إلى السلطان لتدريس الطائفة الحنبلية بالمدرسة التى أنشأها السلطان بالقاهرة المعزية ، وخرج لتوديعه القضاة والاعيان إلى أثناء الطريق ، كتب الله سلامته ، انتهى والله تعالى أعلم .

﴿ مسك نائب السلطنة استدمر البحناوى ﴾

وفى صبيحة يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رجب قبض على نائب السلطنة الأمير سيف الدين استدمر ، أخى يلبغا البحناوى ، عن كتاب ورد من السلطان صحبة الدوادار الصغير ، وكان يومئذ راكبا بناحية ميدان ابن بابك ، فلما رجع إلى عند مقابر اليهود والنصارى احتاط عليه الحاجب الكبير ومن معه من الجيش وألزموه بالذهاب إلى ناحية طرابلس ، فذهب من على طريق الشيخ رسلان ، ولم يمكن من المسير ، إلى دار السعادة ، ورسم عليه من الجند من أوصله إلى طرابلس مقيما بها بطالا ، فسبحان من بيده ملكوت كل شىء ، يفعل مايشاء. وبقى البلد بلا نائب يحكم فيه الحاجب الكبير عن مرسوم السلطان ، وعين للنيابة الأمير سيف الدين بيدمر النائب بحلب .

وفى شعبان وصل تقليد الأمير سيف الدين بيدمر بنيابة دمشق ، ورسم له أن يركب فى طائفة من جيش حلب ويقصد الامير خيار بن مهنا ليحضره إلى خدمة السلطان ، وكذلك رسم لنائب حماة وحمص أن يكونا عونا للامير سيف الدين بيدمر فى ذلك ، فلما كان يوم الجمعة رابعه التقوا مع خيار عند سلمية ، فكانت بينهم مناوشات ، فأخبرنى الأمير تاج الدين الدودار ـ وكان مشاهد الوقعة ـ أن الأعراب أحاطوا بهم من كل جانب ، وذلك لكثرة العرب وكانوا نحو الثمانمائة، وكانت الترك من حماة وحمص وحلب مائة وخمسين ، فرموا الأعراب بالنشاب فقتلوا منهم طائفة كثيرة ، ولم يقتل من الترك سوى رجل واحد ، رماه بعض الترك ظانا أنه من العرب بناشج فقتله ، ثم حجز بينهم الليل ، وخرجت الترك من الدائرة، ونهبت أموال من الترك ومن العرب ، وجرت فتنة وجردت أمراء عدة من دمشق لتدارك الحال ، وأقام نائب السلطنة هناك ينتظر ورودهم ، وقدم الامير عمر الملقب بمصمع بن موسى بن مهنا من الديار المصرية أميراً على الاعراب وفى صحبته الامير بدر الدين ابن جماز أميران على الاعراب ، فنزل مصمع بالقصر الابلق ، ونزل الأمير رملة بالتوزية على عادته ثم توجها الى ناحية خيار بمن معهما من عرب الطاعة ممن أضيف اليهم من تجريدة دمشق ومن يكون معهم من جيش حماة وحمص لتحصيل الأمير خيار ، وإحضاره إلى الخدمة الشريفة فالله تعالى يحسن العاقبة

﴿ دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر إلى دمشق ﴾

وذلك صبيحة يوم السبت التاسع عشر من شعبان ، أقبل بجيشه من ناحية حلب وقد بات بوطأة برزة ليلة السبت ، وتلقاه الناس إلى حماة ودونها ، وجرت له وقعة مع العرب كما ذكرنا ، فلما كان هذا اليوم دخل فى أبهة عظيمة ، وتجمل حافل ، فقبل العتبة على العادة ، ومشى إلى دار السعادة ، ثم أقبلت جنائبه فى لبوس هائلة باهرة ، وعدد كثير وعدد ثمينة ، وفرح المسلمون به لشهامته وصرامته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، والله تعالى يؤيده ويسدده .

وفى يوم الجمعة ثانى شهر رمضان خطبت الحنابلة بجامع القبيبات وعزل عنه القاضى شهاب الدين قاضى العسكر الحنبلى ، بمرسوم نائب السلطان لأنه كان يعرف أنه كان مختصراً بالحنابلة منذ عين إلى هذا الحين .

وفى يوم الجمعة السادس عشر منه قتل عثمان بن محمد المعروف بابن دبادب الدقاق بالحديد على ما شهد عليه به جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، أنه كان يكثر من شتم الرسول ﷺ ، فرفع إلى الحاكم المالكى وادعى عليه فأظهر التجابن ، ثم استقر أمره على أن قتل قبحه الله وأبعده ولا رحمه .

وفى يوم الأثنين السادس والعشرين منه قتل محمد المدعو زبالة الذى يستار لابن معبد على ما صدر منه من سب النبى ﷺ ودعواه أشياء كفرية ، وذكر عنه أنه كان يكثر الصلاة والصيام ، ومع هذا يصدر منه أحوال بشعة فى حق أبى بكر وعمر وعائشة أم المؤمنين ، وفى حق النبى ﷺ ، فضربت عنقه أيضاً فى هذا اليوم فى سوق الخيل ولله الحمد والمنة.

وفى ثالث عشر شوال خرج المحمل السلطانى وأميره الأمير ناصر الدين بن قراسنقر وقاضى الحجيج الشيخ شمس الدين محمد بن سند المحدث ، أحد المفتيين .

وفى أواخر شهر شوال أخذ رجل يقال له حسن ، كان خياطا بمحلة الشاغور ، ومن شأنه أن ينتصر لفرعون لعنه الله ، ويزعم أنه مات على الاسلام ويحتج بأنه فى سورة يونس حين أدركه الغرق قال (آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) ولا يفهم معنى قوله (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) ولا معنى قوله (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) ولا معنى قوله (فأخذناه أخذاً وبيلا) إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على أن فرعون أكفر الكافرين كما هو مجمع عليه بين اليهود والنصارى والمسلمين .

وفى صبيحة يوم الجمعة سادس القعدة قدم البريد بطلب نائب السلطنة إلى الديار المصرية فى تكريم وتعظيم ، على عادة تنكز ، فتوجه النائب إلى الديار المصرية وقد استصحب معه تحفا سنية وهدايا معظمة تصلح للايوان الشريف . فى صبيحة السبت رابع عشره ، خرج ومعه القضاة والأعيان

من الحجبة والأمراء لتوديعه . وفى أوائل ذى الحجة ورد كتاب من نائب السلطنة بخطه إلى قاضى القضاة تاج الدين الشافعى يستدعيه إلى القدس الشريف ، وزيارة قبر الخليل ، ويذكر فيه ماعامله به السلطان من الأحسان والاكرام والاحترام والاطلاق والانعام من الخيل والتحف والمال والغلات فتوجه نحوه قاضى القضاة يوم الجمعة بعد الصلاة رابعه على ستة من خيل البريد ، ومعه تحف ومايناسب من الهدايا ، وعاد عشية يوم الجمعة ثامن عشره إلى بستانه .

ووقع فى هذا الشهر والذى قبله سيول كثيرة جداً فى أماكن متعددة ، من ذلك ماشاهدنا آثاره فى مدينة بعلبك ، أتلف شيئا كثيراً من الاشجار ، واخترق أماكن كثيرة متعددة عندهم ، وبقى آثار سيحه على أماكن كثيرة ، ومن ذلك سيل وقع بأرض جعلوص أتلف شيئاً كثيراً جداً ، وغرق فيه قاضى تلك الناحية ، ومعه بعض الأخيار ، كانوا وقوفا على أكمة فدهمهم أمر عظيم ، ولم يستطيعوا دفعه ولا منعه ، فهلكوا . ومن ذلك سيل وقع بناحية حسة جمال فهلك به شىء كثير من الأشجار والأغنام والأعناب وغيرها . ومن ذلك سيل بأرض حلب هلك به خلق كثير من التركمان وغيرهم ، رجالا ونساء وأطفالا وغنما وإبلا . قرأته من كتاب من شاهد ذلك عيانا ، وذكر أنه سقط عليهم بردوزنت الواحدة منه فبلغت زنتها سبعمائة درهم وفيه ما هو أكبر من ذلك وأصغر ، انتهى .

﴿ الأمر بالزام القلندرية بترك حلق لحاهم وحواجبهم وشواربهم ﴾

« وذلك محرم بالاجماع حسب ماحكاه ابن حازم وإنما ذكره بعض الفقهاء بالكراهية »

ورد كتاب من السلطان أيده الله إلى دمشق فى يوم الثلاثاء خامس عشر ذى الحجة ، بالزامهم بزى المسلمين وترك زى الأعاجم والمجوس ، فلا يمكن أحد منهم من الدخول إلى بلاد السلطان حتى يترك هذا الزى المبتدع ، واللباس المستشنع ، ومن لا يلتزم بذلك يعزر شرعا ، ويقلع من قراره قلعا ، وكان اللائق أن يؤمروا بترك أكل الحشيشة الخسيسة ، وإقامة الحد عليهم بأكلها وسكرها ، كما أفتى بذلك بعض الفقهاء . والمقصود أنهم نودى عليهم بذلك فى جميع أرجاء البلد ونواحيه فى صبيحة يوم الأربعاء ولله الحمد والمنة .

وبلغنا فى هذا الشهر وفاة الشيخ الصالح الشيخ أحمد بن موسى الزرعى بمدينة جبراص يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة ، وكان من المبتلين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والقيام فى مصالح الناس عند السلطان والدولة ، وله وجاهة عند الخاص والعام ، رحمه الله . والأمير سيف الدين كحلن بن الاقوس ، الذى كان حاجبا بدمشق وأميراً ، ثم عزل عن ذلك كله ، ونفاه السلطان إلى طرابلس فمات هناك .

وقدم نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر عائداً من الديار المصرية ، وقد لقى من السلطان

إكراما وإحسانا زائداً فاجتاز فى طريقه بالقدس الشريف فأقام به يوم عرفة والنحر ، ثم سلك على طريق غابة أرصوف يصطاد بها فأصابه وعك منعه عن ذلك ، فأسرع السير فدخل دمشق من صبيحة يوم الاثنين الحادى والعشرين منه فى أبهة هائلة ، ورياسة طائلة ، وتزايد وخرج العامة للتفرج عليه والنظر إليه فى مجيئه هذا ، فدخل وعليه قباء معظم ومطرز ، وبين يديه ماجرت به العادة من الحوفية والشاليشية وغيرهم ، ومن نيته الاحسان إلى الرعية والنظر فى أحوال الأوقاف وإصلاحها على طريقة تنكز رحمه الله ، انتهى والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وستين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة المباركة وسلطان الاسلام بالديار المصرية والشامية والحرمين الشريفين ومايتبع ذلك ويلتحق به الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ولا نائب له بالديار المصرية ، وقضاته بها هم المذكورون فى العام الماضى ، ووزيره القاضى بن الخصيب ونائب الشام بدمشق الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمى ، والقضاة والخطيب وبقية الأشراف وناظر الجيش والمحتسب هم المذكورون فى العام الماضى ، والوزير ابن قزوينة ، وكاتب السر القاضى أمين الدين بن القلانسى ، ووكيل بيت المال القاضى صلاح الدين الصفدى وهو أحد موقعى الدست الأربعة . وشاد الأوقاف الأمير ناصر الدين بن فضل الله ، وحاجب الحجاب اليوسفى ، وقد توجه إلى الديار المصرية ليكون بها أمير جنهار ، ومتولى البلد ناصر الدين ، ونقيب النقباء ابن الشجاعى . وفى صبيحة يوم الأثنين سادس المحرم قدم الأمير على نائب حماة منها فدخل دمشق مجتازاً إلى الديار المصرية فنزل فى القصر الأبلق ثم تحول إلى دار دويداره يلبغا الذى جدد فيها مساكن كثيرة بالقصاعين . وتردد الناس إليه للسلام عليه ، فأقام بها إلى صبيحة يوم الخميس تاسعه ، فسار إلى الديار المصرية .

وفى يوم الأحد تاسع عشر المحرم أحضر حسن بن الخياط من محلة الشاغور إلى مجلس الحكم المالكى من السجن ، وناظر فى إيمان فرعون وادعى عليه بدعاوى لانتصاره لفرعون لعنه الله، وصدق ذلك باعترافه أولا ثم بمناظرته فى ذلك ثانيا وثالثا ، وهو شيخ كبير جاهل عامى ذا نص لايقيم دليلا ولا يحسنه ، وإنما قام فى مخيلته شبهة يحتج عليها بقوله إخبارا عن فرعون حين أدركه الغرق ، وأحيط به ورأى بأس الله ، وعاين عذابه الأليم ، فقال حين الغرق إذاً (آمنت أنه لاإله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين) قال الله تعالى (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) فاعتقد هذا العامى أن هذا الايمان الذى صدر من فرعون والحالة هذه ينفعه ، وقد قال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنابه مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون) وقال تعالى

(إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون به ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم . قال قد أجيبت دعوتكما) الآية . ثم حضر فى يوم آخر وهو مصمم على ضلاله فضرب بالسياط ، فأظهر التوبة ثم أعيد إلى السجن فى زنجير ، ثم أحضر يوما ثالثا وهو يستهل بالتوبة فيما يظهر ، فنودى عليه فى البلد ثم أطلق .

وفى ليلة الثلاثاء الرابع عشر طلع القمر خاسفا كله ولكن كان تحت السحاب ، فلما ظهر وقت العشاء وقد أخذ فى الجلاء صلى الخطيب صلاة الكسوف قبل العشاء ، وقرأ فى الأولى بسورة العنكبوت وفى الأخرى بسوة يس ، ثم صعد المنبر فخطب ثم نزل بعد العشاء . وقدمت كتب الحجاج يخبرون بالرخص والأمن ، واستمرت زيادة الماء من أول ذى الحجة وقبلها إلى هذه الأيام من آخر هذا الشهر والأمر على حاله ، وهذا شىء لم يعهد كما أخبر به عامة الشيوخ ، وسببه أنه جاء ماء من بعض الجبال انهال فى طريق النهر .

ودخل المحمل السلطانى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من المحرم قبل الظهر ، ومسك أمير الحاج شركتمر الماردانى الذى كان مقيما بمكة شرفها الله تعالى ، وحماها من الأوغاد ، فلما عادت التجريدة مع الحجاج إلى دمشق صحبة القراسنقر من ساعة وصوله إلى دمشق ، فقيد وسير إلى الديار المصرية على البريد ، وبلغنا أن الأمير سند أمير مكة غر بجند السلطان الذين ساروا صحبة ابن قراسنقر وكبسهم وقتل من حواشيهم وأخذ خيولهم ، وأنهم ساروا جرائد بغير شىء مسلوبين إلى الديار المصرية ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفى أول شوال اشتهر فيه وتواتر خبر الفناء الذى بالديار المصرية بسبب كثرة المستنقعات من فيض النيل عندهم ، على خلاف المعتاد ، فبلغنا أنه يموت من أهلها كل يوم فوق الألفين ، فأما المرض فكثير جداً ، وغلت الأسعار لقلة من يتعاطى الأشغال ، وغلا السكر والامياه والفاكهة جداً ، وتبرز السلطان إلى ظاهر البلد وحصل له تشويش أيضاً ، ثم عوفى بحمد الله .

وفى ثالث ربيع الآخر قدم من الديار المصرية ابن الحجاف رسول صاحب العراق لخطبة بنت السلطان ، فأجابهم إلى ذلك بشرط أن يصدقها مملكة بغداد ، وأعطاهم مستحقا سلطانياً ، وأطلق لهم من التحف والخلع والأموال شيئا كثيراً ، ورسم الرسول بمشترى قرية من بيت المال لتوقف على الخانقاه التى يريد أن يتخذها بدمشق قريبا من الطواويس ، وقد خرج لتلقيه نائب الغيبة وهو حاجب الحجاب ، والدولة والاعيان . وقرأت فى يوم الأحد سابع شهر ربيع الآخر كتابا ورد من حلب بخط الفقيه العدل شمس الدين العراقى من أهلها ، ذكر فيه أنه كان فى حضرة نائب السلطنة فى دار العدل يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الاول وأنه أحضر رجل قد ولد له ولد

عاش ساعة ومات ، وأحضره معه وشاهده الحاضرون ، وشاهده كاتب الكتاب ، فاذا هو شكل سوى له على كل كتف رأس بوجه مستدير ، والوجهان إلى ناحية واحدة فسبحان الخلاق العليم .

وبلغنا أنه فى هذا الشهر سقطت المنارة التى بنيت للمدرسة السلطانية بمصر ، وكانت مستجدة على صفة غريبة ، وذلك أنها منارتان على أصل واحد فوق قبو الباب الذى للمدرسة المذكورة ، فلما سقطت أهلكت خلقا كثيراً من الصناع بالمدرسة والمارة والصبيان الذين فى مكتب المدرسة ، ولم ينج من الصبيان فيما ذكر شىء سوى ستة ، وكان جملة من هلك بسببها نحو ثلثمائة نفس ، وقيل أكثر وقيل أقل ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وخرج نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر إلى الغيضة لاصلاحها وإزالة مافيها من الأشجار المؤذية والدغل يوم الاثنين التاسع والعشرين من الشهر ، وكان سلخه ، وخرج معه جميع الجيش من الأمراء وأصحابه ، وأجناد الحلقة برمتهم لم يتأخر منهم أحد ، وكلهم يعملون فيها بأنفسهم وغلمانهم ، وأحضر إليهم خلق من فلاحى المرج والغوطة وغير ذلك ، ورجع يوم السبت خامس الشهر الداخل وقد نظفوها من الغل والدغل والغش .

واتفقت كائنة غريبة لبعض السؤال ، وهو أنه اجتمع جماعة منهم قبل الفجر ليأخذوا خبزاً من صدقة تربة امرأة ملك الأمراء تنكز عند باب الخواصين ، فتضاربوا فيما بينهم فعمدوا إلى رجل منهم فخنقوه خنقا شديداً ، وأخذوا منه جرابا فيه نحو من أربعة آلاف درهم . وشىء من الذهب وذهبوا على حمية ، وأفاق هو من الغشى فلم يجدهم ، واشتكى أمره إلى متولى البلد فلم يظفر بهم إلى الآن ، وقد أخبرنى الذى أخذوا منه أنهم أخذوا منه ثلاثة آلاف درهم معاملة ، وألف درهم بندقية ودينارين وزنهما ثلاثة دنانير . كذا قال لى إن كان صادقا .

وفى صبيحة يوم السبت خامس جمادى الأولى طلب قاضى القضاة شرف الدين الحنفى للشيخ على بن البنا ، وقد كان يتكلم فى الجامع الأموى على العوام ، وهو جالس على الأرض شىء من الوعظيات وما أشبهها من صدره ، فكأنه تعرض فى غضون كلامه لأبى حنيفة رحمه الله ، فأحضر فاستتيب من ذلك ، ومنعه قاضى القضاة شرف الدين الكفرى من الكلام على الناس وسجنه ، وبلغنى أنه حكم باسلامه وأطلقه من يومه ، وهذا المذكور ابن البنا عنده زهادة وتعسف ، وهو مصرى يسمع الحديث ويقرؤه ، ويتكلم بشىء من الوعظيات والرقائق ، وضرب أمثال ، وقد مال إليه كثير من العوام واستحلوه ، وكلامه قريب إلى مفهومهم ، وربما أضحك فى كلامه ، وحاضرته وهو مطبوع قريب إلى الفهم ، ولكنه أشار فيما ذكر عنه فى شطحته إلى بعض الاشياء التى لا تنبغى أن تذكر ، والله الموفق ، ثم إنه جلس للناس فى يوم الثلاثاء ثامنه فتكلم على عادته فتطلبه القاضى المذكور فيقال إن المذكور تعنت انتهى والله أعلم .

﴿ سلطنة الملك المنصور صلاح الدين محمد ﴾

ابن الملك المظفر حاجى بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالحى وزوال دولة عمه الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون .

لما كثر طمعه وتزايد شرهه ، وساءت سيرته إلى رعيته ، وضيق عليهم فى معايشهم وأكسابهم ، وبنى البنايات الجبارة التى لا يحتاج إلى كثير منها ، واستحوذ على كثير من أملاك بيت المال وأمواله ، واشترى منه قرايا كثيرة ومدنا أيضا ورساتيق ، وشق ذلك على الناس جدا ، ولم يتجاسر أحد من القضاة ولا الولاة ولا العلماء ولا الصلحاء على الانكار عليه ، ولا الهجوم عليه ، ولا النصيحة له بما هو المصلحة له وللمسلمين ، انتقم الله منه فسلط عليه جنده وقلب قلوب رعيته من الخاصة والعامة عليه ، لما قطع من أرزاقهم ومعاليمهم وجوامكهم وأخبازهم ، وأضاف ذلك جميعه إلى خاصته ، فقلت الأمراء والاجناد والمقدمون والكتاب والموقعون ، ومس الناس الضرر وتعدى على جوامكهم وأولادهم ومن يلوذ بهم ، فعند ذلك قدر الله تعالى هلاكه على يد أحد خواصه وهو الأمير الكبير سيف الدين يلبغا الخاصكى . وذلك أنه أراد السلطان مسكه فاعتد لذلك ، وركب السلطان لمسكه فركب هو فى جيش ، وتلاقيا فى ظاهر القاهرة حيث كانوا نزولا فى الوطاقات ، فهزم السلطان بعد كل حساب ، وقد قتل من الفريقين طائفة ، ولجأ السلطان إلى قلعة الجبل ، كلا ولا وزر ، ولن ينجى حذر من قدر ، فبات الجيش بكماله محدقا بالقلعة ، فهم بالهرب فى الليل على هجن كان قد اعتدها ليهرب إلى الكرك ، فلما برز مسك واعتقل ودخل به إلى دار يلبغا الخاصكى المذكور ، وكان آخر العهد به ، وذلك فى يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى من هذه السنة ، وصارت الدولة والمشورة متناهية إلى الامير سيف الدين يلبغا الخاصكى ، فاتفقت الآراء واجتمعت الكلمة وانعقدت البيعة للملك المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجى ، وخطب الخطباء وضربت السكة ، وسارت البريدية للبيعة باسمه الشريف ، هذا وهو ابن ثنتى عشرة ، وقيل أربع عشرة ، ومن الناس من قال ست عشرة ، ورسم فى عود الأمور إلى ما كانت عليه فى أيام والده الناصر محمد بن قلاوون ، وأن يبطل جميع ما كان أخذه الملك الناصر حسن ، وأن تعاد المرتبات والجوامك التى كان قطعها ، وأمر باحضار طار وطاشتمر القاسمى من سجن اسكندرية إلى بين يديه ليكونا أتابكا ، وجاء الخبر إلى دمشق صحبة الأمير سيف الدين بزلار شاد الترجخاناة أحد أمراء الطبلخانات بمصر صبيحة يوم الأربعاء سادس عشر الشهر ، فضربت البشائر بالقلعة وطبلخانات الأمراء على أبوابهم ، وزين البلد بكماله ، وأخذت البيعة له صبيحة يومه بدار السعادة وخلع عن نائب السلطنة تشريف هائل ، وفرح أكثر الأمراء والجند والعامة ولله الأمر ، وله الحكم . قال تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء

وتذل من تشاء) الآية . ووجد على حجر بالحميرية فقرئت للمأمون فاذا مكتوب .

ما اختلاف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء فى الفلك
إلا لنقل النعيم من ملك * قد زال سلطانه إلى ملك
وملك ذى العرش دائم أبداً * ليس بفان ولا بمشترك

وروى عن سليمان بن عبد الملك بن مروان أنه خرج يوماً لصلاة الجمعة ، وكان سوى الخلق حسنه ، وقد لبس حلة خضراء ، وهو شاب ممتلىء شبابا ، وينظر فى أعطافه ولباسه ، فأعجبه ذلك من نفسه ، فلما بلغ إلى صرحة الدار تلقته جنية فى صورة جارية من حظاياه فأنشدته :

أنت نعم لو كنت تبقى * غير أن لا حياة للانسان
ليس فيما علمت فيك عيـ * ـب يذكر غير أنك فان

فصعد المنبر الذى فى جامع دمشق وخطب الناس ، وكان جهورى الصوت يسمع أهل الجامع وهو قائم على المنبر ، فضعف صوته قليلا قليلا حتى لم يسمعه أهل المقصورة ، فلما فرغ من الصلاة حمل إلى منزله فاستحضر تلك الجارية التى تبدت تلك الجنية على صورتها ، وقال : كيف أنشدتينى تينك البيتين ؟ فقالت : ما أنشدتك شيئا . فقال : الله أكبر نعيت والله إلى نفسى . فأوصى أن يكون الخليفة من بعده ابن عمه عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

وقدم نائب طرابلس المعزول عليلا والأمير سيف الدين استدمر الذى كان نائب دمشق وكانا مقيمان بطرابلس جميعاً ، فى صبيحة يوم السبت السادس والعشرين منه ، فدخلا دارالسعادة فلم يحتفل بهما نائب السلطنة .

وتكامل فى هذا الشهر تجديد الرواق غربى باب الناطفانيين إصلاحاً بدرابزيناته وتبييضا لجدرانه ومحراب فيه ، وجعل له شبابيك فى الدرابزينات ، ووقف فيه قراءة قرآن بعد المغرب ، وذكروا أن شخصا رأى مناماً فقصه على نائب السلطنة فأمر باصلاحه . وفيه نهض بناء المدرسة التى إلى جانب هذا المكان من الشباك ، وقد كان أسسها أولا علم الدين بن هلال ، فلما صودر أخذت منه وجعلت مضافة إلى السلطان ، فبنوا فوق الأساسات وجعلوا لها خمسة شبابيك من شرقها ، وبابا قبليا ، ومحرابا وبركة وعراقية ، وجعلوا حائطها بالحجارة البيض والسود ، وكملوا عاليها بالآجر ، وجاءت فى غاية الحسن ، وقد كان السلطان الناصر حسن قد رسم بأن تجعل مكتبا للأيتام فلم يتم أمرها حتى قتل كما ذكرنا .

واشتهر فى هذ الشهر أن بقرة كانت تجىء من ناحية باب الجابية تقصد جراء لكلبة قد ماتت أمهم ، وهى فى ناحية كنيسة مريم فى خرابة ، فتجىء إليهم فتنسطح على شقها فترضع أولئك الجراء

منها ، تكرر هذا منها مراراً ، وأخبرنى المحدث المفيد التقى نور الدين أحمد بن المقصوص بمشاهدته ذلك .

وفى العشر الأوسط من جمادى الآخرة نادى مناد من جهة نائب السلطنة حرسه الله تعالى فى البلد أن النساء يمشين فى تستر ويلبسن أزرهن إلى أسفل من سائر ثيابهن ، ولا يظهرن زينة ولا يداً ، فامتثلن ذلك ولله الحمد والمنة . وقدم أمير العرب جبار بن مهنا فى أبهة هائلة ، وتلقاه نائب السلطنة إلى أثناء الطريق ، وهو قاصد إلى الأبواب الشريفة . وفى أواخر رجب قدم الأمير سيف الدين تمر المهمندار من نيابة غزة حاجب الحجاب بدمشق ، وعلى مقدمة رأس الميمنة ، وأطلق نائب السلطنة مكوسات كثيرة ، مثل مكس الحداية والخزل المردون الحلب والطبابى ، وأبطل ما كان يؤخذ من المحتسبين زيادة على نصف درهم ، وما يؤخذ من أجرة عدة الموتى كل ميت بثلاثة ونصف ، وجعل العدة التى فى القيسارية للحاجة مسبلة لا تنحجر على أحد فى تغسيل ميت ، وهذا حسن جداً ، وكذلك منع التحجر فى بيع البلح المختص به ، وبيع مثل بقية الناس من غير طرحان فرخص على الناس فى هذه السنة جداً ، حتى قيل إنه بيع القنطار بعشرة ، وما حولها .

وفى شهر شعبان قدم الأمير جبار بن مهنا من الديار المصرية فنزل القصر الأبلق وتلقاه نائب السلطنة وأكرم كل منهما الآخر ، ثم ترحل بعد أيام قلائل ، وقدم الأمراء الذين كانوا بمحبس الاسكندرية فى صبيحة يوم الجمعة سابعه ، وفيهم الأمير شهاب الدين بن صبيح وسيف الدين طيدمر الحاجب ، وطيبرق ومقدم ألف ، وعمرشاه ، وهذا ونائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر أعزه الله يبطل المكوسات شيئاً بعد شىء مما فيه مضرة بالمسلمين ، وبلغنى عنه أن من عزمه أن يبطل جميع ذلك إن أمكنه الله من ذلك ، آمين انتهى .

﴿ تنبيه على واقعة غريبة واتفاق عجيب ﴾

نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر فيما بلغنا فى نفسه عتب على أتابك الديار المصرية الأمير سيف الدين يلبغا الخاصكى مدبر الدولة بها ، وقد توسم وتوهم منه أنه يسعى فى صرفه عن الشام ، وفى نفس نائبنا قوة وصرامة شديدة ، فتنسم منه ببعض الاباء عن طاعة يلبغا ، مع استمراره على طاعة السلطان ، وأنه إن اتفق عزل من قبل يلبغا أنه لا يسمع ولا يطيع ، فعمل أعمالا واتفق فى غضون هذا الحال موت نائب القلعة المنصورة بدمشق وهو الأمير سيف الدين برناق الناصرى فأرسل نائب السلطنة من أصحابه وحاشيته من يتسلم القلعة برمتها ، ودخل هو بنفسه إليها ، وطلب الأمير زين الدين زبالة الذى كان فقيها ثم نائبها وهو من أخبر الناس بها وبخطاتها وحواصلها ، فدار معه فيها وأراه حصونها وبروجها ومفاتحها وأغلاقها ودورها وقصورها وعددها وبركتها ، وماهو معد

فيها ولها ، وتعجب الناس من هذا الاتفاق فى هذا الحال ، حيث لم يتفق ذلك لأحد من النواب قبله قط ، وفتح الباب الذى هو تجاه دار السعادة وجعل نائب السلطنة يدخل منه إلى القلعة ويخرج بخدمه وحشمه وأبهته يكشف أمرها و ينظر فى مصالحها أيده الله .

ولما كان يوم السبت خامس عشر شعبان ركب فى الموكب على العادة واستدعى الأمير سيف الدين استدمر الذى كان نائب الشام ، وهو فى منزله كالمعتقل فيه ، لا يركب ولا يراه أحد ، فأحضره إليه وركب معه ، وكذلك الأمراء الذين قدموا من الديار المصرية : طيترق ، وهو أحد أمراء الألوف وطيدمر الحاجب ، كان ، وأما ابن صبيح وعمر شاه فانهما كانا قد سافرا يوم الجمعة عشية النهار، والمقصود أنه سيرهم وجميع الأمراء بسوق الخيل ، ونزل بهم كلهم إلى دار السعادة فتعاهدوا وتعاقدوا واتفقوا على أن يكونوا كلهم كتفاً واحداً ، وعصبة واحدة على مخالفة من أرادهم بسوء وأنهم يد على من سواهم ممن أراد عزل أحد منهم أو قتله ، وأن من قاتلهم قاتلوه ، وأن السلطان هو ابن أستاذهم الملك المنصور بن حاجى بن الناصر بن المنصور قلاوون ، فطاوعوا كلهم لنائب السلطنة على ما أراد من ذلك ، وحلفوا له وخرجوا من عنده على هذا الحلف ، وقام نائب السلطنة على عادته فى عظمة هائلة ، وأبهة كثيرة ، والمسئول من الله حسن العاقبة .

وفى صبيحة يوم الأحد سادس عشر شعبان أبطل ملك الأمراء المكس الذى يؤخذ من الملح وأبطل مكس الأفراح ، وأبطل أن لا تغنى امرأة لرجال ، ولا رجل لنساء ، وهذا فى غاية ما يكون من المصلحة العظيمة الشامل نفعها . وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره شرع نائب السلطنة سيف الدين بيدمر فى نصب مجانيق على أعالى بروج القلعة ، فنصبت أربع مجانيق من جهاتها الأربع، وبلغنى أنه نصب آخر فى أرضها عند البحرة ، ثم نصب آخر وآخر حتى شاهد الناس ستة مجانيق على ظهور الأبرجة ، وأخرج منها القلعية وأسكنها خلقا من الأكراد والتركمان وغيرهم من الرجال الأنجاد ، ونقل إليها من الغلات والأطعمة والأمتعة وآلات الحرب شيئاً كثيراً ، واستعد للحصار إن حوصر فيها بما يحتاج إليه من جميع ما يرصد من القلاع ، بما يفوت الحصر . ولما شاهد أهل البساتين المجانيق قد نصبت فى القلعة انزعجوا وانتقل أكثرهم من البساتين إلى البلد ، ومنهم من أودع عند أهل البلد نفائس أموالهم وأمتعتهم ، والعاقبة إلى خير إن شاء الله تعالى .

وجاءتنى فتيا صورتها : ما تقول السادة العلماء فى ملك اشترى غلاماً فأحسن إليه وأعطاه وقدمه، ثم إنه وثب على سيده فقتله وأخذ ماله ومنع ورثته منه، وتصرف فى المملكة ، وأرسل إلى بعض نواب البلاد ليقدم عليه ليقتله ، فهل له الامتناع منه ؟ وهل إذا قاتل دون نفسه وماله حتى يقتل يكون شهيداً أم لا ؟ وهل يثاب الساعى فى خلاص حق ورثة الملك المقتول من القصاص والمال ؟ أفتونا مأجورين.

فقلت للذى جاءنى بها من جهة الأمير : إن كان مراده خـلاص ذمته فيما بينه و بين الله تعالى فهو أعلم بنيته فى الذى يقصـده ، ولا يسعى فى تحصيل حق معين إذا ترتب على ذلك مفسدة راجحة على ذلك ، فيؤخر الطلب إلى وقت إمكانه بطريقه ، و إن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها فى جمع الدولة والأمراء عليه ، فلابد أن يكتب عليها كبار القضاة والمشايخ أولا ، ثم بعد ذلك بقية المفتيين بطريقه والله الموفق للصواب .

هذا وقد اجتمع على الأمير نائب السلطنة جميع أمراء الشام ، حتى قيل إن فيهم من نواب السلطنة سبعة عشر أميراً ، وكلهم يحضر معـه المواكب الهائلة ، و ينزلون معه إلى دار السعادة ، و يمد لهم الأسمطة و يأكل معهم ، وجاء الخـبر بأن الأمير منجك الطرجاقسى المقيم ببيت المقـدس قد أظهر الموافقة لنائب السلطنة ، فأرسل له جبريل ثم عاد فأخبر بالموافقة ، وأنه قد استحوذ على غزة ونائبه ، وقـد جمع وحشد واسـتخدم طوائف ، ومسك على الجادة فلا يدع أحداً يمر إلا أن يفتش ما معه ، لاحتمال إيصال كتب من هاهنا إلى هاهنا ، ومع هذا كله فالمعدلة ثابتة جداً ، والأمن حاصل هناك ، فلايخاف أحد ، وكذلك بدمشق وضواحيها ، لايهاج أحد ولايتعدى أحد على أحد ، ولاينهب أحد لأحد شيئا ولله الحمد ، غيرأن بعض أهل البساتين توهموا وركبوا إلى المدينـة وتحولوا ، وأودع بعضهم نفائس ما عنـدهم ، وأقاموا بها على وجل ، ذلك لمـا رأوا المجانيق الستة منصوبة على رؤس قلال الأبراج التى للقلعة ، ثم أحضر نائب السلطنة القضاة الأربعة والأمراء كلهم وكتبوا مكتوبا سطره بينهم كاتب السر ، أنهم راضون بالسلطان كارهون ليلبغا ، وأنهم لايريدونه ولا يوافقون على تصرفه فى المملكة ، وشهد عليهم القضاة بذلك ، وأرسلوا المكتوب مع مملوك للأمير طيبغا الطويل ، نظير يلبغا بالديار المصرية ، وأرسل منجك إلى نائب السلطنة يستحثه فى الحضور إليه فى الجيش ليناجزوا المصريين ، فعين نائب الشـام من الجيش طائفـة يبرزون بين يديه ، وخرجت التجريدة ليـلة السبت التاسع والعشرين من شـعبان صحبة استدمر الذى كان نائب الشام مدداً للأمير منجك فى ألفين ، و يذكر الناس أن نائب السلطنة بمن بقى من الجيش يذهبون على إثرهم ، ثم خرجت أخرى بعدها ثلاثة آلاف ، ليلة الثلاثاء الثامن من رمضان كما سيأتى .

وتوفى الشيخ الحافظ عـلاء الدين مغلطاى المصرى بها فى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شعبان من هذه السنة ، ودفن من الغد بالزيدانية ، وقد كتب الكثير وصنف وجمع ، وكانت عنده كتب كثيرة رحمه الله .

وفى مستهل رمضان أحضر جماعة من التجار إلى دار العدل ظاهر باب النصر ليباع شئ عليهم من القند والفولاذ والزجاج مما هو فى حواصل يلبغا ، فامتنعوا من ذلك خوفا من استعادته منهم على

تقدير، فضرب بعضهم، منهم شهاب الدين ابن الصواف بين يدى الحاجب، وشاد الدواوين، ثم أفرج عنهم فى اليوم الثانى ففرج الله بذلك .

وخرجت التجريدة ليلة الثلاثاء بعد العشاء صحبة ثلاثة مقدمين منهم عراق ثم ابن صبح ثم ابن طرغية، ودخل نائب طرابلس الأمير سيف الدين تومان إلى دمشق صبيحة يوم الأربعاء عاشر رمضان، فتلقاه ملك الأمراء سيف الدين بيدمر إلى الأقصر، ودخلا معا فى أبهة عظيمة، فنزل تومان فى القصر الأبلق، وبرز من معه من الجيوش إلى عند قبة يلبغا، هذا والقلعة منصوب عليها المجانيق، وقد ملئت حرساً شديدا، ونائب السلطنة فى غاية التحفظ . ولما أصبح يوم الخميس صمم تومان تمر على ملك الأمراء فى الرحيل إلى غزة ليتوافى هو وبقية من تقدمه من الجيش الشامى، ومنجك ومن معه هنالك، ليقضى الله أمراً كان مفعولا، فأجابه إلى ذلك وأمر بتقدم السبق بين يديه فى هذا اليوم، فخرج السبق وأغلقت القلعة بابها المسلوك الذى عند دار الحديث، فاستوحش الناس من ذلك، والله يحسن العاقبة

﴿ خروج ملك الأمراء بيدمر من دمشق متوجهاً إلى غزة ليلحق العساكر هناك ﴾

صلى الجمعة بالمقصورة الثانى عشر من رمضان نائب السلطنة، ونائب طرابلس، ثم اجتمعا بالخطابة فى مقصورة الخطابة، ثم راح لدار السعادة ثم خرج طلبه فى تجمل هائل على ما ذكر بعد العصر، وخرج معهم فاستعرضهم ثم عاد إلى دار السعادة فبات إلى أن صلى الصبح، ثم ركب خلف الجيش هو ونائب طرابلس، وخرج عامة من بقى من الجيش من الأمراء وبقية الحلقة، وسلمهم الله، وكذلك خرج القضاة، وكذا كاتب السر ووكيل بيت المال وغيرهم من كتاب الدست، وأصبح الناس يوم السبت وليس أحد من الجند بدمشق، سوى نائب الغيبة الأمير سيف الدين بن حمزة التركمانى، وقريبه والى البر، ومتولى البلد الأمير بدر الدين صدقة بن أوحد، ومحتسب البلد ونواب القضاة والقلعة على حالها، والمجانيق منصوبة كما هى . ولما كان صبح يوم الأحد رجع القضاة بكرة ثم رجع ملك الأمراء فى أثناء النهار هو وتومان تمر، وهم كلهم فى لبس وأسلحة تامة، وكل منهما خائف من الآخر أن يمسكه، فدخل هذا دار السعادة وراح الآخر إلى القصر الأبلق، ولما كان بعد العصر قدم منجك واستدمر كان نائب السلطنة بدمشق، وهما مغلولان قد كسرهما من كان قدم على منجك من العساكر التى جهزها بيدمر إلى منجك قوة له على المصريين، وكان ذلك على يدى الأمير سيف الدين تمر حاجب الحجاب، ويعرف بالمهمندار، قال لمنجك كلنا فى خدمة من بمصر، ونحن لا نطيعك على نصرة بيدمر، فتقاولا ثم تقاتلا فهزم منجك وذهب تمر ومنجك ومن كان معهما كابن صبح وطيدمر . ولما أصبح الصباح من يوم الاثنين خامس عشر لم يوجد لتومان تمر وطبترق

ولا أحد من أمراء دمشق عين ولا أثر ، قد ذهبوا كلهم إلى طاعة صاحب مصر ، ولم يبق بدمشق من أمرائها سوى ابن قراسنقر من الأمراء المتقدمين ، وسوى بيدمر ومنجك واستدمر ، والقلعة قد هيئت والمجانيق منصوبة على حالها ، والناس فى خوف شديد من دخول بيدمر إلى القلعة ، فيحصل بعد ذلك عند قدوم الجيش المصرى حصار وتعب ومشقة على الناس ، والله يحسن العاقبة .

ولما كان فى أثناء نهار الاثنين سادس عشره دقت البشائر فى القلعة وأظهر أن يلبغا الخاصكى قد نفاه السلطان إلى الشام، ثم ضربت وقت المغرب ثم بعد العشاء فى صبيحة يوم الثلاثاء أيضا ، و فى كل ذلك يركب الأمراء الثلاثة منجك و بيدمر وأستدمر ملبسين ، و يخرجون إلى خارج البلد ، ثم يعودون ، والناس فيما يقال ما بين مصدق ومكذب ، ولكن قد شرع إلى تستير القلعة وتهئ الحصار فانا لله و إنا إليه راجعون .

ثم تبين أن هذه البشائر لا حقيقة لها ، فاهتم فى عمل ستائر القلعة وحمل الزلط والأحجار إليها ، الأغنام والحواصل ، وقد وردت الأخبار بأن الركاب الشريف السلطانى وصحبته يلبغا فى جميع جيش مصر قد عدا غزة ، فعند ذلك خرج الصاحب وكاتب السر والقاضى الشافعى وناظر الجيش و نقباؤه ومتولى البلد وتوجهوا تلقاء حماة لتلقى الأمير على الذى قد جاءه تقليد دمشق ، و بقى البلد شاغرا عن حاكم فيها سوى المحتسب و بعض القضاة ، والناس كغنم لاراعى لهم ، ومع هذا الأحوال صالحة والأمور ساكنة ، لا يعدو أحد على أحد فيما بلغنا ، هذا و بيدمر ومنجك واستدمر فى تحصين القلعة وتحصيل العدد والأقوات فيها ، والله غالب على أمره (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) الستائر تعمل فوق الأبرجة ، وصلى الأمير بيدمر صلاة الجمعة تاسع عشر الشهر فى الشباك الكمالى ، فى مشهد عثمان ، وصلى عنده منجك إلى جانبه داخل موضع القضاة ، وليس هناك أحد من الحجبة ولا النقباء ، وليس فى البلد أحد من المباشرين بالكلية ، ولا من الجند إلا القليل ، وكلهم قد سافروا إلى ناحية السلطان ، والمباشرون إلى ناحية حماة لتلقى الأمير على نائب الشام المحروس ، ثم عاد إلى القلعة ولم يحضر الصلاة استدمر ، لأنه قيل كان منقطعا أو قد صلى فى القلعة .

و فى يوم السبت العشرين من الشهر وصل البريد من جهة السلطان من أبناء الرسول إلى نائب دمشق يستعلم طاعته أو مخالفته ، و بعث عليه فيما اعتمده من استحوذ على القلعة ويخطب فيها ، وادخار الآلات والاطعمات فيها ، وعدم المجانيق والستائر عليها ، وكيف تصرف فى الأموال السلطانية تصرف الملاك والملوك ، فتنصل ملك الأمراء من ذلك ، وذكر أنه إنما أرصد فى القلعة جنادتها وأنه لم يدخلها ، وأن أبوابها مفتوحة ، وهى قلعة السلطان ، و إنما له غريم بينه و بينه الشرع

والقضاة الأربعة - يعنى بذلك يلبغا - وكتب بالجواب وأرسله صحبة البريدى وهو كتكلدى مملوك بقطبه الدويدار ، وأرسل فى صحبته الأمير صارم الدين أحد أمراء العشرات من يوم ذلك .

وفى يوم الاثنين الثانى والعشرين من رمضان تصبح أبواب البلد مغلقة إلى قريب الظهر ، وليس ثم مفتوح سوى باب النصر والفرج ، والناس فى حصر شديد وانزعاج ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولكن قد اقترب وصول السلطان والعساكر المنصورة . وفى صبيحة الاربعاء أصبح الحال كما كان وأزيد ، ونزل الأمير سيف الدين يلبغا الخاصكى بقبة يلبغا ، وامتد طلبه من سيف داريا إلى القبة المذكورة فى أبهة عظيمة ، وهيئة حسنة ، وتأخر الركاب الشريف بتأخره عن الصميين بعد ، ودخل بيدمر فى هذا اليوم إلى القلعة وتحصن بها . وفى يوم الخميس الخامس والعشرين منه استمرت الأبواب كلها مغلقة سوى باب النصر والفرج ، وضاق النطاق وانحصر الناس جدا ، وقطع المصريون نهر بانياس والفرع الداخل إليها و إلى دار السعادة من القنوات ، واحتاجوا لذلك أن يقطعوا القنوات ليسدوا الفرع المذكور ، فانزعج أهل البلد لذلك وملؤا مافى بيوتهم من برك المدارس ، و بيعت القربة بدرهم ، والحق بنصف ، ثم أرسلت القنوات وقت العصر من يومئذ ولله الحمد والمنة ، فانشرح الناس لذلك ، وأصبح الصباح يوم الجمعة والأبواب مغلقة ولم يفتح باب النصر والفرج إلى بعد طلوع الشمس بزمان ، فأرسل يلبغا من جهته أربعة أمراء وهم الأمير زين الدين زبالة الذى كان نائب القلعة ، والملك صلاح الدين ابن الكامل ، والشيخ على الذى كان نائب الرحبة من جهة بيدمر ، وأمير آخر ، فدخلوا البلد وكسروا أقفال أبواب البلد ، وفتحوا الأبواب ، فلما رأى بيدمر ذلك أرسل مفاتيح البلد إليهم انتهى .

﴿ وصول السلطان الملك المنصور إلى المصطبة غربى عقبة سجورا ﴾

كان ذلك فى يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان فى جحافل عظيمة كالجبال ، فنزل عند المصطبة المنسوبة إلى عم ابنته الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، وجاءت الأمراء ونواب البلاد لتقبيل يده والأرض بين يديه ، كنائب حلب ، ونائب حماة ، وهو الأمير علاء الدين المارداني ، وقد عين لنيابة دمشق ، وكتب بتقليده بذلك ، وأرسل إليه وهو بحماة . فلما كان يوم السبت السابع والعشرين منه خلع على الامير علاء الدين على المارداني بنيابة دمشق ، وأعيد إليها عودا على بدء ، ثم هذه الكرة الثالثة ، وقبل يد السلطان وركب عن يمينه ، وخرج أهل البلد لتهنئته ، هذا والقلعة محصنة بيد بيدمر ، وقد دخلها ليلة الجمعة واحتمى بها ، هو ومنجك واستدمر ومن معه من الاعوان بها ، ولسان حال القدر يقول (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) ولما كان يوم الأحد طلب قضاة القضاة وأرسلوا إلى بيدمر وذويه بالقلعة ليصالحوه على شىء مميسور يشترطونه ، وكان ماستذكره انتهى والله تعالى أعلم .

﴿ سبب خروج بيدمر من القلعة وصفة ذلك ﴾

لما كان يوم الاحد الثامن والعشرين منه أرسل قضاة القضاة ومعهم الشيخ شرف الدين ابن قاضى الجبل الحنبلى ، والشيخ سراج الدين الهندى الحنفى ، قاضى المسكر المصرى للحنفية، إلى بيدمر ومن معه ليتكلموا معهم فى الصلح لينزلوا على مايشترطون قبل أن يشرعوا فى الحصار والمجانيق التى قد استدعى بها من صفد و بعلبك، وأحضر من رجال النقاعين نحو من ستة آلاف رام فلما اجتمع به القضاة ومن معهم وأخبروه عن السلطان وأعيان الأمراء بأنهم قد كتبوا له أمانا إن أناب إلى المصالحة ، فطلب أن يكون بأهله ببيت المقدس ، وطلب أن يعطى منجك كذا بناحية بلاد سيس ليسترزق هنالك،وطلب استدمر أن يكون بشمقداراً للأميرسيف الدين يلبغا الخاصكى .فرجع القضاة إلى السلطان ومعهم الأمير زين الدين جبريل الحاجب كان ، فأخبروا السلطان والامراء بذلك ، فأجيبوا إليه ، وخلع السلطان والامراء على جبريل خلعا ، فرجع فى خدمة القضاة ومعهم الامير استبغا بن الأبو بكرى ، فدخلوا القلعة و باتوا هنالك كلهم ، وانتقل الامير بيدمر بأهله وأثاثه إلى داره بالمطرزين ، فلما أصبح يوم الاثنين التاسع والعشرين منه خرج الامراء الثلاثة من القلعة ومعهم جبريل ، فدخل القضاة وسلموا القلعة بما فيها من الحواصل إلى الأمير استبغا بن الابو بكرى، انتهى . ﴿ دخول السلطان الملك المنصور محمد بن الملك المظفر أمير حاج بن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون ﴾

« إلى دمشق فى جيشه وجنوده وأمرائه وأبهته » .

لما كان صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة رجع القضاة إلى الوطاق الشريف ، وفى صحبتهم الأمراء الذين كانوا بالقلعة ، وقد أعطوا الأمان من جهة السلطان ومن معهم وذويهم ، فدخل القضاة وحجب الأمراء المذكورون ، فخلع على القضاة الأربعة وانصرفوا راجعين مجبورين ، وأما الأمراء المذكورون فانهم أركبوا على خيل ضعيفة ، وخلف كل واحد منهم وساقى أخذ بوسطه قبل ، وفى يد كل واحد من الوساقية خنجر كبير مسلول لئلا يستنقذه منه أحد فيقتله بها، فدخل جهرة بين الناس ليروهم ذلتهم التى قد لبستهم ، وقد أحدق الناس بالطريق من كل جانب ، فقام كثير من الناس ، الله أعلم بعدتهم ، إلا أنهم قد يقاربون المائة ألف أو يزيدون عليها ، فرأى الناس منظراً فظيعاً ، فدخل بهم الوساقية إلى الميدان الأخضر الذى فيه القصر ، فأجلسوا هنالك وهم ستة نفر : الثلاثة النواب وجبريل وابن استدمر ، وسادس ، وظن كل منهم أن يفعل بهم فاقرة ، فانا لله و إنا إليه راجعون،وأرسلت الجيوش داخلة إلى دمشق أطلابا فى تجمل عظيم ، ولبس الحرب بنهر النصر وخيول وأسلحة ورماح ، ثم دخل السلطان فى آخر ذلك كله بعد العصر بزمن ، وعليه

من أنواع الملابس قباز بخارى ، والقبة والطير يحملهما على رأسه الأمير سيف الدين تومان تمر ، الذى كان نائب طرابلس ، والأمراء مشاة بين يديه ، والبسط تحت قدمى فرسه ، والبشائر تضرب خلفه فدخل القلعة المنصورة المنصورية لا البدرية . ورأى ما قد أرصدها من المجانيق والأسلحة ،فاشتد حنقه على بيدمر وأصحابه كثيراً ، ونزل الطارمة ، وجلس على سرير المملكة ووقف الأمراء والنواب بين يديه ، ورجع الحق إلى نصابه ، وقد كان بين دخوله ودخول عمه الصالح صالح فى أول يوم من رمضان، وهذا فى التاسع والعشرين منه ، وقد قيل إنه سلخه والله أعلم . وشرع الناس فى الزينة.

وفى صبيحة يوم الثلاثاء سلخ الشهر نقل الأمراء المغضوب عليهم الذين ضل سعيهم فيما كانوا أبرموه من ضمير سوء المسلمين إلى القلعة فأنزلوا فى أبراجها مهانين مفرقا بينهم ، بعد ما كانوا بها آمنين حاكمين ، أصبحوا معتقلين مهانين خائفين ، فجاروا بعد ما كانوا رؤساء ، وأصبحوا بعد عزهم أذلاء ،ونقبت أصحاب هؤلاء ونودى عليهم فى البلد ،ووعد من دل على أحد منهم بمال جزيل ، وولاية إمرة بحسب ذلك ، ورسم فى هذا اليوم على الرئيس أمين الدين ابن القلانسى كاتب السر ، وطلب منه ألف ألف درهم ، وسلم إلى الأمير زين الدين زبالة نائب القلعة ، وقد أعيد إليها وأعطى تقدمة ابن قراسنقر ، وأمره أن يعاقبه إلى أن يزن هذا المبلغ ، وصلى السلطان وأمراؤه بالميدان الاخضر صلاة العيد ، ضرب له خام عظيم وصلى به خطيباً القاضى تاج الدين الساوى الشافعى ،قاضى العسكر المنصورة للشافعية ، ودخل الامراء مع السلطان للقلعة من باب المدرسة ، ومدلهم سماطاهائلا أكلوا منه ثم رجعوا إلى دورهم وقصورهم ، وحمل الطير فى هذا اليوم على رأس السلطان الامير على نائب دمشق ، وخلع عليه خلعة هائلة .

وفى هذا اليوم مسك الأمير تومان تمر الذى كان نائب طرابلس ، ثم قدم على بيدمر ،فكان معه ،ثم قفل إلى المصريين واعتذر إليهم فعذروه فيما يبدو للناس ، ودخل وهو حامل الخبز على رأس السلطان يوم الدخول ، ثم ولوه نيابة حمص ، فصغروه وحقروه ، ثم لما استمر ذاهبا إليها فكان عند القابون أرسلوا إليه فأمسكوه وردوه ، وطلب منه المائة ألف التى كان قبضها من بيدمر ، ثم ردوه إلى نيابة حمص .

وفى يوم الخميس اشتهر الخبر بأن طائفة من الجيش بمصر من طواشية وخاصكية ملكوا عليهم حسين الناصر ثم اختلفوا فيما بينهم واقتتلوا ، وأن الأمر قد انفصل ورد حسين المحل الذى كان معتقلا فيه ، وأطفأ الله شر هذه الطائفة ولله الحمد .

وفى آخر هذا اليوم لبس القاضى ناصر الدين بن يعقوب خلعة كتابة السر الشريفية ، والمدرستين ، ومشيخة الشيوخ عوضاً عن الرئيس علاء الدين بن القلانسى ، عزل وصودر ، وراح

الناس لتهنئته بالعود إلى وظيفته كما كان .

وفى صبيحة يوم الجمعة ثالث شوال مسك جماعة من الامراء الشاميين منهم الحاجبان صلاح الدين وحسام الدين والمهمندار ابن أخى الحاجب الكبير ، تمر ، وناصر الدين ابن الملك صلاح الدين ابن الكامل ، وابن حمزة والطرخانى واثنان أخوان وهما طيبغا زفر و بلجات ، كلهم طبلخانات ، وأخرجوا خير وتمر حاجب الحجاب ،وكذلك الحجوبية أيضا لقاربى أحد أمراء مصر .

وفى يوم الثلاثاء سابع شوال مسك ستة عشر أميراً من أمراء العرب بالقلعة المنصورة ، منهم عمر بن موسى بن مهنا الملقب بالمصمع ، الذى كان أمير العرب فى وقت ، ومعيقل بن فضل بن مهنا وآخرون ، وذكروا أن سبب ذلك أن طائفة من آل فضل عرضوا للامير سيف الدين الأحمدى الذى استاقوه على حلب ، وأخذوا منه شيئا من بعض الامتعة ، وكادت الحرب تقع بينهم . وفى ليلة الخميس بعد المغرب حمل تسعة عشر أميرا من الاتراك والعرب على البريد مقيدين فى الاغلال أيضا إلى الديار المصرية ، منهم بيدمر ومنجك واستدمر وجبريل وصلاح الدين الحاجب وحسام الدين أيضا وبلجك وغيرهم ، ومعهم نحو من مائتى فارس ملبسين بالسلاح متوكلين بحفظهم ، وساروا بهم نحو الديار المصرية ، وأمروا جماعة من البطالين منهم أولاد لاقوش ،وأطلق الرئيس أمين الدين بن القلانسى من المصادرة والترسيم بالقلعة ، بعد ما وزن بعض ما طلب منه ، وصار إلى منزله ، وهنأه الناس .

﴿ خروج السلطان من دمشق قاصداً مصر ﴾

ولما كان يوم الجمعة عاشر شهر شوال خرج طاب يلبغا الخاصكى صبيحته فى تجمل عظيم لم ير الناس فى هذه المدد مثله ، من نجائب وجنائب ومماليك وعظمة هائلة ، وكانت عامة الاطلاب قد تقدمت قبله بيوم ، وحضر السلطان إلى الجامع الأموى قبل أذان الظهر ، فصلى فى مشهد عثمان هو ومن معه من أمراء المصريين ، ونائب الشام ، وخرج من فوره من باب النصر ذاهبا نحو الكسوة والناس فى الطرقات والأسطحة على العادة ، وكانت الزينة قد بقى أكثرها فى الصاغة والخواصين وباب البريد إلى هذا اليوم ، فاستمرت نحو العشرة أيام .

وفى يوم السبت حادى عشر شوال خلع على الشيخ علاء الدين الأنصارى باعادة الحسبة إليه وعزل عماد الدين ابن السيرجى ، وخرج المحمل يوم الخميس سادس عشر شوال على العادة ، والامير مصطفى البيرى . وتوفى يوم الخميس ويوم الجمعة أربعة أمراء بدمشق ، وهم طشتمر وفر وطيبغا الفيل ، ونوروز أحد مقدمى الالوف ، وتمر المهمندار ، وقد كان مقدم ألف ، وحاجب الحجاب وعمل نيابة غزة فى وقت ، ثم تعصب عليه المصريون فعزلوه عن الامرة ، وكان مريضا فاستمر مريضا إلى أن توفى يوم الجمعة ، ودفن يوم السبت بتربته التى أنشأها بالصوفية ، لكنه لم يدفن فيها بل

على بابها كأنه مودع أو ندم على بنائها فوق قبور المسلمين رحمه الله .

وتوفى الأمـير ناصر الدين بن لاقوش يوم الاثنين العشرين من شوال ودفن بالقبيبات ، وقد ناب ببعلبك وبحمص ، ثم قطع خبره هو وأخوه كحلان ونفوا عن البلد إلى بلدان شتى ، ثم رضى عنهم الأمير يلبغا وأعاد عليهم أخبازا بطبلخانات ، فما لبث ناصر الدين الإيسيراً حتى توفى إلى رحمة الله تعالى ، وقد أثر آثاراً حسنة كثيرة منها عند عقبة الرمانة خان مليح نافع ، وله ببعلبك جامع وحمام وخان وغير ذلك ، وله من العمر ست وخمسون سنة .

وفى يوم الأحد السادس والعشرين منه درس القاضى نور الدين محمد بن قاضى القضاة بهاء الدين ابن أبى البقاء الشافعى بالمدرسة الاتابكية ، نزل له عنها والده بتوقيع سلطانى ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وأخـذ فى قوله تعالى (الحج أشهر معلومات) وفى هـذا اليوم درس القاضى نجم الدين أحمد بن عثمان النابلسى الشافعى المعروف بابن الجابى بالمدرسـة العصرونية استنزل له عنها القاضى أمين الدين بن القلانسى فى مصادراته . وفى صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من شوال درس القاضى ولى الدين عبد الله بن القاضى بهاء الدين أبى البقاء بالمدرستين الرواحية ثم القيمرية ، نزل له عنهما والده المذكور بتوقيع سلطانى ، وحضر عنده فيهما القضاة والأعيان .

وفى صبيحة يوم الخميس سلخ شوال شهر الشيخ أسد بن الشيخ الـكردى على جمل وطيف به فى حواضر البلد ونودى عليه : هذا جزاء من يخامر على السلطان ويفسد نواب السلطان ، ثم أنزل عن الجمل وحمل على حمار وطيف به فى البلد ونودى عليه بذلك ، ثم ألزم السجن وطلب منه مال جزيل وقد كان المذكور من أعوان بيدمر المتقدم ذكره وأنصاره ، وكان هو المتسلم للقلعة فى أيامه .

وفى صبيحة يوم الاثنين حادى عشر ذى القعدة خلع على قاضى القضاة بدر الدين بن أبى الفتح بقضاء العسكر الذى كان متوفرا عن عـلاء الدين بن شمرنوخ ، وهنأه الناس بذلك وركب البغـلة بالزنارى مضافا إلى ما بيده من نيابة الحكم والتدريس . وفى يوم الاثنين ثامن عشره أعيد تدريس الركنية بالصالحيـة إلى قاضى القضـاة شرف الدين الـكفرى الحنفى ، اسـترجعها بمرسوم شريف سلطانى ، من يد القاضى عماد الدين بن العز ، وخلع عـلى الـكفرى ، وذهب الناس إليه للتهنئة بالمدرسة المذكورة .

وفى شهر ذى الحجـة اشتهر وقوع فتن بين الفلاحين بناحية عجلون ، وأنهم اقتتلوا فقتـل من الفريقين اليمنى والقيسى طائفة ، وأن عين حيتا التى هى شرقى عجلون دمرت وخربت ، وقطع أشجارها ودمرت بالكلية . وفى صبيحة يوم السبت الثانى والعشرين من ذى الحجة لم تفتح أبواب دمشق إلى ما بعد طلوع الشمس ، فأنكر الناس ذلك ، وكان سببه الاحتياط على أمير يقال له كسبغا ، كان يريد

الهرب إلى بلاد الشرق ، فاحتيط عليه حتى أمسكوه .

وفى ليلة الأربعاء السادس والعشرين من ذى الحجة قدم الأمير سيف الدين طاز من القدس فنزل بالقصر الأبلق ، وقد عمى من الكحل حين كان مسجونا بالاسكندرية ، فأطلق كما ذكرنا ، ونزل ببيت المقدس مدة ، ثم جاءه تقليد بأنه يكون طرخانا ينزل حيث شاء من بلاد السلطان ، غير أنه لا يدخل ديار مصر ، فجاء فنزل بالقصر الأبلق ، وجاء الناس إليه على طبقاتهم ـ نائب السلطنة فمن دونه ـ يسلمون عليه وهو لا يبصر شيئا ، وهو على عزم أن يشترى أو يستكرى له داراً بدمشق يسكنها . انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما والاهما من الممالك الاسلامية السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المظفر أمير حاج بن الملك المنصور قلاوون ، وهو شاب دون العشرين ، ومدبر الممالك بين يديه الأمير يلبغا ، ونائب الديار المصرية طشتمر ، وقضاتها هم المذكورون فى التى قبلها ، والوزير سيف الدين قزوينة ، وهو مريض مدنف ونائب الشام بدمشق الأمير علاء الدين المارداني ، وقضاته هم المذكورون فى التى قبلها ، وكذلك الخطيب ووكيل بيت المال والمحتسب علاء الدين الأنصارى ، عاد إليها فى السنة المنفصلة ، وحاجب الحجاب قمارى ، والذى يليه السلمانى وآخر من مصر أيضا ، وكاتب السر القاضى ناصر الدين محمد بن يعقوب الحلبى ، وناظر الجامع القاضى تقى الدين بن مراجل ، وأخبرنى قاضى القضاة تاج الدين الشافعى أنه جدد فى أول هذه السنة قاضى حنفى بمدينة صفد المحروسة مع الشافعى ، فصار فى كل من حماة وطرابلس وصفد قاضيان شافعى وحنفى .

وفى ثانى المحرم قدم نائب السلطنة بعد غيبة نحو من خمسة عشر يوما ، وقد أوطأ بلاد فرير بالرعب ، وأخذ من مقدميهم طائفة فأودعهم الحبس ، وكان قد اشتهر أنه قصد العشيرات المواسين ببلاد عجلون ، فسألته عن ذلك حين سلمت عليه فأخبرنى أنه لم يتعد ناحية فرير ، وأن العشيرات قد اصطلحوا واتفقوا ، وأن التجريدة عندهم هناك . قال : وقد كبس الأعراب من حرم الترك فهزمهم الترك وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، ثم ظهر للعرب كمين فالجأ الترك إلى وادى صرح فحصروهم هنالك ، ثم ولت الأعراب فراراً ولم يقتل من الترك أحد ، وإنما جرح منهم أمير واحد فقط ، وقتل من الأعراب فوق الخمسين نفسا .

وقدم الحجاج يوم الأحد الثانى والعشرين من المحرم ، ودخل المحمل السلطانى ليلة الاثنين بعد العشاء ، ولم يحتفل لدخوله كما جرت به العادة ، وذلك لشدة ما نال الركب فى الرجعة من بريز إلى هنا

من البرد الشديد ، بحيث إنه قد قيل إنه مات منهم بسبب ذلك نحو المائة ، فانا لله و إنا إليه راجعون ، ولكن أخبروا برخص كثير وأمن ، و بموت نفسة أخى عجلان صاحب مكة ، وقد استبشر بموته أهل تلك البلاد لبغيه على أخيه عجلان العادل فيهم انتهى والله أعلم .

﴿ منام غريب جدا ﴾

ورأيت ـ يعنى المصنف ـ فى ليلة الاثنين الثانى والعشرين من المحرم سنة ثلاث وستين وسبعمائة الشيخ محى الدين النواوى رحمه الله فقلت له : يا سيدى الشيخ لم لا أدخلت فى شرحك المهذب شيئا من مصنفات ابن حزم ؟ فقال ما معناه : إنه لا يحبه ، فقلت له : أنت معذور فيه فانه جمع بين طرفى النقيضين فى أصوله وفروعه ، أما هو فى الفروع فظاهرى جامد يابس ، وفى الأصول تول مائع قرمطة القرامطة وهرس الهرائسة ، ورفعت بها صوتى حتى سمعت وأنا نائم ، ثم أشرت له إلى أرض خضراء تشبه النخيل بل هى أردأ شكلا منه ، لا ينتفع بها فى استغلال ولا رعى ، فقلت له : هذه أرض ابن حزم التى زرعها [قال:] أنظر هل ترى فيها شجرا مثمرا أوشيئا ينتفع به ، فقلت إنما تصلح للجلوس عليها فى ضوء القمر . فهذا حاصل ما رأيته ، ووقع فى خلدى أن ابن حزم كان حاضرنا عند ما أشرت للشيخ محيى الدين إلى الأرض المنسوبة لابن حزم ، وهو ساكت لا يتكلم .

وفى يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر خلع على القاضى عماد الدين بن الشيرجى بعود الحسبة إليه بسبب ضعف علاء الدين الأنصارى عن القيام بها لشغله بالمرض المدنف ، وهنأه الناس على العادة . وفى يوم السبت السادس والعشرين من صفر توفى الشيخ علاء الدين الأنصارى المذكور بالمدرسة الأمينية ، وصلى عليه الظهر بالجامع الأموى ، ودفن بمقابر باب الصغير خلف محراب جامع جراح ، فى تربة هنالك ، وقد جاوز الأربعين سنة ، ودرس فى الأمينية وفى الحسبة مرتين وترك أولادا صغارا وأموالا جزيلة سامحه الله ورحمه ، وولى المدرسة بعده قاضى القضاة تاج الدين بن السبكى بمرسوم كريم شريف .

وفى العشر الأخير من صفر بلغنا وفاة قاضى قضاة المالكية الاخنائى بمصر وتولية أخيه برهان الدين ابن قاضى القضاة علم الدين الاخنائى الشافعى أبوه قاضيا مكان أخيه ، وقد كان على الحسبة بمصر مشكور السيرة فيها ، وأضيف إليه نظر الخزانة كما كان أخوه . وفى صبيحة يوم الأحد رابع شهر ربيع الأول كان ابتداء حضور قاضى القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ابن قاضى القضاة تقى الدين بن الحسن بن عبد الكافى السبكى الشافعى تدريس الأمينية عوضا عن الشيخ علاء الدين المحتسب ، بحكم وفاته رحمه الله كما ذكرنا ، وحضر عنده خلق من العلماء والأمراء والفقهاء والعامة ، وكان درسا حافلا ، أخذ فى قوله تعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)

الآية وما بعدها ، فاستنبط أشياء حسنة ، وذكر ضربا من العلوم بعبارة طلقة جارية معسولة ، أخذ ذلك من غير تلعثم ولا تلجلج ولا تكلف فأجاد وأفاد ، وشكره الخاصة والعامة من الحاضرين وغيرهم حتى قال بعض الأكابر : إنه لم يسمع درسا مثله .

وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين منه توفى الصدر برهان الدين بن لؤلؤ الحوضى ، فى داره بالقصاعين ولم يمرض إلا يوما واحدا ، وصلى عليه من الغد بجامع دمشق بعد صلاة الظهر ، وخرجوا به من باب النصر،فخرج نائب السلطنة الأمير على فصلى عليه إماما خارج باب النصر ، ثم ذهبوا به فدفنوه بمقابرهم بباب الصغير ، فدفن عند أبيه رحمه الله، وكان رحمه الله فيه مروءة وقيام مع الناس ، وله وجاهة عند الدولة وقبول عند نواب السلطنة وغيرهم ، ويحب العلماء وأهل الخير ، ويواظب على سماع مواعيد الحديث والخير ، وكان له مال وثروة ومعروف ، قارب الثمانين رحمه الله .

وجاء البريد من الديار المصرية فأخبر بموت الشيخ شمس الدين محمد بن النقاش المصرى بها ، وكان واعظا باهراً ، وفصيحا ماهراً ، ونحويا شاعراً ، له يد طولى فى فنون متعددة ، وقدرة على نسج الكلام ، ودخول على الدولة وتحصيل الأموال ، وهو من أبناء الأربعين رحمه الله .

وأخبر البريد بولاية قاضى القضاة شرف الدين المالكى البغدادى ، الذى كان قاضيا بالشام للمالكية ، ثم عزل بنظر الخزانة بمصر ، فانه رتب له معلوم وافر يكفيه ويفضل عنه ، ففرح بذلك من يحبه .

وفى يوم الأحد السابع عشر من ربيع الآخر توفى الرئيس أمين الدين محمد بن الصدر جمال الدين أحمد بن الرئيس شرف الدين محمد بن القلانسى ، أحد من بقى من رؤساء البلد وكبرائها ، وقد كان باشر مباشرات كبار كأبيه وعمه علاء الدين ، ولكن فاق هذا على أسلافه فانه باشر وكالة المال مدة ، وولى قضاء العساكر أيضا ، ثم ولى كتابة السر مع مشيخة الشيوخ وتدريس الناصرية والشامية الجوانية ، وكان قد درس فى العصرونية من قبل سنة ست وثلاثين ، ثم لما قدم السلطان فى السنة الماضية عزل عن مناصبه الكبار ، وصودر بمبلغ كثير يقارب مائتى ألف ، فباع كثيراً من أملاكه وما بقى بيده من وظائفه شىء ، وبقى خاملا مدة إلى يومه هذا ، فتوفى بغتة ، وكان قد تشوش قليلا لم يشعر به أحد ، وصلى عليه العصر بجامع دمشق ، وخرجوا به من باب الناطفانيين إلى تربتهم التى بسفح قاسيون رحمه الله .

وفى صبيحة يوم الاثنين ثامن عشره ، خلع على القاضى جمال الدين بن قاضى القضاة شرف الدين الكفرى الحنفى ، وجعل مع أبيه شريكا فى القضاء ولقب فى التوقيع الوارد صحبة البريد من جهة السلطان « قاضى القضاة » فلبس الخلعة بدار السعادة وجاء ومعه قاضى القضاة تاج الدين السبكى

إلى النورية فقعد فى المسجد ووضعت الربعة فقرئت وقرىء القرآن ولم يكن درساً ، وجاءت الناس للتهنئة بما حصل من الولاية له مع أبيه .

وفى صبيحة يوم الثلاثاء توفى الشيخ الصالح العابد الناسك الجامع فتح الدين بن الشيخ زين الدين الفارقى ، إمام دار الحديث الأشرفية ، وخازن الأثر بها ، ومؤذن فى الجامع ، وقد أتت عليه تسعون سنة فى خير وصيانة وتلاوة وصلاة كثيرة وانجماع عن الناس ، صلى عليه صبيحة يومئذ ، وخرج به من باب النصر إلى نحو الصالحية رحمه الله .

وفى صبيحة يوم الاثنين عاشر جمادى الأولى ورد البريد وهو قرابغاد وادار نائب الشام الصغير ومعه تقليد بقضاء قضاة الحنفية للشيخ جمال الدين يوسف بن قاضى القضاة شرف الدين الكفرى ، بمقتضى نزول أبيه له عن ذلك ، ولبس الخلعة بدار السعادة وأجلس تحت المالكى ، ثم جاؤا إلى المقصورة من الجامع وقرىء تقليده هنالك ، قرأه شمس الدين بن السبكى نائب الحسبة ، واستناب اثنين من أصحابهم وهما شمس الدين بن منصور ، وبدر الدين بن الخراش ، ثم جاء معه إلى النورية فدرس بها ولم يحضره والده بشيء من ذلك انتهى والله أعلم .

﴿ موت الخليفة المعتضد بالله ﴾

كان ذلك فى العشر الأوسط من جمادى الأولى بالقاهرة ، وصلى عليه يوم الخميس ، أخبرنى بذلك قاضى القضاة تاج الدين الشافعى ، عن كتاب أخيه الشيخ بهاء الدين رحمهما الله .

﴿ خلافة المتوكل على الله ﴾

ثم بويع بعده ولده المتوكل على الله على أبو عبد الله محمد بن المعتضد أبى بكر أبى الفتح بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد رحم الله أسلافه .

وفى جمادى الأولى توجه الرسول من الديار المصرية ومعه صناجق خليفية وسلطانية وتقاليد وخلع وتحف لصاحبى الموصل وسنجار من جهة صاحب مصر ليخطب له فيهما ، وولى قاضى القضاة تاج الدين الشافعى السبكى الحاكم بدمشق لقاضيهما من جهته تقليدين ، حسب ما أخبرنى بذلك ، وأرسلا مع ماأرسل به السلطان إلى البلدين ، وهذا أمر غريب لم يقع مثله فيما تقدم فيما أعلم والله أعلم .

وفى جمادى الآخرة خرج نائب السلطنة إلى مرج الفسولة ومعه حجبته ونقباء النقباء ، وكاتب السر وذووه ، ومن عزمهم الاقامة مدة ، فقدم من الديار المصرية أمير على البريد فأسرعوا الأوبة فدخلوا فى صبيحة الأحد الحادى والعشرين منه ، وأصبح نائب السلطنة فحضر الموكب على العادة ، وخلع على الأمير سيف الدين يلبغا الصالحى ، وجاء النص من الديار المصرية بخلعة دوادار عوضاً عن سيف الدين كحلان ، وخلع فى هذا اليوم على الصدر شمس الدين بن مرقى بتوقيع الدست ، وجهات

أخر ، قدم بها من الديار المصرية ، فانتشر الخبر فى هذا اليوم باجلاس قاضى القضاة شمس الدين الكفرى الحنفى ، فوق قاضى القضاة المالكية ، لكن لم يحضر فى هذا اليوم ، وذلك بعد ما قد أمر باجلاس المالكى فوقه .

وفى ثانى رجب توفى القاضى الامام العالم شمس الدين بن مفلح المقدسى الحنبلى ، نائب مشيخة قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن محمد المقدسى الحنبلى ، و زوج ابنته ، وله منها سبعة أولاد ذكور و إناث ، وكان بارعاً فاضلا متفنناً فى علوم كثيرة ، ولا سيما علم الفروع ، كان غاية فى نقل مذهب الامام أحمد ، وجمع مصنفات كثيرة منها كتاب المقنع نحواً من ثلاثين مجلداً كما أخبرنى بذلك عنه قاضى القضاة جمال الدين ، وعلق على محفوظة أحكام الشيخ مجد الدين بن تيمية مجلدين ، وله غير ذلك من الفوائد والتعليقات رحمه الله ، توفى عن نحو خمسين سنة ، وصلى عليه بعد الظهر من يوم الخميس ثانى الشهر بالجامع المظفرى ، ودفن بمقبرة الشيخ الموفق ، وكانت له جنازة حافلة حضرها القضاة كلهم ، وخلق من الأعيان رحمه الله وأكرم مثواه .

وفى صبيحة يوم السبت رابع رجب ضرب نائب السلطنة جماعة من أهل قبر عاتكة أساؤا الأدب على النائب ومماليكه ، بسبب جامع للخطبة جدد بناحيتهم ، فأراد بعض الفقراء أن يأخذ ذلك الجامع ويجعله زاوية للرقاصين ، فحكم القاضى الحنبلى بجعله جامعاً قد نصب فيه منبر ، وقدقدم شيخ الفقراء على يديه مرسوم شريف بتسليمه إليه،فأنفت أنفس أهل تلك الناحية من عوده زاوية بعد ما كان جامعا ، وأعظموا ذلك ، فتكلم بعضهم بكلام سيء ،فاستحضر نائب السلطنة طائفة منهم وضربهم بالمقارع بين يديه ، ونودى عليهم فى البلد ، فأراد بعض العامة إنكاراً لذلك ، وحدد ميعاد حديث يقرأ بعد المغرب تحت قبة النسر على الكرسى الذى يقرأ عليه المصحف ، رتبه أحد أولاد القاضى عماد الدين بن الشيرازى ، وحدث فيه الشيخ عمادالدين بن السراج ، واجتمع عنده خلق كثير وجم غفير ، وقرأ فى السيرة النبوية من خطى ، وذلك فى العشر الأول من هذا الشهر .

﴿ أعجوبة من العجائب ﴾

وحضر شاب عجمى من بلاد تبريز وخراسان يزعم أنه يحفظ البخارى ومسلما وجامع المسانيد والكشاف للزمخشرى وغير ذلك من محاضيرها ، فى فنون أخر ، فلما كان يوم الأربعاء سلخ شهر رجب قرأ فى الجامع الأموى بالحائط الشمالى منه ، عند باب الكلاسة من أول صحيح البخارى إلى أثناء كتاب العلم منه ، من حفظه وأنا أقابل عليه من نسخة بيدى ، فأدى جيداً ، غير أنه يصحف بعضا من الكلمات لعجم فيه ، وربما لحن أيضا فى بعض الأحيان ، واجتمع خلق كثير من العامة والخاصة وجماعة من المحدثين ، فأعجب ذلك جماعة كثيرين ، وقال آخرون منهم إن سرد بقية

الكتاب على هذا المنوال لعظيم جداً ، فاجتمعنا فى اليوم الثانى وهو مستهل شعبان فى المكان المذكور ، وحضر قاضى القضاة الشافعى وجماعة من الفضلاء ، واجتمع العامة محدقين فقرأ على العادة غير أنه لم يطول كأول يوم ، وسقط عليه بعض الأحاديث ، وصحف ولحن فى بعض الألفاظ ، ثم جاء القاضيان الحنفى والمالكى فقرأ بحضرتهما أيضا بعض الشىء ، هذا والعامة محتفون به متعجبون من أمره ، ومنهم من يتقرب بتقبيل يديه ، وفرح بكتابتى له بالسماع على الاجازة ، وقال : أنا ما خرجت من بلادى إلا إلى القصد إليك ، وأن تجيزنى ، وذكرك فى بلادنا مشهور ، ثم رجع إلى مصر ليلة الجمعة وقد كارمه القضاة والأعيان بشىء من الدراهم يقارب الألف .

﴿ عزل الأمير على عن نيابة دمشق المحروسة ﴾

فى يوم الأحد حادى عشر شعبان ورد البريد من الديار المصرية وعلى يديه مرسوم شريف بعزل الأمير على عن نيابة دمشق ، فأحضر الأمراء إلى دار السعادة وقرىء المرسوم الشريف عليهم بحضوره ، وخلع عليه خلعة وردت مع البريد ، ورسم له بقرية دومة وأخرى فى بلاد طرابلس على سبيل الراتب ، وأن يكون فى أى البلاد شاء من دمشق أو القدس أو الحجاز ، فانتقل من يومه من دار السعادة وبباقى أصحابه ومماليكه ، واستقر نزوله فى دار الخليلى بالقصاعين التى جددها وزاد فيها دويداره يلبغا ، وهى دار هائلة ، وراح الناس للتأسف عليه والحزن له انتهى .

﴿ سفر قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكى الشافعى ﴾
﴿ مطلوبا إلى الديار المصرية معزولا عن قضاء دمشق ﴾

ورد البريد بطلبه من آخر نهار الأحد بعد العصر الحادى عشر من شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، فأرسل إليه حاجب الحجاب قمارى وهو نائب الغيبة أن يسافر من يومه ، فاستنظرهم إلى الغد فأمهل ، وقد ورد الخبر بولاية أخيه الشيخ بهاء الدين بن السبكى بقضاء الشام عوضا عن أخيه تاج الدين ، وأرسل يستنيب ابن أختهما قاضى القضاة تاج الدين فى التأهب والسير ، وجاء الناس إليه ليودعوه ويستوحشون له ، وركب من بستانه بعد العصر يوم الاثنين ثانى عشر شعبان ، متوجها على البريد إلى الديار المصرية ، وبين يديه قضاة القضاة والأعيان ، حتى قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء السبكى ، حتى ردهم قريبا من الجسورة ومنهم من جاوزها والله المسؤل فى حسن الخاتمة فى الدنيا والآخرة ، انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

﴿ أعجوبة أخرى غريبة ﴾

لما كان يوم الثلاثاء العشرين من شعبان دعيت إلى بستان الشيخ العلامة كمال الدين بن الشريشى شيخ الشافعية وحضر جماعة من الأعيان منهم الشيخ العلامة شمس الدين بن الموصلى

الشافعى ، و الشيخ الأمام العلامة صلاح الدين الصفدى ، وكيل بيت المال ، والشيخ الامام العلامة شمس الدين الموصلى الشافعى ، والشيخ الامام العلامة مجدالدين محمد بن يعقوب الشيرازى من ذرية الشيخ أبى إسحق الفيرو زابادى ، من أئمة اللغويين ، والخطيب الامام العلامة صدر الدين بن العز الحنفى أحد البلغاء الفضلاء ، والشيخ الامام العلامة نو ر الدين على بن الصارم أحد القراء المحدثين البلغاء ، وأحضروا نيفا وأربعين مجلداً من كتاب المنتهى فى اللغة للتميمى البرمكى ، وقف الناصرية وحضر ولد الشيخ كمال الدين بن الشريشى ، وهو العلامة بدر الدين محمد ، واجتمعنا كلنا عليه ، وأخذ كل منا مجلداً بيده من تلك المجلدات ، ثم أخذنا نسأله عن بيوت الشعر المستشهد عليها بها ، فينشر كلا منها و يتكلم عليه بكلام مبين مفيد ، فجزم الحاضرون والسامعون أنه يحفظ جميع شواهد اللغة ولايشذعنه منها إلا القليل الشاذ ، وهذا من أعجب العجائب ، وأبلغ الاعراب .

﴿ دخول نائب السلطنة سيف الدين تشتمر ﴾

وذلك فى أوائل رمضان يوم السبت ضحى والحجبة بين يديه والجيش بكماله ، فتقدم إلى سوق الخيل فأركب فيه ثم جاء ونزل عند باب السر ، وقبل العتبة ثم مشى إلى دار السعادة والناس بين يديه ، وكان أول شئ حكم فيه أن أمر بصلب الذى كان قتل بالأمس والى الصالحية ، وهوذاهب إلى صلاة الجمعة ، ثم هرب فتبعه الناس فقتل منهم آخر وجرح آخرين ثم تكاثروا عليه فمسك ، ولما صلب طافوا به على جمل إلى الصالحية فمات هناك بعد أيام ، وقاسى أمراً شديداً من العقوبات ، وقد ظهر بعد ذلك على أنه قتل خلقاً كثيراً من الناس قبحه الله .

﴿ قدوم قاضى القضاة بهاء الدين أحمد بن قاضى القضاة تقى الدين عوضاً عن أخيه قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ﴾

قدم يوم الثلاثاء قبل العصر فبدأ بملك الأمراء فسلم عليه ، ثم مشى إلى دار الحديث فصلى هناك ثم مشى إلى المدرسة الركنية فنزل بها عند ابن أخيه قاضى القضاة بدر الدين بن أبى الفتح ، قاضى العساكر ، وذهب الناس للسلام عليه وهو يكره من يلقبه بقاضى القضاة ، وعليه تواضع وتقشف ، و يظهر عليه تأسف على مفارقة بلده و وطنه و ولده وأهله ، والله المسئول المأمول أن يحسن العاقبة .

وخرج المحمل السلطانى يوم الخميس ثامن عشر شوال ، وأميرالحاج الملك صلاح الدين بن الملك الكامل بن السعيد العادل الكبير ، و قاضيه الشيخ بهاء الدين بن سبع مدرس الأمينية ببعلبك وفى هذا الشهر وقع الحكم بما يخص المجاهدين من وقف المدرسة التقوية إليهم ، وأذن القضاة الأربعة إليهم بحضرة ملك الأمراء فى ذلك .

وفى ليلة الأحد ثالث شهر ذى القعدة توفى القاضى ناصر الدين محمد بن يعقوب كاتب السر ،

وشيخ الشيوخ ومدرس الناصرية الجوانيـة والشامية الجوانية بدمشق ، ومدرس الأسدية بحلب ، وقد باشر كتابة السر بحلب أيضاً ، وقضاء العساكر وأفتى بزمان ولاية الشيخ كال الدين الزملكانى قضاء حلب ، أذن له هنالك فى حدود سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، ومولده سنة سبع وسبعمائة ، وقد قرأ التنبيه ومختصر ابن الحاجب فى الأصول ، وفى العربية ، وكان عنده نباهة وممارسة للعلم ، وفيه جودة طباع وإحسان بحسب ما يقدر عليه ، وليس يتوسم منه سوء ، وفيه ديانة وعفة ، حلف لى فى وقت بالأيمان المغلظة أنه لم يمكن قط منه فاحشة اللواط ولا خطر له ذلك ، ولم يزن ولم يشرب مسكراً ولا أكل حشيشة ، فرحمه الله وأكرم مثواه ، صلى عليه بعدالظهر يومئذ وخرج بالجنازة من باب النصر فخرج نائب السلطنة من دار السعادة فحضر الصلاة عليه هنالك ، ودفن بمقبرة لهم بالصوفية وتأسفوا عليه وترحموا ، وتزاحم جماعة من الفقهاء بطلب مدارسه انتهى .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الاسلام بالديار المصرية والشامية والحجازية وما يتبعهما من الاقاليم والرساتيق الملك المنصور صلاح الدين محمـد بن الملك المنصور المظفرى حاجى بن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ومدبر الممالك بين يديه ، وأتابك العساكر سيف الدين يلبغا ، وقضاة مصر هم المذكورون فى التى قبلهـا ، غير أن ابن جماعة قاضى الشـافعيـة وموفق الدين قاضى الحنابلة فى الحجاز الشريف ، ونائب دمشق الأمـير سيف الدين قشتمر المنصورى ، وقاضى قضاة الشافعية الشيخ بهاء الدين ابن قاضى القضاة تقى الدين السـبكى ، وأخوه قاضى القضاة تاج الدين مقيم بمصر ، وقاضى قضاة الحنفيـة الشيخ جمال الدين ابن قاضى القضـاة شرف الدين الـكفرى ، آثره والده بالمنصب وأقام على تدريس الركنيـة يتعبـد ويتلو ويجمع عـلى العبادة ، وقاضى قضاة المالـكية جمال الدين المسلاتى ، وقاضى قضاة الحنابلة الشيـخ جمـال الدين المرداوى محمود بن جملة ، ومحتسب البلد الشيـخ عماد الدين بن الشيرجى ، وكاتب السر جمال الدين عبد الله بن الأثير ، قدم من الديار المصرية عوضاً عن ناصر الدين بن يعقوب ، وكان قدومه يوم سلخ السـنة الماضية ، وناظر الدواوين بدر الدين حسن بن النابلسى ، وناظر الخزانة القاضى تقى الدين بن مراجل . ودخل المحمل السلطانى يوم الجمعة الثانى والعشرين من المحرم بعد العصر خوفا من المطر ، وكان وقع مطر شديد قبل أيام ، فتاف منه غلات كثيرة بحوران وغيرها ، ومشاطيخ وغير ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفى ليلة الأربعاء السابع والعشرين منه بعـد عشاء الآخرة قبل دقة القلعة دخـل فارس من ناحية باب الفرج إلى ناحية باب القلعة الجوانية ، ومن ناحية الباب المذكور سلسلة ، ومن ناحية باب النصر أخرى جـددتا لئلا يمر راكب على باب القلعة المنصورة ، فساق هذا الفارس المذكور عـلى

السلسلة الواحدة فقطعها ، ثم مر علـى الأخرى فقطعها وخرج من باب النصر ولم يعرف لأنه ملثم . وفى حادى عشر صفر وقبله بيوم قدم البريد من الديار المصرية بطلب الأمير سيف الدين زبالة أحد أمراء الألوف إلى الديار المصرية مكرما ، وقد كان عزل عن نيابة القلعة بسبب ماتقدم، وجاء البريد أيضاً ومعـه التواقيع التى كانت بأيدى ناس كثير ، زيادات على الجامع ، ردت إليهم وأقروا عـلى ما بأيديهم من ذلك ، وكان ناظر الجامع الصـاحب تقى الدين بن مراجـل قدسعى برفع مازيد بعد التذكرة التى كانت فى أيام صرغتمش ، فلم يف ذلك ، وتوجه الشيخ بهاء الدين بن السبكى قاضى قضاة الشام الشافعى من دمشق إلى الديار المصرية يوم الأحد سادس عشر صفر من هـذه السـنة ، وخرج القضاة والأعيان لتوديعه ، وقد كان أخبرنا عند توديعه بأن أخاه قاضى القضاة تاج الدين قد لبس خلعة القضاء بالديار المصرية ، وهو متوجه إلى الشام عنـد وصوله إلى ديار مصر ، وذكر لنا أن أخاه كاره للشام . وأنشدنى القاضى صـلاح الدين الصفدى ليلة الجمعة رابع عشره لنفسـه فيما عكس عن المتنبي فى يديه من قصيدته وهو قوله :

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فأيسر مايمر به الوصول

وقال

دخول دمشق يكسبنا نحولا * كأن لها دخولا فى البرايا
إذا اعتاد الغريب الخوض فيها * فأيسر ما يمر به المنايا

وهذا شعر قوى ، وعكس جلى ، لفظاً ومعنى .

وفى ليلة الجمعة الحادى والعشرين من صفر عملت خيمة حافلة بالمارستان الدقاقى جوار الجامع ، بسبب تكامل تجـديده قريب السقف مبنيا باللبن ، حتى قناطره الأربع بالحجارة البلق ، وجعل فى أعاليـه قمريات كبار مضيئة ، وفتق فى قبلته إيوانا حسـنا زاد فى أعماقه أضعاف ما كان ، و بيضه جميعه بالجص الحسن المليح ، وجـددت فيه خزائن ومصالح ، وفرش ولحف جدد ، وأشياء حسنة ، فأثابه الله وأحسن جزاءه آمين ، وحضر الخيمة جماعات من الناس من الخواص والعوام ، ولما كانت الجمعة الأخرى دخله نائب السلطنة بعد الصلاة فأعجبه ما شاهده من العمارات ، وأخبره بما كانت عليه حاله قبل هذه العمارة ، فاستجاد ذلك من صنيع الناظر .

وفى أول ربيع الآخر قدم قاضى القضاة تاج الدين السبكى من الديار المصرية على قضاء الشام عوداً على بدء يوم الثلاثاء رابع عشره فبدأ بالسلام على نائب السلطنة بدار السعادة ، ثم ذهب إلى دار الأمير على بالقصاعين فسلم عليـه ، ثم جاء إلى العادلية قبل الزوال ، ثم جاءه الناس من الخاص والعام يسلمون عليه و يهنونه بالعود ، وهو يتودد و يترحب بهم . ثم لما كان صبيح يوم الخميس سادس عشره لبس الخلعة بدار السعادة ثم جاء فى أبهة هائلة لابسها إلى العادلية فقرئ تقليـده بها بحضرة

القضاة والأعيان وهنأه الناس والشعراء والمداح .

وأخبر قاضي القضاة تاج الدين بموت حسين بن الملك الناصر ، ولم يكن بقى من بنيه لصلبه سواه ، ففرح بذلك كثير من الأمراء وكبار الدولة ، لما كان فيه من حدة وارتكاب أمور منكرة .
وأخبر بموت القاضي فخر الدين سليمان بن القاضي عماد الدين بن الشيرجي ، وقد كان اتفق له من الأمر أنه قلد حسبة دمشق عوضا عن أبيه ، نزل له عنها باختياره لكبره وضعفه ، وخلع عليه بالديار المصرية ، ولم يبق إلا أن يركب على البريد فتمرض يوما وثانيا وتوفى إلى رحمة الله تعالى ، فتألم والده بسبب ذلك تألما عظيما ، وعزاه الناس فيه ، و وجدته صابراً محتسبا باكيا مسترجعا موجعا انتهى .

﴿ بشارة عظيمة بوضع الشطر من مكس الغنم ﴾

مع ولاية سعد الدين ماجد بن التاج إسحاق من الديار المصرية على نظر الدواوين قبله ، ففرح الناس بولاية هذا وقدومه ، و بعزل الاول وانصرافه عن البلد فرحا شديدا ، ومعه مرسوم شريف بوضع نصف مكس الغنم ، وكان عبرته أربعة دراهم ونصف ، فصار إلى درهمين وربع درهم ، وقد نودى بذلك فى البلد يوم الاثنين العشرين من شهر ربيع الآخر ، ففرح الناس بذلك فرحا شديداً ، ولله الحمد والمنة ، وتضاعفت أدعيتهم لمن كان السبب فى ذلك،وذلك أنه يكثر الجلب برخص اللحم على الناس ، و يأخذ الديوان نظير ما كان يأخذ قبل ذلك ، وقدر الله تعالى قدوم وفود وقفول بتجائر متعددة ، وأخذ منها الديوان السلطاني فى الزكاة والوكالة ، وقدم مراكب كثيرة فأخذ منها فى العشر أضعاف ما أطلق من المكس ، ولله الحمد والمنة . ثم قرىء على الناس فى يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة قبل العصر .

وفى يوم الاثنين العشرين منه ضرب الفقيه شمس الدين بن الصفدى بدار السعادة بسبب خانقاه الطواويس ، فانه جاء فى جماعة منهم يتظلمون من كاتب السر الذى هو شيخ الشيوخ ، وقد تكلم معهم فيما يتعلق بشرط الواقف مما فيه مشقة عليهم ، فتكلم الصفدى المذكور بكلام فيه غلظ ، فبطح ليضرب فشفع فيه ، ثم تكلم فشفع فيه ، ثم بطح الثالثة فضرب ثم أمر به إلى السجن ، ثم أخرج بعد ليلتين أو ثلاثة .

وفى صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين منه درس قاضي القضاة الشافعى بمدارسه ، وحضر درس الناصرية الجوانية بمقتضي شرط الواقف الذى أثبته أخوه بعد موت القاضى ناصر الدين كاتب السر ، وحضر عنده جماعة من الأعيان و بعض القضاة ، وأخذ فى سورة الفتح ، قرىء عليه من تفسير والده فى قوله (إنا فتحنا لك فتحاً مبينا) .

وفى مستهل جمادى الأولى يوم الجمعة بعد صلاة الفجر مع الامام الكبير صلى على القاضى

قطب الدين محمد بن الحسن الحاكم بحمص ، جاء إلى دمشق لتلقى أخى زوجته قاضى القضاة تاج الدين السبكى الشافعى ، فتمرض من مدة ثم كانت وفاته بدمشق ، فصلى عليه بالجامع كما ذكرنا ، وخارج باب الفرج ، ثم صعدوا به إلى سفح جبل قاسيون ، وقد جاوز الثمانين بسنتين ، وقد حدث وروى شيئا يسيراً رحمه الله .

وفى يوم الأحد ثالثه قدم قاضيا الحنفية والحنابلة بحلب والخطيب بها والشيخ شهاب الدين الاذرعى ، والشيخ زين الدين البارينى وآخرون معهم ، فنزلوا بالمدرسة الاقبالية وهم وقاضى قضاتهم الشافعى ، وهو كمال الدين المصرى مطلوبون إلى الديار المصرية ، فتحرر ما ذكروه عن قاضيهم وما نقموه عليه من السيرة السيئة فيما يذكرون فى المواقف الشريفة بمصر ، وتوجهوا إلى الديار المصرية يوم السبت عاشره .

وفى يوم الخميس قدم الأمير زين الدين زبالة نائب القلعة من الديار المصرية على البريد فى تجمل عظيم هائل ، وتلقاه الناس بالشموع فى أثناء الطريق ، ونزل بدار الذهب ، وراح الناس للسلام عليه وتهنئته بالعود إلى نيابة القلعة ، على عادته ، وهذه ثالث مرة وليها لأنه مشكور السيرة فيها ، وله فيها سعى محمود فى أوقات متعددة .

وفى يوم الخميس الحادى والعشرين صلى نائب السلطنة والقاضيان الشافعى والحنفى وكاتب السر وجماعة من الأمراء والأعيان بالمقصورة وقرئ كتاب السلطان على السدة بوضع مكس الغنم إلى كل رأس بدرهمين ، فتضاعفت الأدعية لولى الأمر ، ولمن كان السبب فى ذلك .

﴿ غريبة من الغرائب وعجيبة من العجائب ﴾

وقد كثرت المياه فى هذا الشهر وزادت الانهار زيادة كثيرة جدا ، بحيث إنه فاض الماء فى سوق الخيل من نهر بردى حتى عم جميع العرصة المعروفة بموقف الموكب ، بحيث إنه أجريت فيه المراكب بالكلك ، وركبت فيه المارة من جانب إلى جانب ، واستمر ذلك جمعا متعددة ، وامتنع نائب السلطنة والجيش من الوقوف هناك ، وربما وقف نائب السلطنة بعض الأيام تحت الطارمة تجاه باب الاسطبل السلطانى ، وهذا أمر لم يعهد مثله ولا رأيته قط فى مدة عمرى ، وقد سقطت بسبب ذلك بنايات ودور كثيرة ، وتعطلت طواحين كثيرة غمرها الماء .

وفى ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى توفى الصدر شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ عز الدين بن منجى التنوخى بعد العشاء الآخرة ، وصلى عليه بجامع دمشق بعد صلاة الظهر ، ودفن بالسفح . وفى صبيحة هذا اليوم توفى الشيخ ناصر الدين محمد بن أحمد القونوى الحنفى ، خطيب جامع يلبغا ، وصلى عليه عقيب صلاة الظهر أيضا ، ودفن بالصوفية ، وقد باشر عوضه الخطابة والامامة

قاضي القضاة كمال الدين الكفري الحنفي . وفي عصر هذا اليوم توفي القاضي علاء الدين بن القاضي شرف الدين بن القاضي شمس الدين بن الشهاب محمود الحلبي ، أحد موقعي الدست بدمشق ، وصلى عليه يوم الأربعاء ودفن بالسفح .

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين منه خطب قاضي القضاة جمال الدين الكفري الحنفي بجامع يلبغا عوضا عن الشيخ ناصر الدين بن القونوي رحمه الله تعالى ، وحضر عنده نائب السلطنة الامير سيف الدين قشتمر ، وصلى معه قاضي القضاة تاج الدين الشافعي بالشباك الغربي القبلي منه ، وحضر خلق من الامراء والأعيان ، وكان يوما مشهوداً ، وخطب ابن نباتة بأداء حسن وفصاحة بليغة ، هذا مع علم أن كل مركب صعب . وفي يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة توجه الشيخ شرف الدين القاضي الحنبلي إلى الديار المصرية بطلب الامير سيف الدين يلبغا في كتاب كتبه إليه يستدعيه ويستحثه في القدوم عليه .

وفي يوم الثلاثاء ثاني شهر رجب سقط اثنان سكارى من سطح بحارة اليهود ، أحدهما مسلم والآخر يهودي ، فمات المسلم من ساعته وانقلعت عين اليهودي وانكسرت يده لعنه الله ، وحمل إلى نائب السلطنة فلم يحر جوابا .

ورجع الشيخ شرف الدين بن قاضي الجبل بعد ما قارب غزة لما بلغه من الوباء بالديار المصرية فعاد إلى القدس الشريف ، ثم رجع إلى وطنه فأصاب السنة ، وقد وردت كتب كثيرة تخبر بشدة الوباء والطاعون بمصر ، وأنه يضبط من أهلها في النهار نحو الألف ، وأنه مات جماعة ممن يعرفون كولدي قاضي القضاة تاج الدين المناوي ، وكاتب الحكم ابن الفرات ، وأهل بيته أجمعين ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وجاء الخبر في أواخر شهر رجب بموت جماعة بمصر منهم أبو حاتم ابن الشيخ بهاء الدين السبكي المصري بمصر ، وهو شاب لم يستكمل العشرين ، وقد درس بعدة جهات بمصر وخطب ، ففقده والده وتأسف الناس عليه وعزوا فيه عمه قاضي القضاة تاج الدين السبكي قاضي الشافعية بدمشق ، وجاء الخبر بموت قاضي القضاة شهاب الدين أحمد الرباحي المالكي ، كان بحلب وليها مرتين ثم عزل فقصد مصر واستوطنها مدة ليتمكن من السعي في العودة فأدركته منيته في هذه السنة من الفناء وولدان له معه أيضا . وفي يوم السبت سادس شعبان توجه نائب السلطنة في صحبة جمهور الأمراء إلى ناحية تدمر لأجل الأعراب من أصحاب خيار بن مهنا ، ومن التف عليه منهم ، وقد دمر بعضهم بلد تدمر وحرقوا كثيراً من أشجارها ، ورعوها وانتهبوا شيئا كثيراً ، وخرجوا من الطاعة ، وذلك بسبب قطع إقطاعاتهم وتملك أملاكهم والحيلولة عليهم ، فركب نائب السلطنة بمن معه كما ذكرنا ،

لطردهم عن تلك الناحية ، وفى صحبتهم الأمير حمزة ابن الخياط ، أحد أمراء الطبلخانات ، وقد كان حاجبا لخيار قبل ذلك ، فرجع عنه وألب عليه عند الامير الكبير يلبغا الخاصكى ، ووعده إن هو أمره وكبره أن يظفره بخيار وأن يأتيه برأسه ، ففعل معه ذلك ، فقدم إلى دمشق ومعه مرسوم بركوب الجيش معه إلى خيار وأصحابه ، فساروا كما ذكرنا ، فوصلوا إلى تدمر ، وهربت الأعراب من بين يدى نائب الشام يمينا وشمالا ، ولم يواجهوه هيبة له ، ولكنهم يتحرفون على حمزة بن الخياط ، ثم بلغنا أنهم بيتوا الجيش فقتلوا منه طائفة وجرحوا آخرين وأسروا آخرين ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

﴿ سلطنة الملك الأشرف ناصر الدين ﴾

« شعبان بن حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون فى يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان »

لما كان عشية السبت تاسع عشر شعبان من هذه السنة ـ أعنى سنة أربع وستين وسبعمائة ـ قدم أمير من الديار المصرية فنزل بالقصر الأبلق ، وأخبر بزوال مملكة الملك المنصور بن المظفر حاجى بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ومسك واعتقل . وبويع للملك الأشرف شعبان بن حسين الناصر بن المنصور قلاوون ، وله من العمر قريب العشرين ، فدقت البشائر بالقلعة المنصورة ، وأصبح الناس يوم الأحد فى الزينة . وأخبرنى قاضى القضاة تاج الدين والصاحب سعد الدين ماجد ناظر الدواوين ، أنه لما كان يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان عزل الملك المنصور وأودع منزله وأجلس الملك الأشرف ناصر الدين شعبان على سرير الملك ، وبويع لذلك ، وقد وقع رعد فى هذا اليوم ومطر كثير ، وجرت المزاريب ، فصار غدرانا فى الطرقات ، وذلك فى خامس حزيران ، فتعجب الناس من ذلك ، هذا وقد وقع وباء فى مصر فى أول شعبان ، فتزايد وجمهوره فى اليهود ، وقد وصلوا إلى الخمسين فى كل يوم وبالله المستعان .

وفى يوم الاثنين سابعه اشتهر الخبر عن الجيش بأن الاعراب اعترضوا التجريدة القاصدين إلى الرحبة وافقوهم وقتلوا منهم ونهبوا وجرحوا ، وقد سار البريد خلف النائب والأمراء ليقدموا إلى البلد لأجل البيعة للسلطان الجديد ، جعله الله مباركا على المسلمين ، ثم قدم جماعة من الأمراء المنهزمين من الأعراب فى أسوإ حال وذلة ، ثم جاء البريد من الديار المصرية بردهم إلى العسكر الذى مع نائب السلطنة على تدمر ، متوعدين بأنواع العقوبات ، وقطع الاقطاعات . وفى شهر رمضان تفاقم الحال بسبب الطاعون فانا لله وإنا إليه راجعون ، وجمهوره فى اليهود لعله قد فقد منهم من مستهل شعبان إلى مستهل رمضان نحو الألف نسمة خبيثة ، كما أخبرنى بذلك القاضى صلاح الدين الصفدى وكيل بيت المال ، ثم كثر ذلك فيهم فى شهر رمضان جداً ، وعدة العدة من المسلمين والذمة بالثمانين.

وفى يوم السبت حادى عشره صلينا بعد الظهر على الشيخ المعمر الصدر بدر الدين محمد ابن

الرقاق المعروف بابن الجوجى ، وعلى الشيخ صلاح الدين محمد بن شاكر الليثى ، تفرد فى صناعته وجمع تاريخاً مفيدا نحواً من عشر مجلدات ، وكان يحفظ ويذاكر ويفيد رحمه الله وسامحه ، انتهى .

﴿ وفاة الخطيب جمال الدين محمود بن جملة ﴾

« الحجى الشافعى ومباشرة قاضى القضاة تاج الدين الشافعى بعده »

كانت وفاته يوم الاثنين بعد الظهر قريباً من العصر ، فصلى بالناس بالمحراب صلاة العصر قاضى القضاة تاج الدين السبكى الشافعى عوضا عنه ، وصلى بالناس الصبح أيضا ، وقرأ بآخر المائدة من قوله (يوم يجمع الله الرسل) ثم لما طلعت الشمس وزال وقت الكراهة صلى على الخطيب جمال الدين عند باب الخطابة ، وكان الجمع فى الجامع كثيرا ، وخرج بجنازته من باب البريد ، وخرج معه طائفة من العوام وغيرهم ، وقد حضر جنازته بالصالحية على ما ذكر جم غفير وخلق كثير ، ونال قاضى القضاة الشافعى من بعض الجهلة إساءة أدب ، فأخذ منهم جماعة وأدبوا ، وحضر هو بنفسه صلاة الظهر يومئذ ، وكذا باشر الظهر والعصر فى بقية الأيام ، يأتى للجامع فى محفل من الفقهاء والأعيان وغيرهم ، ذهابا وإيابا ، وخطب عنه يوم الجمعة الشيخ جمال الدين بن قاضى القضاة ، و [منع] تاج الدين من المباشرة ، حتى يأتى التشريف .

وفى يوم الاثنين بعد العصر صلى على الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبدالله البعلبكى ، المعروف بابن النقيب ، ودفن بالصوفية وقد قارب السبعين وجاورها ، وكان بارعا فى القراءات والنحو والتصريف والعربية ، وله يد فى الفقه وغير ذلك ، وولى مكانه مشيخة الاقراء بأم الصالح شمس الدين محمد بن اللبان ، وبالتربة الأشرفية الشيخ أمين الدين عبد الوهاب بن السلار ، وقدم نائب السلطنة من ناحية الرحبة وتدمر وفى صحبته الجيش الذين كانوا معه بسبب محاربته إلى [أولاد] مهنا وذويهم من الأعراب فى يوم الأربعاء سادس شوال .

وفى ليلة الأحد عاشره توفى الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك ، وكيل بيت المال ، وموقع الدست ، وصلى عليه صبيحة الأحد بالجامع ، ودفن بالصوفية ، وقد كتب الكثير من التاريخ واللغة والأدب ، وله الأشعار الفائقة ، والفنون المتنوعة ، وجمع وصنف وألف ، وكتب ما يقارب مئين من المجلدات .

وفى يوم السبت عاشره جمع القضاة والأعيان بدار السعادة وكتبوا خطوطهم بالرضى بخطابة قاضى القضاة تاج الدين السبكى بالجامع الأموى ، وكاتب نائب السلطنة فى ذلك .

وفى يوم الأحد حادى عشره استقر عزل نائب السلطنة سيف الدين قشتمر عن نيابة دمشق وأمر بالمسير إلى نيابة صفد فأنزل أهله بدار طيبغا حجى من الشرق الأعلى ، وبرز هو إلى سطح

المزة ذاهبا إلى ناحية صفد . وخرج المحمل صحبة الحجيج وهم جم غفـير وخلق كثير يوم الخميس رابع عشر شوال .

وفى يوم الخميس الحادى والعشرين من شوال توفى القاضى أمين الدين أبو حيان ابن أخى قاضى القضاة تاج الدين المسلاتى المالكى وزوج ابنته ونائبه فى الحكم مطلقا وفى القضاء والتـدريس فى غيبته ، فماجلته المنية .

ومن غريب ما وقع فى أواخر هذا الشهر أنه اشتهر بين النساء وكثير من العوام أن رجلا رأى مناما فيه أنه رأى النبي ﷺ عند شجرة توتة عند مسجد ضرار خارج باب شرقى ، فتبادر النساء إلى تخليق تلك التوتة ، وأخذوا أوراقها للاستشفاء من الوباء ، ولكن لم يظهر صدق ذلك المنام ، ولا يصح عمن يرويه .

وفى يوم الجمعة سابع شهر ذى القعدة خطب بجامع دمشق قاضى القضاة تاج الدين السبكى خطبة بليغة فصيحة أداها أداء حسنا ، وقد كان يحس من طائفة من العوام أن يشوشوا فلم يتكلم أحد منهم بل ضجوا عند الموعظة وغـيرها ، وأعجبهم الخطيب وخطبته وأداؤه وتبليغه ومهابتـه ، واستمر يخطب هو بنفسه .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره توفى الصاحب تقى الدين سليمان بن مراجل ناظر الجامع الأموى وغيره ، وقد باشر نظر الجامع فى أيام تنكز ، وعمر الجانب الغربى من الحائط القبلى ، وكمل رخامه كله ، وفتق محرابا للحنفية فى الحائط القبلى ، ومحرابا للحنابلة فيه أيضا فى غربيه ، وأثر أشياء كثيرة فيه ، وكانت له همة وينسب إلى أمانة وصرامـة ومباشرة مشكورة مشهورة ، ودفن بتربة أنشأها تجاه داره بالقبيبات رحمه الله ، وقد جاوز الثمانين .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره توفى الشيخ بهاء الدين عبد الوهاب الأخميمى المصرى ، إمام مسجد درب الحجر ، وصـلى عليه بعد العصر بالجامع الأمـوى ، ودفن بقصر ابن الحلاج عنـد الطيوريين بزاوية لبعض الفقراء الخزنة هناك ، وقد كان له يد فى أصول الفقه ، وصنف فى الكلام كتابا مشتملا على أشياء مقبولة وغير مقبولة ، انتهى .

﴿ دخول نائب السلطنة منكلى بغا ﴾

فى يوم الخميس السابع والعشرين من ذى القعـدة دخل نائب السلطنة منكلى بغا من حلب إلى دمشق نائباً عليها فى تجمل هائل ، ولكنه مستمرض فى بدنه بسبب ما كان ناله من التعب فى مصابرة الأعراب ، فنزل دار السعادة على العادة . وفى يوم الاثنين مستهل ذى الحجة خلع على قاضى القضاه تاج الدين السبكى الشافعى للخطابة بجامع دمشق ، واستمر على ما كان عليه يخطب بنفسه كل جمعة وفى يوم الثلاثاء ثانيه قدم القاضى فتح الدين بن الشهيد ولبس الخلعة وراح الناس لتهنئته

وفى يوم الخميس حضر القاضى فتح الدين بن الشهيد كاتب السر مشيخة السميساطية ، وحضر عنده القضاة والاعيان بعد الظهر ، و خلع عليه لذلك أيضاً ، وحضر فيها من الغد على العادة ، وخلع فى هذا اليوم على وكيل بيت المال الشيخ جمال الدين بن الرهاوى وعلى الشيخ شهاب الدين الزهرى بفتيا دار العدل . انتهى . ﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والشامية والحرمين وما يتبع ذلك الملك الأشرف ناصر الدين شعبان بن سيدى حسين بن السلطان الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحى ، وهو فى عمر عشر سنين ، ومدبر المالك بين يديه الأمير الكبير نظام الملك سيف الدين يلبغا الخاصكى ، وقضاة مصرهم المذكورون فى السنة التى قبلها ، ووزيرها فخر الدين بن قزوينة ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين منكلى بغا الشمسى ، وهو مشكور السيرة ، وقضاتها هم المذكورون فى السنة التى قبلها ، وناظر الدواوين بها الصاحب سعد الدين ماجد ، وناظر الجيش علم الدين داود ، وكاتب السر القاضى فتح الدين بن الشهيد ، ووكيل بيت المال القاضى جمال الدين بن الرهاوى .

استهلت هذه السنة وداء الفناء موجود فى الناس ، إلا أنه خف وقل ولله الحمد. وفى يوم السبت توجه قاضى القضاة ـ وكان بهاء الدين أبو البقاء السبكى ـ إلى الديار المصرية مطلوبا من جهة الأمير يلبغا وفى الكتاب إجابته له إلى مسائل ، وتوجه بعده قاضى القضاة تاج الدين الحاكم بدمشق وخطيبها يوم الاثنين الرابع عشر من المحرم ، على خيل البريد ، وتوجه بعدهما الشيخ شرف الدين ابن قاضى الجبل الحنبلى ، مطلوبا إلى الديار المصرية ، وكذلك توجه الشيخ زين الدين المنفلوطى مطلوبا .

وتوفى فى العشر الأوسط من المحرم صاحبنا الشيخ شمس الدين بن العطار الشافعى ، كان لديه فضيلة واشتغال ، وله فهم ، وعلق بخطه فوائد جيدة ، وكان إماما بالسجن من مشهد على بن الحسين بجامع دمشق ، ومصدرا بالجامع ، وفقيها بالمدارس ، وله مدرسة الحديث الوادعية ، وجاوز الخمسين بسنوات ، ولم يتزوج قط . وقدم الركب الشامى إلى دمشق فى اليوم الرابع والعشرين من المحرم ، وهم شاكرون مثنون فى كل خير بهذه السنة أمنا ورخصا ولله الحمد .

وفى يوم الأحد حادى عشر صفر درس بالمدرسة الفتحية صاحبنا الشيخ عماد الدين إسماعيل بن خليفة الشافعى ، وحضر عنده جماعة من الأعيان والفضلاء ، وأخذ فى قوله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهراً) .

وفى يوم الخميس خامس عشره نودى فى البلد على أهل الذمة بالزامهم بالصغار وتصغير العمائم ، وأن لا يستخدموا فى شىء من الأعمال ، وأن لا يركبوا الخيل ولا البغال ، ويركبون الحمير بالأكف بالعرض ، وأن يكون فى رقابهم ورقاب نسائهم فى الحمامات أجراس ، وأن يكون أحد النعلين أسود

مخالفاً للون الآخرى ، ففرح بذلك المسلمون ودعوا للآمر بذلك .

وفى يوم الأحد ثالث ربيع الأول قدم قاضى القضاة تاج الدين من الديار المصرية مستمراً على القضاء والخطابة ، فتلقاه الناس وهنأوه بالعود والسلامة . وفى يوم الخميس سابعه لبس القاضى الصاحب المهذبى الخلعة لنظر الدواوين بدمشق ، وهنأه الناس ، وباشر بصرامة واستعمل فى غالب الجهات من أبناء السبيل .

وفى يوم الاثنين حادى عشره ركب قاضى القضاة بدر الدين بن أبى الفتح على خيل البريد إلى الديار المصرية لتوليه قضاء قضاة الشافعية بدمشق ، عن رضا من خاله قاضى القضاة تاج الدين ، ونزوله عن ذلك .

وفى يوم الخميس خامس ربيع الأول احترقت الباسورة التى ظاهر باب الفرج على الجسر ، ونال حجارة الباب شىء من حريقها فانسحت ، وقد حضر طفيها نائب السلطنة والحاجب الكبير ، ونائب القلعة والولاة وغيرهم . وفى صبيحة هذا اليوم زاد النهر زيادة عظيمة بسبب كثرة الأمطار وذلك فى أوائل كانون الثانى ، وركب الماء سوق الخيل بكماله ، ووصل إلى ظاهر باب الفراديس ، وتلك النواحى ، وكسر جسر الخشب الذى عند جامع يلبغا ، وجاء نصدم به جسر الزلابية فكسره أيضاً .

وفى يوم الخميس ثانى عشره صرف حاجب الحجاب قارى عن المباشرة بدار السعادة ، وأخذت القضاة من يده وانصرف إلى داره فى أقل من الناس ، واستبشر بذلك كثير من الناس ، لكثرة ما كان يفتات على الأحكام الشرعية .

وفى أواخره اشتهر موت القاضى تاج الدين المناوى بديار مصر وولاية قاضى القضاة بهاء الدين ابن أبى البقاء السبكى مكانه بقضاء العساكر بها ، ووكالة السلطان أيضاً ، ورتب له مع ذلك كفايته. وتولى فى هذه الأيام الشيخ سراج الدين البلقينى إفتاء دار العدل مع الشيخ بهاء الدين أحمد بن قاضى القضاة السبكى بالشام ، وقد ولى هو أيضاً القضاء بالشام كما تقدم ،ثم عاد إلى مصر موفراً مكرما وعاد أخوه تاج الدين إلى الشام ، وكذلك ولوا مع البلقينى إفتاء دار العدل الحنفى [شيخا] يقال له الشيخ شمس الدين بن الصائغ ، وهو مفتى حنفى أيضا .

وفى يوم الاثنين سابع ربيع الأول توفى الشيخ نور الدين محمد بن الشيخ أبى بكر قوام بزاويتهم بسفح جبل قاسيون ، وغدا الناس إلى جنازته ، وقد كان من العلماء الفضلاء الفقهاء بمذهب الشافعى ، درس بالناصرية البرانية مدة سنين بعد أبيه ، وبالرباط الدويدارى داخل باب الفرج ، وكان يحضر المدارس ، ونزل عندنا بالمدرسة النجيبية ، وكان يحب السنة ويفهمها جيداً رحمه الله .

وفى مستهل جمادى الأولى ولى قاضى القضاة تاج الدين الشافعى مشيخة دار الحديث بالمدرسة التى فتحت بدرب القلي ، وكانت داراً لواقفها جمال الدين عبد الله بن محمد بن عيسى التدمرى ، الذى كان أستاذاً الأمير طاز ، وجعل فيها درس للحنابلة ، وجعل المدرس لهم الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن قيم الجوزية ، وحضر الدرس وحضر عنده بعض الحنابلة بالدرس ، ثم جرت أمور يطول بسطها . واستحضر نائب السلطنة شهود الحنابلة بالدرس واستفرد كلا منهم وسأله كيف شهد فى أصل الكتاب - المحضر - الذى أثبتوا عليهم ، فاضطربوا فى الشهادات فضبط ذلك عليهم ، وفيه مخالفة كبيرة لما شهدوا به فى أصل المحضر ، وشنع عليهم كثير من الناس ، ثم ظهرت ديون كثيرة لبيت طاز على جمال الدين التدمرى الواقف ، وطلب من القاضى المالكى أن يحكم بابطال ما حكم به الحنبلى ، فتوقف فى ذلك . وفى يوم الاثنين الحادى والعشرين منه ، قرىء كتاب السلطان بصرف الوكلاء من أبواب القضاة الأربعة فصرفوا .

وفى شهر جمادى الآخرة توفى الشيخ شمس الدين شيخ الحنابلة بالصالحية ويعرف بالبيرى يوم الخميس ثامنه ، صلى عليه بالجامع المظفرى بعد العصر ودفن بالسفح وقد قارب الثمانين .

وفى الرابع عشر منه عقد بدار السعادة مجلس حافل اجتمع فيه القضاة الأربعة وجماعة من المفتيين ، وطلبت لحضرت معهم بسبب المدرسة التدمرية وقرابة الواقف ودعواهم أنه وقف عليهم الثلث ، فوقف الحنبلى فى أمرهم ودافعهم عن ذلك أشد الدفاع .

وفى العشر الأول من رجب وجد جراد كثير منتشر ، ثم تزايد وتراكم وتضاعف وتفاقم الأمر بسببه ، وسد الأرض كثرة وعاث يمينا وشمالا ، وأفسد شيئا كثيراً من الكروم والمقاثى والزروعات النفيسة ، وأتلف للناس شيئاً كثيراً ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفى يوم الاثنين ثالث شعبان توجه القضاة ووكيل بيت المال إلى باب كيسان فوقفوا عليه وعلى هيئته ومن نية نائب السلطنة فتحه ليتفرج الناس به . وعدم للناس غلات كثيرة وأشياء من أنواع الزروع بسبب كثرة الجراد ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

﴿ فتح باب كيسان بعد غلقه نحواً من مائتى سنة ﴾

وفى يوم الاربعاء السادس والعشرين من شعبان اجتمع نائب السلطنة والقضاة عند باب كيسان ، وشرع الصناع فى فتحه عن مرسوم السلطان الوارد من الديار المصرية ، وأمر نائب السلطنة وإذن القضاة فى ذلك ، واستهل رمضان وهم فى العمل فيه .

وفى العشر الأخير من شعبان توفى الشريف شمس الدين محمد بن على بن الحسن بن حمزة الحسينى المحدث المحصل ، المؤلف لاشياء مهمة ، وفى الحديث قرأ وسمع وجمع وكتب أسماء رجال

بمسند الامام أحمد ، واختصر كتابا فى أسماء الرجال مفيدا ، وولى مشيخة الحديث التى وقفها فى داره بهاء الدين القاسم بن عساكر ، داخل باب توما ، وختمت البخاريات فى آخر شهر رمضان .

ووقع بين الشيخ عماد الدين بن السراج قارىء البخارى عند محراب الصحابة ، وبين الشيخ بدر الدين بن الشيخ جمال الدين الشريشى ، وتهاترا على رؤس الاشهاد بسبب لفظة « يبتز » بمعنى يدخر ، وفى نسخة يتير ، فحكى ابن السراج عن الحافظ المزى أن الصواب « يبتز » من قول العرب عز بز ، وصدق فى ذلك ، فكأن منازعه خطأ ابن المزى ، فانتصر الآخر للحافظ المزى ، فقاد منه بالقول ثم قام والده الشيخ جمال الدين المشار إليه فكشف رأسه على طريقة الصوفية ، فكأن ابن السراج لم يلتفت إليه ، وتدافعوا إلى القاضى الشافعى فانتصر للحافظ المزى ، وجرت أمور ، ثم اصطلحوا غير مرة وعزم أولئك على كتب محضر على ابن السراج ، ثم انطفأت تلك الشرور .

وكثر الموت فى أثناء شهر رمضان وقاربت العدة مائة ، وربما جاوزت المائة ، وربما كانت أقل منها وهو الغالب ، ومات جماعة من الأصحاب والمعارف ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وكثر الجراد فى البساتين وعظم الخطب بسببه ، وأتلف شيئا كثيراً من الغلات والثمار والخضراوات ، وغلت الأسعار وقلت الثمار ، وارتفعت قيم الأشياء فبيع الدبس بما فوق المائتين القنطار ، والرز بأزيد من ذلك . وتكامل فتح باب كيسان وسموه الباب القبلى ، ووضع الجسر منه إلى الطريق السالكة ، وعرضه أزيد من عشرة أذرع بالنجارى لأجل عمل الباسورة جنبتيه ، ودخلت المارة عليه من المشاة والركبان ، وجاء فى غاية الحسن ، وسلك الناس فى حارات اليهود ، وانكشف دخلهم وأمن الناس من دخنهم وغشهم ومكرهم وخبثهم ، وانفرج الناس بهذا الباب المبارك .

واستهل شوال والجراد قد أتلف شيئا كثيرا من البلاد ، ورعى الخضروات والأشجار ، وأوسع أهل الشام فى الفساد ، وغلت الأسعار ، واستمر الفناء وكثر الضجيج والبكاء ، وفقدنا كثيراً من الأصحاب والأصدقاء ، فلان مات . وقد تناقص الفناء فى هذه المدة وقل الوقع وتناقص للخمسين . وفى شهر ذى القعدة تقاصر الفناء ولله الحمد ، ونزل العدد إلى العشرين فما حولها ، وفى رابعه دخل بالفيل والزرافة إلى مدينة دمشق من القاهرة ، فأنزل فى الميدان الأخضر قريبا من القصر الأبلق ، وذهب الناس للنظر إليهما على العادة .

وفى يوم الجمعة تاسعه صلى على الشيخ جمال الدين عبد الصمد بن خليل البغدادى ، المعروف بابن الخضرى ، محدث بغداد وواعظها ، كان من أهل السنة والجماعة رحمه الله انتهى .

﴿ تجديد خطبة ثانية داخل سور دمشق ولم يتفق ذلك فيما أعلم منذ فتوح الشام إلى الآن ﴾

اتفق ذلك فى يوم الجمعة الثالث ، ثم تبين أنه الرابع والعشرين من ذى القعدة من هذه السنة

بالجامع الذى جدد بناءه نائب الشام سيف الدين منكلى بغا ، بدرب البلاغة قبلى مسجد درب الحجر ، داخل باب كيسان المجدد فتحه فى هذا الحين كما تقدم ، وهو معروف عند العامة بمسجد الشاذورى ، وإنما هو فى تاريخ ابن عساكر مسجد الشهرزورى ، وكان المسجد رث الهيئة قد تقادم عهده مدة دهر ، وهجر فلا يدخله أحد من الناس إلا قليل ، فوسعه من قبليه وسقفه جديدا ، وجعل له صرحة شمالية مبلطة ، ورواقات على هيئة الجوامع ، والداخل بأوابه على العادة ، وداخل ذلك رواق كبير له جناحان شرقى وغربى ، بأعمدة وقناطر ، وقد كان قديماً كنيسة فأخذت منهم قبل الخمسمائة ، وعملت مسجداً ، فلم يزل كذلك إلى هذا الحين ، فلما كمل كما ذكرنا وسيق إليه الماء من القنوات ،ووضع فيه منبر مستعمل كذلك ،فيومئذ ركب نائب السلطنة ودخل البلد من باب كيسان وانعطف على حارة اليهود حتى انتهى إلى الجامع المذكور ، وقد استكف الناس عنده من قضاة وأعيان وخاصة وعامة ، وقد عين لخطابته الشيخ صدر الدين بن منصور الحنفى ، مدرس الناجية وإمام الحنفية بالجامع الأموى ، فلما أذن الأذان الأول تعذر عليه الخروج من بيت الخطابة ، قيل لمرض عرض له ، وقيل لغير ذلك من حصر أو نحوه ، فخطب الناس يومئذ قاضى القضاة جمال الدين الحنفى الكفرى ، خدمة لنائب السلطنة .

واستهل شهر ذى الحجة وقد رفع الله الوباء عن دمشق وله الحمد والمنة . وأهل البلد يموتون على العادة ولا يمرض أحد بتلك العلة ، ولكن المرض المعتاد ، انتهى .

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين وسبعمائة ﴾

استهلت هذه السنة والسلطان الملك الأشرف ناصر الدين شعبان ، والدولة بمصر والشام هم هم ، ودخل المحمل السلطانى صبيحة يوم الاثنين الرابع والعشرين منه ، وذكروا أنهم نالهم فى الرجعة شدة شديدة من الغلاء وموت الجمال وهرب الجمالين ، وقدم مع الركب ممن خرج من الديار المصرية قاضى القضاة بدر الدين بن أبى الفتح ، وقد سبقه التقليد بقضاء القضاة مع خاله تاج الدين يحكم فيما يحكم فيه مستقلا معه ومنفردا بعده .

وفى شهر الله المحرم رسم نائب السلطنة بتخريب قريتين من وادى التيم وهم مشعرا وتلبثاثا ، وسبب ذلك أنهما عاصيان وأهلهما مفسدان فى الأرض، والبلدان والأرض حصينان لا يصل إليهما إلا بكلفة كثيرة لا يرتقى إليهما إلا فارس فارس ، فخربتا وعمر بدلهما فى أسفل الوادى ، بحيث يصل إليهما حكم الحاكم والطلب بسهولة ، فأخبرنى الملك صلاح الدين ابن الكامل أن بلدة تلبثاثا عمل فيها ألف فارس ، ونقل نقضها إلى أسفل الوادى خمسمائة حمار عدة أيام .

وفى يوم الجمعة سادس صفر بعد الصلاة صلى على قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن قاضى

القضاة شرف الدين أحمد بن أقضى القضاة بن الحسين المزى الحنفى ، وكانت وفاته ليلة الجمعة المذكورة بعد مرض قريب من شهر ، وقد جاوز الأربعين بثلاث من السنين ، ولى قضاء قضاة الحنفية ، وخطب بجامع يلبغا ، وأحضر مشيخة النفيسية ، ودرس بأماكن من مدارس الحنفية ، وهو أول من خطب بالجامع المستجد داخل باب كيسان بحضرة نائب السلطنة .

وفى صفر كانت وفاة الشيخ جمال الدين عمر بن القاضى عبد الحى بن إدريس الحنبلى محتسب بغداد ، وقاضى الحنابلة بها ، فتعصبت عليه الروافض حتى ضرب بين يدى الوزارة ضربا مبرحا ، كان سبب موته سريعا رحمه الله ، وكان من القائمين بالحق الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، من أكبر المنكرين على الروافض وغيرهم من أهل البدع رحمه الله ، وبل بالرحمة ثراه .

وفى يوم الأربعاء تاسع صفر حضر مشيخة النفيسية الشيخ شمس الدين بن سند ، وحضر عنده قاضى القضاة تاج الدين وجماعة من الأعيان ، وأورد حديث عبادة بن الصامت « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » أسنده عن قاضى القضاة المشار إليه .

وجاء البريد من الديار المصرية بطلب قاضى القضاة تاج الدين إلى هناك ، فسير أهله قبله على الجمال ، وخرجوا يوم الجمعة حادى عشر ربيع الأول جماعة من أهل بيتهم لزيارة أهاليهم هناك ، فأقام هو بعدهم إلى أن قدم نائب السلطنة من الرحبة وركب على البريد . وفى يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة رجع قاضى القضاة تاج الدين السبكى من الديار المصرية على البريد وتلقاه الناس إلى أثناء الطريق ، واحتفلوا للسلام عليه وتهنئته بالسلامة انتهى . والله أعلم .

﴿ قتل الرافضى الخبيث ﴾

وفى يوم الخميس سابع عشره أول النهار وجد رجل بالجامع الأموى اسمه محمود بن إبراهيم الشيرازى ، وهو يسب الشيخين ويصرح بلعنتهما ، فرفع إلى القاضى المالكى قاضى القضاة جمال الدين المسلاتى فاستتابه عن ذلك وأحضر الضراب فأول ضربة قال لا إله إلا الله على ولى الله ، ولما ضرب الثانية لعن أبا بكر وعمر ،فالتهمه العامة فأوسعوه ضربا مبرحا بحيث كاد يهلك ،فجعل القاضى يستكفهم عنه فلم يستطع ذلك ، فجعل الرافضى يسب ويلعن الصحابة ، وقال : كانوا على الضلال ، فعند ذلك حمل إلى نائب السلطنة وشهد عليه قوله بأنهم كانوا على الضلالة ، فعند ذلك حكم عليه القاضى باراقة دمه،فأخذ إلى ظاهر البلد فضربت عنقه وأحرقته العامة قبحه الله ، وكان ممن يقرأ بمدرسة أبى عمر ، ثم ظهر عليه الرفض فسجنه الحنبلى أربعين يوما ، فلم ينفع ذلك ، وما زال يصرح فى كل موطن يأمر فيه بالسب حتى كان يومه هذا أظهر مذهبه فى الجامع ، وكان سبب قتله قبحه الله كما قبح من كان قبله ، وقتل بقتله فى سنة خمس وخمسين .

﴿ استنابة ولى الدين ابن أبى البقاء السبكى ﴾

وفى آخر هذا اليوم - أعنى يوم الخميس ثامن عشره - حكم أقضى القضاة ولى الدين بن قاضى القضاة بهاء الدين بن أبى البقاء بالمدرسة العادلية الكبيرة نيابة عن قاضى القضاة تاج الدين مع استنابة أقضى القضاة شمس الدين الغزى ، وأقضى القضاة بدر الدين بن وهيبة ، وأما قاضى القضاة بدر الدين بن أبى الفتح فهو نائب أيضاً ، ولكنه بتوقيع شريف أنه يحكم مستقلا مع قاضى القضاة تاج الدين .

وفى يوم الاثنين الثانى والعشرين منه استحضر نائب السلطنة الأمير ناصر الدين بن العاوى متولى البلد ونقم عليه أشياء ، وأمر بضربه فضرب بين يديه على أكتافه ضربا ليس بمبرح ، ثم عزله واستدعى بالأمير علم الدين سليمان أحد الأمراء العشراوات ابن الأمير صفى الدين بن أبى القاسم البصراوى ، أحد أمراء الطبلخانات ، كان قد ولى شد الدواوين ونظر القدس والخليل وغير ذلك من الولايات الكبار ، وهو ابن الشيخ فخر الدين عثمان بن الشيخ صفى الدين أبى القاسم التميمى الحنفى . وبأيديهم تدريس الأمينية التى ببصرى والحكيمية أزيد من مائة سنة ، فولاه البلد على تكره منه ، فألزمه بها وخلع عليه ، وقد كان وليها قبل ذلك فأحسن السيرة وشكر سعيه لديانته وأمانته وعفته ، وفرح الناس ولله الحمد .

﴿ ولاية قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء السبكى الشافعى ﴾

« لقضاء القضاة بالديار المصرية بعد عزل عز الدين بن جماعة نفسه »

ورد الخبر مع البريد من الديار المصرية بأن قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة عزل نفسه عن القضاء يوم الاثنين السادس عشر من هذا الشهر ، وصمم على ذلك ، فبعث الأمير الكبير يلبغا إليه الأمراء يسترضونه فلم يقبل ، فركب إليه بنفسه ومعه القضاة والأعيان فتلاطفوا به فلم يقبل وصمم على الانعزال ، فقال له الأمير الكبير : فعين لنا من يصلح بعدك . قال ولا أقول لكم شيئا غير أنه لا يتولى رجل واحد ، ثم ولوا من شئتم ، فأخبرنى قاضى القضاة تاج الدين السبكى أنه قال لا تولوا ابن عقيل ، فعين الأمير الكبير قاضى القضاة بهاء الدين أبا البقاء فقيل إنه أظهر الامتناع ، ثم قبل ولبس الخلعة وباشر يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخرة ، قاضى القضاة الشيخ بهاء الدين بن قاضى القضاة تقى الدين السبكى قضاء العساكر الذى كان بيد أبى البقاء .

وفى يوم الاثنين سابع رجب توفى الشيخ على المراوحى خادم الشيخ أسد المراوحى البغدادى ، وكان فيه مروءة كثيرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويدخل على النواب ويرسل إلى الولاة

فتقبل رسالته ، وله قبول عند الناس ، وفيه بر وصدقة وإحسان إلى المحاويج ، وبيده مال جيد يتجر له فيه تعامل مدة طويلة ثم كانت وفاته فى هذا اليوم فصلى عليه الظهر بالجامع ، ثم حمل إلى سفح قاسيون رحمه الله.

وفى صبيحة يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شعبان قدم الأمير سيف الدين بيدمر الذى كان نائب الشام فنزل بداره عند مأذنة فيروز ، وذهب الناس للسلام عليه بعد ماسلم على نائب السلطنة بدار السعادة ، وقد رسم له بطبلخاناتين وتقدمة ألف وولاية الولاة من غزة إلى أقصى بلاد الشام ، وأكرمه ملك الامراء إكراما زائداً ، وفرحت العامة بذلك فرحا شديداً بعوده إلى الولاية . وختمت البخاريات بالجامع الأموى وغيره فى عدة أماكن من ذلك سنة مواعيد تقرأ على الشيخ عماد الدين ابن كثير فى اليوم ، أولها بمسجد ابن هشام بكرة قبل طلوع الشمس ، ثم تحت النسر ، ثم بالمدرسة النورية ، وبعد الظهر بجامع تنكز ، ثم بالمدرسة العزية ، ثم بالكوشك لأم الزوجة الست أسماء بنت الوزير ابن السلعوس ، إلى أذان العصر ، ثم من بعد العصر بدار ملك الأمراء أمير على بمحلة القصاعين إلى قريب الغروب ، ويقرأ صحيح مسلم بمحراب الحنابلة داخل باب الزيارة بعد قبة النسر وقبل النورية ، والله المسئول وهو المعين الميسر المسهل . وقد قرئ فى هذه الهيئة فى عدة أماكن أخر من دور الأمراء وغيرهم ، ولم يعهد مثل هذا فى السنين الماضية ، فلله الحمد والمنة .

وفى يوم الثلاثاء عاشر شوال توفى الشيخ نور الدين على بن أبى الهيجاء الكركى الشوبكى ، ثم الدمشقى الشافعى ، كان معنا فى المقرى والكتاب ، وختمت أنا وهو فى سنة إحدى عشرة ، ونشأ فى صيانة وعفاف ، وقرأ على الشيخ بدر الدين بن سيحان للسبع ، ولم يكمل عليه ختمة ، واشتغل فى المنهاج للنواوى فقرأ كثيراً منه أو أكثره ، وكان ينقل منه ويستحضر ، وكان خفيف الروح يحبه الناس لذلك ويرغبون فى عشرته لذلك رحمه الله ، وكان يستحضر المتشابه فى القرآن استحضاراً حسناً متقنا كثير التلاوة له ، حسن الصلاة يقوم الليل ، وقرأ على صحيح البخارى بمشهد ابن هشام عدة سنين ، ومهر فيه ، وكان صوته جهوريا فصيح العبارة ، ثم ولى مشيخة الحلبية بالجامع وقرأ فى عدة كراسى بالحائط الشمالى ، وكان مقبولا عند الخاصة والعامة ، وكان يداوم على قيام العشر الأخير فى محراب الصحابة مع عدة قراء يبيتون فيه ويحيون الليل ، ولما كان فى هذه السنة أحيا ليلة العيد وحده بالمحراب المذكور ثم مرض خمسة أيام ، ثم مات بعد الظهر يوم الثلاثاء عاشر شوال بدرب العميد ، وصلى عليه العصر بالجامع الأموى ، ودفن بمقابر الباب الصغير عند والده فى تربة لهم ، وكانت جنازته حافلة وتأسف الناس عليه ، رحمه الله وبل بالرحمة ثراه ، وقد قارب خمسا وستين سنة ، وترك بنتا سباعية اسمها عائشة ، وقد أقرأها شيئا من القرآن إلى تبارك ، وحفظها الاربعين النواوية جبرها ربها ورحم أباها آمين .

وخرج المحمل الشامي والحجيج يوم الخميس ثاني عشره ، وأميرهم الأمير علاء الدين على بن علم الدين الهلالي ، أحد أمراء الطبلخانات .

وتوفى الشيخ عبد الله الملطي يوم السبت رابع عشره ، وكان مشهوراً بالمجاورة بالكلاسة في الجامع الأموي ، له أشياء كثيرة من الطراريح والآلات الفقرية ، ويلبس على طريقة الحريرية وشكله مزعج ، ومن الناس من كان يعتقد فيه الصلاح ، وكنت ممن يكرهه طبعاً وشرعا أيضاً .

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة قدم البريد من ناحية المشرق ومعهم قماقم ماء من عين هناك من خاصيته أنه يتبعه طير يسمى السمرمر أصفر الريش قريب من شكل الخطاف من شأنه إذا قدم الجراد إلى البلد الذي هو فيه أنه يفنيه ويأكله أكلا سريعا ، فلا يلبث الجراد إلا قليلا حتى يرحل أو يؤكل على ما ذكر ، ولم أشاهد ذلك .

وفي المنتصف من ذي الحجة كمل بناء القيسارية التي كانت معملا بالقرب من دار الحجارة ، قبلي سوق الدهشة الذي للرجال ، وفتحت وأكريت دهشة لقماش النساء ، وذلك كله بمرسوم ملك الأمراء ناظر الجامع المعمور رحمه الله ، وأخبرني الصدر عز الدين الصير في المشارف بالجامع أنه غرم عليها من مال الجامع قريب ثلاثين ألف درهم انتهى .

﴿ طرح مكس القطن المغزول البلدي والمجلوب ﴾

وفي أواخر هذا الشهر جاء المرسوم الشريف بطرح مكس القطن المغزول البلدي والجلب أيضاً ، ونودي بذلك في البلد ، فكثرت الدعوات لمن أمر بذلك ، وفرح المسلمون بذلك فرحا شديدا ولله الحمد والمنة .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين وسبعمائة ﴾

استهلت وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين الشريفين ومايتبع ذلك من الأقاليم الملك الأشرف بن الحسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وعمره عشر سنين فما فوقها ، وأتابك العساكر ومدبر ممالكه الأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي ، وقاضي قضاة الشافعية بمصر بهاء الدين أبو البقاء السبكي ، وبقية القضاة هم المذكورون في السنة الماضية ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين منكلي بغا ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها سوى الحنفي فانه الشيخ جمال الدين بن السراج شيخ الحنفية ، والخطابة بيد قاضي القضاة تاج الدين الشافعي ، وكاتب السر وشيخ الشيوخ القاضي فتح الدين بن الشهيد ، وكيل بيت المال الشيخ جمال الدين بن الرهاوي . ودخل المحمل السلطاني يوم الجمعة بعد العصر قريب الغروب ، ولم يشعر بذلك أكثر أهل البلد ، وذلك لغيبة النائب في السرحة مما يلي ناحية الفرات ، ليكون كالرد للتجريدة التي تعينت لتخريب الكبيسات التي هي إقطاع خيار بن مهنا من زمن السلطان أويس ملك العراق انتهى .

﴿ استيلاء الفرنج لعنهم الله على مدينة الاسكندرية ﴾

وفى العشر الأخير من شهر الله المحرم احتيط على الفرنج بمدينة دمشق وأودعوا فى الحبوس فى القلعة المنصورة ، واشتهر أن سبب ذلك أن مدينة الاسكندرية محاصرة بعدة شواين ، وذكر أن صاحب قبرص معهم ، وأن الجيش المصرى صمدوا إلى حراسة مدينة الاسكندرية حرسها الله تعالى وصانها وحماها ، وسيأتى تفصيل أمرها فى الشهر الآتى ، فانه وضح لنا فيه ، ومكث القوم بعد الاسكندرية بأيام فيما بلغنا ، بعد ذلك حاصرها أمير من التتار يقال له ماميه ، واستعان بطائفة من الفرنج ففتحوها قسراً ، وقتلوا من أهلها خلقا وغنموا شيئا كثيراً واستقرت عليها يدماميه ملكا عليها.

وفى يوم الجمعة سلخ هذا الشهر توفى الشيخ برهان الدين إبراهيم بن الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية ببستانه بالمزة ، ونقل إلى عند والده بمقابر باب الصغير ، فصلى عليه بعد صلاة العصر بجامع جراح ، وحضر جنازته القضاة والأعيان وخلق من التجار والعامة ، وكانت جنازته حافلة ، وقد بلغ من العمر ثمانياً وأربعين سنة ، وكان بارعا فاضلا فى النحو والفقه وفنون أخر على طريقة والده رحمهما الله تعالى ، وكان مدرساً بالصدرية والتدمرية ، وله تصدير بالجامع ، وخطابة بجامع ابن صلحان ، وترك مالا جزيلا يقارب المائة ألف درهم . انتهى .

ثم دخل شهر صفر وأوله الجمعة ، أخبرنى بعض علماء السير أنه اجتمع فى هذا اليوم - يوم الجمعة مستهل هذا الشهر - الكواكب السبعة سوى المريخ فى برج العقرب ، ولم يتفق مثل هذا من سنين متطاولة ، فأما المريخ فانه كان قد سبق إلى برج القوس فيه . وردت الأخبار بما وقع من الأمر الفظيع بمدينة الاسكندرية من الفرنج لعنهم الله ، وذلك أنهم وصلوا إليها فى يوم الأربعاء الثانى والعشرين من شهر الله المحرم ، فلم يجدوا بها نائبا ولا جيشا ، ولا حافظا للبحر ولا ناصراً ، فدخلوها يوم الجمعة بكرة النهار بعد ما حرقوا أبوابا كبيرة منها ، وعاثوا فى أهلها فساداً ، يقتلون الرجال ويأخذون الأموال ويأسرون النساء والأطفال ، فالحكم لله العلى الكبير المتعال . وأقاموا بها يوم الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء ، فلما كان صبيحة يوم الأربعاء قدم الشاليش المصرى ، فأقلعت الفرنج لعنهم الله عنها ، وقد أسروا خلقا كثيراً يقاربون الأربعة آلاف ، وأخذوا من الأموال ذهبا وحريراً وبهاراً وغير ذلك مالا يحد ولا يوصف ، وقدم السلطان والأمير الكبير يلبغا ظهر يومئذ ، وقد تفارط الحال وتحولت الغنائم كلها إلى الشوائن بالبحر ، فسمع للأسارى من العويل والبكاء والشكوى والجأر إلى الله والاستغاثة به وبالمسلمين ، ماقطع الأكباد ، وذرفت له العيون وأصم الأسماع ، فانا لله وإنا إليه راجعون ولما بلغت الأخبار إلى أهل دمشق شق عليهم ذلك جداً ، وذكر ذلك الخطيب يوم الجمعة على المنبر فتباكى [الناس] كثيراً ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وجاء المرسوم الشريف من الديار المصرية إلى

نائب السلطنة بمسك النصارى من الشام جملة واحدة ، وأن يأخذ منهم ربع أموالهم لعمارة ما خرب من الاسكندرية ، ولعمارة مراكب تغزو الفرنج ، فأهانوا النصارى وطلبوا من بيوتهم بعنف وخافوا أن يقتلوا ، ولم يفهموا مايراد بهم، فهربوا كل مهرب ، ولم تكن هذه الحركة شرعية ، ولايجوز اعتمادها شرعا،وقد طلبت يوم السبت السادس عشر من صفر إلى الميدان الأخضر للاجتماع بنائب السلطنة ، وكان اجتماعنا بعد العصر يومئذ بعد الفراغ من لعب الكرة ، فرأيت منه أنسا كثيراً ، ورأيته كامل الرأي والفهم ، حسن العبارة كريم المجالسة ، فذكرت له أن هذا لايجوز اعتماده في النصارى، فقال إن بعض فقهاء مصر أفتى للأمير الكبير بذلك ، فقلت له : هذا مما لايسوغ شرعا ، ولايجوز لأحد أن يفتي بهذا ، ومتى كانوا باقين على الذمة يؤدون إلينا الجزية ملتزمين بالذلة والصغار ، وأحكام الملة قائمة ، لايجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد ـ الفرد ـ فوق مايبذلونه من الجزية ، ومثل هذا لايخفى على الأمير . فقال : كيف أصنع وقد ورد المرسوم بذلك ولا يمكنني أن أخالفه ؟ وذكرت له أشياء كثيرة مما ينبغي اعتماده في حق أهل قبرص من الارهاب ووعيد العقاب ، وأنه يجوز ذلك وإن لم يفعل مايتوعدهم به ، كما قال سليمان بن داود عليهما السلام : «ائتوني بالسكين أشقه نصفين» كما هو الحديث مبسوط في الصحيحين ، فجعل يعجبه هذا جدا ، وذكر أن هذا كان في قلبه وأني كاشفته بهذا ،وأنه كتب به مطالعة إلى الديار المصرية ،وسيأتي جوابها بعد عشرة أيام، فتجيء حتى تقف على الجواب ، وظهر منه إحسان وقبول وإكرام زائد رحمه الله . ثم اجتمعت به في دار السعادة في أوائل شهر ربيع الأول فبشرني أنه قد رسم بعمل الشواني والمراكب لغزو الفرنج ولله الحمد والمنة . ثم في صبيحة يوم الاحد طلب النصارى الذين اجتمعوا في كنيستهم إلى بين يديه وهم قريب من أربعمائة فحلفهم كم أموالهم وألزمهم بأداء الربع من أموالهم ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد أمروا إلى الولاة باحضارهم في معاملتهم ، ووالي البر قد خرج إلى القرايا بسبب ذلك ، وجردت أمراء إلى النواحي لاستخلاص الأموال من النصارى في القدس وغير ذلك .

وفي أول شهر ربيع الأول كان سفر قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي إلى القاهرة . وفي يوم الأربعاء خامس ربيع الأول اجتمعت بنائب السلطنة بدار السعادة وسألته عن جواب المطالعة ،فذكر لي أنه جاء المرسوم الشريف السلطاني بعمل الشواني والمراكب لغزو قبرص ، وقتال الفرنج ولله الحمد والمنة . وأمر نائب السلطنة بتجهيز القطاعين والنشارين من دمشق إلى الغابة التي بالقرب من بيروت ، وأن يشرع في عمل الشواني في آخر يوم من هذا الشهر ،وهو يوم الجمعة .وفتحت دار القرآن التي وقفها الشريف التعاداني إلى جانب حمام الكاس ، شمالي المدرسة البادرائية، وعمل فيها وظيفة حديث وحضر واقفها يومية قاضي القضاة تاج الدين السبكي انتهى والله أعلم .

﴿ صفة عقد مجلس بسبب قاضى القضاة تاج الدين السبكى الشافعى ﴾

ولما كان يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول عقد مجلس حافل بدار السعادة بسبب مارمى به قاضى القضاة تاج الدين الشافعى ابن قاضى القضاة تقى الدين السبكى ، وكنت ممن طلب إليه ،فحضرته فيمن حضر ، وقد اجتمع فيه القضاة الثلاثة ، وخلق من المذاهب الأربعة ، وآخرون من غيرهم ، بحضرة نائب الشام سيف الدين منكلى بغا ، وكان قد سافر هو إلى الديار المصرية إلى الابواب الشريفة ، واستنجز كتابا إلى نائب السلطنة لجمع هذا المجلس ليسأل عنه الناس ، وكان قد كتب فيه محضران متعاكسان أحدهما له والآخر عليه ، وفى الذى عليه خط القاضيين المالكى والحنبلى ، وجماعة آخرين ، وفيه عظائم وأشياء منكرة جدا ينبو السمع عن استماعه . وفى الآخر خطوط جماعات من المذاهب بالثناء عليه ، وفيه خطى بأنى مارأيت فيه إلا خيراً . ولما اجتمعوا أمر نائب السلطنة بأن يمتاز هؤلاء عن هؤلاء فى المجالس ، فصارت كل طائفة وحدها ، وتحاذوا فيما بينهم ، وتأصل عنه نائبه القاضى شمس الدين الغزى ، والنائب الآخر بدر الدين بن وهبة وغيرهما، وصرح قاضى القضاة جمال الدين الحنبلى بأنه قد ثبت عنده ما كتب به خطه فيه ، وأجابه بعض الحاضرين منهم بدائم النفوذ ، فبادر القاضى الغزى فقال للحنبلى : أنت قد ثبتت عداوتك لقاضى القضاة تاج الدين ، فكثر القول وارتفعت الأصوات وكثر الجدال والمقال ، وتكلم قاضى القضاة جمال الدين المالكى أيضاً بنحو ماقال الحنبلى ، فأجيب بمثل ذلك أيضا ، وطال المجلس فانفصلوا على مثل ذلك ، ولما بلغت الباب أمر نائب السلطنة برجوعى إليه ، فاذا بقية الناس من الطرفين والقضاة الثلاثة جلوس ، فأشار نائب السلطنة بالصلح بينهم و بين قاضى القضاة تاج الدين ـ يعنى وأن يرجع القاضيان عما قالا ـ فأشار الشيخ شرف الدين بن قاضى الجبل وأشرت أنا أيضا بذلك فلان المالكى وامتنع الحنبلى ، فقمنا والأمر باق على ماتقدم ، ثم اجتمعنا يوم الجمعة بعد العصر عند نائب السلطنة عن طلبه فتراضوا كيف يكون جواب الكتابات مع مطالعة نائب السلطنة ، ففعل ذلك وسار البريد بذلك إلى الديار المصرية ، ثم اجتمعنا أيضا يوم الجمعة بعد الصلاة التاسع عشر من ربيع الآخر بدار السعادة ، وحضر القضاة الثلاثة وجماعة آخرون ، واجتهد نائب السلطنة على الصلح بين القضاة وقاضى الشافعية وهو بمصر ، فحصل خلف وكلام طويل ، ثم كان الأمر أن سكنت أنفس جماعة منهم إلى ذلك على ماسنذكره فى الشهر الآتى .

وفى مستهل ربيع الآخر كانت وفاة المعلم داود الذى كان مباشراً لنظارة الجيش ، وأضيف إليه نظر الدواوين إلى آخر وقت ،فاجتمع له هاتان الوظيفتان ولم يجتمعا لأحد قبله كما فى علمى ، وكان من أخبر الناس بنظر الجيش وأعلمهم بأسماء رجاله ، ومواضع الاقطاعات ، وقد كان والده نائبا لنظار

الجيوش ، وكان يهوديا قرائيا ،فأسلم ولده هذا قبل وفاة نفسه بسنوات عشر أو نحوها ، وقد كان ظاهره جيدا والله أعلم بسره وسريرته ، وقد تمرض قبل وفاته بشهر أو نحوه ، حتى كانت وفاته فى هذا اليوم فصلى عليه بالجامع الأموى تجاه النسر بعد العصر ، ثم حمل إلى تربة له أعدها فى بستانه بجوش ، وله من العمر قريب الخمسين .

وفى أوائل هذا الشهر ورد المرسوم الشريف السلطانى بالرد على نساء النصارى ما كان أخذ منهن مع الجباية التى كان تقدم أخذها منهن ، وإن كان الجميع ظلما ، ولكن الأخذ من النساء أفحش وأبلغ فى الظلم ، والله أعلم . وفى يوم الاثنين الخامس عشر منه أمر نائب السلطنة أعزه الله بكبس بساتين أهل الذمة فوجد فيها من الخمر المعتصر من الخوابى والحباب فأريقت عن آخرها ولله الحمد والمنة ، بحيث جرت فى الازقة والطرقات ، وفاض نهر توزا من ذلك ، وأمر بمصادرة أهل الذمة الذين وجد عندهم ذلك بمال جزيل ، وهم تحت الجباية ، وبعد أيام نودى فى البلد بأن نساء أهل الذمة لاتدخل الحمامات مع المسلمات ، بل تدخل حمامات تختص بهن ، ومن دخل من أهل الذمة الرجال مع الرجال المسلمين يكون فى رقاب الكفار علامات يعرفون بها من أجراس وخواتيم ونحو ذلك ، وأمر نساء أهل الذمة بأن تلبس المرأة خفيها مخالفين فى اللون بأن يكون أحدهما أبيض والآخر أصفر أونحو ذلك .

ولما كان يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر ـ أعنى ربيع الآخر ـ طلب القضاة الثلاثة وجماعة من المفتيين : فمن ناحية الشافعى نائباه ، وهما القاضى شمس الدين الغزى والقاضى بدر الدين بن وهبة ، والشيخ جمال الدين بن قاضى الزبدانى ، والمصنف الشيخ عماد الدين بن كثير والشيخ بدر الدين حسن الزرعى ، والشيخ تقى الدين الفارقى . ومن الجانب الآخر قاضيا القضاة جمال الدين المالكى والحنبلى ، والشيخ شرف الدين بن قاضى الجبل الحنبلى ، والشيخ جمال الدين ابن الشريشى ، والشيخ عز الدين بن حمزة بن شيخ السلامية الحنبلى ، وعماد الدين الحنائى ، فاجتمعت مع نائب السلطنة بالقاعة التى فى صدر إيوان دار السعادة ، وجلس نائب السلطنة فى صدر المكان ، وجلسناحوله ، فكان أول ما قال : كنا نحن الترك وغيرنا إذا اختلفنا واختصمنا نجىء بالعلماء فيصلحون بيننا ، ، فصرنا نحن إذا اختلفت العلماء واختصموا فمن يصلح بينهم ؟ وشرع فى تأنيب من شنع على الشافعى بما تقدم ذكره من تلك الأقوال والأفاعيل التى كتبت فى تلك الأوراق وغيرها ، وأن هذا يشفى الأعداء بنا ، وأشار بالصلح بين القضاة بعضهم من بعض فصمم بعضهم وامتنع ، وجرت مناقشات من بعض الحاضرين فيما بينهم ، ثم حصل بحث فى مسائل ثم قال نائب السلطنة أخيراً : أما سمعتم قول الله تعالى (عفا الله عما سلف) فلانت القلوب عند

ذلك وأمر كاتب السر أن يكتب مضمون ذلك فى مطالعة إلى الديار المصرية ، ثم خرجنا على ذلك انتهى والله أعلم

﴿ عودة قاضى القضاة تاج الدين السبكى إلى دمشق المحروسة ﴾

فى يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى قدم من ناحية الكسوة وقد تلقاه جماعة من الأعيان إلى الصمين وما فوقها ، فلما وصل إلى الكسوة كثر الناس جدا وقاربها قاضى قضاة الحنفية الشيخ جمال الدين بن السراج ، فلما أشرف من عقبة شحورا تلقاه خلائق لايحصون كثرة وأشعلت الشموع حتى مع النساء ، والناس فى سرور عظيم ، فلما كان قريبا من الجسورة تلقته الخلائق الخليفيين مع الجوامع والمؤذنون يكبرون ، والناس فى سرور عظيم ، ولما قارب باب النصر وقع مطر عظيم والناس معه لا تسعهم الطرقات ، يدعون له ويفرحون بقدومه ، فدخل دار السعادة وسلم على نائب السلطنة ، ثم دخل الجامع بعد العصر ومعه شموع كثيرة ، والرؤساء أكثر من العامة .

ولما كان يوم الجمعة ثانى شهر جمادى الآخرة ركب قاضى القضاة السبكى إلى دار السعادة وقد استدعى نائب السلطنة بالقاضيين المالكى والحنبلى ، فأصلح بينهم ، وخرج من عنده ثلاثتهم يتماشون إلى الجامع ، فدخلوا دار الخطابة فاجتمعوا هناك ، وضيفهما الشافعى ، ثم حضرا خطبته الحافلة البليغة الفصيحة ، ثم خرجوا ثلاثتهم من جوا إلى دار المالكى ، فاجتمعوا هنالك وضيفهم المالكى هنالك ما تيسر . والله الموفق للصواب .

وفى أوائل هذا الشهر وردت المراسيم الشريفة السلطانية من الديار المصرية بأن يجعل للأمير من إقطاعه النصف خاصا له ، وفى النصف الآخر يكون لأجناده ، فحصل بهذا رفق عظيم بالجند ، وعدل كثير ولله الحمد ، وأن يتجهز الأجناد ويحرصوا على السبق والرمى بالنشاب ، وأن يكونوا مستعدين متى استنفروا نفروا ، فاستعدوا لذلك وتأهبوا لقتال الفرنج ، كما قال الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الآية . وثبت فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال على المنبر « ألا إن القوة الرمى » . وفى الحديث الآخر « ارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلى » .

وفى يوم الاثنين بعد الظهر عقد مجلس بدار السعادة للكشف على قاضى القضاة جمال الدين المرداوى الحنبلى بمقتضى مرسوم شريف ورد من الديار المصرية بذلك ، وذلك بسبب ما يعتمده كثير من شهود مجلسه من بيع أوقاف لم يستوف فيها شرائط المذهب ، وإثبات إعسارات أيضا كذلك وغير ذلك انتهى .

﴿ الوقعة بين الأمراء بالديار المصرية ﴾

وفى العشر الأخير من جمادى الآخرة ورد الخبر بأن الأمير الكبير يلبغا الخاصكى خرج عليه

جماعة من الأمراء مع الأمير سيف الدين طيبغا الطويل ، فبرز إليهم إلى قبة القصر فالتقوا معه هنالك ، فقتل جماعة وجرح آخرين ، وانفصل الحال على مسك طيبغا الطويل وهو جريح ، ومسك أرغون السعردى الدويدار ، وخلق من أمراء الألوف والطبلخانات ، وجرت خبطة عظيمة استمر فيها الأمير الكبير يلبغا على عزه وتأييده ونصره ولله الحمد والمنة . وفى ثانى رجب يوم السبت توجه الأمير سيف الدين بيدمر الذى كان نائب دمشق إلى الديار المصرية بطلب الأمير يلبغا ليؤكد أمره فى دخول البحر لقتال الفرنج وفتح قبرص إن شاء الله ، انتهى والله تعالى أعلم .

﴿ مما يتعلق بأمر بغداد ﴾

أخبرنى الشيخ عبد الرحمن البغدادى أحد رؤساء بغداد وأصحاب التجارات ، والشيخ شهاب الدين العطار ـ السمسار فى الشرب بغدادى أيضا ـ أن بغداد بعد أن استمادها أويس ملك العراق وخراسان من يد الطواشى مرجان ، واستحضره فأكرمه وأطلق له ، فاتفقا أن أصل الفتنة من الامير أحمد أخو الوزير ، فأحضره السلطان إلى بين يديه وضربه بسكين فى كرشه فشقه ، وأمر بعض الأمراء فقتله ، فانتصر أهل السنة لذلك نصرة عظيمة ، وأخذ خشبته أهل باب الأزج فأحرقوه وسكنت الأمور وتشفوا بقتل الشيخ جمال الدين الأنبارى الذى قتله الوزير الرافضى فأهلكه الله بعده سريعا انتهى .

﴿ وفاة قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن حاتم الشافعى ﴾

وفى العشر الأول من شهر شعبان قدم كتاب من الديار المصرية بوفاة قاضى القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة بمكة شرفها الله ، فى العاشر من جمادى الآخرة ودفن فى الحادى عشر فى باب المعلى وذكروا أنه توفى وهو يقرأ القرآن ، وأخبرنى صاحب الشيخ محيى الدين الرحبى حفظه الله تعالى أنه كان يقول كثيراً : أشتهى أن أموت وأنا معزول ، وأن تكون وفاتى بأحد الحرمين ، فأعطاه الله ماتمناه : عزل نفسه فى السنة الماضية ، وهاجر إلى مكة ، ثم قدم المدينة لزيارة رسول الله ﷺ ، ثم عاد إلى مكة ، وكانت وفاته بها فى الوقت المذكور ، فرحمه الله وبل بالرحمة ثراه . وقد كان مولده فى سنة أربع وتسعين ، فتوفى عن ثلاث وسبعين سنة ، وقد نال العز عزا فى الدنيا ورفعة هائلة ، ومناصب وتداريس كبار ، ثم عزل نفسه وتفرغ للعبادة والمجاورة بالحرمين الشريفين ، فيقال له ماقلته فى بعض المراثى.

فكأنك قد أعلمت بالموت حتى * تزودت له من خيار الزاد .

وحضر عندى فى يوم الثلاثاء تاسع شوال البترك بشارة الملقب بميخائيل ، وأخبرنى أن المطارنة بالشام بايعوه على أن جعلوه بتركا بدمشق عوضا عن البترك بانطاكية ، فذكرت له أن هذا أمر مبتدع فى دينهم ، فانه لاتكون البتاركة إلا أربعة بالاسكندرية وبالقدس وبانطاكية وبرومية ، فنقل بترك

رومية إلى اسطنبول وهى القسطنطينية ، وقد أنكر عليهم كثير منهم إذ ذاك ، فهذا الذى ابتدعوه فى هذا الوقت أعظم من ذلك . لكن اعتذر بأنه فى الحقيقة هو عن إنطاكية ، وإنما أذن له فى المقام بالشام الشريف لأجل أنه أمره نائب السلطنة أن يكتب عنه وعن أهل ملتهم إلى صاحب قبرص ، يذكر له ماحل بهم من الخزى والنكال والجناية بسبب عدوان صاحب قبرص على مدينة الاسكندرية ، وأحضر لى الكتب إليه وإلى ملك اسطنبول وقرأها على من لفظه لعنه الله ولعن المكتوب إليهم أيضا . وقد تكلمت معه فى دينهم ونصوص ما يعتقده كل من الطوائف الثلاثة ، وهم الملكية واليعقوبية ومنهم الافرنج والقبط ، والنسطورية ، فاذا هو يفهم بعض الشىء ، ولكن حاصله أنه حمار من أكفر الكفار لعنه الله .

وفى هذا الشهر بلغنا استعادة السلطان أويس ابن الشيخ حسن ملك العراق وخراسان لبغداد من يد الطواشى مرجان الذى كان نائبه عليهما ، وامتنع من طاعة أويس ، فجاء إليه فى جحافل كثيرة فهرب مرجان ، ودخل أويس إلى بغداد دخولا هائلا ، وكان يوما مشهودا .

وفى يوم السبت السابع والعشرين من شعبان قدم الأمير سيف الدين بيدمر من الديار المصرية على البريد أمير مائة مقدم ألف ، وعلى نيابة يلبغا فى جميع دواوينه بدمشق وغيرها ، وعلى إمارة البحر وعمل المراكب ، فلما قدم أمر بجمع جميع النشارين والنجارين والحدادين وتجهيزهم لبيروت لقطع الأخشاب ، فسيروا يوم الأربعاء ثانى رمضان وهو عازم على اللحاق بهم إلى هنالك وبالله المستعان . ثم أتبعوا بآخرين من نجارين وحدادين وعتالين وغير ذلك ، وجعلوا كل من وجدوه من ركاب الحمير ينزلونه ويركبوا إلى ناحية البقاع ، وسخروا لهم من الصناع وغيرهم ، وجرت خبطة عظيمة وتباكى عوائلهم وأطفالهم ، ولم يسلفوا شيئا من أجورهم ، وكان من اللائق أن يسلفوه حتى يتركوه إلى أولادهم .

وخطب برهان الدين المقدسى الحنفى بجامع يلبغا عن تقى الدين ابن قاضى القضاة شرف الدين الكفرى ، بمرسوم شريف ومرسوم نائب صفد استدمر أخى يلبغا ، وشق ذلك عليه وعلى جده وجماعتهم ، وذلك يوم الجمعة الرابع من رمضان ، هذا وحضر عنده خلق كثير .

وفى يوم الخميس الرابع والعشرين منه قرئ تقليد قاضى القضاة شرف الدين بن قاضى الجبل لقضاء الحنابلة ، عوضا عن قاضى القضاة جمال الدين المرداوى ، عزل هو والمالكى معه أيضا ، بسبب أمور تقدم نسبتها لهما وقرئ التقليد بمحراب الحنابلة ، وحضر عنده الشافعى والحنفى ، وكان المالكى معتكفا بالقاعة من المنارة الغربية ، فلم يخرج إليهم لأنه معزول أيضا برأى قاضى حماة ، وقد وقعت شرور وتخبيط بالصالحية وغيرها .

وفى صبيحة يوم الأربعاء الثلاثين من شهر رمضان خلع على قاضى القضاة سرى الدين إسماعيل المالكى ، قدم من حماة على قضاء المالكية ، عوضاً عن قاضى القضاة جمال الدين المسلاتى ، عزل عن المنصب ، وقرىء تقليده بمقصورة المالكية من الجامع ، وحضر عنده القضاة والاعيان .

وفى صبيحة يوم الأربعاء سابع شوال قدم الأمير خيار بن مهنا إلى دمشق سامعاً مطيعاً ، بعد أن جرت بينه وبين الجيوش حروب متطاولة ، كل ذلك ليطأ البساط ، فأبى خوفا من المسك والحبس أو القتل ، فبعد ذلك كله قدم هذا اليوم قاصداً الديار المصرية ليصطلح مع الأمير الكبير يلبغا ، فتلقاه الحجبة والمهمندارية والخلق ، وخرج الناس للفرجة ، فنزل القصر الأبلق ، وقدم معه نائب حماة عمر شاه فنزل معه ، وخرج معه ثانى يوم إلى الديار المصرية. وأقرأنى القاضى ولى الدين عبدالله وكيل بيت المال كتاب والده قاضى القضاة بهاء الدين ابن أبى البقاء قاضى قضاة الشافعية بالديار المصرية ، أن الأمير الكبير جدد درساً بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية ، وجعل لكل فقيه منهم فى الشهر أربعين درهماً ، وأردب قمح ، وذكر فيه أن جماعة من غير الحنفية انتقلوا إلى مذهب أبى حنيفة لينزلوا فى هذا الدرس .

﴿ درس التفسير بالجامع الأموى ﴾

وفى صبيحة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة سبع وستين وسبعمائة حضر الشيخ العلامة الشيخ عماد الدين بن كثير درس التفسير الذى أنشأه ملك الأمراء نائب السلطنة الأمير سيف الدين منكلى بغا رحمه الله تعالى من أوقاف الجامع الذى جددها فى حال نظره عليه أثابه الله ، وجعل من الطلبة من سائر المذاهب خمسة عشر طالباً لكل طالب فى الشهر عشرة دراهم ، وللمعيد عشرون ولكاتب الغيبة عشرون ، وللمدرس ثمانون ، وتصدق حين دعوته لحضور الدرس ، فحضر واجتمع القضاة والأعيان ، وأخذ فى أول تفسير الفاتحة ، وكان يوماً مشهوداً ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعفة انتهى . (١) قضاة الحنابلة الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن بن قاضى الجبل المقدسى ، وناظر الدواوين سعد الدين بن التاج إسحق ، وكاتب السر فتح الدين بن الشهيد ، وهو شيخ الشيوخ أيضاً ، وناظر الجيوش الشامية برهان الدين بن الحلى ، ووكيل بيت المال القاضى ولى الدين بن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء . انتهى .

﴿ سفر نائب السلطنة إلى الديار المصرية ﴾

لما كانت ليلة الحادى والعشرين قدم طشتمر دويدار يلبغا على البريد ، فنزل بدار السعادة ، ثم

(١) كذا بنسخ الاستانة وفى المصرية بياض نصف صفحة من الأصل .وهذا يدل على أن هذا الكلام من تأليف تلميذ ابن كثير وسقط كلام فيه أول السنة .

ركب هو ونائب السلطنة بعد العشاء الأخيرة فى المشاعل ، والحجبة بين أيديهما والخلائق يدعون لنائبهم ، واستمروا كذلك ذاهبين إلى الديار المصرية ، فأكرمه يلبغا وأنعم عليه وسأله أن يكون ببلاد حلب ، فأجابه إلى ذلك وعاد فنزل بدار سنجر الاسماعيلى ، وارتحل منها إلى حلب ، وقد اجتمعت به هنالك وتأسف الناس عليه ، وناب فى الغيبة الأمير سيف الدين زبالة ، إلى أن قدم النائب المعز السيفى قشتمر عبد الغنى على ما سيأتى . وتوفى القاضى شمس الدين بن منصور الحنفى الذى كان نائب الحكم رحمه الله يوم السبت السادس والعشرين من المحرم ، ودفن بالباب الصغير ، وقد قارب الثمانين .

و فى هذا اليوم أو الذى بعده توفى القاضى شهاب الدين أحمد ابن الوزوازة ناظر الأوقاف بالصالحية . و فى صبيحة يوم الجمعة ثالث صفر نودى فى البلد أن لا يتخلف أحد من أجناد الحلقة عن السفر إلى بيروت ، فاجتمع الناس لذلك فبادر الناس والجيش ملبسين إلى سطح المزة ، وخرج ملك الأمراء أمير على كان نائب الشام من داره داخل باب الجابية فى جماعته ملبسين فى هيئة حسنة وتجمل هائل ، و ولده الأمير ناصر الدين محمد وطلبه معه ، وقد جاء نائب الغيبة والحجبة إلى بين يديه إلى وطاقه وشاوروه فى الأمر ، فقال : ليس لى هاهنا أمر ، ولكن إذا حضر الحرب والقتال فلى هناك أمر ، وخرج خلق من الناس متبرعين ، وخطب قاضى القضاة تاج الدين الشافعى بالناس يوم الجمعة على العادة ، وحرض الناس على الجهاد ، وقد ألبس جماعة من غلمانه اللأمة والخوذ وهو على عزم المسير مع الناس إلى بيروت ولله الحمد والمنة . ولما كان من آخر النهار رجع الناس إلى منازلهم وقد ورد الخبر بأن المراكب التى رؤيت فى البحر إنما هى مراكب تجار لا مراكب قتال ، فطابت قلوب الناس ، ولكن ظهر منهم استعداد عظيم ولله الحمد .

و فى ليلة الأحد خامس صفر قدم بالأمير سيف الدين شرشى الذى كان إلى آخر وقت نائب حلب محتاطا عليه بعد العشاء الآخرة إلى دار السعادة بدمشق ، فسير معزولا عن حلب إلى طرابلس بطالا ، و بعث فى سرجين صحبة الأمير علاء الدين بن صبح .

و بلغنا وفاة الشيخ جمال الدين بن نباتة حامل لواء شعراء زمانه بديار مصر بمرستان الملك المنصور قلاوون ، وذلك يوم الثلاثاء سابع صفر من هذه السنة رحمه الله تعالى . و فى ليلة ثامنه هرب أهل حبس السد من سجنهم وخرج أكثرهم فأرسل الولاة صبيحة يومئذ فى أثرهم فمسك كثير ممن هرب فضربوهم أشد الضرب ، وردوهم إلى شر المنقلب .

و فى يوم الأربعاء خامس عشره نودى بالبلدان أن لا يعامل الفرنج البنادقة والجنوية والكيتلان واجتمعت فى آخر هذا اليوم بالأمير زين الدين زبالة نائب الغيبة النازل بدار الذهب فأخبرنى أن

البريدى أخبره أن صاحب قبرص رأى فى النجوم أن قبرص مأخوذة ، فجهز مركبين من الأسرى الذين عنده من المسلمين إلى يلبغا ، ونادى فى بلاده أن من كتم مسلما صغيراً أو كبيراً قتل ، وكان من عزمه أن لا يبقى أحداً من الأسارى إلا أرسله .

وفى آخر نهار الأربعاء خامس عشره قدم من الديار المصرية قاضى القضاة جمال الدين المسلاتى المالكى الذى كان قاضى المالكية فعزل فى أواخر رمضان من العام الماضى ، فحج ثم قصد الديار المصرية فدخلها لعله يستغيث فلم يصادفه قبول ، فادعى عليه بعض الحجاب وحصل له ما يسوءه ، ثم خرج إلى الشام فجاء فنزل فى التربة الكاملية شمالى الجامع ، ثم انتقل إلى منزل ابنته متمرضا ، والطلابات والدعاوى والمصالحات عنه كثيرة جداً ، فأحسن الله عاقبته .

وفى يوم الأحد بعد العصر دخل الأمير سيف الدين طيبغا الطويل من القدس الشريف إلى دمشق فنزل بالقصر الأبلق ، ورحل بعد يومين أو ثلاثة إلى نيابة حماة حرسها الله بتقليد من الديار المصرية ، وجاءت الاخبار بتولية الأمير سيف الدين منكلى بغا نيابة حلب عوضاً عن نيابة دمشق وأنه حصل له من التشريف والتكريم والتشاريف بديار مصر شىء كثير ومال جزيل وخيول وأقمشة وتحف يشق حصرها ، وأنه قد استقر بدمشق الأمير سيف الدين اقشتمر عبد الغنى ، الذى كان حاجب الحجاب بمصر ، وعوض عنه فى الحجوبية الامير علاء الدين طيبغا أستاذ دار يلبغا وخلع على الثلاثة فى يوم واحد .

وفى يوم الأحد حادى عشر ربيع الأول اشتهر فى البلد قضية الفرنج أيضا بمدينة الاسكندرية وقدم بريدى من الديار المصرية بذلك ، واحتيط على من كان بدمشق من الفرنج وسجنوا بالقلعة وأخذت حواصلهم ، وأخبرنى قاضى القضاة تاج الدين الشافعى يومئذ أن أصل ذلك أن سبعة مراكب من التجار من البنادقة من الفرنج قدموا إلى الاسكندرية فباعوا بها واشتروا ، وبلغ الخبر إلى الأمير الكبير يلبغا أن مركبا من هذه السبعة إلى صاحب قبرص ، فأرسل إلى الفرنج يقول لهم : أن يسلموا هذه المركب فامتنعوا من ذلك وبادروا إلى مراكبهم ، فأرسل فى آثارهم ستة شوانى مشحونة بالمقاتلة ، فالتقوا هم والفرنج فى البحر فقتل من الفريقين خلق ولكن من الفرنج أكثر وهربوا فارين بما معهم من البضائع [1] فجاء الأمير على الذى كان نائب دمشق أيضاً فى جيش مبارك ومعه ولده ومماليكه فى تجمل هائل ، فرجع الأمير على واستمر نائب السلطة حتى وقف على بيروت ونظر فى أمرها ، وعاد سريعاً . وقد بلغنى أن الفرنج جاؤا طرابلس غزاة وأخذوا مركبا للمسلمين من المينا وحرقوه ، والناس ينظرون ولا يستطيعون دفعهم ولا منعهم ، وأن الفرنج كروا راجعين ، وقد أسروا

(١) كذا بالأصول التركية وبالمصرية بياض حول ثلاث صفحات بالاصل .

ثلاثة من المسلمين ، فانا لله و إنا إليه راجعون . انتهى والله أعلم .

﴿ مقتل يلبغا الأمير الكبير ﴾

جاء الخبر بقتله إلينا بدمشق فى ليلة الاثنين السابع عشر من ربيع الآخر مع أسير بن جاءا على البريد من الديار المصرية ، فأخبرا بقتله فى يوم الاربعاء ثانى عشر هذا الشهر : تمالأ عليه مماليكه حتى قتلوه يومئذ ، وتغيرت الدولة ومسك من أمراء الألوف والطبلخانات جماعة كثيرة ، واختبطت الأمور جداً ، وجرت أحوال صعبة ، وقام بأعباء القضية الأمير سيف الدين طيتمر النظامى وقوى جانب السلطان ورشد ، وفرح أكثر الأمراء بمصر بما وقع ، وقدم نائب السلطنة إلى دمشق من بيروت فأمر بدق البشائر ، وزينت البلد ففعل ذلك ، وأطلقت الفرنج الذين كانوا بالقلعة المنصورة فلم يهن ذلك على الناس .

وهذا آخر ماوجد من التاريخ والحمد لله وحده ، وصلواته على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر ، وجعل الليل والنهار آيتين من آياته وليعلم بهما العباد عدد السنين والحساب ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد النبى المصطفى ، والحبيب المجتبى الذى كان ميلاده آية من آيات ربه ، تنكست به الأصنام ، واندك له إيوان كسرى ، وغار به ماء ساوة ، وكانت رسالته نوراً للعالمين ، و إظهاراً للدين الحق ، وسحقا للاديان الباطلة التى نسخت بدينه ، كما كانت هجرته مبدأ تاريخ المسلمين ، و إبطالا للعمل بالتواريخ السالفة فى الامم الماضية .

(أما بعد) فيقول العبد الفقير ، الذليل الحقير ، خادم العلم وعلماء الملة الحنيفة المرضية المصحح بالمطبعة الآتى ذكرها : لقد تم بحمد الله تعالى طبع الجزء الرابع عشر من كتاب « البداية والنهاية » للعلامة ابن كثير ، و به تم القسم الاول من كتابه وهو المسمى بالبداية ، إذ أن المصنف رحمه الله جعل كتابه قسمين الاول فى الكلام على الخلائق والكائنات من بدء الخلق إلى الهجرة النبوية ، ورتب مابعد ذلك على السنين الهجرية إلى قبيل وفاته ، وسمى هذا القسم « البداية » والقسم الثانى فى الكلام على الفتن والملاحم فى آخر الزمان وسماه «النهاية» وسيكون أول الجزء الخامس عشر . وذلك بالمطبعة السعيدة العامرة « مطبعة السعادة » لصاحبها ومديرها الحاج محمد إسماعيل ، أقر الله عينه بنجله العزيز إسماعيل وبقية أولاده وأبقاه لهم وحفظهم عليه ، ومتعه و إياهم بالصحة والرفاهية ، وأعانه على عمل الخيرات وطبع مثل هذا الكتاب من المهمات التى يحتاجها كل مسلم ومتعلم وعالم . كان الفراغ من طبع هذا الجزء فى يوم الخميس سابع عشر ذى القعدة من سنة ١٣٥٨ هجرية ، وكان يوم خروج المحمل المصرى إلى البلاد الحجازية على ساكنها المصطفى أتم الصلاة وأزكى التحية . اهـ المصحح

عبد الحفيظ سعد عطية

فهرست

﴿ الجزء الرابع عشر من البداية والنهاية ﴾

﴿ تم الفهرس والحمد لله ﴾